اللهجات العربية في التراث

القسم الثاني

النظام النحوي

الدكتور أحمد علم الدين الجندي

الدار العربية للكتاب

اللهجات العربية في التراث

القسم الثاني
النظام النحوي

تأليف
الدكتور أحمد علم الدين الجندي

الدار العربية للكتاب

طبعة جديدة

ثانياً : بين الصوت الشفوي الأسناني ، والصوت الأسناني :

« الثاء والفاء »

يلاحظ أن بين الحرفين علاقة تسمح بانتقال أحد الصوتين الى الآخر ، فالفاء رخو مهموس ، والثاء كذلك ، وهما متقاربان مخرجاً وصفة ، ونسوق الآن نصوص التعاقب بينهما :

١ – يقال إن (الجدث) هو القبر بلغة أهل الحجاز – بالثاء ، والجدف بالفاء لبني تميم ، ويميل ابن جني الى أن الثاء هي الأصل بدليل قوله «ألا ترى الثاء أذهب في التصريف من الفاء»(١) كما ورد نص لها في القرآن «فإذا هم من الأجداث » فعلى هذا تكون الثاء قد تحولت الى الفاء في لغة تميم ، وكما كانت الثاء أصلاً في الآية السابقة – نراها أصلاً كذلك في قوله تعالى « مِنْ بقلها وقثائها وفومِها وعدسِها وبصلِها »(٢) إذ الأصل « ثومها » بالثاء ، وأرجح هـــذا لأسباب منها : أن الثوم في العبرية Sum . (شوم) وبالآرامية Tuma (تومـــا) بالشين والتاء الناشئتين عن الثاء »(٣) ، كما أنها في مصحف ابن مسعود « وثومها » بالثاء(٤) ، وقرأها بالثاء كذلك علقمة وابن عباس(٥) . وأخيراً إذا كانت بالثـــاء وافقت العدس والبصل – ولهذا جانب ابن جني الصواب حيث قال « والصواب عندنا : أن الفوم الحنطة »(٦) وكأنه يرى الفاء أصلاً وليست بمبدلة من الثاء – والحق أن إبدال الفاء من الثـــاء كثير في تاريخ اللغات ، ونشهد الآن تصوير القرآن لهذا :

قرأ ابن مسعود : « مِنْ كلّ حدَبٍ يَنْسِلُون »(٧) أي : جدث، وعزى الجدث للحجاز،

---

(١) المحتسب : ١٠٠/٢ مخطوط بالتيمورية .

(٢) سورة البقرة : آية ٦١ .

(٣) التطور النحوي : ٢٣ – ٢٤ برجشتراسر .

(٤) مصحف ابن مسعود : ٢٦ ، الكشاف : ١٠٨/١ .

(٥) مصحف ابن مسعود : جفري : ٢٦ .

(٦) سر الصناعة : ٢٥٢/١ .

(٧) سورة الأنبياء : آية ٩٦ .

والجدف لتميم[1] . كما قرأ بالثاء ابن عباس والكلبي والضحاك[2] ، وقد ورد مثل ذلك عن أبي حيان[3] .

ويرى الدكتور ليتمان : أن هذا الإبدال بين الثاء والفاء قديم عند العرب بدليل وجوده في جنوب بلاد العرب ، وفي لهجات المغرب الآن[4] .

٢ – كما وردت بعض الأمثلة تشير الى أن تميماً تقول : تلثمت « على الفم . وغيرهم يقول : تلفمت »[5] ، وقد نقل هذا صاحب المصباح عن ابن السكيت[6] . وقال أبو زيد : تلفمت تلفماً – إذا أخذت عمامة فجعلتها على فيك شبه النقاب ولم تبلغ بها أرنبة الأنف ولا مارنه. قال : وبنو تميم تقول في هذا المعنى :

تلثمت تلثماً[7] ، وبعض اللغويين فرق في المعنى بين اللفام واللثام ، فاللثام على الأنف ، واللفام على الأرنبة[8] ، والفاء والثاء كلاهما مهموس ، وربما كانت صيغة الفاء – هي الأصل . ولسهولة انتقال الفاء الى الثاء للعامل الصوتي أبدلت ثاء في تميم ، والثاء لتميم أليق ، « لأنها بدوية تؤثر ما كان واضحاً في السمع ولا شك أن الثاء أوضح في السمع من الفاء على الرغم من أنهما مهموسان »[9] . ومما يؤيد ما سبق قول الأصمعي « المغاثير والمغافير : شيء ينضحه الثام والرمث والعُشَر كالعسل ، وحكى في واحدها : المغفر أيضاً والمغثر أيضاً ، قال الفراء : بنو أسد يقولون : المغثور ، والجمع المغاثير ، وغيرهم بالفاء »[10] كما جاءت رواية مماثلة عن الفراء في كتابه

(١) المحتسب : ٢/١٠٠ مخطوط بالتيمورية .
(٢) مختصر شواذ القرآن : ٩٣ .
(٣) البحر : ٦/٣٣٩ .
(٤) مجلة كلية الآداب : مجلد ١٠ جـ ١ ص ١٦ .
(٥) كنز الحفاظ لابن السكيت : ٦٦٤ .
(٦) المصباح : ٢/٨٤٦ مادة « لثم » .
(٧) اللسان : ١٦/١٩ .
(٨) اللسان : ١٦/٥ .
(٩) في اللهجات العربية : ١٠٣ ط ٢ .
(١٠) إبدال أبي الطيب : ١/١٨٦ .

« معاني القرآن »[١] ، ورواية كذلك في إبدال ابن السكيت[٢] ، أما السيوطي في كتابه[٣] ، والقالي في أماليه[٤] فأهملا العزو . كما ذكر أبو الطيب أنه يقـال « ولد في الدَّفَئِيِّ » ، وطيء تقول : في الدَّثَئِيِّ : إذا ولد في الشتاء ، وقبل الصيف »[٥] وجاء في اللغات العربية الجنوبية القديمة (دثأ) ومعناها الربيع أو ما ينتج في الرّبيع . وقد ورد: تكرفأ السحاب : كتكرثأ، والثاء لغة بني أسد ، والفاء لغة سليم[٦] .

ويستنبط من هذه الروايات أن القبائل البدوية مالت الى صوت الثاء بدل الفاء وهما وإن اتحدا في الصفة ، إلا أنهما يختلفان في نسبة الوضوح ، لهذا آثرتها كما في الروايات السابقة : أسد ، وطيء ، بينما بنو سليم قد آثروا الفاء ، وبنو سليم متحضرة ، لأنهـا في منطقة غنية تهيمن على طرق التجارة ، ثم يحدثنا التاريخ أن لها صلات بقريش[٧] .

وقريب من هذا ما رواه السيوطي عن ابن السكيت : أن لغة تميم : الأثاثي – في الأثافي[٨] . ونص ابن السكيت هو : « والأثاثي : لغة لبعض تميم »[٩] .

فالسيوطي لم يكن أميناً في نقلـه عن ابن السكيت ، وابن السكيت في كتابه « القلب والإبدال» عزاها لبعض تميم . وجاء عن اللحياني « هي الأثافي ، ولغة تميم الأثاثي »[١٠] ، ويظهر أن (الفاء) الأثافي – كانت أكثر شيوعاً في المحيط العربي – من الثاء – التي كانت محصورة في تميم ، وصيغة الفاء – هي الأصل ، وعنها جاءت (الثاء) متطورة عنها ، يدل لهذا ما جاء عن ابن جني « فأما قولهم في أثاف أثاث – بالثاء ، فمن كانت عنده « فُعْلِيَّة » فجائز أن تكون الثاء بدلاً من الفاء لقول النابغة :

---

(١) ٤١/١ ط دار الكتب .

(٢) ص : ٣٥ .

(٣) المزهر : ٥١/٢ ، ١١٤ .

(٤) ٣٤/٢ .

(٥) إبدال أبي الطيب : ١٩٤/١ .

(٦) اللسان : مادة « كرثأ » .

(٧) تاريخ العرب : ١٧٦/٤ جواد علي .

(٨) المزهر : ٤٦٥/١ .

(٩) ابن السكيت في القلب والإبدال : ٣٦ .

(١٠) المخصص : س ٢٨٦/١٣ .

(وإن تَـأْتَـفَكَ الأعداءُ بالرِّفْـد)[1]

وهذه إشارة لطيفة من ابن جني حيث أقام المقياس لبيان الأصل والفرع على كثرة الاستعمال وعُموم التصرف في الأصلي ، وتلك مزية يمتاز بها الأصلي عن الفرعي ، وكأن « تأثف » أكثر استعمالاً وأعم تصرفاً من « تأثث » .

كما أورد أبو عبيدة بعض الإبدالات التي جاءت على هذا مثل : الحفالة والحثالة ، وقال أبو عمرو : الفناء والثناء ، في فناء الدار[2] ، وقال الفراء : وسمعت العرب تقول : خرجنا نتمغفر ونتمغثر : أي نأخذ المغفور ، وثم ، وفم[3] .

(١) سر صناعة الإعراب : ١٩١/١ ط الحلبي .

(٢) المخصص : س ٢٨٦/١٣ ، الأمالي للقالي : ٣٤/٢ ، الإبدال : ٣٥ ابن السكيت .

(٣) أمالي القالي : ٣٤/٢ .

ثالثاً : بين الأصوات الأسنانية اللثوية

« التاء والطاء »

مالت تميم الى قلب التاء طاء في كلمة (أفلتني) يقولون فيها (أفلطني) وفي الصحاح ، قال الخليل : أفلطني لغة تميمية قبيحة في أفلتني[1] ، وذكرها المزهر في باب المذموم من اللغات[2] . فهل معنى هذا أن تميماً تؤثر الطاء على التاء؟ يرى الدكتور ابراهيم أنيس ذلك معللاً بأن أصوات الإطباق أصوات مفخمة ، لها رنة قوية في الآذان ، مما يلائم طباع البدو وخشونتهم[3] . فالطاء في أفلطني — أليق بتميم من التاء ، ويظهر أن ذلك كان الغالب عليهم ، لأنه قد ورد ما يفيد أن تميماً آثرت التاء على الطاء فمن ذلك :

ما ذكره صاحب الصحاح من قولهم (فلان في أسطمة قومه — أي في وسطهم وأشرافهم والجمع « الأساطم » وتميم تقول : الأساتم[4] ، « كما وردت رواية مثلها في كتاب النوادر لأبي زيد »[5] ، وذكر ابن سيده « أن أصتمّة الشيء : معظمه تيمية »[6] أي بقلب الطاء تاءاً ، وجاء في اللسان أن تميماً تقول « أساتم » تعاقب بين الطاء والتاء فيه[7] . وفي مكان آخر من اللسان : الأصاتم : جمع الأصطمة بلغة تميم[8] .

---

(١) المزهر : ٢٢٤/١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) في اللهجات العربية : ١١٥ ط ٢ .

(٤) خزانة الأدب للبغدادي : ٢٨٣/٢ - ٢٨٤ .

(٥) نوادر اللغة : كتاب مسائية : ٢٣٢ .

(٦) المخصص : س ١٣ : ص ٦٤ .

(٧) اللسان : ١٧٨/١٥ - ١٧٩ .

(٨) اللسان : ٢٢٥/١٥ .

ولكنني أرجح صيغة « أساتم » وأعزوها لتميم ، بعكس ما ورد في رواية اللسان الأخيرة ورواية ابن سيده وعزوهما لتميم (أصتمّة) ، فهذه الصيغة وقعت فيها التاء مجاورة لحرف من حروف الإطباق وهو الصاد ، ولهذا يجب أن تكون الصيغة هكذا « أصطمة » بقلب التاء طاء، للانسجام الصوتي ، وإذا أصر الرواة على عزو التاء لتميم ، فيجب أن تكون الصيغة « أساتم » بالسين والتاء ، فارتدت الطاء لتحل محلها التاء ، وقلبت الصاد سيناً ، حتى يحدث الانسجام بين السين والتاء ، ولا شك أن الانسجام الصوتي هدف يهدف إليه البدويون أمثـــال تميم وغيرهم ، ولذلك روى عنهم « بعير »[1] بكسر الباء والعين ، للانسجام .

والدليل على أن التاء تقلب طاء إذا جاورت حرفاً من حروف الاطباق ما يلي :

أ) ما ذكره السيرافي في شرح الكتاب من أن لغـــة بعض تميم – فحصط برجلك ، تريد : فحصت ، وحصط عني : يريدون : حصت عني ، أي حدت[2] ، كما أورد مثل هـــذه الرواية ابن سيده[3] .

ب) ما جاء عن علقمة :

(وفي كلّ حيّ قد خبطّ بنعمةٍ)[4]

فأصلها : خبطت ، فشبهوا تاء الضمير إذا وقع قبلها أحد حروف الإطباق بتاء الافتعال ، لأن التاء لما اتصلت بما قبلها من الفعل صارت ككلمة واحدة فأشبهت تاء افتعل ، وأسكنت كما أسكنت التاء في افتعل ، فالفعل والفاعل كشيء واحد وهما شديدا الاتصال ببعضها ، ومن هنا جاز تشبيه تاء « فعلت » بتاء (افتعل) حتى جاز لبعضهم أن يقول « فحصط ، وخبط قياساً على : اصطبر ، واطلع » .

وتلك الأدلة تقف في وجه ابن سيده ، وفي إحدى روايتي ابن منظور في اللسان حيث عزيا

---

(١) شرح السيرافي على سيبويه : ١٣٦/٢ مخطوط بالتيمورية .

(٢) شرح السيرافي : ٥٥٩/٥ مخطوط في مكتبة تيمور .

(٣) المخصص : س ١٣ : ص ٢٧٠ .

(٤) الكتاب : ٣١٤/٢ ، شرح السيرافي : ٥٥٩/٥ بالتيمورية مخط ، شرح ابن يعيش : ٤٨/١٠ .

لتميم « أصتمة ، الأصاتم » والدليل على أن ظاهرة تأثير الحروف في بعضها كانت في تميم ومن لفّ لفهم أنهم كانوا يقولون (فزد) في (فزت) »[1]، وجاءت رواية أخرى في شرح السيرافي على سيبويه مماثلة لما في المخصص[2] . فالتـــاء المهموسة قلبت الى نظيرها المجهور – وهو الدال ، وذلـــك لوجود حرف الزاي وهو مجهور ، كما وردت في جمهرة ابن دريد كلمة (الزقر) وهي تميمية في الصقر ، واستشهد لها بقول صفية لرجل «كيف رأيت زبْراً أقطا وتمْراً، أم مشمعلاً زقْرًا »[3] فالنطق الأصلي الصقر ، ولما كانت القاف الفصيحة مجهورة[4] ، تأثرت بهـــا الصاد فأشمت الزاي فنطق بها في تميم « الزقر » ، ولهذا لا نعجب من رواية ابن جني عندما اختلف رجلان في الصّقر ، فقال أحدهما : الصقر – بالصاد ، والآخر السقر بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه ، فقال : لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر[5] .

تعقيب :

أورد ابن قتيبة لبيت علقمة السابق رواية لا تظهر فيها لهجة تميم ، إذ ذكر في البيت (قد خبطت)[6] – على أصلها وبدون إدغام ، وإزاء هـــذا التغيير في الشاهد أرجح أن الرواية الصحيحة لبيت علقمة هي :

وفي كل حَيٍّ قد خبطّ بنعمةٍ فحق لشأْسٍ من نداك ذَنُوب

بقلب التاء طاء ، وادغامها في الطاء ، وذلك لأنها لهجة تميم ، لاسيما وأن القائل من تميم ، وأما رواية ابن قتيبة (خبطت) فأرجح أن المصحح عدلها على اللغة المشهورة، وكثيراً ما عدل الكاتب الرواية ليحملها على المهيع الصحيح ، ولكنْ في عمله هذا خطورة على اللهجات العربية

---

(١) المخصص : س ١٣ : ص ٢٧٠ .

(٢) شرح السيرافي : ٥/٥٩٥ مخطوط بمكتبة تيمور .

(٣) الجمهرة : ٢/٣٢٤ والمشمعل الحاد في أمره الماضي فيه .

(٤) سر الصناعة : ١/٢٧٨ ط الحلبي .

(٥) الخصائص : ١/٣٧٨ ، المزهر : ١/٢٦٢ ، ٦٣ .

(٦) الشعر والشعراء : ١/١٧٤ تحقيق المرحوم أحمد شاكر .

وتشويه لهـــا ، ويظهر أن المعري كان كثيراً مـــا يشهر بالرواة وتحريفهم الروايات ويظهر هذا في حديثه مع علقمة في رسالة الغفران : « ولو صادفت منـــك راحة لسألتك عن قولك :

(وفي كل حيٍّ قد خبطْتَ بنعمةٍ)

أهكذا نطقت بها طاء مشددة أم قالها عربي سواك[1] ؟ فقد يجوز أن يقول الشاعر الكلمة ثم توقع النقلة أصناف التغيير بها .

(١) الغفران : ص ٢٢٠ للدكتورة عائشة عبد الرحمن .

رابعاً : بين الأسنانية والأسنانية اللثوية

١ – « الضاد والظاء والصاد »

من اليسير انتقال مخرج الضاد الى الظـــاء لقربها في المخرج ، واتفاقها في الجهر والاطباق والاستعلاء والإصمات والرخاوة[1] . ولهذا وردت عدة أدلة تثبت أن تميماً تنطق بالضاد في كلمة « فاض » بينما غيرها من القبائل ، ومنها الحجاز تنطق ذلك « بالظاء » فتقول « فاظ » . وهي :

أ) جاء في الغريب المصنف : فاظت نفسه تفيظ ، مـــات . وناس من تميم يقولون : فاضت نفسه تفيض[2] .

ب) وعن أبي عبيدة قال : كل العرب تقول : فاضت نفسه بالضاد ، إلا بني ضبة فإنهم يقولون: فاظت نفسه بالظاء[3] .

وهذه الرواية وقفت في وجهها روايات أخرى تشير الى أن ضبة كانت تقول ذلك بالضاد لا بالظاء منها :

١ – قال أبو حاتم : سمعت أبا زيد يقول : بنو ضبة وحدهم يقولون – فاضت نفسه[4] .

٢ – وحكى المازني « كل العرب تقول » فاظت نفسه – إلا بني ضبة فإنهم يقولون : فاضت نفسه بالضاد[5] .

٣ – وروى المازني عن أبي زيد رواية مثل السابقة تماماً[6] ، وقد يكون العذر للسيوطي في خلطه أنه كان جماعاً – ولا ينظر في نقد الروايات .

---

(١) نهاية القول المفيد : ٦٠ .

(٢) المزهر : ٥٦١/١ .

(٣) المزهر : ٥٦٢/١ .

(٤) اللسان : ٧٧/٩ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) اللسان : ٣٣٤/٩ .

جـ) وأنشد أبو عبيدة في (فاض) :

اجتمع الناسُ وقالوا عرس ففقئت عينٌ وفاضت نفسُ[1]

كما نسب ابن سيده صيغة الضاد – لتميم[2] .

د) وفي اللسان عن أبي عبيدة « أن فاظت نفسه وفاضت – لبعض بني تميم ، وأنشد :

« ففقئتْ عينٌ وفاضت نفسٌ »[3]

وهذه الرواية أشك فيها لسببين :

أولهما : أن النطق بالضاد عزي الى تميم ونسب الى أبي عبيدة[4] .

ثانيهما : أن التميمي لا يمكن أن ينطق (فاض) بالضاد مرة وبالظاء أخرى كما جاء في رواية اللسان – إلا إذا كان الانسان يلهو أو يعبث ، فالمتكلم لا بد أن يثبت على نطق واحد في كلمة واحدة في زمن واحد ، ثم ان هـــذا الابدال لا يمكن أن يكون إرادياً يقوم به المرء متى شاء .

هـ) وعن الفراء أنه عزا الضاد الى تميم وكلب ، ولكنه عقب على ذلك بقوله :

« وأفصح منها وآثر – فاظت نفسه »[5]

و) وجاءت رواية في اللسان تعزو الظاء الى الحجاز[6] .

والمعروف أن الكلمة بالضاد والظاء لها معنى واحـــد . وهو الموت عندما تقول : فاضت نفسه ، أو فاظت . ولكن أبا القاسم الزجاجي عزا الى الأصمعي أنه كان لا يجيز فاظت نفسه –

---

(١) إصلاح المنطق : ٢٨٦ .

(٢) المخصص : س ١٥ : ص ٣٦ .

(٣) اللسان : ٩/٧٧ .

(٤) إصلاح المنطق : ٢٨٦ .

(٥) اللسان : ٩/٣٣٣ .

(٦) اللسان : ٩/٧٧ .

أي بالجمع بين الظاء والنفس ، بل يقول « فاضت نفسه »[1] . والحق أن الضاد والظاء تجتمع مع النفس حيث يقول العربي : فاضت نفسه ، وفاظت نفسه ، والدليل على ذلك قول الشاعر :

كادتِ النفسُ أن تفيظَ عليه   إذ ثوى حشو ريطة وبرود[2]

وقول الآخر :

تفيظُ نفوسها ظمأ وتخشَى   حِماماً فهي تنظرُ من بعيدِ[3]

فالروايات جاءت بالظاء مع النفس مما يقف في وجه الأصمعي ، ولا يمكن الأصمعي ولا غيره أن يدعي أن ذلك في الشعر كان لضرورة – لأن النطق بالضاد أو الظاء هنا لا يؤثر في الميزان الشعري ، ولا نعجب كثيراً إذا ما عرف أن الأصمعي كان يضيق بل كان لا يجيب في القرآن ولا في الحديث[4] ، ويسمه السيوطي بأنه « كان متشدداً »[5] .

والتبادل بين الضاد والظاء أمر جائز الحدوث – لما بينهما من علاقة ، ولهـــذا وقع الابدال بينهما في قول الشاعر :

إلى الله أشكو من خليل أودّه   ثلاث خصال كلها لي غائضُ

قال ابن جني : أراد « غائظ »[6] وقد حدث التبادل في الزمن الأقدم بـــين الضاد والظاء حتى أن السيوطي ساق عدداً من الأمثلة وقع فيها هذا التبادل[7] ، ولعل خير ما يدهش في هذا ما روي أن رجلاً قال لعمر (يا أمير المؤمنين ، أيظحى بضبي ؟ قال : ومـــا عليك وقلتَ : أيضحى بظبي ؟ قال : انها لغة . قال : انقطع العتاب ولا يضحى بشيء من الوحش)[8] . وفي

(١) اللسان : ٣٣٤/٩ .
(٢) شرح ابن عقيل : ٢٨٣/٦ حاشية .
(٣) اللسان : ٣٣٤/٩ .
(٤) المزهر : ٤٠٢/٢ .
(٥) المزهر : ٣٢٦/٢ .
(٦) سر صناعة الاعراب : ٢٢٢/١ الحلبي .
(٧) المزهر : ٥٦٢/١ .
(٨) المزهر : ٥٦٣/١ .

رواية أخرى أنه كسر لام لغة – فكان عجبهم من كسره لام لغة أشد من عجبهم من قلب الضاد ظاء ، والظاء ضاداً[1] ، كما وقع هذا التبادل في جنوب بلاد العرب[2] .

ووقع كذلك في اللغة الأوجريتية التي كان يكتب بها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد حيث كان نطق الضاد في ذلك الوقت أقرب الى الذال المطبقة أو الزاي المفخمة[3] ويمكن أن نلمح كذلك هذا التبادل والتطابق بين الضاد والظاء في المصاحف القديمة المندثرة كمصحف (ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وعائشة ، ومجاهد)[4] ، كما أن فواصل القرآن تهدينا الى التشابه بين صوتي الضاد والظاء ، وذلك في آيتين متتاليتين من قوله تعالى « ولنذيقنهّم من عذابٍ غليظ » و« وإذا مسّه الشرّ فذو دعاءٍ عريض » .

ولما كانت القوانين الصوتية تشير الى أن الانسان في نطقه يسلك أيسر السبل لذلك يمكن أن تكون صيغة الظاء هي الأصل ، وقد تطورت عنها الضاد لأن الصوت الرخو يتطور الى نظيره الشديد[5] ، فالنطق بالضاد ينتمي الى تميم البدوية لأنها تؤثر الأصوات الشديدة بعكس الحجازية التي تميل الى الأصوات الرخوة ، ولهذا نطقتها بالظاء ، والدليل على ذلك ما حكي عن أبي عمرو اطروري بالطاء ، ورواية أبي زيد اظروري – بالظاء ، وأبو عمرو ثقة ، وأبو زيد أوثق منه ، وقد سألت عنه فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد فيما حكاه »[6] فهذا يؤكد أن الظاء للحجاز ، ومما يؤيد هذا أن الضاد كتبت بالظاء في مصاحف ابن عباس ، وعائشة[7] ، كما قرأها بالظاء ابن محيصن وابن كثير[8] في قوله تعالى « بظنين » بدل « بضنين » وابن عباس وعائشة حجازيان ،

---

(١) المزهر : ٥٦٣/١ .

(٢) محاضرات الدكتور خليل نامي سنة ١٩٥٤ في معهد اللغات الشرقية .

(٣) حرف الضاد وكثرة مخارجه : ٦٢ للدكتور خليل نامي . فصلة من مجلة كلية الآداب : مجلد ٢١ عدد أول مايو سنة ١٩٥٩ .

(٤) انظر : تاريخ المصاحف القديمة لجفري في سورة التكوير : آية ٢٤ ، فستجد في هذه المصاحف « ظنين » بالظاء بدل « ضنين » بالضاد .

(٥) في اللهجات العربية : ٩٣ .

(٦) المخصص : س ٨٠/٥ .

(٧) انظر المصاحف القديمة لجفري في سورة التكوير : آية ٢٤ .

(٨) الاتحاف : ٤٣٤ .

وابن كثير مكي[1] ، وابن محيصن قرشي[2] - فهم جميعاً يؤولون الى بيئة الحجاز .

لكن لا زلنا أمام مشكلة وهي أن أبا عبيدة في اللسان عزا (فاظت نفسه : بالظـاء الى قيس)[3] ، كما أنه اتفق مرة أخرى مع أبي زيد في عزوهما « الظـاء » أي - فاظت - الى قيس[4] . ثم عزى في اللسان مرة أخرى أن قضاعة وتميماً وقيساً يقولون « فاضت نفسه »[5] ، وعن الفراء أنه عزا - الى قضاعة وتميم وقيس قولهم « فاضت نفسه »[6] .

فالروايات تضطرب في أمر قيس : فأبو عبيدة منفرداً مرة ومجتمعاً مع أبي زيد على أن قيساً تقول : فاظت - بالظاء ، بينما نرى الفراء يعزو إليها صيغة « فاضت » بالضاد - وأمام هذه الروايات المضطربة ، نرجح أن قبائل قيس - منها ما كان يجاور الحجاز كغطفان ، ومنها ما كان يجاور مناطق الشرق كغنيّ ، والذين كانوا يجاورون الحجاز من الحضر ، وما كان منها متصلاً بأسد وتميم من البدو - فرواية أبي عبيدة وأبي زيد تحمل على ما جاور الحجاز من قبائل قيس - وهم الناطقون بالظاء ، وأما الناطقون بالضاد - فهم أهل البادية منهم ، والمتصلون بأسد وتميم ، كذلك قضاعة - لا أوافق أنها جميعها كانت تنطق « فاضت » بالضاد كما جاءت الروايات وإنما أرجح أن القبائل البدوية منها هي التي كانت تنطق ذلك : كجهينة وجرم مثلاً . وأما الحضرية فكانت تنطق « بالظاء » وتمثلها عذرة « لأن عذرة كانت[7] متصلة بقريش » .

ولهذا أشك في رواية أبي تراب عندما يقول « سمعت أعرابيًّا من أشجع يقول : (بهضني هذا الأمر وبهظني) . فليس من المعقول أن يتحدث رجل في بيئة واحدة في وقت واحد بلهجتين مختلفتين - وإلا كان عابثاً لاهياً - وأنا أرجح أن الرواية يجب أن تكون بالظاء - فقط ، لأن أشجع - « وهي من غطفان من قيس »[8] - « كانت مواطنها في الحجاز بضواحي

---

(١) طبقات القراء : ١/٤٤٣ .
(٢) المرجع السابق : ٢/١٦٧ .
(٣) اللسان : ٩/٧٧ .
(٤) اللسان : ٩/٣٣٤ .
(٥) اللسان : ٩/٧٧ .
(٦) اللسان : ٩/٣٣٤ .
(٧) تاريخ العرب : ٤/١٧٠ - ١٧١ جواد علي .
(٨) معجم كحالة : ١/٢٩ .

يثرب »[1] فهي في منطقة حضرية .

وإذا كان من الممكن أن تتبادل الظاء والضاد لما بينهما من علاقة ، فلا نعجب إذا رأيناها أي الضاد تبادلت مع الصاد ، وذلـــك في نص ساقه الكسائي حيث يقول : الضئبل : بالضاد : الداهية ، ولغة بني ضبة : الصئبل : بالصاد ، وعن أبي عبيدة : الضئبل بالضاد – قال : ولم أسمعه بالصاد – إلا ما جاء به أبو تراب »[2] فهذا النص تتبادل فيه الضاد والصاد ، وقد يظهر هذا غريباً – إذ تخرج الصاد من بين رأس اللسان والثنايا أنفسها من غير أن يتصل بها ، وإنمـــا يحاذيها ويسامتها ، فهي حرف رخو مهموس ، بينما الضاد كما يصفها ابن جني « من أول حـــافة اللسان وما يليها من الأضراس إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن ، وإن شئت من الجانب الأيسر »[3] وكان عمر بن الخطاب رحمه الله يخرج الضاد من أيّ شدقيه شاء (البيان والتبيين ٦٢/١) وهذا النطق يقرب من مخرج اللام ، وفي ذلك يقول براجشتراسر « ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب ، غير أن للضاد نطقاً قريباً منه جداً عند أهل حضرموت – وهو كاللام المطبقة »[4] .

وهذا النطق في لهجات منطقة ظفار – كالمهرية والشّحرية[5] . ويظهر أن هذا النطق للضاد قد تخطى جنوب الجزيرة الى شمالها ولهذا وجدنا أثره في قول منظور الأسدي :

(مال الى أرطاة ِحقْفٍ فالْطجع)[6]

ولما كان معظم الجيوش العربية التي فتحت اسبانيا من القبائل اليمنية ، فقد حملوا معهم هذا النطق للضاد ، فيقولون : الكلدي في القاضي .

ويظهر أن هذا النطق كان عصيّاً حتى على العرب أنفسهم ، ولهذا ربما نطقت كما يقول

(١) تاريخ العرب : ٣١٦/٤ جواد علي .
(٢) اللسان : ٤١٣/١٣ .
(٣) سر الصناعة : ٥٢/١ ، وانظر سيبويه : ٤٠٥/٢ .
(٤) التطور النحوي : ١٠ .
(٥) حرف الضاد وكثرة مخارجه : ٦٢ من مجلة كلية الآداب سنة ١٩٥٩ مايو ، الدكتور نامي .
(٦) الخصائص : ٢٦٣/١ ، ١٦٣/٣ ، المفصل : ٣٧٠ .

السيرافي ظاء ، أو خرجت بين الضاد والظاء[١] ، ويظهر أن هذه الضاد التي وصفت في كتب القدماء قد مرت بأطوار تاريخية – حتى وصلت الى ما هي عليه في لهجاتنا الحديثة ، كما يظهر أنها في تطوراتها تلك كانت تنطق أحياناً كالظاء ، ولا يزال كثير من البلاد العربية تنطق الضاد كالظاء – وأحياناً كالزاي وأخرى كالصاد – « ولهذا كانت الضاد العربية تقابل صاداً في الآكادية وفي العبرية وظاء أو صاداً في اللغة الأجريتية ، كما كانت تكتب صاداً في الكتابات النبطية وتنطق ضاداً »[٢] .

ومعنى هذا أن الضاد القديمة كانت قريبة المخرج من الصاد ، والعلاقة بينهما الإطباق وإن كانت الضاد تختلف في تطوراتها التاريخية عن نطق الصاد ، ومن هذا وجدنا ذلك النص الذي ساقه الكسائي وفيه تبادلت الصاد والضاد في بني ضبة ، ويظهر أن هذا التبادل بين الصاد والضاد قد شمل مناطق كبيرة في الجزيرة العربية يظهر فيما يرويه صاحب الجمهرة من قولهم « بعير صباصب وضباضب »[٣] ومما جاء في ديوان الأدب من قولهم « الامتضاض مثل الامتصاص »[٤] وفي شرح أدب الكاتب : القضب : القطع ، ومنه سيف قاضب ، والقصب : بالصاد : القطع أيضاً ومنه سمي القصاب[٥] . وما ذكره اللسان من أن « الحضب لغة في الحصب ، وعليه قرأ ابن عباس « حضب جهنم » منقوطة ، قال الفراء : يريد: الحصب[٦] . وفي لغات القرآن : « حصب جهنم »[٧] يعني حطب بلغة قريش[٨] . « وقد أجمع الرواة على أن الطاء القديمة صوت مجهور »[٩] – أي أنها تشبه الضاد الحديثة – فيكون الإبدال قد حدث بين الصاد والضاد ، وفي اللغة العبرية حصب تنطق חצב [١٠] ، بمعنى حطب النار .

---

(١) شرح الشافية : ٢٥٦/٣ .

(٢) محاضرات الدكتور نامي في معهد اللغات الشرقية ١٩٥٣ .

(٣) مزهر السيوطي : ٥٥١/١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) نفس المرجع السابق .

(٦) اللسان : ٣١١/١ .

(٧) سورة الأنبياء : آية ٩٨ .

(٨) كتاب اللغات في القرآن : ٣٧ .

(٩) الأصوات اللغوية : ٥٨ ط ٢ ، تاريخ الأدب : ١٩ حفني ناصف ط ٢ .

(١٠) أشعيا : ١٥/١٠ .

أما اللهجة الفصحى فقد فرقت بين الضاد وبين سائر حروف الاطباق كالظاء وغيرهـا ولا يزال هذا الفرق واضحاً في اللغة العربية النموذجية التي يتكلم بها الخاصة منا حتى الآن . لكن الخلط بين الضاد والظاء قد انتشر وذاع في العصور المتأخرة في العراق والأردن وبعض أماكن أخرى ، كما رأينا هذا الخلط بينهما في بقاع بعيدة كصقلية يؤيد هذا ما يقوله ابن مكي الصقلي (القرن الخامس الهجري) « فأما العامة وأكثر الخاصة فلا يفرقون بينهما في كتاب ولا قرآن » (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ٩١ تحقيق د. عبد العزيز مطر) . هـذا ، وقد حذر ابن الجزري في كتابه النشر ٢٢٠/١ ، من الخلط بين الضاد والظاء لاسيما في القرآن ؛ لأنه قد يؤدي الى اللبس في المعنى .

٢ – بين التاء والثاء :

عزي الى السموأل :

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ القليلُ من الرز   قِ ولا ينفعُ الكثيرُ الخبيتُ[١]

والخبيت بالتاء ، الخبيث بالثاء – فكأن السموأل آثر التاء وهو حرف شديد على الثاء وهو حرف رخو ، والسموأل هذا من يهود خيبر كما في كتب الطبقات[٢] . فكأن لغـة اليهود قلب الثاء – وهو حرف رخو الى نظيره الشديد وهو التاء ، والدليل على ذلك ما عزته الأصمعيات الى السموأل من قوله :

وأتتنيَ الأنباء أني إذا مـا   متّ أو رمَّ أعظمي مبعوت[٣]

بالتاء وكأن أصلها (مبعوث) بالثاء فقلبت الثاء تاء ، وهذا دليل آخر على أن يهود خيبر كانوا يقلبون الصوت الرخو الى نظيره الشديد ، ولكن هناك بعض المحاورات بين الأئمة في هذه الظاهرة يشم منها أن يهود خيبر كانوا لا يتجهون الى قلب الصوت الرخو الى نظيره الشديد ، ومن ذلك :

١ – ما جاء عن الأصمعي من قوله : كنا عنـد الخليل بن أحمد فأنشدته أبيات اليهودي حتى مررت بقوله :

---

(١) الأصمعيات : ٨٦ دار المعارف .

(٢) الأصمعيات : ٨٠ دار المعارف .

(٣) المرجع السابق : ٨٥ دار المعارف .

ينفعُ الطيّبُ القليلُ من الكسبِ   ولا ينفع الكثير الخبيت[1]

فقال : كيف قال ؟ قال : قلت : ليس في كلامهم الثاء . فقال : كيف قال : « الكثير » ! بالثاء . وفي رواية اللسان : قال الخليل : لو كان ذلك لغتهم لقـــال : الكتير – بالتاء[2] . وفي رواية الأصمعيات : قال الخليل للأصمعي : ما الخبيت – هنا ؟ قال : الخبيث بالثاء ، ومن لغته أن يبدل الثاء تاء . فقال أسأت العبارة[3] .

ونتيجة هذه المحاورة أن الخليل لا يرى أن خيبر تقلب الثاء وهو الحرف الرخو الى نظيره الشديد – وهو التاء ، ولو كان كذلك لقالوا : الكتير – بالتاء ولم يقولوها . وأنا مع الخليل ، فالتاء في الخبيت – أصلية لأسباب :

أولاً : ما جاء عن صاحب العين من قوله « الخبيت – بالتاء الحقير الرديء »[4] .

ثانياً : ما جاء عن أبي منصور من قوله في بيت اليهودي : « أظن أن هذا تصحيف ، لأن الشيء الحقير الرديء إنما يقال له : الختيت – بتاءين وهو بمعنى الخسيس فصحفه وجعـــله الخبيت »[5] .

ثالثاً : ما جاء في حديث أبي عامر الراهب لما بلغه أن الأنصار لما بايعوا النبي ﷺ : تغير وجهه وخبت . وعلق الخطابي على ذلك فقال : هكذا روي بالتاء المعجمة بنقطتين من فوق[6] . فالخبيت بالتاء في بيت اليهودي الخيبري إما معناها : الفاسد ، وإمـــا معناها الحقير الرديء . وشاهد السموءل لا ينهض دليلاً على قلب الثاء تاء ؛ لأن اليهود لم تكن عندهم صورة مكتوبة للثاء (بثلاث من فوق) بل كانوا يكتبونها تاء (بالمثناة من فوق) وينطقونها ثاء .

ويلاحظ أن التعاقب بين التاء والثاء كثير فمنه : ما حكاه أبو نصر : رتم أنفه رتماً ، ورثمه

---

(١) طبقات الزبيدي : ٤٧ .
(٢) اللسان : ٢/٣٣٢ .
(٣) الأصمعيات : ٨٦ .
(٤) المخصص : ٣/٩٥ .
(٥) اللسان : ٢/٣٣٢ .
(٦) اللسان : ٢/٣٣٢ .

رثّا » ! أي كسره[١] ، وقد حدث مثل هذا التعاقب بين الثاء العربية والتاء في اللهجات الآرامية[٢] .

٣ – بين الدال والذال :

ومما يسوغ الإبدال بينهما انتقال مخرج الذال الى الوراء قليلاً فيصادف الدال كما تتغير صفة الذال من الرخاوة الى الشدة – فتصير دالاً ، وإليك نصوص هذا التعاقب :

عن أبي حسان عن أبي عمرو الشيباني أنه ذكر « ما ذقت عدوفاً ولا عدوفة . قال : وكنت عند يزيد بن مزيد فأنشدته بيت قيس بن زهير :

ومجنّباتٍ ما يذقن عدوفةً   يقذفْنَ بالمهراتِ والأمهارِ

بالدال ، فقال لي يزيد : صحفت أبا عمرو – إنما هي عذوفة بالذال قال: فقلت له: لم أصحف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال – وسائر العرب بالدال »[٣] .

وجاء ما يشبه هذه الرواية في أمالي القالي[٤] ، إلا أن رواية اللسان وضحت مجملاً حيث فيها « وباتت الدابة على غير عدوف – أي على غير علف – هذه لغة مضر »[٥] أما يزيد بن مزيد « فهو من بني شيبان وهم من بكر بن وائل من ربيعة »[٦] ، فكأن ربيعة آثرت الذال، بينما مضر آثرت الدال – كما في اللسان ، ولهذا أرى أن الأستاذ عز الدين التنوخي المحقق لكتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي – قد جانبه الصواب حيث يقول في عدافاً وعذافاً (الدال لربيعة[٧] ، والذال لسائر العرب) والصحيح كما نرى من النصوص هو العكس . والدال حرف شديد ، يناظره الذال – وهو صوت رخو .

---

(١) إبدال أبي الطيب : ٩٧/١ .

(٢) حروف الاطباق : دكتور خليل نامي .

(٣) اللسان : ١٣٩/١١ .

(٤) جـ ٢ : ص ٩١ .

(٥) اللسان : ١٤٠/١١ .

(٦) نهاية الأرب : ٣٠٩ القلقشندي .

(٧) كتاب الإبدال : ٣٥٣ لأبي الطيب : المحقق .

ومما يؤيد التعاقب بين الدال والذال في اللهجات العربية ما نرى مثله من إبدال الذال العربية دالاً في اللهجات الآرامية ، وفي كثير من الألفاظ الأجريتية[1] .

٤ – بين الثاء والزاي :

وهما متجاوران في المخرج ، متفقان في الانفتاح والإستفال والاصمات[2] . وورد من تعاقبهما ما عزاه الفراء الى أبي الجراح من قوله :

صــداعٌ وتوصيمُ العظامِ وفــترة   وغشْي مع الإشراق في الجوفِ لاتب[3]

بمعنى « لازم » – فالتّاء هنا بدل من الزاي .

وأبو الجراح هذا من قبيلة عقيل – تلك القبيلة البدوية ، وهي قد آثرت صوت التاء – وهو شديد – على الزاي – وهو رخو .

وإذا نظرنا الى كتاب الله التمسنا فيه تلك اللهجة العربية ، قال الفراء في قوله تعالى : « من طينٍ لازب »[4] – اللازب واللاتب واحد – ثم قال : قيس تقول : « طين لاتب »[5] – فقيس قد آثرت حرف التاء أيضاً – على الزاي وهو رخو ، كما أرى أن المقصود بقيس هنا – هم البدو منهم الذين كانوا يؤثرون الأصوات الشديدة ، وفي الكشاف « وقرىء لاتب ولازب والمعنى واحد »[6] – فلاتب بالتاء لهجة البدو – وبالزاي لهجة غيرهم .

٥ – بين الدال والزاي :

جاء في اللسان : هو بازاء فلان – أي بحذائه ، وقد آزيته إذا حاذيته[7] ... وهو بإدائه

---

(١) حروف الاطباق : دكتور خليل نامي .

(٢) القول المفيد : ٥٢ ، مقدمة الجمهرة : ٧ .

(٣) تفسير الطبري : جـ ٢٣ : ص ٢٨ ط بولاق .

(٤) سورة الصافات : آية ١١ .

(٥) اللسان : ٢٣١/٢ .

(٦) الكشاف : ٢٩/٤ .

(٧) اللسان : ٣٣/١٨ .

أي بإزائه – طائية[1] . ففي هذا النص استعملتْ طيء الدال – في مقابل استعمال غيرهم الزاي . والدال حرف شديد يناظره حرف رخو وهو الزاي .

تعقيب :

يلاحظ على تلك المجموعة التاء والثاء . الدال والذال . التاء والزاي . الدال والزاي . رابطة قوية تجمعها في عقد واحد ، وهي أنها من الأصوات اللسانية ، وانتقال الأصوات اللسانية بعضها الى بعض شائع وكثير في اللهجات العربية القديمة ، ولهذا كانت محطاً لظاهرتي الإبدال والإدغام ، فالشبه بينها في مخرج الصوت : إذ ينحصر – عندما نريد أن ننطق بها – بين أول اللسان بما فيه طرفه والثنايا العليا بما فيها أصولها ، وكل حرف منها بينه وبين ما يتعاقب عليه علاقة مخرجية تقاربية ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم جميعاً يشتركون في كل شيء – بل بين كل حرف ومجاوره علاقة ضدية أيضاً من جهة أخرى كالشدة التي في الدال ، والرخاوة التي في الذال – وإن كانتا تتفقان في صفة الجهر ، وهذا الخلاف بين كل حرف وأخيه – مما يكون مثار خلاف بين لهجات القبائل ، فقبيلة تنطق بالدال مثلاً ، وأخرى تؤثر الذال – كما يلاحظ أنها اشتملت على صوت شديد يقابله ويناظره صوت رخو . ومن عرض لهجات القبائل على هذه الأحرف نلمس أن القبائل المتبدية مالت الى الصوت الشديد . فالمجموعة الثانية حدث تناظر فيها بين التاء والثاء . وقد كانت الروايات توهم أن يهود خيبر وهم متحضرون لصلتهم بالمدن الحجازية الكبرى – يقلبون صوتاً رخواً الى نظيره الشديد وهو التاء – ولكننا بينا أن اليهود لم تفعل ذلك بدليل أن الخليل أبى هذه الظاهرة فيهم – وهذا دليل على أن الحضري غالباً لا يقلب صوتاً رخواً – الى آخر شديد .

والمجموعة الثالثة وهي : د ذ . مالت فيها ربيعة الى الذال وهو رخو – وربيعة فيها بطون حضرية كإياد والنمر ، وبطون بدوية ، ولذلك نؤثر أن ننسب النطق بالذال لهذين البطنين[2] ، أما أن مضر آثرت الدال – وهي الصوت الشديد كما جاء في بعض الروايات – فأرجح أن المقصود بها ليس مضر ، ذلك الشعب العظيم الذي يدخل تحته قبائل كبرى – وإنما غلب على أهل الأنساب أن يطلقوه على « تميم » إذ هي الممثلة لمجموعة مضر – وتميم بدوية يناسبها النطق بصوت شديد كالدال ، لأنه أيسر من نظيره الرخو .

---

(١) اللسان : ٢٨/١٨ .

(٢) في اللهجات العربية : ٩٠ ط ٢ .

والمجموعة الرابعة : فيها تناظر بين الثاء والزاي – وقد آثرت عقيل ، وقيس صوت التاء الشديد ، وعقيل ضاربة في البداوة ، كما أنني أرجح أن الجزء الشرقي المتبدي من قيس هو الذي كان يميل الى إيثار التاء على الزاي . أما الجزء القريب من الحجاز فكان حضريـًا وأظن أنه كان يؤثر الزاي .

وإذا نظرنا الى المجموعة الخامسة وجدنا تناظراً بين الدال والزاي – وقد عزيت الدال – ذلك الصوت الشديد الى قبيلة بدوية كطيء ، وهو لها أنسب ، لأن الشديد أيسر من نظيره الرخو ، والبدو يميلون الى أيسر مجهود .

خامساً : بين الحروف الذلقية[1] « أشباه أصوات اللين »[2] :

« الميم والنون واللام »

روي عن أبي عمرو : أن الدمدم[3] – لغة بني أسد ، وفي لغة تميم الدندن[4] . وما جاء في اللسان من أن أهل الحجاز يسمون الجان من الجبات : الأيم ، وبنو تميم يقولون : الأين[5] .

والظاهر أن هذيلاً كانت تقوله بتشديد الياء[6] مع الميم ، فإذا كان كذلك ، كانت الصيغة المشددة هي الأصل ، ثم تطورت فخففت ، ولا شك أن العليم بمواطن الإبدال كالذي بين الميم والنون – كالأيم والأين – يتجنب الوقوع في المزالق اللغوية ، ولهذا أخطـأ من فسر الأين : بالتعب والإعياء في قول ابن زيدون :

(سُرى الأيْن من آثاره فيه مَزحف)[7]

وإنما الأين : مثل الأيم – كما قال ابن السكيت : الذكر من الحيات[8] ، ولهذا يفهم البيت ، إذ تكون فيه علاقة بين (المزحف) موضع الزحف ، وبين الأين : بمعنى الحية . وقد أهمـل البغدادي[9] ، وابن منظور[10] عزو تلك الصيغ السالفة .

---

(١) سميت ذلقية لخروجها من ذلق اللسان : أي طرفه : مقدمة الجمهرة : ٧ .

(٢) الأصوات اللغوية : ٣٢ .

(٣) أصول العليان المجبل : اللسان : ١٥/٩٩ .

(٤) اللسان : ١٥/٩٩ ، إبدال السكيت : ٢٢ .

(٥) المخصص : س ٨ : ص ١٠٩ .

(٦) المرجع السابق ، ديوان الهذليين : ٢/١٠٥ .

(٧) الإبدال لأبي الطيب : ١/٤١ مقدمة .

(٨) اللسان : ١٦/١٨٧ .

(٩) شرح شواهد الشافية : ٤/٤٥٧ .

(١٠) اللسان : ١٦/١٨٧ .

وإذا كانت تميم في النصوص السابقة قد آثرت حرف النون، فإننا لنجد أشعاراً قد تؤثر حرف النون على الميم ، منها ما عزي لرجل من تغلب يصف فرساً :

فداءٌ خالتي وفدا صديقي وأهلي كلهم لبني قُعَيْن

الى أن قال :

كأنّي بين خافيَتَيْ عقابٍ تريد حمامة في يوم غيْن[1]

ولكنني لا أجزم بأن لهجة تغلب تؤثر النون كما آثرتها تميم ، لأنه يظهر أن القافية الشعرية هي التي استدعت هذه النون، إذ القافية في جميع القصيدة نونية . كما ورد عن ابن الفرج أنه سمع جماعة من قيس يقولون : « فلان يعثم ويعثن »[2] – أي يجتهد في الأمر ، ويعمل نفسه فيه ، ولا نستطيع أن نفهم أن النطق بالميم مرة ، وبالنون أخرى – كان في بيئة واحدة وفي زمن واحد ، وإنما أرجح أن بعض بطون قيس كانت تنطق بالميم ، وبطوناً أخرى تنطق بالنون ، أو أن كل صيغة وجدت في زمن حتى تم هذا التطور ، وقد حدث التبادل بين هذين الحرفين في العربية في كلمة « نسى » إذ يقابلها في الأكدية Masu [3] بالميم الشفهية .

كما ورد في اللسان عدة تقابلات بين الميم والنون والياء ، ويظهر هذا في شاهد للمتنخل الهذلي جاء فيه بكلمة (نسع) بالنون ، وهي ريح الشمال[4] . كما وردت بالميم (مسعا)[5] وقال شمر : سمعت بعض الحجازيين يقول « هو (يسع) بالياء فالتبادل قد حدث بين الميم والنون والياء كما هو واضح ، إذ الميم صوت مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو ، إذ هي لقلة ما يسمع لها من حفيف اعتبرت في درجة وسطى بين الشدة والرخاوة ، والنون صوت مجهور متوسط بين ، الشدة والرخاوة كذلك ، فبينهما علاقة تقارب ، ثم إن هناك علاقة أخرى بين هذين الحرفين وهي : أن مجرى الهواء مع كل من الميم والنون هو التجويف الأنفي[6] ، كما أن النون مؤاخية للميم في الغنة[7] . ولهذا وقعت الميم والنون في القوافي المكفأة كقوله :

---

(١) اللسان : ١٩٢/١٧ .

(٢) اللسان : ٢٨٧/١٥ .

(٣) التطور النحوي : ٢٣ .

(٤) اللسان : ٢٣١/١٠ ، ديوان الهذليين : ١٦/٣ .

(٥) اللسان : ٢٩٦/١٠ ، شرح شواهد الشافية : ٤٥٦/٤ .

(٦) نهاية القول المفيد : ٨٠ .

(٧) المرجع السابق : ٩١ .

(بنيّ إنّ البرّ شيء هيّن   المنطق الليّن والطعيّم)[1]

كما أثبت البحث أن الياء تشبه أصوات اللين ، كما عدت الميم والنون أشباهاً لأصوات اللين أيضاً[2] . ومن هنا تبدو القرابة بين الميم والنون والباء – فلا عجب إذا حدث التبادل بينهما في اللهجات العربية ، فإذا عرفنا أن النون والميم من أكثر الأصوات شيوعاً في اللغة العربية ، إذ أن نسبة الميم ١٢٤ مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة ، والنون ١١٢ مرة كذلك ، بينما الظاء مثلاً ٣ مرات في كل ألف من الأصوات الساكنة[3] . فالنون والميم أكثر نسبة من غيرهما باستثناء اللام . يؤكد هذا ما جاء في (بصائر ذوي التمييز للفيروزبادي : ٥٦٣/١ – ٥٦٦) أن عدد اللامات في القرآن ٣٣٥٢٢ وعدد النونات ٢٦٥٢٥ وعدد الميات ٢٦١٣٥ على حين بلغت الظاءات في القرآن الكريم ٨٤ لا غير . وهذه الكثرة تجعل الصوت عرضة لظواهر لغوية – كالإبدال وغيره وقد نادى بهذه النظرية العالم Vilhelm Thomsen وتقرر هذه النظرية : « أن الأصوات التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر تعرضاً للتطور من غيرها »[4] ومما يؤيد هـــذه النظرية التي ساقها هذا العالم ما نجده في مزهر السيوطي من تبادل بين الميم والنون[5] ، ورضي الدين في شرح[6] الشافية ، وإبدال ابن السكيت[7] ، واللسان[8] ، مما يصح أن يكون تأكيداً لهذه النظرية في اللغة العربية . وقد نجد تعاقباً بين الميم والنون – ولكنه تعاقب ليس كما تقدم – وقد أشار إليه كراع كما جاء في اللسان قولهم : الملنبس : البئر الكثيرة المـــاء كالقلنبْس والقلمّس : عكلية »[9] ، والذي حدث هنا أنه تعسر نطق النون الساكنة قبل الباء في القلنبس– لأن النون مخرجها من الأنف والباء من الفم حتى ينحبس عند الشفتين – وفي ذلك من الصعوبة ما فيه ، فقلبت الى حرف متوسط بين النون والباء – وهو الميم ، لأن فيه الغنة كالنون ، وهو

---

(١) ابن يعيش : ١٤٤/١٠ .

(٢) الأصوات اللغوية : ٤٨ ط ٢ .

(٣) الأصوات اللغوية : ١٧٣ ، المؤتمر الثقافي العربي الأول ١٧٠ المنعقد في لبنان سنة ١٩٤٧ .

(٤) الأصوات اللغوية : ١٧٢ .

(٥) المزهر : ٤٦٨/١ .

(٦) ٢١٦/٣ .

(٧) الكنز اللغوي : ٢٢ .

(٨) ٢٧٨/١٥ .

(٩) اللسان : ١٠٨/٨ .

شفوي كالباء ، لهذا نطقتها عكل – القلمس ، لأن عكلا من القبائل البدوية التي تميل الى النطق مع أيسر مجهود وأقله ، شأن أكثر البدو . وإذا كان التعاقب السابق بين النون والميم ، فإن اللام لها صلة قوية بهذين الحرفين – إذ تلك الكتلة كما سبق تعد من الناحية الصوتية أشباها لأصوات اللين ، ثم إن اللام تشترك مع النون والميم في كثرة شيوعها في اللغة العربية فهي تمثل ١٢٧ مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة في بحث قام به الدكتور ابراهيم أنيس[١] ، وكلما شاع استعمال الصوت كان عرضة للقلب والإبدال والإدغام ، فمثال هذا ما جاء بين العربية في كلمة « صنم » إذ هي في العبرية Selem وفي الآرامية Salmà باللام[٢] . وعكس هذا ما جاء عن ابن السكيت من قوله : وسمعت الكلابي يقول : ألصت الشيء فأنا أليصة إلا صة ، وأنصته فأنا أنيصه إناصة إذا أدرته[٣] ، وجاء عن الفراء قوله « والعرب تقول – بل والله لا آتيك – وبن والله – يجعلون اللام فيها نوناً وهي لغة بني سعد ولغة كلب »[٤] ، وفي مكان آخر من اللسان يقول الفراء « وسمعت الباهليين يقولون : لا بن – بمعنى لا بل »[٥] ، ويرى ابن جني أن اللام هي الأصل ، والنون بدل عنها ، يدل على ذلك قوله « فأما قولهم : ما قام زيد بل عمرو ، وبن عمرو – فالنون بدل من اللام »[٦] ثم علل لهذا بقوله : « ألا ترى الى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل »[٧] ولكن ابن جني ما لبث أن أجاز أصالة (بن) بالنون حيث يقول : « ولست أدفع مع هذا – أن يكون (بن) لغة قائمة بنفسها[٨] وقد صورت المصاحف القديمة هذا التبادل ، ففي قوله تعالى (فوكزه موسى) القصص : ١٥ نجدها (فلكزه) باللام : مختصر شواذ القرآن : ص ١١٢ ، وفي مصحف ابن

---

(١) الأصوات اللغوية : ١٧٣ .

(٢) التطور النحوي : ٢٤ .

(٣) إبدال السكيت : ٩ .

(٤) اللسان : ٧٤/١٣ .

(٥) اللسان : ٢٠٦/١٦ ، ٩٥/١٨ .

(٦) الخصائص : ٨٤/٢ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) اللسان : ٢٠٦/١٦ .

مسعود : P, 71 (فنكزه) بالنون . كما وجد تعاقبٌ بين الميم واللام في لهجة اليمن ، فقــد ذكر الهمداني « ويمكث فيها القدر من اللحم بالخل الحاذق الشهر وأكثر ، وقــد ذكر ذلك إبراهيم بن الصلت ، وقال إنه طبخ قدراً مقرّها بخل حاذق[1] . « فيحتمل أن يكون الأصل لقرها » لأن أهل اليمن كثيراً ما يقلبون الميم لاماً وبالعكس[2] .

(١) الاكليل : ٨/١٠ .

(٢) المرجع السابق : محقق الكتاب .

سادساً : بين الأصوات الأسلية[1] :

« س ص ز »

مالت قريش الى النطق بالصاد – في (الصراط) ، بينما (السراط) بالسين لغة عامة العرب ، والنصوص التي تشير الى ذلك كثيرة منها :

١ – ما ذكره أبو حيان من أن إبدال سينه (أي الصراط) صاداً هي الفصحى[2] وهي لغة قريش .

٢ – وقال أبو بكر بن مجاهد : الصاد أفصح وأوسع[3] .

٣ – ما ذكره صاحب الإتحاف من أن الصاد فيه لغة قريش[4] .

٤ – ورواية عن الفراء – ذكرها ابن منظور « وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، ثم قال : وعامة العرب تجعلها سيناً »[5] .

ولنلتفت الى القرآن الكريم لنرى رأيه فيها : فالجمهور قرأها بالصاد ، وبها كتبت في الإمام (أي – مصحف عثمان) كما ذكرها أبو حيان[6] ، وقرأها قنبل من طريق ابن مجاهد ورويس بالسين – على الأصل[7] . و كتبت في مصحف ابن عباس « سراط » بالسين ، وقرأ بها في كل القرآن[8] .

---

(١) وسميت أسيلة لخروجها من أسلة اللسان ، وهو مادق منه ، كما سميت حروف الصّفير : حياة اللغة العربية : ٢٠ حفني ناصف .

(٢) البحر : ٢٥/١ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) إتحاف فضلاء البشر : ١٢٣ .

(٥) اللسان : ١٨٥/٩ .

(٦) البحر : ٢٥/١ .

(٧) إتحاف فضلاء البشر : ١٢٣ .

(٨) مصحف ابن عباس : P. 195 ، تاريخ المصاحف : جفري .

ويرى الدكتور أنو ليتمان : أنها مشتقة من كلمة لاتينية وهي « Strata » [1] . ولكن هل أصلها السين أو الصاد ؟ يرى أبو حيان أن أصله السين – حيث قال « وبالسين على الأصل »[2] ، وذكر صاحب الإتحاف أن السين فيها هو الأصل[3] . كما رأى مثل ذلك أبو علي الفارسي في كتابه الحجة[4] . ويرى مثل ذلك الدكتور أنو ليتمان[5] . كما رأى ابن جني في المحتسب أن « السين هي الأصل والصاد بدل منها »[6] .

ويرى الدكتور أنيس أن الأصل هو النطق بالصاد ، بدليل ورودها في القرآن الكريم بالصاد ، ثم يتشكك في نسبة الصاد الى قريش بدليل استشهاده بقول علي عليه السلام « أنه كان إذا أتى بالقتيل قد وجد بين القريتين حمل الى أصقب القريتين إليه أي أقربها، ويروى بالسين » ويرجح الدكتور الرواية الثانية للحديث : أي بالسين ، معتمداً في ذلك على أن علياً من قريش وقريش تأثرت بالبيئة الحضرية ، فهي تؤثر السين على الصاد ، ولكن مع اعتقادي بأن قريشاً وهي الحضرية تؤثر السين ، إلا أنني أرى أن قريشاً مع هذا قد آثرت (الصراط) على (السراط) للأدلة الآتية :

١ – تلك الروايات الكثيرة التي سقتها وتعزو الصاد – الى قريش ، مؤيدة بقول أبي جعفر الطوسي – وهو إمام من الأئمة بشهادة أبي حيان له حيث قال : « بالصاد » وهي لغة قريش ، وهي اللغة الجيدة[7] . وربما يقف في طريقنا ما رواه الفراء « من أن نفراً من بلعنبر – يصيرون السين – إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء – صاداً »[8] فقبيلة بلعنبر تقول : يصاقون ، صقر ، صخر ، أصبغ ، صويق ، صراط – في يساقون ، سقر ، سخر ، أسبغ ، سويق ، سراط ، ولكن لا مانع من أن قريشاً تشاركهم في هذا الحرف عند الطاء فقط دون غيره ، لأن الذي دعا الى ذلك عامل صوتي

(١) مجلة كلية الآداب : ١٨ مجلد ١٠ ج ١ .
(٢) البحر : ٢٥/١ .
(٣) الإتحاف : ١٢٣ .
(٤) الحجة : ٢٨/١ مخطوط بدار الكتب : ١٩٥٥٣ .
(٥) مجلة كلية الآداب : ١٨ مجلد ١٠ ج ١ .
(٦) المحتسب : ٣٤٦/٢ - ٣٤٧ .
(٧) البحر : ٢٥/١ .
(٨) اللسان : ١٨٥/٩ ، سر صناعة الإعراب لابن جنى : ٢٢٠/١ ، شرح ابن يعيش : ٥١/١٠ هامش .

محض وهذا لا يطعن في أن (الصراط) لغة قريش ، إذ أن قريشاً ربما آثرت قلب السين صاداً عند وجود الطاء فقط ، ومع هذا فقد روى عن سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة عن قطبة بن مالك قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ « والنخل باسقات »[١] قال سفيان : بالصاد[٢] . كما روى هذا صاحب[٣] مقدمة المباني . والنبي ﷺ قرشي وآثر الصاد على السين .

٢ – وربما كانت لهجة قريش القدامى – الصاد أي (الصراط) ... ثم تطور الزمن فصارت تلك الصاد سيناً – في قريش في زمن متأخر ، أي أن الآباء من قريش كانت تقول (الصراط) ثم نطقتها الأبناء من بعدهم (السراط) ، ولا شك أن اللغة تتطور لاسيما أصواتها – في انتقالها من السلف الى الخلف ، ومما يؤيد هذا الرأي ما ذكره اللسان عن الفراء من أن « الصاد لغة قريش الأولين »[٤] فتقييده بالأولين يثير الشك في أن لغة قريش الآخرين ، قد سارت في طريق مغاير للمتقدمين ، فالأولون منهم لهم الصاد – والآخرون تطورت في زمنهم سيناً ، وعلى ذلك يحمل ما جاء عن عليّ رضي الله عنه في خبره السابق .

وأرى أن الذي دفع الدكتور أنيس في إنكاره أن تكون الصراط – بالصاد لغة قريش – ما رآه من أن بيئة قريش بيئة حضرية ، تلك البيئة التي تخلصت من أصوات الإطباق – لذلك فهو يرى أن لهجة قريش هي السين في مثل هذا .

وأرى أن البيئات الحضرية لا تلتزم دائماً التخلص من حروف الإطباق ، لأن اللغة دائماً لا تعرف تلك القوانين الصارمة ، بل هي أولاً وأخيراً ظاهرة اجتماعية تخضع في نظمها وأصولها لظروف البيئة ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يضر اللغة أن نرى بيئة حضرية كقريش آثرت الصراط بالصاد على السين ، وهناك دليل آخر يقف في سبيل تعميم رأي الدكتور ، وهو ما رواه الفراء من أن « بنو سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل يقولون : هو أخوه صوغه – بالصاد »[٥] . وبنو سليم وهوازن وهذيل - كما نعلم وكما يرى سيادته في كتابه[٦] – كلهم أهل

---

(١) سورة ق : آية ١٠ .

(٢) البحر المحيط : ١٢٢/٨ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن : مباني : ص ٢٢٣ تحقيق ونشر الدكتور آثر جفري .

(٤) اللسان : ١٨٥/٩ .

(٥) اللسان : ٣٢٥/١٠ .

(٦) في اللهجات العربية : ٩٧ ط ٢ « انظر ما قاله عن حضرية هذيل : ٨٣ ، انظر : ما قاله عن حضرية سليم » .

حضر – وكان عليهم أن ينطقوا ذلك بالسين ، ولكنهم خالفوا ما كان يتوقع منهم – ما ذاك إلا لأن أمور اللغة لا تعرف الحتمية والقسر .

أما لهجة بَلْعَنْبَر فقد كان يشيع فيها إيثار الصاد على السين كما تقدم بشروط أثارها ابن جني وغيره من اللغويين وذلك « إذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء »[١] ويمكن أن نستدل على لهجتهم بما يأتي :

أولاً : ما رواه قطبة بن مالك عن النبي ﷺ أنه قرأ « والنخل باصقات »[٢] بالصاد . وقوله تعالى « كأنما يصاقون » في يساقون . وقوله « مسّ صقر » في سقر . وقوله «وصخر لكم» في سخر لكم . وقوله « وأصْبَغَ عليكم نعمه » في وأسبغ . وقوله « صراط الذين » في سراط[٣] .

ثانياً : ما جاء عن زغيب بن نسير العنبري من قوله :

نظرتُ بأعلى الصّوق والباب دونه الى نعمٍ ترعى قوافي مسرّد[٤]

ثالثاً : ولما قيل ليونس : هل سمعت من ابن أبي إسحق شيئاً ؟ قال : قلت له : هل يقول أحد الصويق ؟ يعني السويق . قال : نعم : عمرو بن تميم تقولها . وما تريد الى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس[٥] – كما أرجح أن السين في هذه الأمثلة أصل – والصاد فرع عنها ، بدليل أن السين أكثر انتشاراً ، بينما الصاد كانت في محيط قبيلة واحدة .

وأما السبب الذي جعل بلعنبر تقلب السين صاداً فيرجع الى عامل المماثلة – الذي هو تأثير الأصوات بعضها مع بعض ، ويسميها ابن جني « التقريب » حيث يقول (ونحو من هذا التقريب في الصوت)[٦] ... وتسمية ابن جني تلك أحسن من التسمية بالمماثلة أو الانسجام – وذلك لأن حروف : القاف والطاء والغين والخاء – حروف استعلاء – والسين حرف غير مستعل –

---

(١) سر الصناعة : ٢٢٠/١ .

(٢) البحر : ١٢٢/٨ .

(٣) سر الصناعة : ٢٢٠/١ ، المزهر : ٤٦٩/١ ، اللسان : ٣٢٢/١٠ .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٦٦ شاكر .

(٥) المرجع السابق : ١٥ .

(٦) سر الصناعة : ٢٠١/١ الطبعة الأولى .

أي من حروف الاستفال ، فكرهوا الخروج منه الى المستعلى ، لأن ذلك مما يثقل ، فأبدلوا من السين صاداً ، لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير ، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء ، فيتجانس الصوت . وهذا العمل شبيه بالإمالة في تقريب الصوت بعضه من بعض »[1] .

فإن تأخرت السين عن هذه الحروف لم يسغ فيها من الإبدال ما ساغ فيها متقدمة ، لأنها إذا كانت متأخرة كان المتكلم منحدراً بالصوت من عال ، ولا يثقل ذلك ثقل التصعيد من منخفض فلذلك لا تقول في (قست) قصت مثلاً ، وهذا معنى ما أشار إليه السيوطي من قوله « فإذا تقدم حرف الاستعلاء لم يكره وقوع السين بعده ، لأنه كالانحدار من العلو ، وذلك خفيف لا كلفة فيه »[2] .

ومن هنا نرى حرص العربية على انسجام حروفها ، ولهذا رأى ابن منظور قبحاً في كلمة « السخب » بالسين ، حين قال « والسخب لغــة فيه (أي في الصخب) ربعية قبيحة »[3] ، والسبب في هذا القبح على ما أرى أن الخـــاء حرف مستعل والسين حرف مستفل ، فصعب الخروج من المستفل الى المستعلى ، وكان الأحسن أن يقربوا السين من الخاء بأن يقلبوها الى أقرب الحروف إليها .

وقد وجد تشابه بين لهجة بلعنبر ولهجة لحيان حيث وجد في نقوشهم « واصق » و « صقا » بدل واسق وسقا[4] ، وفي لهجات نجد الحديثة يقولون « خير الأمور أوصاطها »[5] كما وجد ما يشبه لهجة بلعنبر في لهجات الجزيرة بالسودان »[6] .

وإذا كانت بلعنبر قد آثرت حرف الصاد على السين إذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء – فإننا نرى مذاهب أخرى ، وطرائق قِدَداً للهجات العربية تخالف مــا عليه قبيلة بلعنبر ، فقبيلة قيس تشم الصاد زاياً في (الصراط) وقد قرأ بها خلف عن حمزة في قوله تعالى

(١) ابن يعيش : ١٠/٥١ – ٥٢ ، سر الصناعة : ١/٢٠١ الطبعة الأولى .
(٢) المزهر : ١/٤٦٩ .
(٣) اللسان : ٢/٩ .
(٤) لغات النقوش : ١٠ دكتور مراد كامل .
(٥) الأمثال العامية في نجد : ٨٦ .
(٦) من لهجات الجزيرة بالسودان : ١١٧ .

« ويهديك صراطاً مستقيماً »[١] وهي لغة قيس[٢] . ولتعليل لهجة قيس في إشمام الصاد زاياً – هي أن الصاد حرف مهموس ، والزاي مجهور – فكان المجهور مع المجهور أخف على اللسان – غير أن الذي يشم بالصاد زاياً كقيس – يحافظ على بقاء الإطباق في الصاد ، وهذا الإشمام في الصاد الى حرف الزاي يواخي السين في الصفير ، ويواخي الطاء في الجهر .

بينما نرى لهجة قبائل أخرى قد اتخذت لها طرقاً أخرى في مثل هذا – فقد « ذكر أحمد بن يحيى سلمة عن الفراء أنه نسب إخلاص الزاي – في الصراط – لغة عذرة وكلب وبني القين»[٣]. فكأنهم يقولون « الزراط » ، ولا شك أن العلاقة واضحة بين الصاد والزاي ، لأنهما من مخرج واحد ثم تآخيهما في الصفير – فهو نوع من التقريب والمماثلة ، كما أن العلاقة قوية بين تلك القبائل الثلاث التي آثرت إخلاص الزاي – فكلب – « يرجع نسبها الى قضاعة ، وكانوا ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام » [٤] ، وكذلك بنو القين – هم بطن من قضاعة [٥] ، وعذرة كذلك – كما تحدثنا كتب الأنساب – من قضاعة ، وكانت ديارها تقارب مساكن كلب [٦] . بل كانت الصلة أقوى من ذلك – فبنوا القين اختصمت وقبيلة كلب في قراقر [٧] فالاتصال النسبي والحربي قائم بينهما . فكانت – كما ترى – هذه القبائل موصولة النسب – فلا عجب بعد ذلك – أن تتشابه لهجاتها .

ويظهر أن قبيلة كلب كان يحدث فيها نوع آخر من التقريب عبر عنه ابن جني بقوله : « إذ كانت تقلب السين مع القاف خاصة زاياً فيقولون : في (سقر) زقر ، وفي قوله تعالى : « مس سقر » زقر وشاة زقعاء في صقعاء ، ومثله في الصاد : ازدقي في اصدقي ، وزدق ، في صدق ، وعليه قول الشاعر :

يزيـــدُ زادَ اللهُ في خيراته حامي نزار عند مَزْدُوقاته [٨]

---

(١) سورة الفتح : آية ٢ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر : ٣٩٥ .

(٣) مقدمتان في علوم القرآن : مباني : ١٤٨ .

(٤) معجم كحالة : ٣/٩٩١ .

(٥) معجم كحالة : ٣/٩٧٤ .

(٦) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٤/١٧٠ - ١٧١ جواد علي .

(٧) معجم كحالة : ٣/٩٧٤ .

(٨) سر الصناعة : ١/٢٠٨ الطبعة الأولى .

أي مصدوقاته ، وتعبير ابن جني يوهم النقص ، لأنه حدد لهجة كلب بأنها تقلب السين مع القاف خاصة زاياً كما مر ، لكن بالنظر في أمثلته التي ساقها للهجة أشرك الصاد مع السين ، فهو قد مثل بقوله : أصدقي ، وصدق ، ومصدوقاته ، ولتصحيح كلام ابن جني يجب أن يكون الكلام « وكلب تقلب السين والصاد مع القاف خاصة – زاياً » ، وهذا التقصير الذي وقع فيه ابن جنى وقع فيه ابن الحاجب ورضي الدين [1] ، حيث خص هذا بالسين فقط ، مع أن الصاد تشترك معها في هذا الإبدال ، ويمكن أن تعلل لهجة كلب السابقة ، وهي قلبهم السين والصاد الواقعتين قبل القاف – زاياً – تعليلا صوتياً ، وذلك أن السين لما كانت مهموسة والقاف مجهورة ، فجعلوا السين زاياً ، لمناسبة الزاي للسين في المخرج وفي الصفير ، ولمناسبتها للقاف في الجهر . وعلى تلك اللهجة الكلبية قرىء قوله تعالى : « ومن أصدق من الله حديثا » [2] بالزاي [3] .

وقد نجد نمطاً آخر في تقريب الأصوات وسياستها ، ويظهر ذلك فيما إذا وقعت الصاد ساكنة وبعدها دال ، فبعض العرب يبدلون هذه الصاد زاياً خالصة ، وقد استدل لهذا بما روي عن حاتم حيث يقول (هذا فزدي أنهْ) [4] أي فصدي ، والذي حدث لهذه الصاد ، أنها لما كانت مطبقة مهموسة رخوة ، ومجاورة للدال : وهي مجهورة شديدة غير مطبقة ، فهما حرفان متخالفان ، لهذا أبدلوا من الصاد زاياً خالصة ، لأن الزاي من مخرج الصاد ، وأختها في الصفير وفي نفس الوقت هي تتفق مع الدال التي تجاورها في الجهر ، فيتجانس الصوتان ، قال الرضي معللا لذلك « لأن الزاي من مخرج الصاد وأختها في الصفير ، وهي تناسب الدال في الجهر وعدم الإطباق » [5] .

وقد يخطر سؤال مؤداه : لم اشترطوا وقوع الصاد ساكنة حتى تتم عملية الابدال ؟ والجواب أن الصاد لو تحركت يكون بينها وبين الدال حاجز وهو الحركة والحرف إذا تحرك قوي بالحركة فلا يقلب ، لأن الحرف لا ينقلب إلا بعد إيهانه بالسكون ، ولهذا لا يصح أن تقول في صَدَرَ : زدر ، وإنما يجوز المضارعة لأنها أضعف الوجهين من حيث أن فيها ملاحظة للصاد ،

---

(١) شرح الشافية : ٢٣٣/٣ .

(٢) سورة النساء : آية ٨٧ .

(٣) البحر المحيط : ٣١٢/٣ .

(٤) ابن يعيش : ٥٢/١٠ . قال حاتم ذلك : عندما عقر إبلا لضيف فقيل له : هلا فصدتها !؟ فقال هذا المثل ، وانظر : إبدال أبي الطيب : ١٢٦/٢ .

(٥) الشافية : ٢٣٢/٣ .

« والمضارعة أن تشم الصاد صوت الزاي »[1] ، ويظهر من كلام رضي الدين أن الصاد إذا وقعت قبل الدال - وكانت الصاد ساكنة جاز لك فيها :

١ - البيان : ولعل رضي الدين يقصد به ، الإتيان بالصاد صريحة كما إذا قلت « فصدى » .

٢ - المضارعة : وهي أن تنحو بالصاد نحو الزاي فتصير حرفاً مخرجه بين مخرج الصاد ، ومخرج الزاي .

٣ - أن تقلب الصاد زاياً ، وذلك للعلاقة القوية بينهما في المخرج والصفير .

وهذا معنى قول رضي الدين (وفي الصاد الساكنة قبل الدال : البيان أكثر ثم المضارعة ، ثم قلبها زاياً)[2] .

وإذا نظرنا الى كتاب الله وجدنا في قراءاته مرآة هذه اللهجات ، فقد قرىء «يومئذٍ يَزْدُرُ الناسُ أشتاتاً »[3] وسائر القرأء قرأ « يَصْدر » . وقد أشم حمزة والكسائي صاده زاياً[4] ، كما أشم حمزة والكسائي ورويس وخلف[5] في (يصدر الرعاء)[6] واشمام الصاد صوت الزاي يشبه الظاء في عاميتنا . وهذا النطق نفسه هو ما سماه ابن سينا « زاي ظائية »[7] ويكون وسط اللسان فيها أرفع ، والاهتزاز في طرف اللسان خفي جداً .

وأرجح أن القبيلة التي كانت تبدل الصاد الساكنة زاياً هي قبيلة طيء وذلك لأن القائل المثل السابق والذي حدث فيه هذا الإبدال هو حاتم وهو من طيء .

والذي يظهر من هذا العرض أن أكثر القبائل التي حدث فيهـــا تأثير الحروف بعضها في بعض ، أو بعبارة أخرى تقريبها من بعض كالأمثلة السابقة في هذا القسم مثل بلعنبر ، وطيء ، وقيس - هي قبائل تغلب عليها السحنة البدوية ، لأنها سكنت أواسط نجد وشرقها ، كما يبدو

---

(١) المرجع السابق .

(٢) شرح الشافية : ٢٣٣/٣ .

(٣) سورة الزلزلة : ٦ .

(٤) الإتحاف : ٤٤٢ .

(٥) إتحاف فضلاء البشر : ٣٤٢ .

(٦) سورة القصص : آية ٢٣ .

(٧) أسباب حدوث الحروف : ١٩ لابن سينا .

من تاريخهم ومجتمعهم ما يشير الى هذا ، وليس معنى تأثير الحروف وتقريبها من بعض في تلك القبائل إلا أن الترابط بين أجزاء الكلمة وحروفها في تلك القبائل - كان ترابطاً صوتياً قوياً ، ولهذا نشأ من تلك الوحدة الصوتية وتماسكها - ذلك التأثير الصوتي الذي لمسناه في الأمثلة الوافرة التي جاءت عن القبائل السابقة . وهذا إن دل فإنما يدل على تساوق هذه الأصوات على أصول مضبوطة من روعة النغم بالهمس والجهر والصفير وغيره من صفات الحروف ، ثم إن هذا التأثير والتأثر قائم على نظم وأصول ، يظهر ذلك في تلك الشروط التي لا يقوم التأثير إلا بوجودها وكمالها ، ولهذا أفحم الوزير أبو الحسن بن الفرات أديباً كان بحضرته ادعى أن السين تقوم مقام الصاد في كل موضع فقال له الوزير على الفور : أتقرأ (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم ...) أم ومن سلح ! فخجل الأديب [1] .

---

(١) درة الغواص للحريري : ٩ ط الجوائب .

بين التاء، والسين والصاد المشددتين :

طالعتنا كتب اللغة والمعاجم بكلمتين : أولاهما : النص ، والثانية: الطس . بالصاد والسين المشددتين كما وجدت صيغتان أخريان وهما : اللصت ، والطست [1] . وقد ذهب علماء العربية على أن الأصل فيهما : اللص ، والطس ، فالصاد في المثال الأول هي الأصل ، والسين في المثال الثاني هي الأصل أيضاً ، وأما صيغتا التاء : فهما فرع ، وتلك هي النصوص التي تشير الى ذلك :

١ ـ جاء في اللسان عن ابن دريد « واللصت لغة في اللص ـ أبدلوا من صاده تاء ، وغيروا بناء الكلمة لما حدث فيها من البدل » [2] ، وجاء عن الجوهري : « الطست : الطس ـ أبدلوا من إحدى السينين تاء للاستثقال ، فـإذا جمعت أو صغرت رددت السين ، لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء فقلت « طساس ، وطسيس » [3] فعلماء العربية مجمعون على أن السين في الطس ، والصاد في اللص ـ هما الأصل ، وصيغة التاء فرع عنهما . ومما يؤيد وجهة نظرهم ما ساقوه من دفاع عنها يتجلى في قولهم « وأما من قال : إن التاء التي في الطست أصلية فإنه ينتقض عليه قوله من وجهين ، أحدهما : أن الطاء والتاء لا يدخلان في كلمة واحدة أصلية في شيء من كلام العرب . والوجه الثاني : أن العرب لا تجمع الطست إلا على الطساس ، ولا تصغرها إلا على الطسيسة » [4] وبالتنقير في مسالك اللغة يسهل الرد على زعم علماء العربية ، ومن تبعهم من المحدثين [5] ـ فيما ذهبوا إليه من أصالة الصاد أو السين في الكلمتين . ويمكن أن نلخص ما نذهب إليه فيما يأتي :

٢ ـ ما ذهب إليه علماء العربية من قولهم « إن العرب لا تجمع الطست إلا على طساس [6] ـ كما لا

---

(١) إناء من النحاس ، وهو المعروف عندنا بالطشت .

(٢) اللسان : ٣٥٦/٨ .

(٣) اللسان : ٣٦٣/٢ .

(٤) اللسان : ٤٢٩/٧ .

(٥) انظر : اللهجات العربية : ٩٢ ط ٢ حيث ذكر أن الصاد قلبت الى التاء .

(٦) اللسان : ٤٢٩/٧ .

تجمع اللص إلا على اللصوص » ليس بصحيح فقد جاء في الجمع (طسات)[1] ، بالتاء ، كما جاء في جمع (اللص) لصوت ـ بالتاء أيضاً وهاك ما يأتي :

أ) جاء في الجمهرة ما أنشده عبد الأسود الطائي :

فتركْنَ جَرْماً عُيَّلاً أبناؤُها وبني كنانة كاللصوت المرَّد[2]

وجاء هذا الشاهد في إبدال ابن السكيت[3] ، واللسان[4] ، وابن يعيش[5] .

ب) ما ذكره اللسان من قول الشاعر :

فأفسَدَ بطنَ مكةَ بعد أنس قراضبــة كأنهم اللُّصوت[6]

فقول علماء العربية إن الصاد في اللص أو السين في الطس أصل : تحكم ، لأن هذين الحرفين الصاد والسين ليس لهما أي مزية على التاء ، فإذا كان الجمع قد ورد بهما فإنه ورد بالتاء كذلك ، ولو كانت الصاد أو السين كلاهما قد ألتزم في الجمع دون التاء – لقلت إن ذلك الذي لزم هو الأصل ، وأن التاء مبدل منه .

جـ) أنه بالبحث عن أصول هاتين الكلمتين وجد أن « اللص » معرب من اليونانية بواسطة الآرامية أي السريانية ، وهو في اليونانية Lèstès وفي السريانية Lestes [7] وصيغتها الأصلية(ܠܶܣܛܺܝܣ)[8] ومن هذا يتضح أن (لصت) بالتاء هي الأصل – على عكس ما رآه علماء العربية ، وكذلك « طست » بالتاء هي الأصل لأنها معربة عن الفارسية[9]

---

(١) اللسان : ٤٢٩/٧ ، طبقات الزبيدي : ٥٠ .

(٢) الجمهرة : ١٠٣/١ .

(٣) ص ٤٢ .

(٤) ٣٨٩/٢ .

(٥) ٤١/١٠ .

(٦) اللسان : ٣٨٩/٢ .

(٧) التطور النحوي : ٣٣ برجشتراسر .

(٨) مجلة كلية الآداب : ص ٣٧ مجلد ١٢ جزء ١ .

(٩) المعرب للجواليقي : ٨٦ ، ٢٢١ ، والجمهرة : ٥٠٢/٣ .

والتاء أصل فيها ، والدليل على ذلك ما قاله ابن السكيت « وأكثر العرب عربه على طسة وطس[1] » وذكر الجواليقي أنه (طشت) بالفارسية[2] . بل لازلنا في قرانا من جهات المنصورة وغيرها نقوله بالتاء – وهي الأصل ، ومن هذا يظهر لنا أصالة التاء في الصيغتين، ولكن في انتقالها إلى العربية آثرت بعض القبائل العربية – التاء ، بينما غيرها آثر قلب التاء صاداً أو سيناً ، ثم إدغامها فتصير (لص) ، (طس) .

وأريد الآن بيان القبائل التي آثرت التاء – ذلك الصوت الشديد – على الصاد أو السين وكلاهما رخو .

ففي اللسان : أن (اللصت) لغة طيء ، وبعض الأنصار[3] ، كما أنها في المخصص والمذكر والمؤنث للفراء عزيت لبعض أهل اليمن[4] . وعزيت في لغات مختصر[5] ابن الحاجب إلى طيء – كذلك في الغريب المصنف[6] ، والجمهرة[7] ، وإبدال ابن السكيت[8] . والمخصص[9] ، والمعرب للجواليقي[10] ، كما عزيت في القسم الرابع من سائر كتب اللغة ، وشروح شواهد الأشعار إلى الأزد[11]، كما عزيت أيضاً إلى تميم[12]. ويلاحظ أن هذه الظاهرة تعقد صلات نسبية بين طيء والأنصار والأزد ، لاشتراكها في ظاهرة واحدة .

كما يتضح أيضاً أن القبائل المتبدية كطيء وتميم ومن على شاكلتها قد آثرتا نطق التاء – ذلك

---

(١) إبدال السكيت : ٤٢ .

(٢) إبدال أبي الطيب : ١/١١٩ محقق .

(٣) اللسان : ٨/٣٥٦ .

(٤) المخصص : س ١٧ : ص ١٦ ، المذكر والمؤنث : ٢٥ – ٢٦ .

(٥) مخطوط بدار الكتب رقم ٤٧ لغة .

(٦) خط دار الكتب رقم ١٢١ : ص ٢٧٩ .

(٧) ١/١٠٣ .

(٨) ص ٤٢ .

(٩) سفر ٣/٧٨ .

(١٠) المعرب للجواليقي : ٢٢١ .

(١١) مخطوط بدار الكتب : رقم ٤١٨ لغة .

(١٢) مجلة كلية الآداب : ١٩ مجلد ١٠ جـ ١ .

الصوت الشديد ، ومما لاشك فيه أن القبائل المتبدية تجنح إلى السهولة ، والأيسر عندها أن تنتقل الأصوات من الرخاوة إلى الشدة إذ ، « الأسهل » على اللسان أن يصطدم بالحنك ويلتقي التقاءً محكماً ينحبس معه النفس وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة - من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة[١] » .

أما القبائل المتحضرة فقد آثرت الصوت الرخو فنطقت : بالسين والصاد : الطس ، واللص. ولا شك أن الصوت الشديد يتسم وحياة البدوي وما يعرف عنه من جفاء وحسم - فإذا ما حكي الفراء عن امرأة من بني أسد « سكران ملتخ وملتك[٢] » فالعلاقة واضحة بين الخاء والكاف - إذ هما متقاربان بالإصمات والهمس والانفتاح ، ولكن الخاء رخوة ، والكاف شديدة ، ومن هنا نرفض أن تكون لهجة هذه المرأة بالخاء والكاف في زمن واحد ، ولكني أرجح أن لهجة بني أسد - هي (ملتكّ) بالكاف وهي صوت شديد ، وبنو أسد بدو ، أما لهجة الخاء - فأرجح أنها لقوم آخرين من الحضر ، ومما يؤيد هذا ما جاء في رواية أخرى أوضح « حكي الفراء عن امرأة من بني أسد أنها قالت في كلامها ؛ جاءنا سكران ملتكا في معنى ملتخا[٣] » . كما جاءت هذه الرواية نفسها في أمالي القالي[٤] .

---

(١) الأصوات اللغوية : ١٧١ .

(٢) إبدال أبي الطيب : ٣٤٣/١ ط الأولى .

(٣) إبدال السكيت : ٦٥ .

(٤) ١٨٤/٢ .

بين السين والشين :

للعلاقة القوية بـــين السين والشين وهي الاشتراك في الهمس والرخاوة وقرب المخرج ، صح التعاقب بينهما في الساميات[١] – « فسأل » في العربيـــة يقابلها שאל في العبرية وسنبلة يقابلها שבלת وأما في العربية فإليك ما يلي :

١ – جاء عن الفراء : أتيته بسدفة وبشدفة أي بظلمة[٢] .

٢ – ويقال : جاحسه في القتال وجاحشه عن الأصمعي[٣] ، إلا أن بعض العرب آثروا السين فيما جاء عن الأصمعي ، وأرجح أن هذا البعض من فزارة – ، لورود ذلك عن رجل منهم : في قوله (والضرب في يوم الوغى الجحاس[٤]) .

كما آثر السين أيضاً بعض العقيليين في قولهم « ألحق الحسّ بالأس[٥] » ، إلا أن بعض بني أسد قالوا هذا المثل بالشين[٦] كما سمعه الفراء من بعض بني كلاب بالشين أيضاً[٧] .

وقد غالى ابن جني ففرق في المعنى بين صيغتين بالسين والشين ، حيث وجد لكل منهما وجهاً قائماً ، ولهذا رفض التعاقب بينهما[٨] .

وقد يرجع التبادل بين السين والشين لا إلى العلاقة بينهما كما سبق – بقـــدر ما يرجع إلى أمراض الكلام ، ويظهر هذا في قول سحيم – حيث كان يرتضخ لكنةً أعجمية « ما سعرت . يريد ما شعرت[٩] » وقوله « لمسقتني ، وسانني » بدل عشقتني وشانني[١٠] – بالشين .

---

(١) انظر : أمثلة لتبادل السين والشين في الساميات : برجشتراسر : ١٤ – ١٥ .

(٢) إبدال أبي الطيب : ١٥٥/٢ .

(٣) المرجع السابق : ١٥٧/٢ .

(٤) المزهر : ٥٤٨/١ .

(٥) إبدال ابن السكيت : ٤٠ .

(٦) اللسان : ١٧٣/٨ .

(٧) إبدال السكيت : ٤٠ .

(٨) انظر : سر الصناعة : ٢١٥/١ وقارنه بما جاء في إبدال أبي الطيب : ١٥٤/٢ حيث رأى البدل بينهما .

(٩) ديوان سحيم : ٥ دار الكتب .

(١٠) انظر : سر الصناعة : ٢١٤/١ .

سابعاً : أصوات وسط الحنك (الأحرف الشجرية)[1] :

١ – « الجيم والشين »

ورد ما يفيد أن تميماً تبدل الجيم شيناً ، إذ جاء في المثل « شر ما أجاءك إلى مخة العرقوب » قال الأصمعي ، وتميم تقول « شر ما أشاءك[2] » ، وفي إبدال أبي الطيب : الأجاءة والاشاءة : الاضطرار[3] . وفي اللسان أن زهير بن ذؤيب العدوي قال :

فيالَ تميمٍ صابروا قد أشئتم   إليه وكونوا كالمحرّبة البسلِ[4]

وربما أن الأصل : قد أجئتم « من الإجاة وهي الاضطرار واللجوء » ، ومما يؤيد هـــذا قوله تعالى « فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة[5] » أي ألجأها ويقول الفراء في معانيه ١٦٤/٢ : ولغة أخرى لا تصلح في الكتاب (القراءة) وهي تميمية (فأشاءها المخاض) . والشين صوت رخو مهموس ، نظيره الجيم ، وهو صوت مجهور ، وهما شجريتان متجانستان ولهذا التقارب صح أن يحل أحدهما مكان الآخر ، ولهذا يقول الراجز :

(إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش)

قال ابن جني في سر الصناعة « أي مدمج[6] » فالشين بدل من الجيم ، ويرى ابن عصفور أنه جاء بالشين لأجل القافية[7] ، ومن أمثالهم « أشئت عقيل إلى عقلك[8] » وأصلها : أجئت . ولكن قد يقف في سبيلنا أن القبائل البدوية كتميم ، تميل غالبـاً إلى الأصوات المجهورة ، وفي

---

(١) نسبت الى شجر الفم ، وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى . نهاية القول المفيد : ٧٤ .

(٢) اللسان : ٤٥/١ ، وذلك أن العرقوب لا مخ فيه وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء .

(٣) إبدال أبي الطيب : ٢٢٦/١ .

(٤) اللسان : ١٠١/١ .

(٥) سورة مريم : آية ٢٣ .

(٦) سر صناعة الإعراب : ٢١٥/١ ط الحلبي .

(٧) المرجع السابق ، حاشية : ٢١٥/١ .

(٨) الإبدال لأبي الطيب : ٢٢٦/١ يريد : لما ألجئت الى عقلك ، ووكلت الى رأيك جلبا إليك ما تكره .

هذه الأمثلة مالت تميم إلى الصوت المهموس وهو الشين – ذلك الذي يتطلب مجهوداً عضلياً – ولا أرى في الإجابة على هذا إلا أن ما أسمته القدماء بالشين – ليس بالشين المعروفة لنا وهي الشين المهموسة الرخوة، بل شين أخرى – ولكن لما كانت الكتابة العربية ناقصة ولا تعبر عن جميع (الفونيات) الموجودة في اللهجات العربية، فقد رسموها بالشين – وأقترح أن هذه الشين التي أبدلت من الجيم المجهورة – هي شين مجهورة أيضاً، ويمكن أن يمثل لها بالنطق العامي: «أشغال» فالشين وإن كانت صفتها العامة هي الهمس، إلا أنها هنا «مجهورة» لتأثرها بالغين فأصبحت مجهورة مثلها أو مثل نطق: «مجدود» في مشدود. فالشين في لهجة تميم في قولهم «شر ما أشاءك» بمعنى أجاءك – هي شين مجهورة، كالتي في «أشغال» وهي أقرب ما تكون إلى الجيم الشامية المجهورة، وربما كانت هي قريبة الشبه بالتي عناها ابن جني حيث يقول «وأما الشين التي كالجيم، فهي الشين التي يقل تفشيها واستطالتها، وتتراجع قليلاً متصعدة نحو الجيم[1]» وربما أن السبب في جهر الشين في مثال تميم هو تأثرها بحركة المد بعدها وهي مجهورة. ولا شك أن الحرف قد يكون مهموساً، ولكن تختلف طبيعته نظراً للبيئة المحيطة به من الأصوات المجاورة ومن ذلك لفظ «أجدق» فالدال مجهورة شديدة، والجيم حرف مجهور شديد فأوثر التخالف بينها فقيل «أشدق» بالشين الرخوة المهموسة وقد نسمعها «أشدق» بشين مقربة من الجيم مجهورة مثلها، لأنها تأثرت بالدال تلك المجهورة الشديدة.

٣ – «الجيم والياء»

عزيت: الصهري والصهاري – بالياء المشددة إلى تميم «بينما يقول الكلابيون: هي الصهاريج والواحد صهريج[2]، قال أبو زيد، هو الصهريج والصهاريج[3]، وبنو تميم يقولون: الصهري والصهاري[4]، وجاءت رواية مثلها عن أبي عبيد عن ابن سيده[5] في مخصصه. ومما يؤيد هذا الإبدال قولهم: «حار جار[6]» أو (حار يار) فجار: لغة في يار، كما قالوا:

---

(١) سر الصناعة: ١/٥٦.

(٢) إبدال أبي الطيب: ١/٢٦١.

(٣) مجتمع الماء، وأصله فارسي.

(٤) إبدال ابن السكيت: ٢٩.

(٥) المخصص: س ١٠: ص ٥٣.

(٦) يضرب لشدة الحرارة.

الصهاريج والصهاري وصهريج وصهري[1] . وأيضاً فهم يقولون : شِيرة في شجرة[2] . وحدث أبو بكر ابن دريد قال : حدثني أبو حاتم قال : سمعت أم الهيثم تقول : شيرة ، وأنشدت :

إذا لم يكن فيكنَّ ظلٌّ ولا جنىً فأبعدكن الله من شِــيرَاتِ[3]

وأم الهيثم هذه من بني منقر من تميم ، وكانت حجة في التشريع اللغوي ، وقد قلبت الجيم ياء ، والوزن الشعري لا يتأثر إذا كانت « شجرات أم شيرات » كما ورد قول الشاعر « تحسبه بين الآكام شيرة[4] » يريدون (شجرة) فلما قلبوا الجيم ياء كسروا أولها لئلا ينقلب اليـاء ألفاً فتصير شارة .

ويظهر أن بعض العرب كانت تنطقها « شجرة » بكسر الشين وفتح الجيم ، وقـد سئل أبو عمرو عنها فكرهها ، وأظن أنه كره القراءة بها في قوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة » أي قراءتها بكسر الشين وفتح الجيم ـ بدليل قوله « وبها يقـرأ برابر مكة وسودانها[5] » ، وعزا ابن أبي إسحق هذه القراءة إلى لغة سليم[6] ، وإذا كانت هذه الصيغة لهجة عربية ،نطقت بها قبيلة عربية وهي سليم ، فكيف ضعف أبو عمرو القراءة بها وكرهها ؟ ! مع أنهـا لغة منقولة ! ومن تاريخ سليم نعرف أن أرضها تقـع في منطقة مهمة ـ إذ كانت تهيمن على طرق التجارة[7] ـ فلعلها سقطت إليها تلك اللهجة من هـذا المنفذ التجاري ـ ثم لقنتها لمكة ، لأن التاريخ يتحدث عن سليم بأنها كانت وثيقة الصلة بقريش ، ولهـذا لا نعجب إذا قال أبو عمرو « يقرأ بها برابر مكة وسودانها » كما يحدثنا التاريخ أن قبيلة سليم هاجرت الى برقة وجهـات طرابلس ، ثم ساروا الى افريقية[8] ، وإذا أردنا أن نتابع تاريخ هذه الكلمة معهم في أرضهم

---

(١) أمالي القالي : ٢/٢١٤ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق ، إبدال أبي الطيب : ٢٦١ دمشق .
(٤) اللسان : ٦/٦١ ـ ٦٢ .
(٥) المحتسب : ١/٦٤ خط تيمور .
(٦) المرجع السابق .
(٧) تاريخ العرب : ٤/١٧٦ .
(٨) معجم كحالة : ٢/٥٤٦ .

الجديدة وجدتام ينطقونها « شزرة »[١] والذي حدث أن الجيم في « شجرة » انتقل مخرجها إلى الأمام قليلاً فصادف مخرج صوت آخر مجهور مثله وهو الزاي – فإذا تقدم المخرج إلى الأمام قليلاً حتى يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا تكون شدرة – وذلك نطقها في الجزيرة ببلاد السودان[٢] .

ويظهر أن ابن جني يخالف في كون الياء بدلا من الجيم في (شجرة) – بل الياء كما يرى أصلاً ، وليست بمبدلة واحتج بإثبات الياء في تصغيرها في قولهم « شييرة »[٣] ولو كانت بدلاً من الجيم لكانوا خلقاء إذا حقروا الاسم أن يردوها إلى الجيم ليدلوا على الأصل . وأرى أن ابن جني وأم في ذلك – لأننا نرى أن كلمة شجرة – بالجيم أكثر من الياء ، ثم إننا نجد أن الجيم ملتزمة في قولهم « أشجار » ولم نسمعهم يقولون « أشيار » ، أو على الأقل نجد « أشجار » أكثر وأغلب من « أشيار » وهذه الغلبة أو الكثرة تدل على أن الحرف الذي كثر أصل ، وأن مقابله بدل منه .

ومما يؤيد حجتي – تلك المحاورة التي كانت بين أبي حاتم وأم الهيثم حين سألها : هل تبدل العرب الجيم ياء في شيء من الكلام فقالت : نعم : وأنشدت البيت السابق « إذا لم يكن ... » فقول أم الهيثم : نعم – دليل على أن الجيم أصل ، وأن الياء مبدلة منها .

كما جاء في اللسان عن أبي جعفر :

من كل أزيم شائك أنيابه ومقصف بالهدر كيف يصول

ويرى ابن منظور أن فيه رواية أخرى وهي « من كل أزجم »[٤] ، وأرى أن البدل يحدث بين الجيم والياء ، لأنهما شجريتان متفقتان مخرجاً وكلاهما مجهور ، وإن اختلفا صفة ، ويظهر أن تلك الصفة لا زالت موجودة حتى اليوم في تميم فقد روي في أمثالهم « أكْودَ الناسْ ييْزيه حقهْ »[٥] وأصلها : يجزيه – فالياء مقلوبة عن جيم كما هي العادة عند بعض القبائل

(١) دراسة لغوية في لهجات البدو في مصر : ٩٢ خط .

(٢) من لهجات الجزيرة بالسودان : ١٢٧ خط بمكتبة الآداب .

(٣) اللسان : مادة « شجرة » ٦/٦١ - ٦٢ .

(٤) اللسان : ١٥/١٧١ - ١٧٢ ، وانظر أمثلة أخرى في اللسان : مادة « يصص » .

(٥) الأمثال العامية في نجد رقم ٣١ : ص ١١ .

النجدية في القديم والحديث كبني تميم ، فقد وجدت هذه الظاهرة في (الحوطة) جنوبي الرياض ، ويسكنها من بني تميم العدد الكثير .

كما حدثني الدكتور خليل نامي أن الجيم تبدل ياء في حضرموت في أيامنا هذه ، وقد عدّ الجواليقي هذه الظاهرة عن لحن العامة حيث يقولون « المسيد »[1] يريدون المسجد ، ولكني أخالفه إذ قد ثبت كونها لهجة عربية . وإن كان بعض الدارسين يرى أن الكلمة (مَسِيد) مشتقة من (سود) لا من (سجد) وأصلها عربي جنوبي قديم من الجذر (سود) وعلى أي حال فظاهرة قلب الجيم ياء قد وقعت في الفصحى[2] ولهجاتها القديمة ، كما ظهرت أيضاً في اللهجات العربية الحديثة في شمال الجزيرة العربية في لهجات : سردية وبني صخر وفحيب وسرحان وشرارات وجبة وحايل والقبائل التي تسكن أدنى الفرات كما وقعت الظاهرة في الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية فشملت الأهواز والكويت والبحرين وقطر ودبي وأبي ظبي والشارقة ، وظهرت في الجنوب في لهجه ظفار أيضاً .

---

(١) إصلاح ما تغلط فيه العامة : ٤٦ للجواليقي ، وقد اقترضتها السنسكريتية في العصور الوسطى وجعلتها « مسينا » .

(٢) من مقال نشره : ت. م. جونسون . في مجلة معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ، وترجمه الزميل سعد مصلوح عضو البعثة في جامعة موسكو .

ثامناً : أصوات أقصى الحنك (الأحرف اللهوية)

« الكاف والقاف »

والكاف كالقاف – كلاهما شديد مهموس غير أن القاف من أقصى اللسان مما يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى من مثبت اللهاة ، والكاف من أقصى اللسان بعد مخرج القاف[١] . ولهذا صح التعاقب بينهما وإليك ما يشير إلى ذلك : تميل قريش إلى نطق الكاف فيما يأتي بينما غيرهم من القبائل تجنح إلى القاف – فيقولون (قشطت) ، وأدلة ذلك :

١ – ما رواه الفراء قريش تقول : كشطت وقيس وتميم تقول « قشطت » بالقاف "وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف ، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين[٢] .

٢ – وروى السيوطي عن ابن السكيت : قشطت عنه جلده ، وكشطت ، وقريش تقرأ (كشطت)[٣] .

٣ – روى ابن سيده عن أبي عبيدة : كافور وقافور ، ويقال : كشطت عنه جلده ، وقشطت : قال : وقريش تقول كشطت ، وقيس وتميم وأسد تقول « قشطت » .... ويقال « قهرت الرجل ... وكهرته »[٤] كما وردت رواية تماثل السابقة في العزو في كتاب الأمالي[٥] .

٤ – وما جاء في اللسان عن يعقوب « قريش تقول – كشط – وتميم وأسد يقولون : قشط»[٦] وفي مصحف عبد الله بن مسعود « قشطت »[٧] بالقاف .

---

(١) نهاية القول المفيد : ٣٤ .

(٢) سر صناعة الاعراب لابن جني : ٢٧٨/١ . المطبوع .

(٣) المزهر للسيوطي : ٥٦٤/١ .

(٤) المخصص : ابن سيدة : ٢٧٧/١٣ ، وانظر : الإبدال لابن السكيت : ٣٧ .

(٥) أمالي القالي : ١٣٩/٢ .

(٦) اللسان : ٢٦٣/٩ .

(٧) مصحف عبدالله بن مسعود : P. 108 تاريخ المصاحف : جفري ، اللسان : ٢٥٥/٩ ، الإبدال : ابن السكيت : ٣٧ .

فالروايات السابقة تجمع على أن الكاف نطق قريش ، وأن غيرها من القبائل ينطق ذلك بالقاف ، ولا ضير في ذلك مادام النطقان لقبيلتين مختلفتين ، وإن كان في زمان واحد ، والذي يؤيد أن قريشاً تنطق (كشطت) بالكاف ، وغيرها من تميم وأسد بالقاف – أن قريشاً وهي من بيئة حضرية تجنح دائماً إلى الأصوات المهموسة ، لذلك نطقتها (بالكاف) ، أما البيئات البدوية من تميم وأشياعهم فيميلون إلى الأصوات المجهورة الشديدة ، لهذا نطقوها (بالقاف) ، والقاف أعمق في مخرجها من الكاف « إذ هي من أقصى اللسان[1] وما فوقه من الحنك » – ولكن لانزال أمام مشكلة – إذ قد تقدم في الرواية السابقة عن الفراء أن قيساً تقول : قشطت ، كما أن الرواية الثالثة أيدت نطق القاف لقيس ، لكن جاء في تاج العروس[2] ، ما يعارض هذا : « وقيس تقول : كشطت بالكاف » .

ولا أجد حلاً لهذا التضارب إلا أن بعض بطون قيس قد شاركت قريشاً في نطقها بالكاف ، وهذا ما أرجحه ، لأن قيساً لها بعض القبائل والبطون المتاخمة لمنطقة الحجاز – كغطفان .

وقد كان بنو تميم يلحقون القاف باللهاة حتى تغلظ جداً فيقولون (القوم) فيكون بين الكاف والقاف – وهذه لغة فيهم ، قال الشاعر :

ولا أكول لكدر القوم كد نضجت ولا أكول لباب الدار مكفول[3]

ويظهر أن معنى تغليظ القاف – التلفظ بالكاف الفارسي . وهي أشبه الحروف بالجيم القاهرية ومما يؤكد ذلك أن الكاف الفارسية قد عربت في بعض الكلمات إلى جيم حيث عرّبت العامة : الكدكد : بالجدجد وقال الجواليقي عن الصورة الثانية بأنها لغة تميم[4] « كما أرجح أن انتقال مخرج القاف إلى الأمام قليلاً يولد هذا الصوت الشديد المجهور الذي هو بين الكاف والقاف ولذلك كتب البيت السابق في جمهرة ابن دريد هكذا :

ولا أكَول لكَدر الكَوم كَد نضجتْ ولا أكَول لبـاب الدار مكَفول[5]

---

(١) شرح ابن يعيش : ١٠/١٢٣ .

(٢) مادة « قشط » .

(٣) الصاحبي : ٢٥ .

(٤) إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي : ٣٣ .

(٥) جمهرة ابن دريد : ١/٥ حيدر أباد الدكن ط أولى .

وفي بعض نسخ الجمهرة كتب البيت السابق هكذا :

ولا أقول لقدرِ القوم قد نضجتْ ولا أقولُ لباب القوم مقفولُ[١]

فتكون كتابة البيت على هذا الوضع الأخير مما يضيع فوارق اللهجات .

وأما قريش فكانت تنطق بها قافاً خالصة »[٢] .

وفي لهجاتنا الحديثة نجد أن « سكان مديرية الفيوم وبعض مديرية الجيزة ، وأهل أبيار ورشيد وضواحيها والمحلة الكبرى والبرلس وبلبيس من الشرقية والخصوص من القليوبية وبني سويف »[٣] – ينطقون بالقاف مثل قريش .

أما بلاد الصعيد ومديريتي الشرقية والبحيرة إلا قليلاً وبعض مديرية المنوفية وجميع سكان بوادي مصر – فينطقون القاف منحرفة إلى الكاف ، ويفخمونها فتشتبه بالجيم القاهرية في مثل (جام) فلا يدري أهي (قام) في لغة الصعايدة أم (الجام) الذي يتخذ للشرب[٤] ، ولذلك نزلت قريش أيام الفتح العربي في مصر نزلت الفيوم وأبيار ورشيد والمحلة الكبرى والبرلس وبلبيس وبني سويف ، لأنهم ينطقون القاف خالصة كما ينطقها القرشيون ، كذلك أعتقد أن تميما أيام الفتح نزلت الصعيد لأنهم ينطقون القاف كالكاف الفارسية – وهو نطق تميم كما ذكره ابن فارس[٥] وابن دريد[٦] ويسوق ابن خلدون نصا في مقدمته ص ٤٩٠ يخالف رأي حفني ناصف في قاف قريش حيث يرى أن نطق القاف بين الكاف والقاف (وهو نطق تميم) هو لغة مضر الأولين ، ثم يقول : ولعلها لغة النبي (ص) بعينها ، ثم قال : « ادّعى ذلك فقهاء أهل البيت » . ويفهم من نص ابن خلدون أن النطق بالقاف المجهورة كان لغة للنبي وعترته . والذي أرجحه أن

---

(١) جمهرة ابن دريد : ١/٥ هامش .

(٢) مميزات لغات العرب : ٣ حفني ناصف . مطبعة جامعة القاهرة ، الطبعة الثانية .

(٣) مميزات لغات العرب : ٣ .

(٤) بنو تميم ومكانتهم في الأدب والتاريخ : ١٢٢ . الأزهري مميزات لغات العرب : ٤ ، المقتطف فبراير : سنة ١٩٣٢ : ص ١٤٣ .

(٥) الصاحبي : ٢٥ .

(٦) الجمهرة : ١/٥ .

أكثر القبائل العربية كانت تنطق القاف مجهورة (أي بين الكاف والقاف) أما القاف التي نسمعها من قراء القرآن اليوم فهي مهموسة ، ولعلها هي النطق النموذجي الذي جرى على ألسنة الخاصة قبل الإسلام[1] .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وجدناه قد عكس في قراءاته تلك اللهجات فقد قرأ « قشطت » بالقاف ابن مسعود[2] ، كما قرأ بها الشعبي والنخعي ، وقرأ بقية القراء – بالكاف على لهجة قريش ، كما وجد هذا التبادل بين القاف والكاف في لهجات الجزيرة بالسودان حيث يقولون « هَ الوِكت » يريدون : هذا الوقت ، وإنما حدث هذا التبادل بينهما لقرب مخرجيهما .

(١) انظر مصحف ابن مسعود : ١٠٨ جفري .

(٢) من لهجات الجزيرة : السودان : ١١٤ .

تاسعاً : أصوات الحلق :

١ ـ « الحاء والخاء »

الحاء والخاء : حلقيتان مهموستان . فالعلاقة توحي بالبدل إذ هما متقاربان مخرجاً ،
ومن ذلك ما جـــاء في اللسان عندما سئل أعرابي بنجد من بني تميم وهو يستقي « ،
نخيس[١] » قال السائل . فوضعت أصبعي على النخاس ، وقلت : ما هذا ؟ وأردت أن
منه الحاء والخاء ، فقال : نخاس فقلت : أليس قال الشاعر :

« وبكـْرة نحاسها نـُحاس »

فقال : ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين[٢] .

ويظهر أن التبادل بين الخاء والحاء ــ قد كثر ــ للعلاقة بينهما حتى ساق أبو الطيب
لهذا التعاقب بين الحرفين منها :

ما جاء عن أبي عبيدة « الحسول » والخسول : المرزول من الناس[٣] « وما جـ
الأصمعي من قولهم « ما في السماء طحرور وطخرور »[٤] ويظهر أن الخاء هي الأصل في
والحاء فرع عنها ، لوجود شواهد للخاء في قول أبي محمد الفقعسي[٥] :

وهنّ إنْ طارتْ طخارير القَزع

أو قوله : إنا إذا قلّت طخارير القزع[٦] .

وذكر السيوطي قولهم « هو يتحوف مـــالي ويتخوفه : أي ينقصه » ما يملك ـ

---

(١) بكرة نخيس اتسع ثقب محورها فنخست بنخاس : اللسان : ١١٣/٨ .

(٢) اللسان : ١١٣/٨ .

(٣) إبدال أبي الطيب : ٢٦٥/١ .

(٤) أي سحابة رقيقة : إبدال أبي الطيب : ٢٦٦/١ .

(٥) جمهرة ابن دريد : ٢١٠/٢ .

(٦) إبدال أبي الطيب : ٢٦٦/١ .

بالحاء والخاء . أي ما يملك شيئاً ، وقرىء : أن لك في النهار سبحاً طويلاً ، وسبخاً ، قال الفراء : معناهما واحد : أي فراغاً[1] . ويظهر أن الكلابيين آثروا نطق الحاء في قولهم « أصبحت وليس بها وحصة أي برد ، بالحاء غير معجمة . عن ابن السكيت ، وعن يعقوب : أصبحت وليس بها وخصه – بالخاء المعجمة[2] . كما أن بعض عقيل آثرت الحاء في قولها « بحنق » وهو جلباب الجرادة الذي على أصل[3] عنقها – وغيرهم يقول « بخنق » بالخاء .

وقد حدث التبادل بين هذين الحرفين في السامية الأم والعبرية[4] ، وكذلك بين لهجة الجزيرة في السودان[5] حيث تبادلت الحاء مع الخاء .

٢ – « الحاء والهاء »

١ – جاء في اللسان معزواً إلى رؤبة قوله :

لما رأتني خَلَقَ المموَّهِ برّاق أصلادِ الجبينِ الأجْنَهِ
بعد غدانيّ الشّباب الأبْلهِ ليت المنى والدهرَ جرىَ السُّمَّهِ

(لله درُّ الغانيات المدَّهِ)[6]

٢ – وجاءت رواية أخرى في أمالي القالي تشبه رواية اللسان[7] ، إلا أن رواية كتاب الإبدال لأبي الطيب « المزه » بدل « المده »[8] ، والهاء بدل من الحاء ، والمعنى « المدح » على رواية اللسان ، وأمالي القالي ، أو « المزح » كرواية أبي الطيب ، لأنه يقال : « مزح الرجل يمزح مزحاً فهو مازح ، ومزه يمزه مزها فهو مازه ، والجميع مزاح ومزاه ، ومزح ومزه »[9] .

---

(١) مزهر السيوطي : ١/٥٤٣ .
(٢) اللسان : ٨/٣٧٤ .
(٣) اللسان : ١١/٢٩٤ .
(٤) التطور النحوي : ٢٣ .
(٥) من لهجات الجزيرة بالسودان : ١٢٤ .
(٦) اللسان : ١٧/٣٧٨ .
(٧) أمالي القالي : ٢/٩٧ .
(٨) إبدال أبي الطيب : ١/٣١٨ .
(٩) المرجع السابق .

٣ – وعزا القالي إلى رؤبة قوله :

(يخاف صقع القارعات الكُدَّهِ)[١]

يريد الكدح : جمع كادح وكاده[٢] .

٤ – كما عزا إلى رؤبة نفسه :

(رَعَابَةٌ يُخشى نفوسَ الأنَّهِ)[٣]

والأنه : صوت يشبه الزحير ، فالشاعر يصف فحلاً بأنه يرعب نفوس الذين يأنهون ويقول أبو الطيب : أنَحَ يأنِح ، وأنَه يأنِهُ . إذا تزحر[٤] .

٥ – كما أنشد أبو عبيدة لراجز من بني سعد جاهلي :

حسبك بعض القول لا تمدّهي[٥]

يريد لاتمدحي . كما حكى أبو حاتم عن الأصمعي عن الحارث بن مصرف قال : ساب حجل بن نضلة معاوية بن شكل عند النعمان بن المنذر ، أو عند المنذر ، شك الأصمعي ، فقال : إنـــه قتال ظباء ، تباع إماء ، مشاء بأقراء ، فغو الأليتين ، مقبل النعلين فقال الملك : ويهك ، أردت كيا تذيه فمدهته[٦] !

والمعنى : ويحك . أردت أن تذمه فمدحته . بل يروى أن النبي (ص) قال لرجل « ويهك أقبل جناد » ، كما أنهم ذكروا أن النبي ﷺ قال لعمار : ويهك يا ابن سمية[٧] « بمعنى ويحك .

٦ – وعزي لراجز :

(تصبح بعد القَرب المقهقِهِ)[٨]

---

(١) أمالي القالي : ٩٧/٢ .

(٢) إبدال أبي الطيب : ٣٢١/١ .

(٣) أمالي القالي : ٩٨/٢ .

(٤) إبدال أبي الطيب : ٣١٦/١ .

(٥) اللسان : ٣٠٠/١٠ .

(٦) إبدال أبي الطيب : ٣١٧/١ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) المرجع السابق : ٣١٩/١ .

وأصل هذه الكلمة عند الأصمعي « الحقحقة » ، ثم قلب فقدم القاف قبل الحاء ، ثم أبدل الحاء هاء كما يقـــال : مدحه ومدهه . يقول أبو مالك : الحقحقة والمقهقة : السير المتعب[1] . وحقحق في السير وهقهق[2] .

٧ – كما أنشد أبو زيد :

(ياليته لم يعط هلبسيسا)[3]

وعن أبي زيد : أن الحلبسيس والهدسيس : الشيء القليل .

ونكتفي بهذا القدر من نصوص اللغة وكلها تشير إلى المعاقبة بين الحاء والهاء ، لأنها حرفان حلقيان متقاربان مخرجاً ، متحدان صفة ، إذ كلاهما مهموس « ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرجها منها »[4] ، والحروف الخفية هي المهتوتة ، فكأن الهاء فيها ضعف وخفاء فالهتة التي في الهاء هي التى ميزتها من الحاء ، والحاء فيها بحة وهي غلظ وخشونة في الصوت ،ولتقارب مخرج الحاء والهاء – لا يأتلفان في كلمة واحدة ، ويقبح اجتماعها على ألسنة العرب .

بقي بعد هذا أن نبحث في أي قبيلة عربية كانت تنطق الهـــاء بدل الحاء ، ففي الشاهد الأول نجد أن القائل رؤبة ، ونطق بالأجله بدل الأجلح ، والمـــده بدل المدح ، أو المزه – في رواية أخرى . كما عزي الرجز في الشاهد الثالث إلى رؤبة فنطق بالكدّه بدل الكدّح . وفي الشاهد الرابـــع لرؤبة أيضاً وفيه نطق الأنـّه ، وأصله : أنح يأنح ، والشاهد الخامس عزي لرجل من بني سعد ، وفيه نطق لاتمدهي : أي لا تمدحي ، كما عزي إلى النعمان بن المنذر أو إلى المنذر : أنه أبدل الحاء هاء ، أما الشاهدان السادس والسابع فقد عزيا إلى رؤبة[5] .

فإذا استشرنا كتب الطبقات علمنا أن رؤبة هذا يؤول إلى سعد بن زيد منـــاة بن تميم[6] . وهذا يتفق وعزو أبي عبيدة الشاهد الخامس لرجل من بني سعد ، ويجب أن تكون سعد هذه هي التميمية . فالظاهرة إذن فيها ، كما أن كتب الجغرافيا تشير إلى أن سعداً هذه تفرقت في

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مزهر السيوطي : ٤٦٦/١ .

(٣) إبدال أبي الطيب : ٣٢٥/١ .

(٤) كتاب العين : ٥ ، اللسان : ٧/١ .

(٥) إبدال ابن السكيت : ٢٧ ، إبدال أبي الطيب : ٣٢٥/١ محقق .

(٦) الشعر والشعراء : ٢٣٠ لابن قتيبة : تحقيق السقا .

أماكن عديدة في الجزء الشرقي من الجزيرة– فذهبوا إلى يبرين، ثم خالطوا عامر بن عبد القيس في قطر ، وذهبت طائفة منهم إلى عمان ، وطائفة أخرى بين أطراف البحرين إلى ما يلي البصرة[١] . فهذه القبيلة كانت تجاور مناطق الفرس ، فإذا عرفنا أن النعمان بن المنذر ظهرت هذه السمة اللهجية في كلامه ، وهو ممن تأثر بالفرس ، عرفنا أن هذه السمة اللهجية فارسية تأثرت بها القبائل العربية التي كانت تتاخم حدود فارس ، ومما يؤيد ذلك أن هذه اللهجة نفسها عزيت إلى قبيلة لخم كما جاء عن المبرد[٢] ، وقد كان للتخميين ملك بالحيرة من العراق[٣] . فلعل زياد بن أبيه كان يقع أحياناً تحت نقد خصومه حيث كان يقلب الحاء هاء – وكانوا يتهمونه بأنه يرتضح لكنة فارسية . كما روت كتب الأدب أن كثيراً من الموالي كانوا ينطقون الحاء هاء[٤] ، وأن سحيماً عبد بني الحسحاس كان يقول : أهْسنْتَ والله . بالهاء بدلاً من أحسنت[٥] ، وكل هذا يشير إلى أن تلك الظاهرة دخلت اللهجات العربية من الخارج لا سيما فارس ، ومما هو جدير بالذكر أن الحاء الفارسية تنطق كالهاء العربية[٦] ، كما نجد في الحبشية اختلاط الهاء بالحاء والخاء .

وإذا عرفنا أن سعد بن زيد السابقة قد تفرقت في بعض المناطق المصرية ، وأن المقريزي في البيان والإعراب ص ٥٩ . يفيدنا بأن لخما أيضاً أقامت بعد هجرتها في صعيد مصر – كان من اليسير أن نفهم ما نقل إلينا من أن أهل كردفان غرب السودان تشيع فيهم هذه الظاهرة فيقولون (هسن) بدل (حسن) ، لأن الظاهرة عندما دخلت مع : سعد ولخم إلى صعيد مصر تسربت منها إلى غرب السودان .

وقد يكون من هذا التعاقب بين الحاء والهاء ما حكي عن بعض العرب إذا سئل الواحد منهم: هل بقي عندك من طعامك شيء يقول : همهام ، أي قد نفد[٧] ، وفي رواية أبي الطيب :

---

(١) معجم ما استعجم للبكري : ٨٨/١ .

(٢) الكامل : ٩٧/٢ ، تاريخ آداب العرب : ١٤٦/١ .

(٣) نهاية الأرب للقلقشندي : ٤١١ .

(٤) العربية : ١٥ يوهان فك .

(٥) ديوان سحيم : ٥ .

(٦) القواعد الأساسية لدراسة الفارسية : ٦ دكتور الشواربي .

(٧) مزهر السيوطي : ١٣٣/٢ .

همهام وحمحام[1] ا ، وفي رواية أخرى عن اللحياني : قلت لبعضهم : أبقي عندكم شيء فقال : همهام وحمحام ومحماح ، وبحباح[2] . وفي رواية أخرى عن الكسائي أنه قال « حمحام[3] » ، فإذا بحثنا من بعض العرب الذين يعملون ذلك ، أخبرنا أبو زيد أنهم قوم من قيس[4] ، وعن ابن دريد أنه قال : سمعت عامرياً[5] . وفي اللسان « أعرابي من بني عامر[6] » أو « رجل من بني[7] عامر » ، فكأن المقصود بقوم من قيس في رواية أبي زيد – هم بنو عامر ، وبنو عامر هؤلاء من قيس ، ويلاحظ أن التعاقب قد حدث بين الحاء والهاء ، ولكنني أرجح أن الصيغ الأربع المختلفة للكلمة ، لم تحدث في وقت واحد ، وإنما حدثت في عصور مختلفة .

كما أرجح أن السبب في هذا الخلاف قد يرجع إلى خطأ الأطفال ، حيث يتركهم آباؤهم بدون تصحيح لأخطائهم فتنشأ هذه الصيغ الجديدة حتى تعتمد في البيئات الخالفة وتظهر وكأنها فصحى ، ولهذا قال الأصمعي : قال لي صبي من أعراب بني أسد : دلبح – أي طاطيء ظهرك قال : ودربحْ مثله « وقول الأصمعي : أنه سمع من صبي – يفهم منه أن صيغة دلبحْ محرفة عن دربح » بالراء وكيف لا يصيبها التحريف والتشويه ، والقائل : صبي . والعلاقة بين الراء واللام قائمة ، لأنهما من الأصوات الذلقية ، ثم أنهما من أوضح الأصوات الساكنة في السمع في نظر المحدثين – هذا عدا قربهما في المخرج[8] .

ثالثاً : صيغ لهجية حسبها اللغويون من الابدال وليست منه :

عزيت كلمة (زحلوفة) بالفاء إلى الحجاز ، وبالقاف إلى تميم ، يقول ابن السكيت : والزحاليف والزحاليق – آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل فأهل العالية يقولون: زحلوفة، وبنو تميم ومن يليهم من هوازن (زحلوقة) بالقاف[9] وعزاها كل من ابن قتيبة[10] ، وصاحب

---

(١) إبدال أبي الطيب : ١/٣٢٥ .

(٢) اللسان : ١٥/٥٠ .

(٣) اللسان : ١٥/٥١ ، ١٦/١٠٧ .

(٤) المزهر : ٢/١٣٣ .

(٥) المخصص : ١٣/٢٠٥ .

(٦) اللسان : ١٥/٥١ ، ١٦/١٠٧ .

(٧) اللسان : ٣/٢٣٠ .

(٨) اللسان : ٣/٢٦٠ .

(٩) القلب والإبدال : ٦٤ .

(١٠) البلغة في شذور اللغة : ١٢٩ بيروت .

الآمالي[1] ، وابن سيده[2] ، وابن منظور[3] ، وصاحب التصريح[4] كما عند ابن السكيت . ولم يشذ عنهم إلا ما نقله السيوطي عن الجمهرة : فنسب القاف للحجاز ، والفاء لغة أهل نجد[5] .

ولكن الذي يدعو إلى العجب : أن كثيراً من اللغويين يعتقدون أن المثالين وقع فيهما الإبدال : أي أن القاف بدل من الفاء ، ودليلنا مارواه ابن الأعرابي من قوله « وهو التزحلف والتزحلق[6] » فكأنه يرى علاقة بين الفاء والقاف ، والحقيقة أننا لا يمكن أن نقول بالإبدال إلا إذا كانت هناك علاقة مخرجية ووصفية بين البدل والمبدل منه ، وفي هذا المثال لا توجد علاقة ألبتة بين القاف والفاء ، ويظهر أن القدماء لم يتنبهوا لمثل هذا فقالوا بالإبدال ولو لم تكن ثمة علاقة وكان على رأس هؤلاء أبو الطيب اللغوي ، ونظرة واحدة إلى كتابه ترينا أنه كان لا يعترف بهذه العلاقة ، وإلا فأي علاقة بين العين والباء حيث يقول بالإبدال فيهما ؟ مثل : « ابتسرت الرجل ابتساراً ، واعتسرته اعتساراً[7] » أو بين الحاء واللام حيث يقول « انداح بطنه ، واندال ... [8] » وما دامت الأصوات متباعدة — فلا نستطيع أن نقول بالإبدال ، بل هما من المترادف في حالة اتفاق الكلمتين في المعنى مثل . الزحلوفة بالفاء والقاف ، فمعناهما واحد « وهو آثار تزلج الصبيان[9] ويظهر أن أبا الطيب لم يقع في هذا وحده بل شاركه » ابن السكيت ، وعبد الرحمن الزجاجي ، وكثير من رواة اللغة الأولين[10] ، ومثل هذا ما جاء في اللسان معزواً إلى قيس بن العيزار الهذلي :

بما هي مقناة أنيقٌ نباتُها ... مِربٌ فتهواها المخاض النوازع[11]

---

(١) أمالي القالي : ١٧٨/٢ ، ٤٢/١ .

(٢) مخصص ابن سيده : س ٥ : ص ١٢٠ .

(٣) اللسان : ٣١/١١ .

(٤) التصريح على التوضيح : ٢٢١/١ .

(٥) المزهر : ٥٥٤/١ .

(٦) المخصص : س ٥٠ : ص ١٢٠ .

(٧) الإبدال أبي الطيب : جـ ١ : ١٧ ، ١٨ .

(٨) الإبدال لأبي الطيب : جـ ١ : ٣١٠ .

(٩) إبدال ابن السكيت : ٦٤ .

(١٠) إبدال أبي الطيب : ١١/١ مقدمة .

(١١) اللسان : ٢٦/٢٠ وفي ديوان الهذليين : ٧٩/٣ ، قيس بن عيزارة والرواية فيه « فترعاها » .

فمقناة – بالقاف معناها موافقة لكل من نزلها من قوله « مقاناة البياض بصفرة »: أي يوافق بياضها صفرتها . ولكن جاء نص آخر في إصلاح المنطق يشير بأن « المقناة » هي المكان الذي لا يطلع عليه الشمس[١] . وعن الأصمعي : أن (مفناة) بالفاء لغة هذيل[٢] .

وبالنظر إلى هذه النصوص لا نجد تعاقباً بين الفاء والقاف من الناحية الصوتية فهما يختلفان تماماً عن التعاقب ، ثم إنه يلاحظ أن (المفناة) بالفاء كما جاء عن الأصمعي وأنها لهجة هذيل يعارضها ما عزي إلى قيس بن عيزارة – وهو من هذيل وجاء بها بالقاف في ديوان قبيلته ديوان الهذليين ٧٩/٣ ولهذا أرجح أن التصحيف قد لعب دوره في هذه الكلمة فجاءت على هذين الشكلين ، وما أكثر ما يفعل التصحيف ! .

والدليل على أن الكلمة مصحفة – أننا لم نجد إلا شاهداً (لمقناة) بالقاف فقط ، دون الفاء. وقد ساق السيوطي أمثلة لتعاقب الفاء مع القاف أيضاً كقولهم : العقار – بالقاف إصلاح النخل وتلقيحها ، كما وردت « العفار » بهذا المعنى – بالفاء أيضاً[٣] . وأرى أنه تصحيف أيضاً بدليل ما جاء في « كتاب النخل » للأصمعي من قول أهل المدينة « كنا في العفار – بالفاء أي إصلاح النخل وتأبيره[٤] » وكثيراً ما نجد أن ما يذكره علماء اللغة على أنه من التبادل – بعيد عن التعاقب بدليل أن كل صيغة لها معنى آخر غير الصيغة الأخرى ، وشرط التعاقب أن يتحد المعنى في الصيغتين . فمن ذلك ما جاء في المزهر نقلاً من أمالي القالي « القصم والفصم : الكسر» وبعضهم يفرق بينهما فيقول : القصم : الكسر الذي فيه بينونة ، والفصم . الكسر الذي لم يبن[٥] .

كما سجل علماء العربية عدة شواهد على أنها من الإبدال ولكنني أرجح أنها ليست من الإبدال في شيء ، لأنه لا علاقة مخرجية أو وصفية تسمح بانتقال أحد الصوتين إلى الآخر ، فكل صورة منها أصل مستقل ، ومن هذه الشواهد :

---

(١) إصلاح المنطق : ١١٩/٢ .

(٢) اللسان : ٢٦/٢٠ .

(٣) المزهر : ٥٥٥/١ .

(٤) كتاب النخل للأصمعي : ٦٩ ضمن مجموعة باسم « البلغة في شذور اللغة » ط الكاثوليكية .

(٥) المزهر : ٥٥٥/١ .

١ – ما جاء في إبدال أبي الطيب [١] عن أبي زيد « الترصيص والتوصيص : رفع النقاب فوق الأنف حتى لا ترى من المـــرأة إلا عينيها » وتميم تقول : التوصيص [٢] بالواو . وحكى الجوهري أن : التوصيص في الانتقاب مثل الترصيص [٣] .

٢ – جاء في إبدال أبي الطيب قولهم : تركته متفكناً ومتفكهاً : أي متندماً ، وفي التنزيل « فظلتم تفكهون [٤] » أي تندمون ، وهو بالهاء لغة أزد شنوءة وبالميم (صحتها وبالنون) لغة بني تميم [٥] . وفي الأضداد [٦] : عكل تفكنون ، وفي مجالس ثعلب [٧] : وأزد شنوءة يقولون : تفكهون .

وفي اللسان عن ابن الأعرابي : تفكهت وتفكنت أي تندمت [٨] . ويستفاد مما سبق أن الصيغتين تتعاقبان على البدل . ولكنني لا أرى هذا ، لأن معنى كل صيغة تختلف عن الأخرى بدليل ما جاء في الجمهرة : تفكن القوم إذا تندموا .... فأمـــا تفكهوا : تعجبوا [٩] . وعليها قول الشاعر :

ولقد فكهتُ من الذين تقاتلوا   يوم الخميس بلا سلاح ظاهرِ [١٠]

أراد : عجبت ، ثم إن العلاقة علاقة تباعد بين النون والهاء ، ولهذا رجحت أن كل صيغة منهما أصل مستقل .

٣ – وقال أبو يوسف : وحضرني أعرابيان من بني كلاب ، فقال أحـــدهما : انفحة ، وقال

(١) ١٠١/٢ .
(٢) كنز الحفاظ : ٦٦٤ .
(٣) اللسان : ٣٧٤/٨ .
(٤) سورة الواقعة : آية ٦٥ .
(٥) إبدال أبي الطيب : ٤٥٩/٢ .
(٦) لابن الانباري : ٥٤ .
(٧) مجالس ثعلب : ٤٠٨/٢ .
(٨) اللسان : ٢٠١/١٧ .
(٩) الجمهرة : ٤٧٤/٣ .
(١٠) أضداد الأنباري : ٥٤ .

الآخر : منفحة ثم افترقا على أن يسألا جماعة الأشياخ من بني كلاب ، فاتفق جماعة على قول ذا ، وجماعة على قول ذا [1] .

فالميم والهمزة صوتان متباعدان مخرجاً وصفة ، فلا يمكن أن يقع الإبدال بينهما ، ولعل الميم هي الأصل ، ثم سقطت تدريجياً ، ولحقتها همزة الوصل ليتوصل بها إلى الساكن قبلها .

٤ — ما جاء في إبدال أبي الطيب : رجل أصلج وأصلخ – وهو الأصم [2] . بالجيم والخاء – ويظن أن التصحيف قد لعب دوره في الكلمتين ، ولكن ينفي ذلك ما جاء عن الأزهري من قوله : وسمعت غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للأصم : أصلج [3] – بالجيم . كما نطقها بنو أسد ومن جاورهم : أصلخ بالخاء [4] .

٥ — ويقال : ثوب ذعاليب [5] بالباء ، كما ورد شاهد من أعرابي من بني عوف بن سعد :

(صفقة ذي ذعالت سَمول) بالتاء .

وهو يريد الذعالب [6] بالباء . ورجح ابن جني أن تكون التاء بدلاً من الباء ، ولا أرى ذلك ، لأن الباء شفوية مجهورة والتاء نطعية مهموسة ، بل أرجح الترادف بين الصيغتين لا سيما وقد اتفق المعنى بينهما .

وكما رفضت ما سبق على أنه من الإبدال – أرفض أيضاً تلك الروايات التي جاءت مهملة العزو إلى قبائلها – وحسبها اللغويون من الإبدال وهي :

١ — بين الجيم والحاء :

ماحكاه الأصمعي من قولهم : تركت فلاناً يحوس بني فلان ، ويجوسهم [7] . وقد سمع المازني أبا سرار الغنوي يقرأ (فحاسوا خلال الديار) فقلت : إنما هو جاسوا ، فقال : حاسوا وجاسوا واحد [8] .

---

(١) إصلاح المنطق : ١٧٥ – ١٧٦ ، وانظر : اللسان : ٣/٤٦٤ .
(٢) إبدال أبي الطيب : ١/٢١٣ .
(٣) اللسان : ٣/١٣٥ ، الجمهرة : ٢/٩٨ .
(٤) اللسان : ٣/١٣٥ ، ٣/٤ .
(٥) خلق .
(٦) سر الصناعة : ١/١٧٤ .
(٧) إبدال أبي الطيب : ١/٢٠٥ .
(٨) أمالي القالي : ٢/٧٨ .

٢ – بين الجيم والطاء :

روي عن أبي زيد : الآجام والآطام ، وما جاء عن أبي عمرو لبج بالرجل ولبط : أي صرع[١] .

٣ – بين الجيم والفاء :

ما جاء عن أبي عمرو : السُلجُ والسُلف : ولد الحجل ، والجميع سِلجان وسلفان[٢] .

٤ – بين الحاء والفاء :

عن اللحياني : رجل مولح وموقف – وهو المحنك[٣]

٥ – بين الحاء والقاف :

حفّت أرضنا تحف حفوفا ، وقفّت تقف قفوفا[٤] .

فالجيم في القسم الأول شجرية مجهورة ، والحاء حلقية مهموسة رخوة ، فهما متباعدان مخرجا وصفة ولا علاقة في القسم الثاني بين الجيم والطاء .

والفاء في القسم الثالث شفهية مهموسة ، تباعدت من الجيم مخرجاً وصفة .

والحاء في القسم الرابع حلقية ، والفاء شفوية – متباعدتان مخرجاً وصفة .

والحاء في القسم الخامس مهموسة رخوة ، والقاف لهوية مجهورة شديدة فهي متباعدة من الحاء مخرجاً وصفة .

فلا بأس عند كثير من اللغويين كما سبق أن يقع التبادل مع اختلاف الحروف مخرجاً وصفة إلا أن ابن جني وابن سيده قد انفردا باشارة توحي بوجوب علاقة مخرجية أو وصفية بين الحرفين المبدل أحدهما من الآخر ، حيث يقول ابن جني : إن القلب في الحروف إنما هو فيما

(١) إبدال أبي الطيب : ٢٣٤/١ .
(٢) المرجع السابق : ٢٣٨/١ .
(٣) إبدال أبي الطيب : ٣٠٣/١ .
(٤) المرجع السابق : ٣٠٧/١ .

تقارب منها .... فأما الحاء فبعيدة من الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها »[1] .

كما يرى ابن سيده : "أن مالم يتقارب مخرجاه البتة فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلاً ، وذلك كابدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق »[2] . ومما يؤكد أن هذين العالمين قد تفردا بذلك أن ابن جني مثلاً لم يذكر من صور الإبدال في باب « تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني » إلا ما تلاءم وتقارب في المخرج[3] .

---

(١) سر الصناعة : ١٩٧/١ .

(٢) المخصص : ٢٧٤/١٣ .

(٣) الخصائص : ١٤٥/٢ وما بعدها .

الفصل الخامس

ظاهرة الوقف في اللهجات العربية

مقدمـــة :

أفاض القدماء من القـــراء والنحاة في حديثهم عن الوقف ونظامه وشرائطه وما يعتور الكلمات فيه من تغير أثناءه ، وقد أمدتنا كتب القراء بصورة كاملة عن الوقف القرآني ، وعن مذهب كل إمام من أئمة القراءات ، ولقد حض الأئمة على تعلمه فورد عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن الترتيل في قوله تعالى « ورتل القرآن ترتيلا » فقال : الترتيل تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف[1] ، وفي الصحيحين أن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقطع قراءته : يقول : الحمد لله رب العالمين – ثم يقف ، ثم يقول : الرحمن الرحيم . ثم يقف ، قال الحافظ بن الجزري – وهو حديث حسن صحيح متصل الإسناد ، ورواه أبو داود ساكتاً عليه والترمذي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم[2] . فكأن الوقف على رءوس الآيات سنة من سنن رسول الله كما أفاض القراء في تقسيمات الوقف وأنواعه ، فمنها : التام ، والحسن ، والقبيح كما عنـــد ابن الأنباري ، ومنها الاختياري والاضطراري ، والانتظاري ، ومنها المختار ، والكافي ، والجائز والاستحساني[3] . أما النحاة فقد خصوه في كتبهم بفصل خاص به ، لكنهم لم يحددوا منهج كل قبيلة على التفصيل في الوقف والوصل ، فضاع علينا الشيء الكثير من معالم تلك الدراسة ، وقد نجد بعض إشارات تفيد في التفرقة بين الوقف والوصل ، وها هو ابن جني يشير إلى « أن الوصل مما تجري فيه الأشياء على أصولها ، والوقف من مواضع التغيير ، ويضرب ابن جني بعض أمثلة لذلك منها قوله : ألا ترى أن من قال من العرب في الوقف : هذا بكُرْ ، ومررت ببكِرْ ، فنقل الضمة والكسرة إلى الكاف في الوقف ، فإنه إذا وصل أجرى الأمر على حقيقته ، فقال :

---

(١) الإضاءة في أصول القراءة : ٥٤ .

(٢) الإضاءة : ٥٤ عبد الحميد حنفي .

(٣) الإتحاف : ١٠١ ، الاضاءة : ٤٩ وما بعدها .

هذا بكرٌ ومررت ببكرٍ »[1] فالفرق واضح بين الوقف والوصل من تمثيل ابن جني – على أن من العرب من يجري الوقف مجرى الوصل[2] . كما جرت محاورة لابن جني في قوله « فإن قلت : ولم جرت الأشياء في الوصل على حقائقها دون الوقف ؟ قيل : لأن حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف ، وذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة ، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ، وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول ، فلذلك كانت حال الوصل عندهم أشرف وأقوم وأعدل من حال الوقف »[3] على أن القراء قد ذكروا علامات بها يكون الوقف أولى من الوصل حيناً ، أو الوصل أولى من الوقف حيناً آخر ، أو قد يتساوى الوقف والوصل أحياناً ، ومرجع كل هذا خوفهم من البدء بما يفسد المعنى ويقطع الآيات ويمزقها ، أو تجزئة المعنى الواحد ، ولتحري القراء في ذلك وضعوا معالم للوقف والوصل يهتدى بها في قراءة القرآن الكريم .

أوجه الوقف :

وأشار السيرافي في شرحه على سيبويه إلى أن أوجه الوقف خمسة وهي :

(أ) الوقف بالسكون . (ب) والروم . (جـ) والإشمام . (د) والتضعيف .

(هـ) والنقل[4] كما أشار صاحب شرح المفصل إلى مثل هذا[5] . وكذلك ابن عقيل[6] في شرحه على الألفية . وزادت كتب القراءات على ما سبق :

(أ) الوقف بالحذف . (ب) والوقف بالإبدال[7] .

أولا : أما الوقف بالسكون فهو الأصل في الوقف ، وقال عنه السيرافي « هو القياس ، وأكثر العرب يقف كذلك »[8] وإنما كان الإسكان هو الأصل في الوقف ، لأن الواقف يترك

(١) سر الصناعة : ١/١٧٦ ط الحلبي .

(٢) الكتاب : ٢/٢٨٢ ، سر صناعة الاعراب : ١٧٦ وما بعدها .

(٣) الخصائص : ٢/٣٣١ .

(٤) شرح السيرافي على سيبويه : ٥/٤١٨ مخطوط في التيمورية .

(٥) ابن يعيش : ٩/٦٦ وما بعدها .

(٦) ابن عقيل : ٢/٤٠٠ ط السابعة .

(٧) الإضاءة في بيان أصول القراءة : ٤٥ .

(٨) شرح السيرافي على سيبويه : ٥/٤١٨ مخطوطة .

حركة الموقوف عليه فيسكن ، كما أن الواقف في الغالب يطلب الاستراحة وسلب الحركة أبلغ في تحصيل الراحة ، ولأن الوقف ضد الابتداء ، والحركة ضد السكون فكما اختص الابتداء بالحركة — اختص الوقف بالسكون ، ليتباين بذلك ما بين المتضادين وقال ابن يعيش عنه « هو الأغلب الأكثر »(١) وعلله تعليلاً أقرب لما ذكرناه .

والآن أريد أن أحدد أو أبين ما أبهمه السيرافي فيما تقدم من قوله على الوقف بالسكون « وأكثر العرب يقف كذلك » فمن هم أكثر العرب ؟ وقد جاء عزوه مبهماً كعادة النحويين واللغويين . ولا شك أن أكثر العرب هنا هم الحجازيون ، ولبيان ذلك نقول : كانت اللغة الفصحى تلتزم الوقف بالسكون — إلا مع المنصوب المنون فيوقف عليه بالألف . فمثلاً كانت الفصحى تقول « جاء زيدْ » في حالة الرفع بسكون الآخر ، كما تقول أيضاً « مررت بزيدْ » بالسكون أيضاً في حالة الجر . ولكنهم يقولون « رأيت زيداً » بالألف . تلك هي الفصحى في مثل هذا الوقف ، ولا شك أن النحو العربي عندنا يقتفي لهجة قريش، ويشير إليها بكلمة « الفصحى » تارة أو « الأفصح » تارة أخرى ، ولهجة الحجاز هذه هي الشائعة في فواصل القرآن الكريم ، « ونظام الفواصل في القرآن يتطلب الوقوف على رءوس الآيات لتبرز موسيقاها ، ولا تتضح موسيقى الآيات إلا بالوقوف على رءوسها »(٢) ففي سورة « الرحمن » لا يحس الإنسان بموسيقى الفواصل — إلا إذا وقف عليها جميعاً بالسكون ، « وهذا كان وقف النبي ﷺ كما في الصحيحين عن أم سلمة ، كما كان ذلكَ وقف الصدر الأول : من الصحابة والتابعين ، ومشائخ القراء ، والأئمة »(٣) ولكن بعض اللهجات الأخرى — لم تسر في ركاب الحجازيين في مثل هذا الوقف — فربيعة — كانت تقف على المنصوب المنون بالسكون — فتقول : رأيت زيدْ — ولكن في اللغة الفصحى نبدل تنوينه ألفاً ، ويبدو أن ربيعة أجرت المنصوب المنون مجرى المرفوع والمجرور ، إذ كانت تقول أيضاً : جاء زيدْ ، ومررت بزيدْ — بحذف التنوين كما يفهم من لهجة ربيعة أنها تميل إلى التخفيف ، لأن التزام السكون في أواخر الكلمات أخف من الحركات في آخرها . وإذا كانت ربيعة قد وحدت في الوقف بين المرفوع والمجرور والمنصوب — فكأنها أجرت الباب مجرى واحداً ، فحذفت التنوين في حالات الرفع والجر والنصب ، ومعنى هذا أن ربيعة كانت تسرع في النطق ، ولا تحفل بسقوط أواخر الكلمة ، حتى سقط في الوقف جميع حركات

---

(١) ابن يعيش : ٩/٦٧ .

(٢) من أسرار اللغة : ١٤٩ ط أولى .

(٣) الإضاءة في أصول القراءة : ٤٦ .

الإعراب عندها ، وهذا يتفق مع ما تقدم حيث أنهـا كانت تحذف النون من (اللتان) ، (واللذان) وغيرها[1] ، واستدل لهذه اللهجة بما ورد مثل :

١ – جاء في الخزانة :

إلى المرء قيس أطيل السّرى وآخذ من كل حيٍّ عُصُمْ[2]

وكان القياس أن يقول : عصماً – ولكنه وقف على لغة ربيعة بالسكون . وترشدنا كتب الطبقات إلى أن قائله الأعشى ميمون[3] ، وهو من بكر بن وائل التي ينتهي نسبها إلى ربيعة[4] – تلك التي تشيع فيها الظاهرة ولا أدري كيف استشهد المستشرق ليتمان بهذا البيت – وعزا الوقف فيه إلى تميم[5] ، مع أن القائل من ربيعة كما أثبتنا ، ولم ينقل أن الوقف على هذا النمط لغة تميم .

وكما أخطأ المستشرق ليتمان في عزو الظاهرة – أخطأ كذلك محقق شرح المفصل حيث ذكر بيت الأعشى السابق – ونسب الوقف بالسكون فيه إلى طيء[6] – ولا أدري من أي مصدر جاء به ، فجميع المصادر التي تحت يدي تعزو هذه الظاهرة إلى ربيعة كالخزانة[7] والشافية[8] وغيرهما . بل الشاهد الذي فيه تلك الظاهرة لشاعر يئول إلى ربيعة .

٢ – ما جاء عن البغدادي منسوباً إلى أبي النجم :

خرجتُ من عند زيادٍ كالخرف تخطّ رجلايَ بخط مختلف

تكتبان في الطريق لام الف[9]

وأصله : لاماً وألفاً . فحذف التنوين من الأول من باب الوصل بنية الوقف وحذف العاطف

(١) الخزانة : ٥٠٣/٢ .

(٢) الخزانة : ٢٦٤/٢ – ٦٥ ، شرح الشافية : ٢٧٢/٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ .

(٣) الخزانة : ٢٦٥/٢ .

(٤) نهاية الأرب : ٣١٩ ، الوسيط : ٨٠ للسكندري .

(٥) بقايا اللهجات العربية ٣٦ مجلة كلية الآداب ، مجلد ١٠ ج ١ مايو .

(٦) ابن يعيش : ٧٠/٩ .

(٧) الخزانة : ٢٦٤/٢ .

(٨) شرح الشافية : ٢٧٢/٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ .

(٩) الخزانة : ٤٨/١ .

ووقف على (ألف) بلغة ربيعة . ولا ضرورة في هذا كما رأي البغدادي[1] ، والجمهور[2] على أن ما ورد من ذلك ضرورة ، وأرجح رأى البغدادي ، لأن القـــائل أبو النجم ، ذلك الذي ينتهي نسبه إلى بكر بن وائل[3] من ربيعة ، وربيعة تشيع فيها تلك الظاهرة ويبدو أن الوقف على لغة ربيعة شاع حتى إننا التمسنا أمثلة عديدة له مثل :

١ - ما عزي إلى أبي نواس :

يَبْتَني في الصَّحن مِنْ مجلسهم ... للمصلّين من الشمس سترْ[4]

والقياس : سترا

٢ - وقد أكثر ابن مالك من وقف ربيعة في ألفيته - والأولى بـــه أن يحمل على الضرورة ، من ذلك :

(أ) (كلهم يفو إلاّ امرؤ إلا عليّ)[5] والقياس : إلا عليًّا . فوقف على لغة ربيعة .

(ب) (وأي فعل آخر منه ألف)[6] والقياس : ألفاً .

(ج) (ووضعوا لبعض الأجناس علمْ)[7] والقياس : علماً .

٣ - وجاء في الهمع :

أشاء ما شئت حتى لا أزال لمـا ... لا أنت شائية من شأننا شاني[8]

وأصله : شانياً ، لأنه خبر زال .

كما ورد عدة شواهد لهذه اللهجة ، ولكن الجمهور - حملها على الضرورة ومنها :

---

(١) الخزانة : ٤٨/١ .

(٢) ضرائر الألوسي : ٦٣ .

(٣) الخزانة : ٤٩/١ .

(٤) البيان والتبيين : ٢٢٨/٢ هارون .

(٥) الأشموني : ١٥٢/٢ .

(٦) الأشموني : ١٠١/١ .

(٧) الأشموني : ١٣٥/١ .

(٨) الهمع : ١٤٨/١ ، التصريح : ٢٣٨/١ .

١ – فليت كفافاً كان خيرك كله وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي[١]

٢ – (كفى بالنأي من أسماء كافي)[٢] .

وهذا الشاهد لبشر بن أبي خازم – وهو أسدي[٣] .

٣ – ألا حبذا غنم وحسن حديثها لقد تركت قلبي بها هائماً دنف[٤]

وأصلها في البيت الأول : مرتويا ، وفي الثاني : كافيا ، والثالث : دنفاً .

والجمهور حملها على الضرورة – كعادتهم ، لأنها خالفت الفصحى ، وبعضهم حملها على لغة ربيعة ، وأميل إلى القول بالضرورة – إذا كان القائل من غير ربيعة وكان الشاهد في شعر – كالشاهد الأول ، لأن قائله يزيد بن الحكم الثقفي[٥] . فهو ليس ربعيا ، ولأن سمة الضرورة ظاهرة حيث أسكن ياء (مرتوي) في موضع النصب لضرورة الشعر ، والعرب ليست تضطر إلى شيء – إلا وتحاول به وجهاً من لغاتهم ، كما يمكن أن تحمل الضرائر – على أصول قديمة هجرها العرب حتى أهملت وتجمدت ، ويرى أبو سعيد القرشي أن موافقة الضرورة لبعض لغات العرب – لا تخرجها عن الضرورة ، وهذا معنى ما أشار إليه في قوله :

وربما تصادف الضرورة بعض لغات العرب المشهورة[٦]

ولا أوافق على رأي هذا العالم ، لأن الضرورة إذا وافقت لغة عربية – فلا تكون ضرورة بل لهجة – يجب أن نعمل لها حساباً ، لأنها تمثل بيئة لغوية .

وقد وصف السيرافي في كتابه على شرح سيبويه لهجة ربيعة بأنها « لغة رديئة »[٧] على الرغم من أن كثيراً من اللهجات العربية الحديثة تسير متبعة وقف ربيعة .

وقد كان للوقف بالسكون إشارة خطية سجلها السيرافي في كتابه على شرح سيبويه ورسمها

---

(١) الخزانة : الشاهد : ١٨٠ ، ٣٩٢/٤ .

(٢) الخزانة : ٢٦١/٢ .

(٣) الخزانة : ٢٦٢/٢ .

(٤) الهمع : ٢٠٥/٢ ، الدرر اللوامع : ٢٣٢/٢ .

(٥) خزانة : الشاهد : ١٨٠ .

(٦) ضرائر الألوسي : ٣٤ .

(٧) السيرافي : ٤٨٤/٥ - ٤٨٥ .

هكذا « خ »[١] ، كما رسمها سيبويه كذلك[٢] ، وعللها السيرافي بأن الخاء أول قولك خفيف ، فدل به على السكون ، لأنه تخفيف[٣] .

ثانياً : الوقف بالروم :

والروم كما قال صاحب التيسير « هو تضعيفك الصوت بالحركة ، حتى يذهب بذلك معظم صوتها فتسمع لها صوتاً خفيًّا يدركه الأعمى بحاسة سمعه »[٤] ، وعرفه بعض المتقدمين بأنه : الإتيان ببعض الحركة بحيث يسمعها القريب المصغي دون البعيد ، لأنها غير تامة ، وقد نطق به شيخ من مشايخ[٥] القراء أمامي في قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فوقف على النون من (نستعين) وجاء بصوت ضعيف يشبه الضمة ، وكأنه اختلسها اختلاساً ، والفرق بين الحركة في هذه الظاهرة والحركة العادية فرق في الكمية – فالزمن في نطق الضمة التي على النون من « نستعين » في حالة الوقف بالروم – أقصر – من الضمة العادية المعهودة لنا ، ويظهر أن الباقي من الحركة على الحرف أقل من الذاهب « وقدره بعضهم بثلثها[٦] » ، وقد كان للروم علامة خطية يعرف بها وهو كما يقول سيبويه « خط بين يدي الحرف »[٧] مثل : هو عُمَرهَ ، وهذا أحمدٌ كأنه يريد رفع لسانه ، وكأن القارىء يروم الحركة ولا يتمها كما قال ابن يعيش[٨] .

ثالثاً : الوقف بالاشمام :

والإشمام : هو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت ، أو أن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة كما قال السخاوي[٩] . وعرفه ابن القاصح بأن تطبق شفتيك بعد تسكين الحرف ، فيدرك ذلك بالعين ولا يسمع[١٠] . وكأن الفرق بين الروم والإشمام – أن الأعمى

---

(١) شرح السيرافي على سيبويه : ٤١٩/٥ .

(٢) الكتاب : ٢٨٢/٢ .

(٣) شرح السيرافي على سيبويه : ٤١٩/٥ .

(٤) الاضاءة : ٥٨ .

(٥) هو الشيخ إبراهيم محلاب – ثقة في الرواية والضبط .

(٦) الإضاءة في أصول القراءة : ٥٨ .

(٧) الكتاب : ٢٨٢/٢ .

(٨) ابن يعيش : ٦٧/٩ .

(٩) الإضاءة في أصول القراءة : ٦٠ .

(١٠) سراج القارىء المبتدىء ، وتذكار المقرىء المنتهي : ١٥٦ .

لا يدرك الإشمام من غيره ، لأنه مما يرى ولا يسمع – أما الروم : فإن الأعمى يدركه من غيره بسمعه ، والبصير يدركه بسمعه وبصره ، لأنه مما يرى ويسمع .

والإشمام يكون في المضموم من المبنيات ، وفي المرفوع من المعربات – فالمضموم مثل : من قبل ومن بعد – والمرفوع مثل « الله الصمد » « ولا يصيبهم[1] ظمأ» ولا يكون الإشمام في الجر والنصب ، لأن الكسرة من مخرج الياء ، ومخرج الياء من داخل الفم من ظهر اللسان إلى ما حاذاه من الحنك من غير إطباق بنفاجّ الحنك عن ظهر اللسان ، ولأجل تلك الفجوة لأنّ صوتها – وذلك أمر باطن لا يظهر للعيان . وكذلك الفتح ، لأنه من الألف ، والألف من الحلق فما للإشمام إليها سبيل[2] .

وهذا الذي ذكرته في حقيقة الروم والإشمام هو مذهب القراء ونحاة البصرة غير ابن كيسان أما الكوفيون وابن كيسان فسموا الروم إشماماً ، والإشمام روماً[3] ، ولا يعنينا هذا الخلاف ، لأنه اصطلاح ، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا عرفت الحقائق . وكان للإشمام علامة خطية وهي نقطة فوق الحرف ورسمها سيبويه هكذا « هذا خالدْ » « وهو يجعلْ »[4] وأشار إليه شارح المفصل كذلك[5] .

رابعاً : الوقف بالتضعيف :

وهو تشديد الحرف الذي يوقف عليه بأن تضاعف هذا الحرف الموقوف عليه ، فيلزمك الإدغام نحو : هذا خالدّ ، وهذا فرجّ[6] ، ولهذا فالوقف بالتضعيف أقوى من غـــيره أي من الوقف بالروم والإشمام والسكون – لأن الواقف زاد حرفاً ، فكأنه بين الوقف بحرف بخلاف الروم فإنه بينه بحركة ضعيفة ، والإشمام بينه بإشارة ، والحرف في التضعيف أقوى وآكد في البيان من الإشارة ، ولا شك أن المقصود بالروم والإشمام والتضعيف – بيان أن الحرف الذي وقف عليه كان متحركاً في الوصل بحركة إعرابية أو بنائية ، فمن أشم نبه عليه بهيئة الشفتين ،

---

(١) الإضاءة : ٦١ .

(٢) المرجع السابق ، شرح ابن يعيش : ٦٧/٩ .

(٣) الإضاءة في أصول القراءة : ٦١ .

(٤) الكتاب : ٢٨٢/٢ ، شرح السيرافي على سيبويه : ١٩/٥ ، مخطوط في تيمور .

(٥) ابن يعيش : ٦٦/٩ وما بعدها .

(٦) المرجع السابق : ٦٧/٩ .

ومن وقف بالروم نبه عليه بهذا الصوت المختلس الخفي – ومن وقف بالتضعيف كان أشد قوة في التنبيه ممن رام وممن أشم ، وهذا الذي وقف بالتضعيف قد استعاض عن سقوط حركة الإعراب بتضعيف آخر الكلمة . وللوقف بالتضعيف شروط ثلاثة :

(أ) ألا يكون الحرف الذي يوقف عليه همزة كخطأ[1] ، لأن تضعيف الهمزة غير جائز ، ولم يرد عن العرب إلا إذا كانت عيناً نحو سأل : أو لعل تضعيف الهمزة يحتاج إلى جهد عضلي أكثر ، فهو ثقيل .

(ب) أن يكون صحيحاً – إذ يستثقل تضعيف حرف العلة لثقـله بنفسه ، فإذا ضعف ازداد ثقلاً ، والوقف موضع استراحة[2] .

(ج) أن يكون الحرف الذي قبل آخـر الكلمة متحركاً – كالجَمَل فتقول : الجَمَلّ[3] . وعلامة الوقف بالتضعيف كما روى سيبويه عن الخليل هو هذا الرمز (ش) فوق الحرف نحو « هذا خالدْ ش ، وهو يجعلْ ش[4] ولعل ذلك الرمز مأخوذ من أول حرف من كلمة شديد ، إذ التضعيف فيـه شدة ، كما يظهر من كلام الداني أن هذا الرمز كان يختلف باختلاف الأمصار[5] .

والوقف بالتضعيف روي عن قبيلة سعـد كما جاء في التصريح[6] على التوضيح والدكتور ابراهيم أنيس حدد سعداً تلك – بسعد بن بكر ، وأرى أن سعداً هذه يجب أن تكون غير سعد بن بكر لأسباب عدة :

١ – أن عاصماً قرأ قوله تعالى : « وكلّ صغيرٍ وكبير مستطرّ »[7] بالتضعيف[8] . ويحدثنا

---

(١) ابن عقيل : ٢/٤٠٠ .

(٢) الوافي : ١٢٩ .

(٣) ابن عقيل : ٢/٤٠١ .

(٤) الكتاب : ٢/٢٨٢ .

(٥) المقنع للداني : ١٢٩ .

(٦) التصريح على التوضيح : ٢/٣٤١ .

(٧) سورة القمر : ٥٣ .

(٨) التصريح على التوضيح : ٢/٣٤١ .

ابن الجزري في طبقاته أن عاصماً من الكوفة[1] توفي : ١٢٧ هـ . كما ذكر أيضاً أنه « جمع بين الفصاحة والإتقان والتجويد »[2] وعاصم هذا قد تلقى قراءته عن جماعة من صحابة النبي (ﷺ) نزلوا بالكوفة « وكلهم قد عرف بطول البـــاع في الفصاحة والبلاغة ، والكوفة التي عاش فيها عاصم . قد تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها . كما روت ذلك كتب التاريخ[3] ، فإذا كان عاصم بن أبي النجود – قـــد قرأ بالتضعيف – فهو متأثر حتماً بقبائل شرقي الجزيرة ، ومعنى ذلك أن التضعيف كان في شرق الجزيرة كتميم وأسد وبكر وائل وغيرهما . ومن هنا لا يمكن أن تنطق سعد بن بكر بهذا التضعيف ، لأن سعد بن بكر ديارها أقرب إلى البيئـــة الحجازية ، وبيئة الحجاز لم يؤثر عنها قط – الوقف بالتضعيف ، وإذاً لابد أن نبحث عن سعد أخرى غير سعد بن بكر ، لنعزو إليها ظاهرة الوقف بالتضعيف ، وكتب الأنساب تطالعنا بعدة أسماء لسعد ، فمنها سعد من إياس ، وسعد من ضبـــة ، وسعد من ثقيف ، وسعد من هذيل[4] ، وسعد من تميم[5] . ولا أرى عزو الوقف بالتضعيف إلا لسعد من تميم ، لأنها كانت تسكن الاحساء ، وهي بذلك تكون متمكنة في شرق الجزيرة تلك التي نقلت الظاهرة بالتضعيف إلى قراء الكوفة والتي قرأ بها عاصم ابن أبي النجود الكوفي .

٢ – أنه روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قرأ (وتواصوا بالصبر) بكسر الباء كما قرأ سلام عن السدي (والعصر) بكسر الصاد[6] ، ويظهر أن الراء كانت مضعفة – أي أن أبا عمرو وقف عليها بالتضعيف مع نقل حركة الراء إلى ما قبلها ، وإنما نقل الحركة الأخيرة إلى ما قبلها لالتقاء الساكنين . وأبو عمرو بن العلاء مازني تميمي[7] . وإذا كان أبو عمرو قرأ بها وهو من تميم ، شجعنا هذا أن نعزو ظاهرة الوقف بالتضعيف إلى سعد بن تمـــيم ، لا إلى سعد بن بكر كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس .

---

(١) طبقات القراء : ٣٤٦/١ ، النشر : ١٤٦/١ .

(٢) غاية النهاية : ٣٤٦/١ .

(٣) جورجي زيدان : ٢٠٨/١ .

(٤) معجم قبائل العرب : ٥١٣/٢ – ٥٢٠ .

(٥) نهاية الأرب : ٢٨٥ للقلقشندي .

(٦) الهمع : ٢٠٨/٢ .

(٧) طبقات القراء : ٢٨٨/١ ، النشر : ١٢٣/١ .

٣ – ثم إن التصريح لم يعز ظاهرة الوقف بالتضعيف إلى سعد بن بكر ، كما رأى ذلك الدكتور أنيس ولكنه قال : «الوقف بالتضعيف لغة سعدية »[١] وسعد كما ذكرت – بطون عديدة فلم خصها بسعد بن بكر ؟ .

٤ – وأدلة أخرى غير ما تقدم تشير إلى أن التضعيف في الوقف كان في تميم ومن ذلك الأبيات الآتية :

(ضخماً يحب الخلق الأضخمّا)[٢]

وعزي هذا لرؤبة بن العجاج – وهو تميمي .

وقول رؤبة « لقد خشيت أنْ أرى جدَبّا[٣] » وهو يريد جدْبا ، (والشاهدان في ديوانه (١٨٣ ، ١٦٩) .

كما عزيت أشعار عدة فيها ظاهرة التضعيف لشعراء شرقيين[٤] . وجميع هذا يؤيد أن قبيلة سعد بن تميم هي التي تقف بالتضعيف لا قبيلة سعد بن بكر .

خامساً . الوقف بالنقل :

وهو تحويل الحركة من الحرف الأخير للكلمة إلى الساكن قبله ، وهذا النوع من الوقف قليل كقلة الوقف بالتضعيف ، ومثل له ابن يعيش بقولهم « هذا بَكُرْ ، ومررت ببَكِرْ » في بَكْر[٥] ، وإنما كان هذا النوع من الوقف قليلاً ، لأنه يؤدي إلى تغير بناء الكلمة في الظاهر بتحريك عينه الساكنة مرة بالضم ، ومرة بالكسر ، ومرة بالفتح ، وأيضاً لاستكراه انتقال الإعراب الذي حقه أن يكون على الحرف الأخير إلى الوسط .. وللوقف بالنقل شروط منها :

١ – أن يكون ما قبل الآخر ساكناً .

٢ – أن يكون الحرف الأخير الذي ستنقل حركته صحيحاً .

---

(١) التصريح : ٣٤١/٢ .

(٢) سر الصناعة : ١٧٩/١ ط ١ ، شرح السيرافي على سيبويه : ٤٢٢/٥ خط تيمور .

(٣) كتاب سيبويه : ٢٨٢/٢ ، شرح السيرافي : ٤٢٢/٥ .

(٤) الكتاب : ٢٨٢/٢ ، سر الصناعة : ١٧٧/١ وما بعدها ط ١ .

(٥) ابن يعيش : ٧٠/٩ وما بعدها .

٣ – ألا تكون الحركة المنقولة فتحة – هذا عند البصريين ، أما الكوفيون فيرون النقل سواء كانت الحركة فتحـــة ، أو ضمة ، أو كسرة ، ومذهب الكوفيين أولى لأنهم نقلوه من العرب .

٤ – ألا يؤدي النقل إلى بناء معدوم النظير في العربية أو نادر فيها[١] .

والوقف بالنقل عزي إلى تميم كما جاء في التصريح[٢] ، والمفصل[٣] . وكتاب سيبويه[٤] ، وشرحه للسيرافي[٥] . والأصل في هذا الوقف عدم النقل مثل : هذا بكْرْ – ومررت ببكْرْ ، مع اجتماع الساكنين ، ويظهر أن قريشاً كانت تبيح التقاء الساكنين والدليل على ذلك ما ورد عن ابن الجزري وغيره من القراء أنه قريء « إن الله نعْمّا يعظكم[٦] به » باجتماع الساكنين العين والميم ، كما سمع التقـــاء الساكنين من الرسول (ﷺ) فيما يروى (نعْمّا المال الصالح للرجل الصالح) ، وساق أبو شامة ما يفيد من أن التقاء الساكنين في مثل ذلك إنما هو لغـــة النبي[٧] (ﷺ) كما أن أبا عبيدة قد عزاها لغة للنبي[٨] (ﷺ) وأبو عبيدة أحد أئمة اللغة ، وناهيك به ! فكأن لهجة قريش احتملت التقاء الساكنين ، بل شاعت فيها تلك الظاهرة ، لأنها تعطي الأصوات حقها فلا يطغى صوت على آخر ، بينما قبيلة كتميم هربت من التقاء الساكنين لصعوبة النطق بها ، ففي : هذا بكْرْ – تخلصت تميم بتحريك ما قبل الآخر ، فقالوا : هذا بكُر – بضم الكاف وسكون الراء فهم قد تخلصوا من التقاء الساكنين ، وقد لاحظ هذا ابن يعيش حيث يقول أن الوقف بالنقل « محافظة على حركة الإعراب وتنبيه عليهـــا ، وخروج عن محذور الساكنين »[٩] . ويمكن أن نلمح في كتب العربيـــة ما يدل على الوقف بالنقل المعزو لتميم ، فمن ذلك :

---

(١) ابن عقيل : ٤٠١/٢ .

(٢) ٣٤٢/٢ .

(٣) ٣٣٩ .

(٤) ٢٨٥/٢ - ٢٨٧ .

(٥) ٤٣٨/٥ مخطوط تيمور .

(٦) النشر : ٢٣٥/٢ - ٢٣٦ ، اللسان : ٦٧/١٦ .

(٧) إبراز المعاني : ٢٦٢ .

(٨) النشر : ٢٣٦/٢ .

(٩) ابن يعيش : ٧٠/٩ وما بعدها .

١ – ما روي أن بعض العرب يقول « هذا بكُرْ[١] – ومن بكِرْ » وبعض العرب هؤلاء يجب أن يحدد بتميم ، كما عزا سيبويه قوله :

« أنا ابن ماوي إذا جدّ النقُرْ »

بنقل حركة الراء إلى ما قبلها – إلى راجز من السعديين[٢] – ويجب أن يكون من سعد بن تميم ، لأن الوقف بالنقل فيهم .

٢ – ما رواه أبو حيان من قوله « ولم يؤثر الوقوف بالنقل عن أحد من القراء إلا شيئاً روي عن أبي عمرو »[٣] . وأبو عمرو هذا هو « ابن العـــلاء » وهو من تميم التي تفضل الوقف بالنقـــل .

٣ – بعض الشعر الذي جاء الوقف عليه بالنقل مثل :

علمنا أخوالنا بنـــو عِجِلْ شرب النبيذ واعتقالاً بالرِّجِلْ

وكما قال أوس : كما طرقتْ بنعاس بكُرْ – أراد بكْرُ

وقوله :

عجبت والدهر كثـــير عجبُهْ من عنزيّ سبّني لم أضر بُهْ[٤]

ومثل هذا النقل قول أبي النجم :

(فقرِّبن هذا وهذا أزحلُهْ)[٥]

وفي جميع تلك الأمثلة ألقى حركة الحرف الأخير على الساكن الذي قبله عنـــد الوقف وربما أن الوقف بالنقل فيه بيان للحركة أكثر ، ففي قوله : عجبت والدهر .... لم أضْر بُهْ) أصلها : أضربْهُ – فألقى ضمة الهاء على الباء ليكون أبين لها في الوقف ، « لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن أخفى لها[٦] » .

---

(١) الكتاب : ٢٨٣/٢ .

(٢) الكتاب : ٢٨٣/٢ ، الهمع : ٢٠٨/٢ .

(٣) الهمع : ٢٠٨/٢ .

(٤) شرح السيرافي : ٢٤٢/١ .

(٥) الشنتمري على سيبويه : ٢٨٧/٢ .

(٦) الكتاب : ٢٨٧/٢ .

٤ – كما جاء عن العرب : أضرب الوجَهْ ، وهذا الوجُهْ ، وفررت من الوجِهْ[١] . وهذا لاشك وقف بالنقل ، وفي النثر ، ولا ضرورة في مثل هذا .

وإذا كان الوقف بالنقل قد جاء عن تميم كما تقدم – إلا أنه يبدو أن بعض بطون تميم لم تسر على نظام الأم – في الوقف ، لأن المعروف عنهم : أن هاء الضمير إذا سكن ما قبلها وهو صحيح – جاز نقل ضمتها إلى ذلك الساكن – فتميم تقول في (مِنْهُ) مِنُهْ – بضم النون على النقل في الوقف ، ويقولون في عنه – بسكون النون عنه بضمها[٢] – إلا أن بعضاً من تميم – لم يسيروا على هذا النظام في الوقف ، فقد جاء عن سيبويه قوله « وسمعنا بعض بني تميم من بني عدي يقولون . قد ضربتِهْ ، وأخذتِهْ – كسروا حيث أرادوا أن يحركوها لبيان الساكن »[٣] وقد كان المألوف في أكثر تميم أنهم يقولون في : ضربَتْهُ – ضَرَبَتُهْ – نقلت ضمة الهاء إلى التاء قبلها ، ولكن بني عدي أسكنوا الهاء في الوقف ، وقبلها التاء وهي ساكنة ، فاجتمع ساكنان ، ولهذا حركوا التاء بالكسر كقولك « لم يقمِ الرجل » وحركوها بالكسر لأن الهاء خفية ، فأرادوا بيانها ففي لهجة بني تميم حركت التاء – بالضم إلا بني عدي من تميم فانها تحركها بالكسر . ويرى الاسترابادي أن لهجة بني تميم في النقل – أكثر من لهجة[٤] بني عدي . وهذا مثال على أن بطون القبائل قد تتخالف في سمات اللهجات مع أصولها . وإذا كان جميع النحاة يشترطون أن الوقف بالنقل لابد أن يكون ما قبل الآخر فيه ساكناً كما تقدم فأني أرى أن هذا الشرط لا قيمة له عند بعض القبائل العربية . فلهجة قبيلة لخم – تقف بالنقل فيما إذا كان ما قبل الآخر متحركاً ، ودليل ذلك ما جاء في الهمع :

من يأتمر للحزم فيما قصَدُهْ تحمدْ مساعيه ويعلم رَشَدُهْ[٥]

وأنشد على لغة لخم – الجوهري – لبعض الرجاز :

ما زال شَيْبان سديداً رهصه حتى أتانا قرنه فوقصه[٦]

(١) الكتاب : ٢/٢٨٣ وما بعدها ، مجالس ثعلب : ٢/٦٢١ دار المعارف .

(٢) شرح الشافية : ٢/٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٣) كتاب سيبويه : ٢/٢٨٧ .

(٤) شرح الشافية : ٢/٣٢٣ .

(٥) الهمع : ٢/٢٠٨ .

(٦) التصريح : ٢/٣ .

فالراجز لما وقف على الهاء نقل ضمتها إلى الصاد قبلها فحركها . ولهجة لخم هذه نرى صحة لها في لهجاتنا العامية الحديثة حيث نقول في : ضربَهُ : ضربُهْ ، بنقل ضمة الهـاء إلى المتحرك قبلها كما نسمع مثلها في لهجات الجزيرة بالسودان [1] . وقبيلة لخم هذه – هي بطن عظيم ينتسب إلى كهلان من القحطانية [2] – فهي إذاً قبيلة يمنية ، ومما يؤكد أن الظاهرة في اليمن ما جاء عن نشوان الحميري في كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » حيث عزا تلك الظاهرة السابقة المعزوة إلى لخم – إلى اليمن ، فقال بعـد أن ساق البيت السابق مع خلاف في بعض ألفاظه « وهي لغة ضعيفة لقوم من أهل اليمن » [3] .

هذا كله في الوقف بالنقل على غير المهموز .

الوقف بالنقل في المهموز بين الحجاز تميم :

أما المهموز عند الحجاز ، فإما أن يكون ما قبلها ساكناً ، أو متحركاً ، فإذا كان ما قبل الهمزة ساكناً نقلوا حركة الهمز إلى ما قبلها وحذفوها ، ثم حذفوا الحركة للوقف [4] ، فيقولون هذا الخبْ ، ورأيت الخبْ ، ومررت بالوثْ ، ورأيت الوثْ ، كما يقولون : هذا دِف – في دفء ، رأيت دفاً – في دفءا ومررت بدف . ولك في الوقف على هـذا الاسكان والروم والإشمام والتضعيف ومثل السيرافي لهذه الأنواع بقوله « هذا الوثْ ، والوثْ ، والوثّ ، والوثّ . بالإسكان والروم والإشمام والتضعيف [5] .

أما في حالة التنوين في المنصوب ، وقبل الهمزة ساكن ، فيقلبون التنوين ألفاً لا غـير فيقولون : رأيت بطاً ، وردًا ، وخبًا [6] ، وكل ذلك بالوقف مع حذف الهمزة لأن الأصل : بطء ، وردء ، وخبء .

فإذا كان ما قبل الهمزة متحركاً دبرت بحركة ما قبلها – فالخطأ – تقلب ألفاً دائماً ، رفعاً

---

(١) من لهجات الجزيرة بالسودان : ١٣٠ .

(٢) معجم كحالة : ١٠١٢/٣ .

(٣) شمس العلوم : ١١٥ للنشوان الحميري : ط بريل : لنشره عظيم الدين سنة ١٩١٦ م .

(٤) شرح الشافية : ٣١٤/٢ ، الهمع : ٢٠٩/٢ .

(٥) شرح السيرافي على سيبويه : ٤٣٧/٥ بمكتبة تيمور .

(٦) شرح الشافية : ٣١٤/٢ .

ونصباً وجراً . وأكمؤ – تقلب واواً دائماً في الأحوال الثلاث[1] ، وأهنيء تقلب ياء دائماً كذلك ولا يكون فيها إلا الإسكان دون الروم والإشمام .

هذا هو الوقف بالنقل عند الحجاز في المهموز الآخر .

أما الوقف على المهموز عند تميم – فإما أن يكون ما قبل الهمزة ساكناً أو متحركاً . فاذا كان ساكناً – فلهم فيه طرق :

١ – بعضهم يلقي على الساكن الذي قبل الهمزة حركة الهمز ، فمن ذلك قولهم : هو الوَثُؤْ ، ومن الوَثِيءْ . ورأيت الوَثأْ ، وهو البُطُوءْ ، ومن البُطِيءْ ، ورأيت البُطَأْ ، وهو الرِّدُؤْ ، ورأيت الرِّدَأْ[3] والسبب في الوقف بالنقل على ما آخره الهمزة – هو أن الهمزة خفية فهي أبعد الحروف وأخفاها ، وسكون ما قبلها يزيدها خفـاء ، ولذلك حركوا ما قبلها ، لأن تحريك ما قبلها يبينها . وهذا معنى قول سيبويه في الوقف بالنقل عليها « يريدون بذلك بيان الهمزة وهو أبين لها إذا وليست صوتاً »[4] .

٢ – وبعضهم يبقي الهمزة ويتبع العين الفاء في الرفع والنصب والجر فيقول « هذا البُطُؤْ ، ورأيت البُطُؤْ . ومررت بالبُطُؤْ ، وهذا الرِّدِيءْ ، ورأيت الرِّدِيءْ ، ومررت بالرِّدِيء

وبعضهم لا يقنع من بيان الهمزة بما ذكرناه ، بل يطلب أكثر من ذلك :

٣ – فمنهم من يحذف حركة الهمزة – ولا ينقلها ، ثم يقلب الهمزة إلى حرف علة يجانس حركة الهمزة فيقول : هذا الوَثْوْ – والبُطُوْ ، والرِّدْوْ ، ومررت بالبُطْيْ ، والرِّدْيْ بسكون العين في الجميع[5] .

٤ – ومنهم من ينقل الحركات إلى العـين في الجميع ، ثم يدبر الهمزة في القلب بحركة ما قبلها

---

(١) شرح السيرافي : ٤٣٦/٥ ، وكتاب سيبويه : ٢٨٦/٢ ، شرح الشافية : ٣١٤/٢ .

(٢) الكتاب : ٢٨٥/٢ - ٢٨٦ ، شرح الشافية : ٣١١/٢ ، الهمع : ٢٠٩/٢ .

(٣) الكتاب : ٢٨٥/٢ - ٢٨٦ .

(٤) السيرافي : ٣٣٤/٥ بمكتبة تيمور ، شرح الشافية : ٣١٢/٢ ، المفصل : ٣٣٩ الزمخشري ، الهمع : ٢٠٩/٢ .

(٥) شرح الشافية : ٣١٢/٢ .

فيقول : هـــذا البُطُو ، والوَثُو ، والرِدْو ، ومررت بالبُطِي ، والوَثي ، والرِدي[1] . وليس هذا القلب تخفيفاً للهمزة ، لأن هؤلاء ليسوا ممن يخففون الهمز ، بل هذا القلب للحرص على بيان الحرف الموقوف عليه .

وإذا كان ما قبل الآخر متحركاً :

١ – فمنهم من يقف عليه من غير قلب للهمزة ، لأن حركة ما قبلها تبينها مثل : هذا الرشأْ .

٢ – ومنهم من يبدل من همزته في الوقف حرف لين – حرصاً على البيان – مثل : هذا الكَلَوْ والخطوْ ، ومررت بالكلِيْ – والخطِيْ[2] ، ويقولون : رأيت الكلا ، لعـــدم الفتحة لخفتها كالعدم[3] .

ومن هذا العرض نستنتج أن العربي التميمي كان حريصاً أشد الحرص على بيان الهمز في الوقف ، لأن الهمزة لما كانت خفية في الوقف عليها – حرك ما قبلها ، ولا شك أن هـــذا التحريك قبلها يظهرها ، ويجعلها واضحة جلية في السمع – وهذه عادة أهل البدو – إذ يميلون إلى وضوح الأصوات ، أما لهجة الحجاز فكانت لا تحرص على بيان الهمزة في الوقف ، ولهذا قلبت عندها – حيث قالوا في الوقف : هذا الكلا والخطا في الكلأ والخطأ ، والأواخر دائماً محل التغيير .

سادساً : الوقف بالابدال :

(أ) ويظهر الخلاف في استعمال صيغة اسم الإشارة (هـــذه) – في حالتي الوصل والوقف ، فتميم تبدل ياء (هذي) في الوقف – هاء – فيقولون : هذه – بسكون الهاء ، فإذا وصلوا ردوها ياء ، فيقولون : هذي هند ، وهاذي شهور الصيف[4] .

وربما أن السبب في قلبهم الياء من (هذي) – هاء في حالة الوقف ، لأن الهاء أظهر من الياء في الوقف ، وإنما أبقوا الياء في (هذي) في حالة الوصل فقالوا : (هذي هند) ، لأن

(١) شرح الشافية : ٢/٣١٢ .

(٢) ابن يعيش : ٩/٧٤ .

(٣) شرح الشافية : ٢/٣١٣ .

(٤) الحجة : لأبي علي الفارسي : ١/٥٠ خـــط بدار الكتب رقم ١٩٥٥٣ قراءات ، الكتاب لسيبويه : ٢/٢٨٧ – ٢٨٨ ، السيرافي على سيبويه ٥/٤٤٠ خط تيمور .

ما بعد الياء يبينها ، فلا داعي لقلبها هاء ، وقرأ ابن محيصن على لهجـــة تميم في قوله تعالى (ولا تقربا هذي[1] الشجرة) في هذه ، وقرأ كذلك (هذي القرية) بياء ساكنة[2] .

أما أهل الحجاز – فينطقونها بالهاء – فيقولون (هـــذه) في حالتي الوصل والوقف ولعل السبب في ذلك أن الهاء أظهر من الياء ، والحضر لا سيا الحجاز يحرصون على إعطاء الصوت حقه كاملاً في البيان بدون أن يؤثر عليه صوت قريب أو مجاور له .

(ب) كما أن أهل الحجاز كانوا يقلبون الألف المتطرفة – واواً في الوقف فيقولون في « أفعى » « أفعَوْ »[3] والدليل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما حين قيل له : إني قتلت حية وأنا محرم فقال : هل نهشت إليك ؟ قلت : لا ، قال : لا بأس بقتل الأفعَوْ ، ولا يرمى الحِدوْ[4] ، وقـــد نسبها ابن الأثير إلى الحجاز[5] . والذي نراه في ذلك أن صوت اللين قد مر بعدة أدوار في تاريخ العربية ، بدليل أن مثل هذه الألف المتطرفة قد قلبت إلى ياء – في الوقف في بعض اللهجات العربية – كما جاء في اللسان[6] ، بل كانت طيء تقول في ذلك : أفعيْ – بالياء[7] ، ولهذا وجدنا صور الحرف اللـــين . فتارة نراه ألفا وأخرى واواً ، وأحياناً ياء ، وما هذه إلا تطورات وتقلبات لحرف اللين .

وقد وردت عدة روايات تفيد أن طيئاً كانت تقف على هذه الألف بالواو أيضاً – جاء في كتاب سيبويه « وزعموا أن بعض طيء يقول : أفعوْ »[8] ويقول السيرافي « ومنهم من يجعل الألف واواً »[9] فالسيرافي لم يحدد من يجعلها واواً ولكن ابن يعيش حدد هـــذا البعض حيث يقول « ومنهم » أي من طيء، لأنها في كتابه أقرب مذكور إلى الضمير – من يجعلها واواً»[10]

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٥ .

(٢) القراءات الشاذة : ٢٥ عبد الفتاح القاضي .

(٣) اللسان : ١٨/٢٠ .

(٤) الفائق في غريب الحديث : ١١٩/١ جار الله الزمخشري : دار احياء الكتب العربية : ط ١ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣٥/١ ط العثمانية : القاهرة .

(٦) اللسان : ١٨/٢٠ .

(٧) شرح الشافية : ٢٨٦/٢ ، شرح السيرافي : ٤٣٩/٥ بمكتبة تيمور .

(٨) الكتاب : ٢٨٧/٢ .

(٩) شرح السيرافي على سيبويه : ٤٤٠/٥ خط .

(١٠) ابن يعيش : ٧٧/٩ .

وأوضح من هذا وذاك ما جاء في شرح الحماسة للمرزوقي عندما تحدث عن بيت لتأبط شراً :

مطرق يرشَحُ موتــاً كما أطـ   رق أفعى ينفِث السَّم صِلُ

قال المرزوقي « وبعض طيء يقلب ألفه واواً ، فيقول : أفعو »[1] ، بل يرى السيوطي أن طيئاً كانت تنطق مثل هذا بالهمز أيضاً زيادة على الواو – حيث جــاء في الهمع : وربما قلبت الألف الموقوف عليها : همزة أو ياء أو واواً ، نحو : هذه أفعأْ – أفعيْ – أفعوْ – في هــذه أفعى ، وهذه : عصأْ – وعصيْ – وعصوْ – في هذه عصا ، الأولى والأخيرة لغــة بعض طيء »[2] ، كما جاءت رواية تشبه ما جاء في الهمع نقلها خالد الأزهري[3] . ومعنى هذا أن طيئاً – كانت تقلب الألف في الوقف ، تارة همزة مثل : عصأ ، وأخرى واواً مثل : عصو ، وحيناً ياء مثل : عصيْ – ولا أستطيع أن أفهم أن القبيلة الواحدة كانت تنطق بهــذه الأنماط اللهجية المتباينة ، ولهذا أرجح أن بطناً من طيء كان ينطق بالهمز وآخر بالواو ، وثالثاً بالياء ، أو ربما أن هذه اللهجات حدثت في طيء في أزمان متتالية لا في زمن واحد ، أو ربما أنهم كانوا يخصصون الواو بحالة الرفع ، والياء بحالتي النصب والجر – ثم جمع النحاة هذه الصيغ على أنها من استعمالات طيء بدون توضيح أو بيان ، ويظهر أن بعض القبائل الأخرى كانت تلتزم الياء كقبيلة فزارة فقد جاء في الهمع أن فزارة تقول : أفعيْ في أفعى[4] ، وعزاها صاحب التصريح إلى فزارة وقيس[5] وفي حماســة المرزوقي « وبعض قيس يقلبها[6] ياء » وفي كتاب سيبويه أنها لغة فزارة وناس من قيس وهي قليــلة[7] ولا منافاة بين تلك الروايات ، لأن فزارة قبيلة من قبائل قيس ، وفي الحجة لأبي علي : أن هذا حكي عن الخليل وأبي الخطاب[8] . وقد

---

(١) حماسة المرزوقي : ٨٢٩/٢ .

(٢) الهمع : ٢٠٦/٢ .

(٣) التصريح على التوضيح : ٣٣٩/٢ .

(٤) الهمع : ٢٠٦/٢ .

(٥) التصريح : ٣٣٩/٢ .

(٦) شرح حماسة المرزوقي : ٨٢٩/٢ .

(٧) الكتاب : ٢٨٧/٢ ، السيرافي : ٤٣٩/٥ مخطوط .

(٨) الحجة للفارسي : ٥١/١ خط رقم ١٩٥٥٣ .

يرد سؤال مؤداه : هل هذه القبائل كانت تبدل هذه الألف واواً أو ياء في الوقف فقط – أو في حالتي الوصل والوقف ؟ أرجح أنها كانت تبدل في حالة الوقف فقط ، لسببين :

١ – أن الوقف من مواضع التغيير :

٢ – أننا إذا وقفنا على كلمة (حبلى) مثلاً كانت الألف خفية – حتى يظنها السامع معدومة . ولهذا أبدلت في الوقف – لهذا – حرفاً من جنسها أظهر منها – وهي الياء أو الواو –أما إذا وصلت فقلت مثلاً « حبلى أخي » فإننا لا نحتاج إلى قلبها واواً أو ياء ، لأن ما بعد الألف يبينها ، هذا ما أرجحه بدليل ما جاء عن الاستراباذي « وأما إذا وقفت عليها (أي الألف) فتخفى غاية الخفاء .... ولهذا يبدلونها في الوقف حرفاً من جنسها »[1] فهو قد علل الإبدال بحالة الوقف ، وكذلك عللها كل من صاحب التصريح على التوضيح[2] وصاحب الهمع[3] ، والأشموني[4] ، ولهذا أشك في رواية عن السيرافي حيث يقول « وطيء يجعلون الألف ياء في الوصل والوقف »[5] كما أن ابن يعيش نقل نص السيرافي[6] ، وكلاهما على ما أظن لم يتحر الدقة ، والذي يرجح ما قلته ما جاء في المحتسب : وأنشده محمد بن حبيب :

إنّ لطيّ نسوة تحت الغضَيْ   يمنعهنّ الله ممن قد طغَيْ[7]
بالمشرفيات وطعن بالقنَيْ   . . . .

والشاعر عندما ينشد مثل هذا الشعر يقف : على الغَضى وطغَى والقنَا – وكلها بالألف ، ولما كانت الألف خفية أبدلها ياء ، لأن الياء أظهر من الألف ، فهذا الشاهد لا يكون إلا في حالة الوقف كما ترى ولهذا يقول ابن جني « وأكثر هذا القلب إنما هو في الوقف »[8] .

---

(١) شرح الشافية : ٢/٢٨٦ .

(٢) ٢/٣٣٩ .

(٣) ٢/٢٠٦ .

(٤) ٤/٢١٩ – ٢٢٠ .

(٥) شرح السيرافي : ٥/٤٤٠ خط .

(٦) ابن يعيش : ٩/٧٧ .

(٧) المحتسب : ١/٦٨ مخطوط بالتيمورية ، أنشده محمد بن حبيب .

(٨) المحتسب : ٢/٤٩ مخطوط بالتيمورية .

أما ما يمكن أن نعلل به – لقلب الألف واواً ، فالواو في أفعوْ – أبين وأظهر من الألف في « أفعى » ، ومن قال : أفعيْ – بالياء – فالياء أوضح من الألف ، وحروف اللين « الألف والواو والياء » كثيراً ما يحل بعضها مكان بعض . أما ما عزي إلى طيء من أنهم يحولون هذه الألف إلى همزة ومثل لها السيرافي بقولهم « رأيت رحلأ » بالهمز[1] ، فيمكن أن يعلل لها – بأن الوقف على أصوات اللين المتطرفة ، كان عسيراً على اللسان العربي ، ومثل هذا الوقف ما أشار إليه الأزهري حيث يقول « ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن كقولك للمرأة : افعليءْ ، وتسكت ، وللاثنين : افعلأْ ، وتسكت . وللقوم : افعلؤْ ، وتسكت ، وإنما يهمزن (أصوات اللين) لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة »[2] . ولعل هذه التطورات التي لحقت الألف اللينة – لكونها أضعف الحروف المعتلة ، فلهذا تعاورت عليها التغيرات .

ويبدو أن اللهجة الصفوية كانت تنطق مثل هذه الألف – بالياء – كفزارة وقيس ، « فقد رأى ليتمان أن الصفويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأفعال (مثل بكى ونجى، وأتى، ورعى وبنى) ألفاً ممدودة كما نقول في بكا وأتا أيْ « ai, ay » ، وذلك على نمط ما نفعل في عربيتنا وإنما كانوا ينطقون بها ياء على هذه الصورة « أيْ ai, ay » فيقولون بكيْ ورعَيْ وأتيْ »[3] ودلل ليتمان على رأيه : أنهم لو كانوا ينطقون بهذا الحرف ألفا لأسقطوه من الكتابة ، ولما أثبتوا الياء ، ولقالوا: آت – لأتى ورع – لرعى ، لأن من عادة الصفويين إسقاط الألف الممدودة « آ » من نهاية الكلمات ، ولقد توصل ليتمان إلى رأيه هذا من المقابلة بين هذه النصوص وبين النصوص اليونانية المقابلة لها[4] ، وهذا يشير إلى أن اللهجات العربية تشتمل على عناصر قديمة ، مغرقة في القدم – حفظها لنا التاريخ وسجلها .

(ج) وإذا كانت اللغة الفصحى – تقف على المنون بإبدال تنوينه ألفاً – إن كان بعد فتحة ، وبحذفه إن كان بعد ضمة أو كسرة بلا بدل . فإننا نرى بعض القبائل العربية تقف على المنون بإبدال التنوين ألفا بعد الفتحة ، وواواً بعد الضمة ، وياء بعد الكسرة – فهم يقولون : رأيت زيداً ، جاء زيدو ، مررت بزيدي ، وقد عزيت هذه اللغة إلى أزد

(١) شرح السيرافي : ٤٣١/٥ وما بعدها – مكتبة تيمور .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة : ١١٠ للأزهري ، تحقيق عبد الغفور عطار . ط ١ ١٣٧٦ - ١٩٥٦ .

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٥/٧ جواد علي .

(٤) المرجع السابق .

السراة كما في أمالي الشجري[١] ، وشرح الشافية[٢] ، وابن يعيش[٣] ، وأسرار العربية لابن الأنباري[٤] ، والأشموني[٥] ، وعزاها صاحب الهمـع إلى أزد الشرى[٦] ، وهي واحد ، لأن الأزد قبيلة واحدة ، وإنما اختلفت أسماؤها فقيل : أزد عمان ، وأزد السراة وأزد شنؤة ، لاختلاف الأماكن التي نزلت فيها ، ومما لاشك فيه أن مواطن الأزد القديمة – هي اليمن – وقد تركتها على أثر خراب السد ، والأزد هذه من أشهر قبائل العرب ، وقد وصفهم النبي (ﷺ) « بأنهم حكماء علماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء »[٧] ولتعليل لهجتهم هذه أرجح أنهم كانوا يفعلون ذلك لحرصهم على بيـان الإعراب عند الوقف ، لأن الإعراب غالباً ما يزول في الوقف ، ومن أجل هذا ألحقوا في حالة الرفع الواو ، وفي حالة الجر الياء – مبالغة منهم في بيان الإعراب وكماله . وقد نجـد صدى هـذه اللهجة في كتابة النبطيين حيث يقول ليتمان « إن النبط تعرف علامات الإعراب الثلاثة ، وأنهم كانوا يشبعونها »[٨] وكانت الواو كما يقول ليتمان تشير إلى أن الاسم معرب ، وأما الأسماء المبنية فكتبت بلا واو في آخر الاسم[٩] . كما يمكن أن تعلل هذه الواو بأنها نهاية صوتية استلزمتها طبيعة اللغة . والملاحظ في الأمثلة التي جاءت بهـا كتب العربية جميعاً – كإشارة للهجة أزد السراة – أنها تمثل بقولهم : جاء زيدو، ومررت بزيدي[١٠] . فهل يمكن أن تكون هذه الواو عبارة عن نهاية صوتية لحقت الأعلام المركبة عند ترخيمها أي أن (زيدو) لحقته الواو ، لأنه رخم من العلم المركب « زيد إيل »[١١] ؟

---

(١) ١/٣٨٠ - ٣٨١ .

(٢) ٢٠/٢٧٤ ، ٣١٧ ، ٢٨٠ .

(٣) ٩/٧٠ .

(٤) ١٣ ، ط دمشق .

(٥) ٤/٢٠٤ .

(٦) الهمع : ٢/٢٠٥ .

(٧) معجم كحالة : ١/١٧ .

(٨) محاضرات الدكتور خليل نامي في معهد اللغات الشرقية سنة ١٩٥٤ .

(٩) أسماء الأعلام : ليتمان : ص ٤٣ مجلة كلية الآداب مجلد ١٠ ج ٢ ١٩٤٨ .

(١٠) شرح السيرافي على سيبويه : ٥/٤١٦ ، ابن يعيش : ٩/٧٠ .

(١١) انظر : تاريخ العرب قبل الإسلام : ٧/٣٠٣ دكتور جواد علي – حيث مثـل للأسماء المركبة تركيباً مزجياً أو إضافياً في لهجة النبط .

وقد وصف ابن الشجري لهجة الأزد هذه بأنها « رديئة »[١]. وقد يكون سبب هـــذه الرداءة في لهجتهم – أنها تسبب ثقلا مفرطاً في موضع الاستخفاف ، لأن الوقف ما هو إلا راحة – فإذا أضيف في نهاية الكلمة الواو أو الياء – كان في الكلمة من الثقل مالا يخفى « ثم إن وقوع الواو وقبلها ضمة في آخر اسم معرب مما رفضوه في الكلام العربي »[٢] .

(د) ورد في ابن يعيش : أن من العرب من يجري الوقف مجرى الوصل فيقول في الوقف : هذا طلحت وهي لغة فاشية حكاها أبو الخطاب »[٣] وهذه القبائل التي تبدل هـــاء التأنيث تاء في الوقف غير معروفة في الرواية السابقة ، وقد جاءت في ابن يعيش في مبحث المذكر والمؤنث[٤] رواية مماثلة – مهملة العزو أيضاً . ولكن السيرافي في شرحه لسيبويه قد جاء برواية أتم وأوضح من رواية ابن يعيش حيث قال « إن من العرب قوما – وهم من طيء – يقفون على التاء فيقولون : شجرت وجحفت – يريدون شجرة وجحفة »[٥] وجاء في اللسان ما يؤيد ذلك : والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء – إلا طيئاً – فإنهم يقفون عليها بالتاء فيقولون : هذه أمتْ وجاريتْ وطلحتْ »[٦] .

وجاء في المصباح رواية عزت هذه الظاهرة إلى حمير حيث تقول : وفي لغة حمير تقلب الهاء في الوقف تاء فيقال : تمرت وطلحتْ[٧] « ومما يؤيد رواية المصباح ما جاء عن الأصمعي » يقال وثب الرجل إذا استوى قائماً أو قفز – ووثب الرجل إذا قعد ، ودخل رجل على ملك فقال له ثب . وثب بالحميرية اقعد – فوثب الرجل فتكسر ، فقال له الحميري – ليس عندنا عربيت ، من دخل ظفار حمر »[٨] وجاءت رواية مماثلة في كتاب الأضداد لابن السكيت[٩] . وفي رواية عن

---

(١) أمالي الشجري : ١/٣٨٠ - ٣٨١ .

(٢) أسرار العربية لابن الأنباري : ٤١٣ ط دمشق ، أمالي الشجري : ١/٣٨٠ .

(٣) ابن يعيش : ٩/٨١ .

(٤) ابن يعيش : ٥/٨٩ .

(٥) شرح السيرافي على سيبويه : ١/٦١ مخطوط في تيمور .

(٦) اللسان : ٢٠/٣٧٠ .

(٧) المصباح : ٢/٩٩٧ .

(٨) أضداد الأصمعي : ٤٥ تحقيق الدكتور هفنر .

(٩) ١٩٩ .

الأصمعي جاءت المخصص حددت هذا الملك – بأنه من ملوك حمير[١] . كما جاءت روايات مماثلة إلا في بعض الألفاظ في عدة أماكن مختلفة من معجم لسان العرب[٢] . ولا يعنينا الآن صـــدق هذه الحادثة أم كذبها بقدر ما يعنينا الوقف على الهاء – بالتاء في قوله « ليس عندنا عربيت » وأصلها : عربية فكأن لغة حمير تشيع فيها هذه الظاهرة أيضاً ولا يعكر علينا في هذا – إلا رواية أخرى قالها هذا الحميري في ذلك الموقف وهي : ليس عندنا عربية كعربيتكم » ، ويرجح ابن سيده تلك الرواية بقوله « وهو الصواب عنـــدي ، لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب »[٣] .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم لنرى رأيه – في تلك الظاهرة نجد أن بعض القراء وقفوا على هذه الهاء – بالتـــاء موافقة لصريح الرسم القرآني في (رحمت) التي وردت في البقرة والأعراف وهود وأول مريم وفي الروم والزخرف . وقد عزا صاحب الإتحاف هذا الوقف – إلى لغة طيء[٤] . ولعل ما ساقه السيوطي في قول بعض العـــرب عندما نادى « يا أهل سورة البقرت ، فقال مجيب : لا أحفظ فيها ولا آيت »[٥] هم طيء . فطيء عندما وقفت على هـــاء التأنيث – بالتاء – ما هو إلا احتفاظ بالطور الأقـــدم في ظاهرة التأنيث ، ولا أشك أن تاء التأنيث مرت بتاريخ قديم ، ولهذا نجدها حينا تاء – وأخرى هاء ، وتارة محذوفة ، إلى هـــذه الأشكال العديدة التي تبين أنها مرت بخطوات تطورية .

كما أننا نجد هذه اللهجة المعزوة إلى طيء في لهجات الحديث العامي – في البلاد العربية – مما يدل على احتفاظهم بتلك الظاهرة القدمى .

---

(١) المخصص : ٨٥/١٢ .
(٢) ٢٩١/٢ - ٢٩٢ ، ٢٩٤/٥ .
(٣) اللسان : ٢٩١/٢ .
(٤) إتحاف البشر : ١٠٣ .
(٥) الهمع : ٢٠٩/٢ .

هـ - « أنا » ضمير المتكلم بين الحجاز وتميم :

حدث خلاف بين البصريين والكوفيين في تركيب هذا الضمير ، فيرى البصريون أن الضمير هو الهمزة والنون، والألف الأخيرة زائدة « أتي بها في الوقف لبيان الحركة فهي كالهاء في اغزه وارمه - وإذا وصلت حذفتها كما تحذف الهاء في الوصل »[1] كما يؤيد ابن جني رأي البصريين بقوله « فأما الألف في » أنا « في الوقف فزائدة وليست بأصل ، ولم نقض بذلك فيها من قبل الاشتقاق ، هذا محال في الأسماء المضمرة ، لأنها مبنية كالحروف ، ولكن قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يزيلها ويذهبها ، كما يذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في الوقف ، ألا ترى أنك تقول في الوصل : أنا زيد » كما قال تعالى « إني أنا ربك »[2] يكتب في الوقف بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل »[3] ويقرر ابن يعيش زيادة الألف في (أنا) وهو مذهب البصريين[4] .

وأما علماء الكوفة فيرون : أن الألف بعد النون من نفس الكلمة ، أي الأحرف الثلاثة كلها ، وهي التي يتألف منها الضمير (أنا) ، يقول ابن يعيش « وقد كثر ذلك عنهم حتى قال الكوفيون إنها (أي الألف) من الكلمة وليست زائدة »[5] .

أما اللهجات العربية في هذا الضمير فهي :

(أ) اثباتها (أي الألف الأخيرة) وصلاً ووقفاً - وهي لغة تميم ، قال أبو النجم :

(أنا أبو النّجم وشعري شعري)[6]

---

(١) ابن يعيش : ٩٣/٣ .

(٢) سورة طه : الآية ١٢ .

(٣) المنصف لابن جنى على كتاب التصريف لأبي عثمان المازني : ٩/١ ط الأولى ١٣٧٣ هـ تحقيق المرحوم إبراهيم مصطفى وآخر .

(٤) ابن يعيش : ٨٤/٩ .

(٥) المرجع السابق : ٨٤/٩ .

(٦) الهمع : ٦٠/١ ، الدرر اللوامع على همع الهوامع : ٣٥/١ .

وجاءت رواية في كل من الأشموني[1] ، والجاسوس على القاموس[2] ، مؤداها عـــزو تلك اللهجة إلى تميم . وجاء في الخزانة قول الشاعر :

أنا سيفُ العشيرة فاعْرفوني   حميداً قد تذرّيت السّناما[3]

ويميل ابن جني إلى جعل هذين البيتين من قبيـــل الضرورة إذ يقول « وقد أجرت العرب كثيراً من ألفاظها في الوصل على حد ما تكون عليه في الوقف ، وأكثر ما يجيء ذلك ضرورة في الشعر[4]» وكأنه بذلك ينكر أن تكون «أنا» بالألف في حالة الوصل ــ إلا في الضرائر الشعرية ، ولكن يقف في سبيله ما جـــاء في قراءات القرآن الكريم ، إذ قرأ نافع « أنا أُحيْي وأميت »[5] ، « أنا آتيكَ بِه »[6] باثبات الألف في الوصل[7] ، والقرآن الكريم لا ضرورة فيه ، بل ساق السيرافي في مخطوطته قراءة من قـــرأ « وأنا أعْلَـمُ بما أخفيتمُ وما أعْلنتم » بإثبات الألف في الوصل[8] . والذي أميل إليه بين القائلين بالضرورة ، والذين يعزونها لتميم : أن ثبوت ألف (أنا) في الوصل لهجة تميم ، أما عند غـــير بني تميم فلا يكون إلا في ضرورة شعرية . وهـــذه الصيغة التميمية (أي النطق بالألف في أنا وصلاً ووقفاً) هي التي شجعت الكوفيين بأن يقولوا إن الألف بعـــد النون من نفس الكلمة أي أن الألف الأخيرة في ــ أنا أصلية وليست بزائدة كما يقول البصريون .

(ب) إثبات ألفه وقفـــاً ، وحذفها وصلاً[9] ــ وقال السيوطي عنها « بأنها الفصحى ولغة الحجاز »[10] وإثبات الألف وقفاً وحذفها وصلاً هو الذي جعل البصريين يقولون بزيادة

---

(١) الأشموني : ١/١١٤ .

(٢) الجاسوس للشدياق : ٤٧ .

(٣) خزانة الأدب للبغدادي : ٢/٣٩٠ .

(٤) المنصف : ١/١٠ ابن جنى ط أولى القاهرة .

(٥) سورة البقرة : ٢٥٨ .

(٦) سورة النمل : آية ٣٩ .

(٧) شرح السيرافي : ١/٢٥٠ تيمور .

(٨) الهمع : ١/٦٠ .

(٩) الأشموني : ١/١١٤ .

(١٠) الهمع : ١/٦٠ .

الألف الأخيرة في الصيغة . والحق أن البصريين جانبهم التوفيق عندما قالوا بزيادتها ، لأن الزائد هو مالا يلفظ به لا وصلاً ولا وقفاً والألف اللينة هنا ليست كذلك لثبوتها في أنا ـ وقفا لجميع القراء ، ولا شك أن الرسم مبني على الوقف والابتداء ، فلما ثبتت لم تكن زائدة ، ومما يقوي هذا احتفاظ لهجة تمـــيم بالألف في حالتي الوصل والوقف ، ومما استدل به على أصالة هذه الألف "ما جاء في سائر اللغات السامية : ففي آرامية العهـــد القديم في السريانية ، كما ترد أنا جـــزءاً في ضمير المتكلم في الأكدية في العبرية "[1] بـــل أن بعض العرب كان يكتبه كما كان ينطقه بألف لينة بعد النون ، كما يشاهد ذلك في نقش حران اللجا[2] ، وهو فيه « أنا شرحيل برظلمو[3] .... » فيرى الضمير عبارة عن أنا ـ بالألف اللينة ، فكل هذا يشير إلى أصالة المد ـ في أنا في حالة الوقف ، وذلك رأى الكوفيين .

(جـ) وجاء في الخزانة أن من العرب من يقول « أنه » إذا وقف ـ وهي لغة جيدة ، وهي في عليا تميم وسفلى قيس[4] . وعلل ابن جني لتلك الصيغة بقوله "فبينوا الفتحة بالهـــاء ، كما بينوها بالألف "[5] وقد ساق ابن يعيش شاهداً لتلك اللهجة من قول عربي عرقب ناقته لضيف فقيل له : هلاَّ فصدتها وأطعمته دمها مشويًّا فقال : « هـــذا فصْدي أنَـهْ » يريد « أنا » .

ولا أدري كيف عزا البغدادي صيغة (أنَـهْ) في الوقف لتميم وقيس ، لأن النصوص تتفق على أن هذه الصيغة في (طيء) ، وهدا العربي الذي نطق بتلك الصيغة ، ولا نعرف من أي قبيلة هو فيما جاء عن ابن يعيش ، قد عرف بأنه حاتم طيء في شرح الشافية [7] .

فصيغة « أنهْ » في الوقف لطيء ، ولعل هـــذه الصيغة نشأت كما يقول « بركلاند » [8] عن

---

(١) فصلة من مجلة كلية الآداب عن الضمير أنا ـ في اللغات السامية : ص ٣٩٧ د. السيد بكر يعقوب .

(٢) الدكتور نامي من مقال: ضمير المتكلم المرفوع: الفقرة الأولى، من فصلة من مجلة كلية الآداب مجلد ١٩ جـ١ .

(٣) تاريخ اللغات السامية : ١٩٢ دكتور ولفنسون .

(٤) الخزانة للبغدادي : ٤/٤٩٢ .

(٥) المنصف : ١٠/١ ط القاهرة .

(٦) ابن يعيش : ٩٤/٣ .

(٧) شرح الشافية : ٢٩٤/٢ ـ ٢٩٥ .

(٨) الضمير أنا ـ في السامية : للدكتور السيد يعقوب : ٣٩٩ فصلة من مجلة كلية الآداب .

صيغة الوصل أنَ ـ أي أن بعض العرب ممن يقولون أنَ ـ في الوصل ـ ظنوا أن هذه هي الصيغة الأصلية فلما أرادوا الوقوف عليها « وقفوا عليها بالهاء ـ بياناً لحركة النون وهذا معنى قول ابن جني « فبينوا الفتحة (التي على النون) بالهاء »[1] .

وأرجح أن هذه الهاء هي هاء السكت ـ جاءت لبيان الحركة ـ كالتي في قوله تعالى « ولم أدر ما حسابيهْ » ومثل هذه الهاء التي جاءت لبيان الحركة في الوقف ما جاء عن أبي زيد من أنه: سمع أعرابيًّا من أهل العاليـــة يقول « هو لكـَهْ وعليكـَهْ ، وجعل الله البركة في داركـَهْ »[2] ولاشك أن هذا الأعرابي يفعل ذلك في الوقف ، لأن الوقف يحتاج إلى بيان ، فإذا وصل حذف هذه الهاء لأن الحرف الذي يلي الكاف في الوصل يوضحها .

(د) وبعضهم يقول ـ آن ـ حكاها الفراء ، وفيهـــا قلبت الألف إلى موضع العين ويقول ابن يعيش ، « فإن صحت هذه الرواية كان فيها تقوية لمذهبهم »[3] أي الكوفيين وهذه الصيغة تشبه من يقول « راء » في رأى ، أي أنها مقلوب ـ أنا وقد عزاها صاحب التهذيب إلى قضاعة واستشهد لها بقول عدي :

ياليت شعري آنَ ذو عجّـــةٍ   متى أرى شربا حواليْ أصيص[4]

والناظر إلى هذا الشاهد ربما يحمله على الضرورة ، وبذهابنا إلى البحث في كتب الطبقات عرفنا أن عديًّا هذا من عاملة ، وعاملة من قضاعة[5] ، ولهـــذا رجحت أنها لهجة الشاعر القضاعية .

(هـ) ومن العرب من يسكن النون في الوصل والوقف وحكي « أن فعلت »[6] .

(و) أن تقلب همزة الضمير هاء مثل « هنا » في أنا[7] .

---

(١) المنصف : ١٠/١ ط القاهرة .

(٢) نوادر اللغة لأبي زيد : ١٧١ .

(٣) ابن يعيش : ٩٤/٣ .

(٤) اللسان : ١٧٩/١٦ .

(٥) الشعر والشعراء : ٢٣٧ ط السقا .

(٦) خزانة الأدب للبغدادي : ٤٩٢/٤ ، ابن يعيش : ٩٤/٣ .

(٧) انظر : شرح الشافية : ٢٢٣/٣ ، ٢٤ .

وأما المستشرقون فلهم آراء في تركيب هذا الضمير « أنا » يطول عرضها وبسطها [١] ولكن خالفهم في آرائهم بعض المحدثين وقد أيد ما يقول بأدلة قوية [٢] ، وإذ قلنا بأن لهجاتنا الحديثة في العالم العربي ما هي إلا إمتداد للهجات آبائنا الأقدمين من العرب رأينا في لهجاتنا الآن صدى للتّهجات السابقة ، فمن ذلك :

(أ) لهجة آن ـ المحكية عن الفراء سابقاً نسمعها الآن في بعض القرى المصرية كما تسمع في تونس [٦] وتلمسان ، ومالطة ، وهي لهجـــة في قضاعة وهي قلب لصيغة أنا ، ومثلها : راء في رأى .

(ب) صيغة « أنا » بإثبات الألف في الوصل والوقف توجد في سوريا ، ولكن بتخفيف النون ، وهذا التفخيم من آثار اللغة السريانية في سوريا كما توجد في مراكش[٣] .

(ج) صيغة : « أنِي » سمعت في بعض القرى المصرية ، وفي نابلس في فلسطين[٤] .

(د) صيغة : « أناْ » سمعها الدكتور خليل نامي في بلدة « الحجرية » في اليمن ، وعلل بأن ضمير المتكلم أصبح منتهياً . في بلاد اليمن بألف ممالة منبورة . ولوقوع النبر على الألف اللينة النهائية جعلهم يهمزونها لتظهر في النطق[٥] ، وفي مخطوطة السيرافي عن سيبويه « أن بعض العرب يقول : رأيت رجلأْ فيهمز ، وهذه حبلأْ »[٦] وربما فعلوا هـــذا لأن الهمزة فيها تبيان أتم من الألف ، فإذا وصلوا نطقوا ذلك بالألف .

سابعاً : الوقف بالحذف :

(أ) جاء في الهمع أن بعض العرب تحذف ألف ضمير الغائبة في الوقف ، ومثل لذلك بقولهم « والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ »[٧] ، وأما ابن دريد فقد كشف غموض قول الهمع في

---

(١) انظر : ضمير المتكلم المرفوع : ص ١٠١ للدكتور نامي ، الفلسفة اللغوية : ١١٧ جرجي زيدان تحقيق الدكتور مراد كامل .

(٢) الضمير أنا ـ في اللغات السامية : ص ٤٠١ وما بعدها تأليف الدكتور السيد يعقوب بكر .

(٣) محاضرات الدكتور خليل عساكر في معهد اللغات الشرقية سنة ١٩٥٣ .

(٤) مجلة كلية الآداب : ٣٨ مجلد ١٠ ج ١ .

(٥) محاضرات الدكتور خليل نامي في معهد اللغات الشرقية سنة ١٩٥٣ .

(٦) شرح السيرافي على سيبويه : ٣١/٥ ؛ مخطوطة بالتيمورية .

(٧) الهمع : ٢٠٦/٢ .

قوله « وهي لغـــة طيء »[1] وكذلك الأشموني حددها ببعض طيء[2] وكذلك سار ع
نهجه صاحب الدور ناقلاً عن الأشموني[3] ، ومما يؤيد أنها لطيء ما جاء عن عامر بن جو
الطائي من قوله :

فـــلم أرَ عليها خباســـة واجـــدٍ ونَهْنَهْتُ نفسي بعد ما كدتُ أفعلَهْ[4]

وتوجيه لهجة طيء السابقة – هي أنهم في الوقف حذفوا ضمير المؤنثة الغائبة فيقولون
ته بدلاً من تها ، وأصل : والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ) بها – ولكن طيئاً حذفت الألف
الأخيرة وسكنت الهاء بعد أن نقلت حركتها إلى الباء قبلها ، والأصل في بيت الطائي « أفعلها
أي الخصلة فحذفت الألف ، وألقيت فتحة الهاء على ما قبلها ، وحكي هذا التأويل في هـــذ
البيت عن أبي عثمان عن أبي محمد التوزي عن الفراء[5] .

وفي الإنصاف أنه استشهد بقول الشاعر :

فإني قـــد رأيت بدار قومي نوائب كنتُ في لَخْمٍ أخَافَهْ

والأصل (أخافها) فحذف الألف وألقى حركة الهـــاء على الفاء . وعزاها الانصاف
للخم[6] . وقد توهم بعض النحاة أن هذا الحذف للضرورة ولكنه محجوج بنقل الرواة السابقي
– وكلهم حجة – ثم إن هذه اللهجة قد جاءت عنهم في النثر مما لا يمكن أن يكون ضرور
فقد جاء عنهم « نحن جئناك بَهْ » أي : بها .

كما حكي أن بعض العرب قتل رجلاً يقال له : مرقمة ، وقد كلفه وآخر أن يبتلعا جردان
الحمار ، فامتنعا فقتل مرقمة ، فقال الآخر « طاح مرقمة » فقال له القاتل « وأنت إنْ لم تلقمَهْ »
فالأصل : تلقمها – فحذفت الألف وألقي حركة الهاء على الميم[7] « كما نجد قراءة قرآنية وافقت

---

(١) الجمهرة : ٢٣٤/١ .
(٢) الأشموني : ٢٠٥/٤ - ٢٠٦ .
(٣) الدرر اللوامع : ٢٣٣/٢ .
(٤) الجمهرة : ٢٣٤/١ .
(٥) الانصاف في مسائل الخلاف : ٣٣١/٢ .
(٦) الانصاف في مسائل الخلاف : ٣٣١/٢ ط حجازي .
(٧) المرجع السابق .

تلك اللهجة ، وذلك حيث قرأ علي وعروة قوله تعالى : « ونادى نوحُ ابنَه »[١] أي ابنها[٢] . فحذف الألف للوقف . كما أرجح أن ما جاء في نقش النمارة « تي نفسي من القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج »[٣] أن كلمة « كله » جاءت على الوقف بالحذف التي تسير عليها طيء وربما أنها كانت تقرأ « كلها » كما ورد أيضاً حذف ضمير الغائبة في الوقف في لهجة الجزيرة[٤] بالسودان في بعض أمثالها . أما موقف القرآن الكريم من هـــذه الظاهرة فكان لا يحذف ألف ضمير الغائبة في الوقف – أي كان يخالف لغة طيء ، ومثال ذلك قوله تعالى : « إذا زُلـْزِلت الأرضُ زِلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان مالها ، يومئذٍ تُحدث أخبارَها بأنّ ربّك أوحى لها »[٥] وقوله تعالى « حتى تضعَ الحربُ أوزارها »[٦] وقوله تعالى « أأنتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها »[٧] وقوله تعالى « فقد جاءَ أشـْراطها »[٨] وقوله تعالى « ومن عَمِيَ فعليهـــا » .

وقد ترد شبهة مؤداها : ما العلاقة بـــين طيء ولخم حتى تعزى لهما سمة لهجية واحدة . ؟ والجواب أنهما من قبائل اليمن . وإذا كانت طيء تنتقص من أطراف الكلمة ما تزيد في الوقف فهناك نصوص تؤيد أن طيئاً كان هذا ديدنها فقد جاء عنهم « كيف الاخوهْ ولأخواهْ »[٩] كما حكى قطرب عن طيء « كيف البنون والبناهْ »[١٠] كما وردت نفس هذه الحكاية في الأشموني[١١] فطيء كما يقول النحاة أبدلت من التــــاء – هاء في الوقف لأن الأصل : البنات والأخوات ، ويرجح الدكتور أنيس أن هذه الظاهرة ليست في الحقيقة قلب صوت إلى آخر ، بل هي حذف

---

(١) سورة هود : آية ٤٢ .

(٢) البحر المحيط : ٥/٢٢٦ .

(٣) تاريخ اللغات السامية : ١٩٠ ولفنسون .

(٤) من لهجات الجزيرة وأدبها بالسودان : ٣٣٦ .

(٥) سورة الزلزال : آية ١ – ٥ .

(٦) سورة محمد : آية ٤ .

(٧) سورة النازعات : آية ٢٧ .

(٨) سورة محمد : ١٨ .

(٩) التصريح : ٢/٣٤٣ .

(١٠) ابن يعيش : ١٠/٤٥ .

(١١) ٤/٣٣٤ .

الآخر من الكلمة[1] ، فليست هذه الهاء بمبدلة من التاء ، بل هي هاء السكت ، أما التاء التي في البنات فقد حذفت . وأميل إلى رأي الدكتور أنيس لأسباب :

١ – أن هـــذا يتفق مع مذهب طيء في حيفها على أواخر الكلمات وليس أدل على ذلك من قطعة طيء المعروفة .

٢ – أن قبيلة طيء بدوية ، والبدو تشيع فيهم تلك الظاهرة .

٣ – فإذا أضفنا إلى ذلك ما رواه ابن جني في محتسبه حيث يرى « أن عامـــة عقيل تقول في الفرات : الفراه »[2] وما عقيل إلا قبيـــلة بدوية ، وقـــد شاع فيها هذا الحذف مثل طيء تماماً .

فما خيل للنحاة أنه هاء متطرفة مبدلة من التاء كابن يعيش[3] والسيوطي[4] والأشموني[5] والتصريح[6] ليس بصحيح ، وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وجدنا أن الكسائي والبزي قد قرءا « هيهاه[7] هيهاه » وعزيت في الأشموني إلى طيء[8] ، وما عدا ذلك فقد آثر القرآن الكريم عدم الحذف في الوقف ، بل كان يقف على هذا الجمع بالتاء بدون حذف لهـــا في قوله تعالى في سورة الأحزاب « إنّ المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ... » .

ومن أجل هذا يقول السيوطي « والأفصح الوقف عليه بالتاء »[9] .

ومن هذا العرض يتضح أن طيئاً لا تنتظر – في وقفها ، لأنهـــا تتعجل نهاية الكلمة ،

---

(١) في اللهجات العربية : ١٢٤ ط ٢ .

(٢) المحتسب : ١/١٤٣ .

(٣) ابن يعيش : ١٠/٤٥ .

(٤) الهمع : ٢/٢٠٩ .

(٥) ٤/٣٣٤ .

(٦) التصريح : ٢/٣٤٣ .

(٧) التصريح على التوضيح : ٢/٣٤٣ .

(٨) الأشموني : ٤/٢١٤ .

(٩) الهمع : ٢/٢٠٩ .

ولا يضيرها أن تحذف بعض أصواتها – أما القرآن الكريم في وقفه فكان يميل إلى إعطاء الصوت حقه من البيان والوضوح .

(ب) وكما كان الوقف بالحذف في طيء – نجد نمطاً آخر من هـــذا الحذف ، وذلك فيما أنشده الكسائي :

بالخير خَيْرَاتٌ وان شرًّا فا ولا أريد الشر إلا أنْ تـــا[1]

وجاء في « كتاب الموشح » زعم أبو عبيدة أن حكيم بن معية قال :

قد وعدتني أمُّ عمرو أنْ تَـــا تَـدْهُنَ رأسي وتفلّيني وا
وتمسح القنفاءَ حتى تنْتَا[2]

والبيت الذي أنشده الكسائي – معزو إلى لقيم بن أوس ، ولكن من أي قبيلة هذا الشاعر ؟

فأبو زيد يعزوه في نوادره إلى لقيم بن أوس من بني ربيعـــة بن مالك[3] ، وتخبرنا كتب الأنساب – أن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[4] فالشاعر إذن تميمي . وأما صاحب البيت الثاني فهو تميمي أيضاً[5] .

فإذا أضفنا هذا إلى ما جاء في اللسان عند ما استشهد بقوله :

دعا فلانٌ ربّه فأسمعا .. بالخير خيرات وإن شرًّافا .. ولا أريد الشرّ إلاّ أن تـــا[6] . حيث نسب الظاهرة إلى بني سعد ، ولكن بني سعد – غير محصورين فهم كثر ، ولكنني أرجح أنهم سعد بن زيد مناة – وهم بطن من تميم ، وبذلك يتفق هذا الحمل مع تحقيقنا السابق وعزوه إلى تميم .

والشاعر أراد أن يقف على حرف واحد – ويحذف باقي الكلمة – وهـــذا الحذف كالإيماء

(١) شواهد الشافية : ٢٦٤/٤ .
(٢) شواهد البغدادي : ٢٦٦/٤ .
(٣) شواهد الشافية : ٢٦٨/٤ .
(٤) معجم كحالة : ٤٢٤/٢ .
(٥) شواهد البغدادي : ٢٦٦/٤ .
(٦) اللسان : ٣١٣/٢٠ .

والإشارة يقع من بعض العرب – وهو أشبه في أيامنا بأسلوب الشفرة ، وتقدير البيت الأول ، إن شراً فشر ، ولا أريد الشر إلا أن تشاء .

وهذا كقول الآخر :

(قلنا لها قفي فقالت قاف)[1]

وأصله : قالت : وقفت . فاقتصر من جملة الكلمة على حرف منها ، ولعل هـذا يقارب ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قـال في تفسير « ألـم » الألف آلاء الله ، واللام لطفه ، والميم ملكه[2] . ومثل هذا الحذف ما روي عن الرسول (ﷺ) « كفى بالسيف شا » يريد شاهداً[3] .

ومعنى هذا أن العرب تنطق بالصوت الواحد ليدل على الكلمة التي هو منها – فيجوز هذا الحذف في الوقف إذن في غير الضرورة حيناً ، ومما يؤيد ذلك عزوه لقبيل من العرب – وهم بنو سعد . ونفهم من هذا أن القبائل البدوية كسعد التميمية ، وطيء وكلاهما بدو يؤثرون الحذف في الوقف ، وذلك لأنهم يتعجلون نهاية الكلمة ، فيحذفون منها .

(جـ) وإذا كنا رأينا فيما سبق نمطاً لحذف الحروف أثناء الوقف – فاننا نرى شكلاً آخر من الحذف – وهو حذف الحركة أو اختلاسها في حالة الوصل ، وهذا عجيب في العربية ، لأن المعروف أن الوقف من مواطن التغيير ، ففيه يكون الحذف أو الإبدال أو التضعيف أما الوصل فمما تجري فيه الأشياء على أصولها .

ولهذا تأخذ الكلمة حظها من الوفاء والكمال أثناء الوصل ، ولذا كان الوصل عندهم أشرف من الوقف بل أقوم وأعدل كما يقول ابن جني[4] ، وذلك لأن الفائدة لا تكون إلا حيث الجمل فإذا قلت « لقيتهو أمس » أثبت الواو في الوصل ، وأما إذا وقفت عليهـا قلت « لقيته » بالسكون – فالوقف كما ترى قد ترتب عليه الحذف ، وأما الوصل فيعطي الكلمة حقها كاملاً . هذا هو المعروف في الفصحى ، ولكن عثرت على عدد من الفصيح فيها يظهر الحذف في أثناء الوصل أيضاً كحاله في الوقف على غير المعتاد المعروف – وأدلة هذا :

---

(١) شواهد الشافية : ٤/٢٦٥ .

(٢) شرح شواهد الشافية : ٤/٢٦٤ .

(٣) عبث الوليد : ٧٨ ط الترقي .

(٤) الخصائص : ٢/٣٣١ .

١ ـ ما جاء في الجمهرة ليعلى الأحول :

فبتُّ لدى البيت الحرام أخيــلهُ ومطوايَ مشتاقان (لَهْ) أرقان[١]

٢ ـ وروى اللسان عن قطرب قول الشاعر :

وأشرب الماءَ ما بي نحو هو عطشٌ إلاّ لان (عيونَهْ) سال واديها[٢]

٣ ـ كما أنشد أبو حزام العكلي :

لي والدٌ شيــخ (تهضُهْ) غيبتي وأظنّ أن نفاد (عمرِهْ) عاجلُ[٣]

٤ ـ وأنشد أبو عبيدة في كتاب المجاز :

وقــال ربيئُهم لمــا أتــانا (بكفِهْ) فومةٌ أوفو متان[٤]

وروى ابن جني في خصائصه : إن لنا لَكنّه مبقّةً مِفنّة ـ إلى أن قال :

كالذئب وسْط القنّة إلا (ترهْ) تظنّه[٥]

والمتبع أن هذا الضمير في الوصل يجب أن تتمكن فيه واوه أو ياؤه كما في (نحو هو) في البيت الثاني وكان المتبــع في البيت أن يكون (تهضّهو) لأجل الوصل ، كما أن البيت الأول يجب أن يكون الضمير فيه (مشتاقان لهو أرقان) بدل (لهْ) ولكن كثرة من النحاة ـ ذهبوا إلى أن هذا الحذف ـ ضرورة[٦] ، بل ذهب أبو إسحاق الزجاج الى أنه غلط بين[٧] .

وينقل صاحب الخزانة عن ابن السراج أن هذا من قبيل الضرورة عندهم ، ويعلل لهذا بأنه

---

(١) الجمهرة : ١١٨/٣ .
(٢) اللسان : ٣٦٧/٢٠ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الجمهرة : ١٦٠/٣ ، مجاز أبي عبيدة : ٤١/١ .
(٥) الخصائص : ١٢٨/١ .
(٦) ضرائر الألوسي : ٨٢ .
(٧) البحر : ٤٩٩/٢ .

جاء في الشعر حذف الواو والياء الزائدة في الوصل مع الحركة ، كما هي في الوقف[1] سواء وقول ابن السراج، بأنه جاء في الشعر، دليل على أنه ضرورة، وثانياً على أنه لم يأت في النثر . ويبدو أن سيبويه هو الآخر كان يقول في مثله بالضرورة بدليل قول أبي حيان « ولم يحكها سيبويه »[2] وكأن سيبويه ينكرها أن تكون لهجة .

إلا أنني أرى أن هؤلاء جميعاً قد جانبوا الصواب – أو جانبهم ، وذلك لأنني اتجهت إلى القرآن الكريم كعادتي في كل مشكلة ، فوجدت أن عدة آيات كريمة قرئت على نمط الأبيات السابقة أي بتسكين الهاء المضمرة – في حالة الوصل ، وهي :

١ – قوله تعالى « وَمَنْ يُرِدْ ثوابَ الدّنيا نؤته منها ، ومن يردْ ثوابَ الآخرةِ نؤته منها »[3] فقد قرأ قالون والحلواني عن هشام باختلاس الحركة في (نؤته) – كما قرأ آخرون بالسكون (نؤتهْ)[4] .

٢ – وجاء في اللسان أن اللحياني أسند إلى الكسائي قوله . سمعت أعراب عقيل وكلاب أنهم يجزمون الهاء في الرفع ، ويرفعون بغير تمام ، ويجزمون في الخفض ، ويخفضون بغير تمام فيقولون : « إن الانسان لربهْ لكنود » بالجزم ، « ولربهِ لكنود » بغير تمام »[5] .

٣ – وفي قوله تعالى « وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْري فإنّ لهُ معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى »[6] فقد نقل ابن خالويه عن أبان بن تغلب (نحشرهْ) بسكون الهاء[7] ، وجاءت رواية مماثلة في البديع[8] .

وفي قوله تعالى « فَمَنْ يَعْمَل مثقالَ ذرّةٍ خيراً يره ، ومن يعمل مثقالَ ذرّةٍ شراً

---

(١) الخزانة : ٤٠١/٢ – ٤٠٢ .

(٢) البحر المحيط : ٥٠٢/٨ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٤٥ .

(٤) البحر المحيط : ٧١/٣ .

(٥) اللسان : ٣٦٧/٢٠ .

(٦) سورة طه : آية ١٢٤ .

(٧) البحر : ٢٨٧/٦ .

(٨) مختصر شواذ القرآن : ٩٠ ابن خالويه .

يره »[1] فقد قرأ هشام وأبو بكر – بسكون الهاء فيها من (يرهْ) . ثم قال أبو حيان : والإسكان في الوصل لغة حكاها الأخفش ، كما حكاها الكسائي أيضاً عن بني كلاب وبني عقيل »[2] .

٥ – قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة والأعمش قوله تعالى « ومِنْ أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنْهُ بدينار لا يؤدّه إليك »[٣] – بسكون الهاء وصلاً في (يؤدهْ) كما روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب – أنهم يختلسون الحركة في هذه الهاء وأنهم يسكنون أيضاً [٤] .

٦ – كما قرأ بالحذف والإسكان في قوله تعالى « يَرْضه لكم »[٥] وقوله تعالى « أرْجِه وأخاه »[6] فقد قرأ عاصم بإسكان الهاء في (أرجهْ)[7] وقوله تعالى « طعام ترزقانِه إلاّ نبأتكما بتأويله »[٨] ، وقوله تعالى « إنْ لَمْ يَرَه أحد »[٩] فقد قرأ بالاسكان هشام[10] . كما ورد أن ابن عباس قرأ « ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابنيّ اركب معنا »[11] بسكون الهاء من ابنه) ، وعقب على تلك القراءة ابن عطية وأبو الفضل الرازي بأنها « على لغة لأزد الشّراة »[١٢] وقال ابن جني في المحتسب (وأما ابنهْ – بجزم الهاء فعلى اللغة التي ذكرناها لأزد السراة)[١٣] .

---

(١) سورة الزلزال : آية ٧ – ٨ .

(٢) البحر : ٨/٥٠٢ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٧٥ .

(٤) البحر المحيط : ٢/٤٩٩ .

(٥) سورة الزمر : ٧ .

(٦) سورة الأعراف : ١١١ ، وسورة الشعراء : ٣٦ .

(٧) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦ .

(٨) سورة يوسف : آية ٣٧ .

(٩) سورة البلد : ٧ .

(١٠) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦ .

(١١) سورة هود : ٤٢ .

(١٢) البحر : ٥/٢٢٦ .

(١٣) المحتسب في شواذ القراءات : ١/٤٠٢ مخطوطة بالتيمورية .

وقد أتيت بتلك الإحصائية لهذه الظاهرة ، حتى تكون حاجزاً منيعاً في وجه عبث النحاة ، وحملهم هذه الظاهرة على الضرورة ، بل بعض هؤلاء النحاة قد تجرأ فخطأ هـــذه القراءات القرآنية السابقة كأبي إسحاق الزجاج حيث يقول : والإسكان الذي روى عن هؤلاء (يقصد القراء) غلط بين ، لأن الهاء لاينبغي أن تجزم ، وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في الوصل»[١] ومثله السيرافي في شرح سيبويه[٢] .

وواضح وهن ما يقوله الزجاج وأعوانه من النحويين ، لأن ما يعلل بـــه للطعن في هذه القراءات – عليه مسحة المنطق ، واللهجات لا يصح أن نخضعها للمنطق ، لأنها حرة متطورة لا تخضع لهوى النحاة وقوانينهم العقلية ، كما أننا لسنا مكلفين بأن نتعبد بأقوال النحاة وقوانينهم المنطقية .

ثم إن هذه القراءات منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العـــلاء – العربي الصريح ، والقارىء الذي لايتهم ، ومنقولة أيضاً عن الكسائي – شيخ المدرسة الكوفية وحسبك هذان الرجلان تَثَبّتاً وعلماً ، في علوم القرآن واللغة ، ثم إن حقل العربية ليس مقصوراً على النحاة وحدهم – يعبثون ويقننون فيه حسب هواهم وميولهم ، فإذا ثبت – وقد ثبت – أن من القراء جماعة من النحويين – فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القـــراء لهم ، ثم إن ما ينقله النحويون آحاد – ونقل القراء في تلك القراءة متواتر فالقراء أعدل ، فإذا أضيف إلى ذلك : أن تلك القراءة – التي وافقت لهجـــة عقيل وكلاب سبعية – كان موقف النحاة أو هى من بيت العنكبوت ، لأن القراء نقلوها عن صاحب الرسالة (ﷺ) .

ويبدو من تاريخ الزجاج أنه كان دائب الطعن والخصومة يقول عنه أبو حيان « وأبو إسحق الزجاج يقال عنه ، إنه لم يكن إماماً في اللغـــة ، ولذلك أنكر على ثعلب في كتابه الفصيح مواضع زعم أن العرب لا تقولها – ورد النـــاس على أبي إسحق في إنكاره ونقلوها من لغة العرب »[٣] .

وهنا أمر لابد من ملاحظته ، يقوي مذهب القراء القائلين بأنها لهجة ويدحض جانب النحويين بأن هذه الظاهرة – ضرورة – وهو أن البيت الأول من الشواهد التي سقتها آنفا هو

---

(١) البحر : ٤٩٩/٢ .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٢٦٤/١ مخطوط بمكتبة أحمد تيمور .

(٣) البحر المحيط : ٥٠٠/٢ .

ليعلي الأحول ـ وإذا توجهنا إلى كتب الأنساب نسألها عن قبيلة هـــذا الرجل أخبرتنا أنه من شكر : وهي بطن من الأزد ، من القحطانية[1] ، ومعروف مما سبق أن القـــراء عزوا هذه الظاهرة إلى أزد السراة ، فكأن هذا البيت الذي نطق به يعلى الأحول يجب أن يكون إسكان الضمير في (لهْ) لغة لقبيلته ـ لا صنعة ولا ضرورة ، كما يقول السيرافي[2] في شرحه على كتاب سيبويه ، وبذلك نجد شاهداً من أحد رجال القبيلة الأزدية ـ على ظاهرة لهجية أزدية ، أكدها القرّاء ، بل قرأ بها أئمة منهم ثقاة في قراءة سبعية لا مجال لإنكارها أو النيل منها ، ثم إن هذه الظاهرة قـــد وردت في النثر ، وذلك أن الكسائي سمع أعراب كلاب وعقيل يقولون : « له مال »[3] بسكون الهاء ، وأرى أنه لا ضرورة في النثر كما لا ضرورة في القرآن الكريم ، وقد احتج ابن خالويه للقراءة القرآنية التي جاءت على لهجة هـــذه القبائل بقوله « فمن قرأ : أرجه وأخاه » بالسكون فحجته ـ أنه توهم أن الهاء آخر الكلمة فأسكنها دلالة على الأمر ـ أو تخفيفاً لما طالت الكلمة بالهاء »[4] .

ولكن ما العلاقة بين عقيل وكلاب والأزد ـ حتى تتفق جميعها في ظاهرة واحدة ؟ أرى أنه لا علاقة قوية تربطها لا سيما أن عقيلاً وكلاباً في الجهة الشرقية من الجزيرة ، والأزد في الجهة الغربية منها ـ ولكن من تاريخ هذه القبائل أرى أن عقيلاً وكلاباً كلاهما من القبائل القيسية ، وكانت مساكن عقيل في البادية من نجد ، كما أن كلاباً وهي بطن من عامر بن صعصعة ـ كانت بعض منازلها مقسمة في نجد في حمى ضرية[5] وبعضها الآخر في جهات المدينة والغالب على القسم الأول البداوة ـ كما أرجح أن من كان ينطق بتلك الظاهرة من أزد السراة كان بدواً كذلك ـ فتكون هذه الظاهرة أخص ما تكون في البدو ، لأن فيها حيفاً للكلمة ، إذ هم يتعجلون نهاية الكلمة ويسرعون في النطق بآخرها وهذه من سمات البدو ـ ولهـــذا سقط الصوت المتصل بالضمير (لهو) ثم سكن ـ فصارت في لهجتهم (لهْ) ، ويبدو أن ضمير الغائب مر بأطوار كثيرة ، لأننا تارة نراه (هُو) وأخرى نراه ـ (هُ) .

وقد ساق له السيرافي على شرح سيبويه أمثلة[6] كثيرة وأخيراً رأيناه هاء ساكنة ـ كما في

---

(١) معجم قبائل العرب : ٦٠٣/٢ .

(٢) شرح السيرافي : ٢٦٤/١ مخطوط .

(٣) البحر : ٧١/٣ ، واللسان : ٣٦٧/٢٠ .

(٤) الحجة لابن خالويه : ورقة ٥٠ مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب .

(٥) معجم كحالة : ٩٨٩/٣ .

(٦) انظر : أمثلة ـ كثيرة ساقها السيرافي على سيبويه : ٢٦٣/١ وما بعدها : مخطوط .

لهجة عقيل وكلاب (هْ) ومما يرجح أنها سمـة أليق بسمات البدو ما جاء في اللسان من أن الكسائي « سمعها من أعراب عقيل وكلاب » [1] ولاشك أن الأعراب هم البدو ـ لا الحضر .

ونحن في لهجاتنا الحديثة في مصر نقول : « إنت عملتْ لهْ إيه » بسكون الهاء . « وهُوّ لمّا قابلهْ قالّ لهُ الكلامْ دِهْ » بحذف صلة الضمير وتسكينه ـ وهي أشبه بلهجة عقيل وكلاب .

الوقف على القوافي بين لهجات القبائل :

ومما يتصل بظاهرة الوقف ـ الترنم في القافية ، وقد كان الوقف والوصل عليها محط خلاف بين الحجاز وتميم ، ومما لاشك فيه أن الموسيقى في الشعر وإنشاده تثير فينا راحة نفسية ، لما تشتمل عليه من انسجام من حيث شكلها ومقاطعها وحجمها ولونها فالإحساس بالنغم هو لب الشعر والإنشاد .

وكأن العرب لم يقتصروا على التشريع للكلمة المفردة ، ولكنهم شرعوا لها أيضاً باعتبارها وحدة غنائية ذات أبعـاد إيقاعية مقفاة ، تخضع قافيتها للترنم الموسيقى ، وتتحدث كتب الأخبار والتاريخ على أن العرب كانوا ينشدون أشعارهم في الأسواق والمحافل ، كما روي أن الرشيد كان يطرب لإنشاد الشعر أكثر من طربه للغناء [2] ، ولهذا كان شوقي ـ ولم يكن يحسن إنشاد الشعر ـ يتخير لأشعاره من ينشدها في المحافل حتى تهز السامعين ، وتثير من مشاعرهم ما كان هامداً ، ولا يتم هذا الانشاد إلا بملاحظة التفاعيل الشعرية ، وانسجام النغم الموسيقي ، ذلك النغم الذي يتردد آناً صاعداً وآخر هابطاً ليتحقق من وراء ذلك الانسجام الموسيقي ، والمتعة النفسية ، ويظهر أن فواصل القرآن الكريم كان يتحقق فيها قدر كبير من هذا الانسجام الذي نشعر به في إنشادنا للشعر ، بل حرص القرآن الكريم على تحقيق الانسجام الصوتي والموسيقى في الفواصل ، فمن ذلك : تقـديم ما هو متأخر في الزمان نحو « فَلِلَّـهِ الآخرة والأولى » ولولا مراعاة الفواصل لقدمت « الأولى » كقوله تعالى « له الحمْد في الأولى والآخرة » أو حذف آخر الفعل دون أن يسبقه جزم أو نهي نحو قوله تعـالى « والفجرِ وليالٍ عشر ، والشَفْع والوتر ، والليل إذا يسْر » فحذف اليـاء من غير أن يتقدم عامل الجزم ، ليمكن القاريء من أن يقف على الراء بالسكون ، كما يقف على راء الفجر ، والوتر ، فيتحقق الانسجام والتآلف الموسيقي وكذلك قوله تعالى « وقالوا لاتذرُنّ آلِهَتَكُم ولا تَذَرُنّ وُدّاً ولاسواعا

---

(١) اللسان : ٣٦٧/٢٠ .

(٢) جرجي زيدان : ٦٤/١ تاريخ آداب اللغة العربية .

ولا يَغُوثَ ويعوقَ ونسْرا »[1] حيث قرأ الأشهب والأعمش « ولا يغوثاً ويعوقاً » بتنوينها ، والسبب في ذلك هو الانسجام مع « ودّاً » ومما يؤكد أن القرآن كان يراعي الفواصل ، وينتقي لهـا ألفاظاً تحقق انسجاماً ونغماً موسيقيا ما نراه واضحاً في قوله تعالى « تلك إذاً قِسْمَةٌ ضِيزى » ولم يقل « جائرة » لأن سورة النجم تختم فواصلها بحرف المد ، كذلك اختار « الحطمة » في قوله « كلا لينبذن في الحطمة » ولم يقل جهنم أو النار ، لأن فواصل السورة تحتم هذا الوزن دون غيره ، ومثل ذلك ما نراه في قوله تعالى « سأصليه سقر »[2] ولم يقل « جهنم » لمراعاة فواصل السورة ، كما راعى ذلك في قوله « كلا إنّها لظى »[3] ولم يقل « سقر »[4] وكل هذا لأن القرآن الكريم يحرص على الموسيقى في فواصله ، لأن هذه الفواصل تشبه القافية في الشعر حتى قال السيوطي « فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر ، وقافية البيت في الشعر » ولهذا كله يحسن الوقف على فواصل الآيات ، وكأنما رءوس الآيات الكريمة قواف شعرية تستريح إليها الآذان ، وتسترخي لها الأعصاب ، وتهدأ لها الخواطر ، ومن أجل هذا حرص القرآن على زيادة حرف المد في قوله تعالى وَتَظُنُّون بالله الظنونا »[5] فالألف التي بعد النون الأخيرة جاءت لتناسب الفواصل في السورة الكريمة ، وكذلك « سلسبيلا » في قوله تعالى « عيناً فيها تسمّى سلسبيلا »[6] وحرص القرآن على الوقف على الفواصل لتستمتع الأذن بموسيقاها ، أو كما قـال السيوطي « وحكمته وجود التمكن من التطريب » وليس معنى هـذا أن القرآن الكريم حافظ على الفواصل للنغم الموسيقي فقط ، بل واءم بينها وبين لقاء المعاني ، فالقرآن كان حريصاً على تلاقي الجمال الموسيقي مع المعاني ، فتقديم الآخرة في قوله تعالى : « وبالآخرةِ هُمْ يوقنون »[7] ليس لمجرد تناسب الفاصلة فقط مع ما قبلها وهي « ينفقون »[8] وإنما راعى جانب المعنى ، وهو أنه يريد لها فضل اختصاص .

---

(١) سورة نوح : آية ٢٣ .

(٢) المدثر : آية ٢٦ .

(٣) سورة المعارج : ١٥ .

(٤) الإتقان للسيوطي : ٢/١٠٠ .

(٥) سورة الأحزاب : آية ١٠ .

(٦) سورة الانسان : ١٨ .

(٧) الإتقان : ٢/١٠٥ للسيوطي .

(٨) سورة البقرة : آية ٤ .

(٩) سورة البقرة : آية ٣ .

وكذلك كان العرب يترنمون بأشعارهم ، وذلك أن الشعر وضع للغنـــاء والترنم ، والغناء يحتاج إلى ألحان موزونة ، ونغم منظومة تكرر على مقادير من الحروف ، ويقول السيرافي « لذلك احتاجوا إذا ترنموا إلى الحروف التي يمد فيها الصوت ، وهي الألف والواو ، والياء ، وهذه الحروف مأخوذة من الحركات »[١] ، لأنهم أرادوا مـــد الصوت ليحققوا الإشباع الموسيقي .

وللعرب في حرف الروي مذاهب :

١ - فإذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لاينون ، لأنهم أرادوا مـــد الصوت وذلك قولهم : (قفا نبك من ذكرى حبيب[٢] ومنزلي)

وفي حالة النصب ليزيد بن الطثرية :

فبتنا تَحيدُ الوحش عنـــا كأننا ... قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا[٣]

وفي المرفوع قول الأعشى :

(هريرةَ ودّع وإنْ لام لائمو)[٤]

هذا في المنون ، وفي غير المنون ما قال جرير (أقلي اللوم عاذل والعتابا)[٥]

وفي الرفع ما قال جرير :

متى كان الخيام بذي طُلوحٍ ... سقيت الغيثَ أيتها الخيامو[٦]

وفي الجر كقول جرير :

أيهاتَ منزلنا بنعْفِ سُويقةٍ ... كانتْ مباركة مع الأيامي[٧]

(١) شرح السيرافي على سيبويه : ٤٨٠/٥ بمكتبة تيمور .

(٢) القائل هو امرؤ القيس .

(٣) الشنتمري على سيبويه : ٢٩٨/٢ .

(٤) شرح السيرافي على سيبويه : ٤٧٧/٥ .

(٥) الشنتمري على سيبويه : ٢٩٨/٢ .

(٦) الكتاب : ٢١٨/٢ .

(٧) شرح السيرافي : ٤٨١/٥ .

ولاشك أن مثل هذا المد تتحقق به الاستراحة التي يميـــل إليها الشاعر في نهاية القافية ، وذلك بمثابة السكتة الزمنية في الإيقاع ، بل كانوا يستعينون أحياناً بالهاء والألف ، أو بالهاء والواو أو بالهاء والياء كقوله :

لمـــا رأيت الدهر جمًّا خبلهو أخطل والدهرُ كثير خطلهو[1]

أراد « جما خبلـُهُ »

٢ – وإذا أنشدوا على غير وجه الترنم فعلى ثلاثة أوجه :

(أ) بعضهم أجرى آخره مجرى الترنم ، ولزم الأصل الذي يوجبه الشعر من التغني به وفرقوا بينه وبين الكلام المنثور ، وهؤلاء هم الحجازيون[2] .

(ب) وبعضهم يبدلون مكان المدة النون – إذ أنهم لا يريدون الترنم . كقول الشاعر :

(يا أبتا علـّك أو عساكـَنْ)[3]

وما عزي للعجاج : (ياصاح ما هاج الدموع الذ ّر ّفن ْ)[4]

وقوله أيضاً : (من طلل ٍ كالأتحمى ّ أنهجن ْ)[5]

وعزا هذا الضرْب السيرافي إلى تميم[6] . وكذلك الأشموني[7] . وابن يعيش[8] . وصاحب مغني اللبيب[9] . وتفرد البغدادي فعزاه إلى تميم وقيس[10] . وأطلقوا عليه تنوين الترنم[11] ،

---

(١) شرح السيرافي : ٤٨١/٥ مخطوط .

(٢) شرح السيرافي : ٤٧٧/٥ .

(٣) خزانة الأدب : ٤٤٢/٢ ، ٣٤/١ ، ٢٣٥/٣ .

(٤) شرح السيرافي : ٤٧٨/٥ ، كتاب سيبويه : ٢٩٩/٢ .

(٥) التصريح : ٣٧/١ .

(٦) شرح السيرافي : ٤٧٨/٥ .

(٧) ٢٢٠/٤ .

(٨) ٣٣/٩ - ٣٤ .

(٩) ٢٤/٢ .

(١٠) الخزانة : ٣٤/١ ، ٢٣٥/٣ .

(١١) ابن يعيش : ٣٣/٩ وما بعدها .

وهو يلحق أواخر القوافي المطلقة التي في آخرها حركة ، وإذا كان النحاة قد أطلقوا عليه (تنوين الترنم) فتكون تلك التسمية قد خالفت أثره ، إذ أنه في الواقع يقطع ترنم المنشد حين يشبع الحركة بما يجانسها من حروف العلة ، فينطق بنون ساكنة تصحب الحركة القصيرة ، ولهذا كان سيبويه على حق حين قال عنه إنه « لقطع الترنم »[١] وكذلك وافقه السيوطي[٢] ، وذلك لأن الترنم لا يحصل إلا بأحرف الاطلاق ، لقبولها مد الصوت فيها ، ولذلك أرى أن ابن يعيش والبغدادي قد جانبهما الصواب حين أطلقا عليه « تنوين الترنم »[٣] وقد ساق الرواة شواهد عدة لتنوين الترنم ، وأكثر الناطقين به من تميم[٤] ، مما يؤكد أنه من صفاتهم اللهجية .

(جـ) وبعضهم يجري القوافي مجراها لو كانت في الكلام ، ولم تكن قوافي شعر ، جعلوه كالكلام حيث لم يترنموا وتركوا المدة لعلمهم أنها في أصل البناء ، وذلك كقول جرير – كما سمعناهم ينشدونه :

(أقلي اللـَّومَ عاذل والعتابْ)[٥]

وللأخطل : (واسألْ بمَصْقلةَ البكريِّ ما فعلْ)[٦]

فالشاعران ذهبا إلى ترك الترنم والانشاد الموسيقى ، ولهذا زال عن البيتين السابقين ما يقصد به من الشعر الموزون ، وكأنهم يتكلمون نثراً ، فلما زال الترنم احتمل النقصان في الوزن العروضي ، وذلك أن الغناء والترنم قد زالا فزال معهما تمام الوزن واستيفاء النغمة ، وأصل بيت الأخطل (ما فـَعَلا) فـَحَذفَ الألف حيث لم يرد الترنم ، ومد الصوت .

وهناك أنواع أخرى من التنوين ، كتنوين التمكين ، وتنوين التنكير ، وتنوين المقابلة وتنوين العوض ، ولكن جميع ذلك لاصلة لنا به – لأنه ليس محطـًّا لاختلاف اللهجات العربية ولكن موضوعنا يدور حول ما يسمى بتنوين « الترنم » أو على الأصح « قطع الترنم » كما رجحناه .

---

(١) مغني اللبيب : ٢٤/٢ .

(٢) الهمع : ٨٠/٢ .

(٣) مغني اللبيب : ٢٤/٢ ، الخزانة : ٣٤/١ ، ٢٣٥/٣ .

(٤) انظر : الهمع : ٨٠/٢ ، الدرر اللوامع : ١٠٣/٢ ، الأشموني : ٣١/١ ، شرح السيرافي : ٤٧٨/٥ ، شرح المفصل لابن يعيش : ٣٣/٩ وما بعدها .

(٥) الهمع : ٢١١/٢ ، الأشموني : ٢٢٠/٤ .

(٦) الشنتمري على سيبويه : ٢٩٩/٢ .

ويظهر والله أعلم – أن لهجة تميم – كانت النغمة الموسيقية عندها في حال الوقف – نغمة هابطة ، وكانت القافية تميل إذ ذاك إلى الفناء في أصواتها وحركاتها وذاك يلائم الطابع العام للهجتها حيث كانت تميل إلى السرعة في نطقها ، وتتلمس أيسر السبل لذلك ، ولهذا تركت الترنم في الإنشاد فزال معه تمام الوزن ، وحل به النقص ، وقصر الصوت ، كما يظهر أن فناء الأصوات واختصارها لم يكن خاصاً بتميم ، بل ربما شمل قيساً وأسداً ، وذلك كما يقول البغدادي « إذ يحذفون في الوقف – الواو والياء اللتين هما علامة المضمر – كقول الشاعر :

لا يُبعِد الله أصحاباً تركتهم ... لم أدرِ بعد غداةِ البيْنِ ما صَنَعْ[1]

يريد « صنعوا » وقوله :

لو سَا وَفتَنْنَا بسوفٍ من تحيتهـا ... سوفَ العيوف لراحَ الركب قد قَنِعْ

يريد « قنعوا »[2]

فحذف الواو في البيتين السابقين دليل على أن الشاعر ترك الترنم ، وهذا قبيح لأن فرقا بين الحروف التي تحذف وهي زائدة – وبين الضمير الأصلي ، والشاعر لا يبالي بهذا الحذف ما دام يتكلم بالشعر – كما يتكلم بالنثر ، ثم هو يريد الانتهاء واختصار الحروف كعادة أهل البدو ، إذ نراهم يحذفون أواخر الكلمات ، ويظهر ذلك فيما يسمى بقطعة طيء[3] « كقولهم » يا أباالحكا ويريدون « يا أبا الحكم » .

أما بيئة الحجاز فالحضر منهم يلحقون الألف والياء والواو ، لأنهم أرادوا الترنم ، ومد الصوت ، لأن الشعر عندهم وضع للغناء ، وهذا يتفق ومظاهر لهجتهم التي تعطي كل صوت حقه كاملا – فلا حيف على صوت من الأصوات ، بل ينطق تاماً مستقلا ، ولاشك أن مد الصوت ، وإعطاءه حقه في النغمة الموسيقية ، واستراحة النَّفَس لهذا الاسترخاء الموسيقي دليل على ذلك. ويسمى مثل هذا النوع من الإنشاد في جزيرة العرب الآن (المسحوب) ؛ لأن منشده يمطّ حروفه ، فكأنه يسحبه سحباً لينسجم مع تمايل أجسامهم على ضربات الناقرين بالدف ، والمصفقين بالأكف .

---

(١) خزانة الأدب : ٤٨٦/٥ .

(٢) الضرائر : الألوسي : ٢٩٢ ط السلفية .

(٣) مميزات لغات العرب : ٢٨ ط ٢ .

فاللهجات العربية القديمة تختلف في منهج إنشادها ، وطريقة إلقائها ، بل كثيراً ما يختلف معنى الكلمة باختلاف هذه النغمة الموسيقية في علوها وانحدارها – وليس أدل على ذلك من أن أبا هريرة سمع النبي (ﷺ) يقول : من قال لا إله إلا الله فقد دخل الجنة ، فذهب يبشر المسلمين ذات الشمال ، وذات اليمين فلقيه عمر بن الخطاب وهو على تلك الحالة فدفعه إلى خلفه فوقع على إسته ، فذهب إلى النبي (ﷺ) وأخبره الخبر ، فاستحضر الرسول عمر وكلمه في ذلك فقال : يا رسول الله : إن الناس إذا سمعوا ذلك يتكلون فخلهم يعملون ، فاستحسن كلامه ، وقال : خلّهم يعملون[1] . فجملة خلهم يعملون – هي واحدة في مادتها في نطق الرسول ونطق عمر ، ولكن اختلفت هيئتها ونغمتها عند كل منهما – ولهذا كانت في كلامه ﷺ غيرها عند عمر ، ومثل ذلك ما نقوله في العامية « ياولدْ » فإن دلالتها على معانيها المختلفة ترتبط بنغمتها ارتباطاً وثيقاً ، فقد تنطق ويراد بها السخرية أو التأثر ، أو التأنيب أو التعظيم . ومما يؤسف له أن نصوص اللهجات جاءتنا خالية من توضيح هيئات الكلام ، ونغماتها في صعودها وهبوطها ، كما جاءتنا نصوصهم في الشعر والنثر خالية من هيئات الوقف – أي جاءتنا كتلا صماء خالية من روح المتكلم وكيفية إلقائه الحديث من سرعة أو بطء أو علو أو انحدار أو إيقاع ، ولهذا قيل : إن نقل الأخبار في الحوادث التاريخية عن طريق الكتابة التي أمامنا ، لا يفيد القطع ، ولعل السبب في ذلك جهلنا بهيئة النطق التي صحبت المتكلم في أثناء كلامه ، والتي يمكن أن توضح شيئاً كثيراً تعجز الكتابة العربية عنه .

(١) المرجع السابق ، ٣٤ .

الباب الرابع

المستوى الصرفي (Morphology)

الفصل الأوّل

التصحيح والاعلال في منطق القبائل العربية

أولاً : بين الحجازيين والتميميين :

التصحيح والإعلال من المعاني المتضادة ، ومعنى التصحيح : إبقاء حرف العلة على ما هو عليه دون تغييره أو تبديله . والإعلال : تغيير حرف العـلة بقلبه أو حذفه أو إسكانه . وقد جاء مسموعاً عن العرب – ما حوى حرف عـلة ، واختلف الحجاز وتميم فيه ، فمنهم من أبقى هذا الحرف ، ومنهم من غيره وبدله ، فمن ذلك :

١ – اسم المفعول من الأجوف اليائي والواوي :

(أ) ذكر ابن جني عن أبي علي قراءة عليه عن أبي العباس عن أبي عثمان عن الأصمعي قال : بنو تميم – فيما زعم علماؤنا – يتمون مفعولاً من الياء فيقولون : ثوب مَخْيوط ، وبرٌّ مكيول[١] ، وبسْرة مطيوبَة[٢] . وأنشد أبو عثمان عنه عن أبي عمرو .

« وكأنها تفاحةٌ مطيوبةٌ »[٣]

(ب) وأنشد علقمة :

« يوم رذاذٌ عليه الدجْنُ مغيومُ »[٤]

(جـ) وقال الآخر :

قد كان قومك يزعمونَكَ سيّداً وإخالُ أنكَ سيّدٌ مَعْيون[٥]

---

(١) كتاب المقتضب من كلام العرب : ٨ ابن جنى : المطبعة العربية : ١٩٢٤ .

(٢) ليس في كلام العرب : ١٨ ابن خالويه .

(٣) المقتضب : ٨ ابن جنى .

(٤) ابن يعيش : ٨٠/١٠ .

(٥) أمالي الشجري : ٢١٠/١ ، والتصريح : ٣٩٥/٢ .

أما أهل الحجاز في مثل هذا فيحذفون ، وأدلة ذلك :

(د) ماروواه ابن الشجري من قولهم : معيب ، ومخيط ، ومكيل ، ومزيت ، وعزا ذلك إلى أهل الحجاز[1] . كما جاءت رواية مثلها في شرح الدرة[2] . وذكر ابن السكيت الصيغتين: مكيل ومكيول ، ومبيع ، ومبيوع ، ومخيط ومخيوط[3] . بالنقصان مرة ، وبالتمام أخرى . من غير أن يعزو كل صيغة . هذا حكم اسم المفعول من الأجوف اليائي : بنو تميم تصححه وتتمه ، والحجازيون ينقصونه : أما اسم المفعول من الأجوف الواوي .

فالحجازيون : يعلونه وينقصونه فيقولون :

ثوب مصون ، ومسك مدُوف ، وقول مقُول ، وفرس مقود[4] . وغيرهم يقولونه : بالتمام ولا ينقصونه مثل :

(أ) ذكر ابن خالويه : ليس في كلام العرب من ذوات الواو مفعول خرج على أصله إلا في حرفين : يقال : مسك مدْووف ، وثوب مصْوون[5] .

(ب) حكى الكسائي : خاتم مصْووغ[7] ، كما حكى ابن جني : ثوب مصْووُن ، وفرس مقوود[8] .

(جـ) وقضى ابن عقيل على ما تقدم من الصيغ التامة « بالندور » وذكر الأشموني أن مثل هذا لا يقاس عليه[9] ، كما قال ابن مالك :

وَنَـدَرْ ... تصحيحُ ذي الواو وفي ذي اليـــاْ اشتهـر

---

(١) أمالي الشجري : ١/٢١٠ .

(٢) شرح درة الغواص : ٩٣ .

(٣) إصلاح المنطق : ٢٢٢ .

(٤) أمالي الشجري : ١/٢١٠ .

(٥) ليس في كلام العرب : ١٨ ابن خالويه .

(٦) شرح الشافية : ٣/١٤٩ - ١٥٠ .

(٧) الخصائص : ١/٢٧٠ ط الهلال .

(٨) ابن عقيل : ٢/٤٥٠ - ٤٥١ .

(٩) الأشموني : ٤/٣٢٠ .

فحكم عليه بالندور ، وحكم عليه الرضي بالقلة حيث قال « وقَلّ نحو مصوون »[١] وأما صاحب التصريح فلم يعز تلك الصيغ بل قال عنها :

« وربما صحح العرب شيئاً من ذوات الواو »[٢] ، وذكر الأمثلة السابقة . ولا تدري ماذا يقصد بكلمة (العرب) ؟ فهي كلمة عامة .

ولما كانت العادة أن تقابل الصيغة الحجازية بالتميمية ، فأرجح لهذا أن الصيغ التامة الواوية والتي جاءت مهملة العزو في كتب العربية – هي لتميم . ومما يؤيد ذلك هذه الروايات :

(أ) قال ابن منظور : رجل معُود ، ومعْوود – الأخيرة شاذة وهي تميمية[٣] . وجاء في اللسان أيضاً : مسك مدووف – وهي تميمية ، قال : (والمسك في عنبره مدووف)[٤] .

(ب) وعن ابن الأعرابي : وثوب مَصُون – على النقص ، ومصْوون – على التام ، الأخيرة نادرة وهي تميمية[٥] – لكن قال اللحياني[٦] : قول مقول ، ومقؤول ، قال : والإتمام لغة أبي الجراح . ولعله أبو الجراح العقيلي . وجاء عن الفراء عن الكسائي أن بني يربوع وبني عقيل يقولون : حلي مصووغ ، ومسك مدووف ، وثوب مصوون ، وفرس مقوود ، وقول مقوول ، وأما البصريون فلا يعرفون هذا[٧] . وهذه الرواية إن صحت عن الفراء – فلا تناقض عزوها لتميم كما جاء في اللسان ، والسبب في ذلك أن بني يربوع : بطن من حنظلة من تميم كما جاء في نهاية الأرب[٨] . فتلك الصيغة في تميم وفي إحدى بطونها وهم يربوع ، وأما عزوها لعقيل : فعقيل غير تميم ! ولكن مساكنها كانت عن كثب من مساكن تميم ، فلا غرو أن تأثرت عقيل بمجاوريهم من تميم في تلك الصيغة ، ثم إن عقيلا من

---

(١) شرح الشافية : ١٤٤/٣ .

(٢) التصريح : ٣٩٥/٢ .

(٣) اللسان : ٣١٤/٤ .

(٤) اللسان : ٧/١١ .

(٥) اللسان : ١١٨/١٧ .

(٦) اللسان : ٩٣/١٤ .

(٧) أدب الكاتب لابن قتيبة : ٤٧٧ : المحقق .

(٨) القلقشندي : ٤٥٠ .

القبائل المتبدية كتميم ، فتجمعهم رابطة البداوة ، وأهل البدو تتقارب لهجاتهم وتسير على نسق واحد إلى حد ما .

وانما كانت هذه الصيغ نادرة ، أو قليلة أو شاذة ، لأن الضمة ثقيلة على الواو ، لاسيما وبعدها واو أخرى مثل : مصوون – مدووف ، ولهذا كان العرب لايتمون هذا ، إلا تميماً ومن لف لفها ، كما أرى أن لهجة تميم هي الأصل في قولهم من اليائي : مكيول ، ومن الواوي : مصوون ، وأن لهجة الحجاز أحدث منها وهي : مكيل ، ومصون . وإن كان الدكتور رابين « Rabin » لايرى ذلك إذ يقول « ليس من الضروري أن تكون صيغة تميم هي الصيغة الأصلية في العربية »[1] والرأي عندي ما ذكرته ، ذلك لأن الصيغة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة – أحدث من نظيرتها التي خلت أصوات لينها من الانسجام[2] ، وصيغة تميم في الواوي واليائي لازال بينها وبين الانسجام أمد بعيد ، أما الحجازية فحروفها منسجمة متوائمة ، فالصيغة الحجازية أصلها : مديون – نقلت الضمة من الياء إلى الساكن قبلها فالتقى ساكنان ، فحذفت الواو ثم قلبت الضمة كسرة ، لتسلم الياء ، فصارت : مدين ، وهذه الصيغة الحجازية الأحدث ، أما في لهجاتنا العامية ، فلا تزال تحتفظ بالصيغة القدمى التي كانت – في تميم وهي . مديون ، ومن الأمثال العامية في نجد « أم البيض مَصْيودة »[3] بالتمام ، وفي الفصحى « مصيدة » أما موقف القرآن من تلك الظاهرة فقد أيد اللهجة الحجازية ، قال تعالى « وكانت الجبال كثيباً مهيلا »[4] .

٢ – ما كان على وزن فَعِل وأطواره في التاريخ :

(أ) ذكر اللسان أن أهل الحجاز يثبتون الواو والياء في نحو : صَيِدَ ، عَوِرَ ، وغيرهم يقول : صاد يصاد ، وعار يعار[5] .

(ب) كما ذكر ابن منظور : أن لغة تميم – هاف يهاف[6] . وغيرهم : هَيِفَ .

---

(١) رابين : ١٦٠ .

(٢) في اللهجات العربية : ٥٧ ط ٢ .

(٣) الأمثال العامية في نجد : ٣٦/١ رقم ٩٤ .

(٤) سورة المزمل : آية ١٤ .

(٥) اللسان : ٢٥٠/٤ .

(٦) اللسان : ٢٦٧/١١ .

(جـ) وجاء عن الليث : أن لغة تميم – حالت عينه تحول حولاً ، وغيرهم يقول : حَوِلَت[1] .
فصيغة : صَيِـد ، وعَوِرَ ، وهما صيغتان حجازيتان جاء أعلى الأصل ولزما التصحيح ، ومثلها في ذلك ما جاء في المثال (جـ) من قولهم . حولت عينه ، فهي أصلية ، كما أنها غير معتلة ، كما جاءت على الأصل : كلمة هيف في المثال (ب) وأرجح أن هـــذه الصيغ التي لزمت الأصل حجازية ، بدليل أن الصيغ التي تطورت عنها عزيت إلى تميم ، فقد عزي إليها : هاف ، وحال . في هيف ، وحول ، وقد جاء عن العرب « عارت عينه تـَعار » وجاء عليه قول الشاعر :

نسائل بابن أحمـر مَنْ رآه أعارت عينُه أم لم تـَعارا[2]

والشاعر هو ابن أحمر الباهلي[3] ، وباهلة من قيس[4] ، وقيس كانت تجاور تميماً ، ولهـــذا لا نعجب إذا رأينا هذه الصيغة التميمية الأصل وهي عار – في كلام قيس ، بينما نجد للحجاز – عَوِرَ – على التصحيح . والدليـــل على أن الصيغ التميمية هي الأحدث أنها صيغ منسجمة ، والصيغة المنسجمة هي المتطورة ، لأن اللهجات تسعى بخطوات واسعة نحو هذا التماثل والتقارب الصوتي ، ولأن هذا الانسجام يقلل من المجهود العضلي حين النطق . أما اللهجة الحجازية ، فالتطور لم يتم دورته فيها بما يكفي وتحقيق المماثلة الصوتية ، فبقيت على حالها محافظة ، لم تمسها يد التهذيب والإصلاح و كثير من الكلمات بقيت على حالهـــا الأول جامدة محافظة ومن ذلك قولهم : « استحوذ » ، وقولهم في الأعلام : حيْوة[5] ومكْوَزة » وكلها مصححة ، وكان الواجب أن يدخلها الإعلال ، فتصير : « استحاذ » ، « ومكازة » ، ولكنها ثبتت على الطور الأول ، ولم تفارقه ، وما الاعلال الذي يذكره الصرفيون – إلا التهذيب الذي يتناول الكلمة بالإصلاح ، وهذا التهذيب الذي مر بالصيغ لم يتم دفعـــة واحدة من التصحيح إلى الاعلال أو العكس – وإنما مر بخطوات تاريخية كان للزمن فيها كبير أثر ، حور في الصيغ حينا فتطورت وأخذت شكلا جـــديداً ، وأحياناً استعصت على التغيير ، ولم يقو الزمن على أن ينال منها

(١) اللسان : ٢٠٣/١٣ .
(٢) المنصف : ٢٦٠/١ ابن جني .
(٣) الشعر والشعراء : ١٢٩ ط المعاهد .
(٤) نهاية الأرب : ١٧٠ القلقشندي .
(٥) الخصائص : ٣٤/٣ ، الأخطاء اللغوية الشائعة : ٢٠/١ .

شيئاً فبقيت متحجرة كبقاء حيوان من فصيلة منقرضة ، وإليك دراسة نصية للهجات القبائل تلمح فيها هذه الأثريات ، وتلك البقايا اللغوية : في منهج التصحيح والإعلال .

ثانياً : بين اللهجات العربية الأخرى :

١ - جاء في كتب العربية ما يفيد « بأن طيئاً - تفتح قياساً ما قبل الياء إذا تحركت الياء بفتحة غير إعرابية فتقلب تلك الياء - ألفاً - »[١] وقد تصدت الكتب الآتية لهذه الظاهرة فمن الموسوعات : المزهر للسيوطي[٢] ، ومن كتب الأشعار الأصمعيات[٣] ، وشرح ديوان الحماسة[٤] للمرزوقي ، وشرحها للتبريزي[٥] ، ومن كتب القرآن والسنة : تفسير الطبري[٦] ، ومختصر شواذ القرآن[٧] لابن خالويه ، والمحتسب في شواذ القراءات[٨] لابن جني ، والفائق في غريب الحديث للزمخشري[٩] ، والبحر المحيط[١٠] ، والنهر الماد[١١] ومن كتب الأدب : مجالس ثعلب[١٢] ، وعبث الوليد[١٣] ، وذيل الأمالي[١٤] للقالي ، وما تفرد به بعض أئمة اللغة للصاغاني[١٥] . ومن كتب الطبقات : الشعر والشعراء لابن

---

(١) شرح شواهد الشافية : ٤٨/٤ .

(٢) ٢١٧/١ ، ٢٣٧ ، ٣٨/٢ .

(٣) ٣٣ تحقيق الأستاذ هارون وشاكر .

(٤) ١٦٦/١ .

(٥) ١٦٤/١ .

(٦) ٤٣/١٥ - ٤٥ تحقيق شاكر .

(٧) ١٠٩/١٧ .

(٨) ١٦٢/١ .

(٩) ٩١/٣ تحقيق أبو الفضل .

(١٠) ٧٦/٧ ، ١٩٩ ، ٢٣٩/١ ، ٣٣٧/٢ .

(١١) ٣٣٧/٢ .

(١٢) ٥٦٤/٢ .

(١٣) ٢٣٢ دمشق .

(١٤) ٢٤ ط ٢ .

(١٥) القسم الرابع رقم ٤١٨ لغة خط دار الكتب.

قتيبة[(١)]، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام[(٢)]، ومن كتب المعاجم واللغة: نوادر أبي زيد[٣] في اللغة وجمهرة ابن دريد[٤]، ومخصص ابن سيده[(٥)]، ومعجم مقاييس[(٦)] اللغة لابن فارس، والمصباح للفيومي[(٧)]، واللسان[(٨)]، وديوان[(٩)] الأدب للفارابي، وكتاب لغــات مختصر ابن الحاجب[(١٠)] الفرعي. ومن كتب النحو والشواهد: الشنتمري على سيبويه[١١] شرح السيرافي على سيبويه[١٢] وشرح الشافية[١٣]، وشرح ابن يعيش[١٤]، والإنصاف[١٥] لابن الانباري، وشرح شواهد المغني[(١٦)] للسيوطي، وهمع الهوامع[(١٧)]. وخزانة الأدب[(١٨)] للبغدادي، هذه إحصائية أمينة لوجود هذه الظاهرة.

وندير البحث إلى اتجاه آخر، وهو: هل عزيت هذه الظاهرة لطيء وحدها دون غيرها من القبائل؟ والجواب: أنها عزيت إلى طيء، واستشهد لها بقول زيد الخيل الطائي، وسماه الرسول (ﷺ) «الخير» بالراء:

---

(١) ١٠٣ شاكر.

(٢) تحقيق شاكر: ٢٩.

(٣) ٥٨، ١٧٩، ٦٣، ٦٨، ٧٨، ١٢٤.

(٤) ١/٣٢، ٢/١٤٣.

(٥) ٦/٣٩ - ٤٠، ١٢/٥٧.

(٦) ١/٢٧٦، ١/٣٠٢.

(٧) ١/٣٠٢.

(٨) ١٨/٨٥، ٢٥٤، ١٠٤، ٢٠/٢٣، ١٢٠، ١٩٩، ٥٩.

(٩) ورقة: ١٣٢ لغة تيمور رقم ٣٨٣ خط.

(١٠) رقم ٤٧ لغة دار الكتب خط.

(١١) كتاب سيبويه: ١/٦٥.

(١٢) ١/٥٩٥ مخطوط بمكتبة أحمد تيمور.

(١٣) ٣/١١١، ٣/١٦٨.

(١٤) ٢/١١.

(١٥) ١/٥٤.

(١٦) ١٦٥ ط البهية ١٣٢٢.

(١٧) ٢/١٦٤.

(١٨) ٤/١٤٨.

١ – لعمـرك ما أخشى التصعلك مابقا على الأرض قيسي يسوق الأباعرا[١]

ويقول أيضاً :

أفي كل عـــام مأتم تـَجمعونـَهُ على مِحْمَر عَوْد أثيب وما رُضا
فلولا زهير أنْ أكدرَ نعمةً لقاذعتُ كعباً مابقيتُ وما بَقَا[٢]

٢ – كما أنشد أبو زيد شعر حري بن عامر الطائي :

وأسمـر مربوع رضَاه ابن عازب فأعُطـَى ولم يُنظر ببيـعِ حلال[٣]

٣ – كما عزاها اللسان[٤] ، وابن فارس[٥] ، والسيوطي[٦] ، وابن سيده[٧] ، والمرزوقي[٨] إلى طيء أيضاً ، ولكن على الرغم من هذا الإجماع على أنهـــا لطيء – وردت عدة روايات أخرى تفيد على أنها لغيرها من القبائل ومن ذلك :

١ – ما جاء عن المستوغر بن ربيعة من قوله :

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها وازددتُ من عدد السنين مئينا
هل ما بقى إلاّ كما قـــد فاتنا يوم يُكـَرّ وليـلة تـَحدونا[٩]

٢ – كما أنشد زهير بن أبي سلمى :

تربـّع صارةً حتى إذا مـــا فـَنـَا الدُحلان عنه والإضاء[١٠]

(١) نوادر أبي زيد : ٦٨ ، ٨٠ .
(٢) انظر : الجمهرة ١٤٣/٢ ، الشعر والشعراء : ٢٤٦/١ تحقيق شاكر مع اختلاف الرواية .
(٣) نوادر أبي زيد : ٧٨ .
(٤) ١٨٤/٤ ، ١٢٠/٢٠ .
(٥) معجم مقاييس اللغة : ٢٧٦/١ ابن فارس .
(٦) المزهر : ٢٣٧/١ .
(٧) المخصص : ٤٠/٦ .
(٨) شرح الحماسة : ١٦٦/١ .
(٩) طبقات فحول الشعراء : ٢٩ .
(١٠) المرجع السابق .

٣ – كما أنشدوا لطفيل الغنوي :

فلما فَنَنَا ما في الكنائن قارعوا بكل رقيقِ الشفرتين مشطّب[1]

كما أنشد له ابن يعيش :

(إن الغويّ إذا نُهَا لم يعتب)[2]

٤ – وأنشد رضي الدين لرجل من بني القين بن جسر :

نَستوقد النَّبل بالحضيض ونص طاد نفوساً بُنَت على الكرم[3]

وعزاه اللسان إلى البولاني[4]

٥ – كما عزى هذه الظاهرة اللسان إلى بلحرث بن كعب[5] .

٦ – وأنشد ابن منظور قول امرىء القيس :

عارضٌ زوراء من نشمٍ[6] غـير باناةٍ على وتره[7]

٧ – واستشهد أبو حيان لعلقمة بن عبدة :

زَهَا الشوق حتى ظل إنسان عينه يفيض بمغمور من الدمع متأف[8]

٨ – كما أن ابن دريد عزا الظاهرة إلى طيء وأسد[9] . ومحـل الشاهد بيت زيد الخيل ، والمستوغر في كلمة (بقا) ، وفي بيت حري الطائي ، « أعطَى » .

وفي بيت طفيل الغنوي وزهير : « فنا » وفي قول امرىء القيس : « باناة » .

---

(١) عبث الوليد : ٢٣٢ .

(٢) ابن يعيش : ٧٦/٩ .

(٣) شرح الشافية : ١١١/٣ .

(٤) اللسان : ٨٦/١٨ .

(٥) اللسان : ٢٣/٢٠ .

(٦) اللسان : ١٠٤/١٨ .

(٧) البانية من القسى التي لصق وترها بكبدها : معجم مقاييس اللغـة : ٣٠٢/١ ، ٢٧٦ ، المخصص : ٣٩/٦ – ٤٠ .

(٨) البحر : ٢٣٩/١ – ٤٠ .

(٩) جمهرة ابن دريد : ٣٤٩/٣ .

وندير البحث وجهة أخرى لنتعرف على قبائل هؤلاء الشعراء الذين التمسنا تلك الظاهرة في شعرهم ، فكتب الطبقات تخبرنا أن زهير بن أبي سلمى من مزينة مضر من العدنانية[1] ، كما أن المستوغر بن ربيعة من كعب من سعد من تميم[2] . ، وطفيل الغنوي ، من قيس عيلان[3] ، كما أن علقمة بن عبدة من تميم[4] ، أما هذا الذي أسندت إليه هذه الظاهرة وهو من بني القَيْن – فهم من بني جسر من قضاعة [5] ، كما أن بولان : هم بطن من طيء من أدد من القحطانية [6] ، وامرؤ القيس من كندة ، كما أن بلحرث بن كعب – قبيلة قحطانية ، وهذا غير الإجماع من الرواة على أنها لطيء ، وإذا دققنا النظر في تلك القبائل التي تكلمت بهذه الظاهرة نجد أن بعضها شرقي كتميم وأسد وغني ، كما نجد أن أكثرها يرجع إلى قبائل يمنية كالحارث بن كعب ، وطيء ، وبولان : الذين هم بطن من طيء ، وبني القين بن جسر من قضاعة ، كما نجدها أخيرا في مزينة .

وهذا يشير إلى أن علاج اللهجات العربية القديمة على أساس الفصل بين القسم الشرقي والقسم الغربي – غير سديد ، بل لابد أن ينظر على أن الجزيرة العربية كتلة واحدة ، والدليل على ذلك أن الظاهرة التي نبحثها الآن نسمع صداها في الشرق والغرب معاً وقد لا يبعد أن تكون هذه الظاهرة سامية قديمة – احتفظت بها طيء وقبلتها وظهرت آثارها على شعرائها ، ثم قلدتها القبائل المجاورة لطيء ، كأسد ومزينة وتميم ، لأن العلاقة الجغرافية بينها ثابتة فظهرت في أسد ، لأن طيئاً لما هاجرت سكنت مساكن أسد ، كما ظهرت في بلحرث بن كعب ، لأن بلحارث قبيلة يمنية كطيء ، كما يحدث التاريخ أن اختلاطاً حدث بين بعض بطون طيء وقضاعة [7] ، فالعلاقة النسبية موجودة ، وطيء يدل اسمها على مكانتها الخطيرة التي كانت تحتلها في المجال العربي – « بدليل إطلاق اسمها عند بعض الكتبة الكلاسيكيين وعند الفرس والسريان وعند يهود بابل – على جميع العرب » [8] ولعل في هذا ما يفسر قول الزمخشري « إن طيئاً

(١) معجم كحالة : ١٠٨٣/٣ ، والشعر والشعراء : ٩٠/١ شاكر .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٢٩ شاكر .

(٣) معجم كحالة : ٨٩٥/٣ .

(٤) البحر : ٢٣٩/١ .

(٥) معجم كحالة : ٩٧٤/٣ .

(٦) المرجع السابق : ١١٢/١ .

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٦٨/٤ جواد علي .

(٨) المرجع السابق : ٢٦٨/٤ - ٢٦٩ .

لا تأخذ من لغة ، ويؤخذ من لغاتها » [1] فهؤلاء الشعراء الذين سمعنا تلك اللهجة في أفواههم ربما قد تأثروا بما لطيء من لهجة لها قوتها وصولتها ، لاسيا والانسان مطبوع على تقليد الأقوى .

قال السيوطي « ولطيء توسع في اللغات » [2] وعلى كل فللعربي أن يستعمل لغة غيره ، والدليل على هذا ما جاء عن الكسائي من قوله : « نمى الشيء ينمي بالياء لا غير ، قال : ولم أسمعه ينمو إلا من أخوين من بني سليم – ثم سألت عنه بني سليم ، فلم يعرفوه بالواو » [3] ولاشك أن العربي يختلف حاله عن غيره في تلقيه لغة غيره ، وتأثره بها ، « فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه ، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به » [4] ، فلعل هؤلاء الشعراء الذين ظهرت لهجة طيء على ألسنتهم كانوا يتأثرون باللهجات التي تدور حول بيئتهم ، وقد يقال لم لم تظهر هذه الظاهرة في الحجاز مثلاً كما ظهرت في بوادي نجد ؟ ويمكن أن نقول بأنها لم تظهر في الحجاز ، لأن الحجازيين كانوا يعتقدون في لهجاتهم أنها أفصح ، لهذا لم يتبعوا غيرهم ، والعربي كثيراً ما يتعصب للهجته ، ولا يرضى بها بديلاً ، والدليل على ذلك ما جاء عن أبي حاتم قال : « قرأ علي أعرابي بالحرم : طيبى لهم وحسن مآب ، فقلت له : طوبى ، فقال : طيبى ، فقلت : طوبى ، قال : طيبى ، فلما أطال علي قلت : طوطو ، فقال : طي طي » [5] ، قال ابن جني : « أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابي بلغته ، وتركه متابعة أبي حاتم » [6] ولهذا كان الفعل « بَقِيَ » في اللهجة الحجازية لهذا .

وإذا توجهنا بالبحث ناحية أخرى لنستشير القراءات القرآنية – علنا نلمح أثر تلك اللهجة فنرى أن الحسن يقرأ قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا » [7] ما بَقَا – بقلب الياء ألفاً [8] . ويقرأ الأعمش : « فَنَسَى ولم نجد له عزْما » طه ١١٥ في قوله تعالى : « فَنَسِيَ ... » .

---

(١) الفائق للزمخشري : ٩١/٣ .

(٢) المزهر : ٩٨/٢ .

(٣) المزهر : ٢٥٣/١ ، اللسان : ٢١٥/٢٠ .

(٤) الخصائص : ٣٨٨/١ ط الهلال .

(٥) اللسان : ٥٣/٢ .

(٦) الخصائص : ٣٨٩/١ ط الهلال .

(٧) سورة البقرة : آية ٢٧٨ .

(٨) البحر : ٣٣٧/٢ .

كما جاءت رواية أخرى في شواذ القرآن ، ولكنها عن أبي [1] ، وجاءت قراءة أخرى على لهجة طيء وهي قوله تعالى « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به » [2] فأصلها أدريتكم فقلبت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها [3] ، ثم قلبت الألف همزة فقالوا : أدرأتكم كما قالوا أعطاتك في أعطيتك ، وإنما همزت الألف على حد قولهم : رثأت زوجي بأبيات « ذهبت به إلى رثأت اللبن [4] . والطبري : يعزو (أعطات) في أعطيت – إلى بني عقيل [5] ، والعجيب أنه يستشهد لها بقول حريث بن عتاب الطائي من قوله :

لقد آذنتْ أهـل اليمامة طيءٌ بحربٍ كنا صاة الأغرّ المشهّر [6]

وأصلها : ناصية – قلبت الياء ألفاً لتحركها وتلك لغة طيء لا لغة عقيل كما يقول الطبري بدليل أن الذي تكلم بها طائي ، وجميع كتب العربية عزتهـا إلى طيء ومثل : ناصاة ، متفناة [7] ، وباقاة [8] ، وباناة [9] . فأصلها جميعا : ناصية تحركت الياء فقلبت ألفاً فصارت ،ناصاة متفناة ، باقاة ...

ويمكن أن نخرج عزو الطبري إلى عقيل بأنهم يقولون : في أعطيت : أعطأت بالهمزة بدليل ما حكي عن قطرب « لغة عقيل يقولون في أعطيتك: أعطأتك » [10] ولاشك أن عقيلاً من القبائل التي آثرت الهمزة . فالظاهرة طائية ، ولكن عقيلاً تزيد عليها الهمز .

وإنما حدث هذا القلب في الطرف عند طيء ، لأن الطرف محل التغيير والتخفيف فكأن صيغة طيء هي الأحدث ، لأنها متطورة ، وإذا قارنا بين بقِي وبَقَي – وجدنا أن بالثانية

---

(١) مختصر شواذ القرآن : ١٧٠٠ . ابن خالويه .

(٢) سورة يونس : آية ١٦ .

(٣) الإتحاف : ٢٤٧ .

(٤) الطبري : ٤٣/١٥ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الطبري : ٤٤/١٥ .

(٧) نوادر أبي زيد : ٦٣ .

(٨) الانصاف : ٥٤/١ .

(٩) معجم مقاييس اللغة : ٢٧٦/١ . . ابن فارس .

(١٠) البحر : ١٣٣/٥ .

سجاماً ، والانسجام هو تطور ملحوظ ، لأن اللسان يعمل فيه من وجه واحد . وهو بالقبائل بادية أليق كطيء ومن سار سبيلها .

ولغـــة طيء تلك مستعملة في مديريتي الدقهلية والغربية كثيراً ، إلا أنهم يكسرون أول فعل فهم يقولون : لِقَي وحِمَي ، رِضَت وعِمَت .

- المشهور أنه إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم - يظل على حاله من بقاء الألف كما هي فيقال : فتايَ وعصاي ، وهواي . أما في حروف الجر مثـــل : « إلى وعلى » والظروف مثل « لدى » فإن الألف تدغم في ياء المتكلم فيقال : إليّ وعليّ - تلك هي اللغة الفصحى .

لكن هذيلا انفردت بالسير في طريق آخـــر - إذ تقلب الألف ياء ، ثم تدغم فيقولون : عصيّ - فتيّ - هويّ . أما شواهد تلك اللهجة فهي :

أ) قال أبو ذئيب الهذلي يرثي أبناءه :

سبقوا هويّ وأعنقـــوا لهواهمو   فتخرّموا ولكل جنبٍ مصرع [1]

ب) ما جاء من قول الشاعر :

فأبلوني بليتـــكم لعـــلي   أصالحكم واستدرج نويّا [2]

ج) ما جاء عن ابن دريد في (باب من اللغات عن أبي زيد) حين استشهد على لهجة هذيل السابقة بقول الشاعر :

يطيف بنا عكبٌ مقذ حرّ [3]   ويطمن بالصُّملّة في قفيّنا [4]

ويعزو محقق الجمهرة هذا البيت إلى المنخل اليشكري [5] ، ولكنني أشك في أمرين : أولها : أن البيت لا يمكن أن يكون للمنخل اليشكري ، لأنه من يشكر بن بكر ابن وائل [6] ، وهو

---

(١) ديوان الهذليين: ٢/١ ، ابن عقيل: ٧٣/٢ ، شرح الحماسة: ٥١/١ - ٥٢ للمرزوقي ، البحر : ١٦٩/١ .

(٢) حاشية الأمير على المغني : ٩٧/٢ .

(٣) عكب : اسم رجل ، المقذحر : المستعد للشرب ، والصملة : حربة .

(٤) الجمهرة : ٤٨٨/٣ .

(٥) الجمهرة : ٤٨٨/٣ .

(٦) معجم كحالة : ١٢٦٥/٣ .

يستشهد بالبيت على لهجة هذيل ، والبون شاسع بين هذيل وبين بكر بن وائل ، وأرجح أن البيت للمتنخل – وهو من خناعة بن لحيان – وهي من هذيل [١] ، فتكون الصلة قوية بين القائل الهذلي ، وبين اللهجة التي يستشهد بها على لهجة هذيل . أما الشك الآخر ، فإنه مادام يستشهد على لغة هذيل ، فلغة هذيل ليست كما استشهد في البيت ، لأنهـــا تقلب ألف المقصور ياء إذا أضيف لياء المتكلم – فتكون قفيّ – لا كما جاء في الجمهرة : « قفينا » . والدليل على أن رواية الجمهرة جاءت محرفة أن البيت السابق روي في المحتسب لابن جني :

يطوّف بي عكبٌ في معدٍّ   ويطعن بالصملّة في قفيّا [٢]

ويظهر أن مصحح الجمهرة لاحظ ذلك فقـــال : « والصواب في قفيا » [٣] ، بقي هناك أمر لابد من مناقشته ، وهو أن الظاهرة السابقة والمعزوة إلى هذيل – عزيت إلى قبائل أخرى فمن ذلك :

(أ) أنها عزيت لطيء بدليل ما جاء في اللسان من حديث طلحة « فوضعوا اللج على قفي – أي وضعوا السيف على قفايَ . قال وهي لغـــة طائية : يشددون ياء المتكلم » [٤] ولكن كيف يتكلم رجل ليس من طيء بلهجة طيء – قد يزول العجب عندما نعرف أن طلحة هذا كان متزوجاً من امرأة من قبيلة طيء [٥] – كما جاء في رواية عن الزمخشري . وكما أن ابن الأثير يؤكد أنها لهجة طيء [٦] ، كما روى الواحدي في البسيط أنهـــا لهجة طيء أيضاً [٧] .

(ب) عزيت كذلك هذه اللهجة إلى قريش ، والذي عزاها عيسى بن عمر [٨] .

والذي أرجحه أنها لهذيل رغم هاتين الروايتين اللتين لن تصمدا أمام جحفلة من الروايات

---

(١) نهاية الأرب : ٢٤٧ .

(٢) المحتسب لابن جنى : ٤١٧/١ مخطوط بمكتبة أحمد باشا تيمور « قائلهُ المنخّل اليشكري » .

(٣) الجمهرة : ٤٨٨/٣ المحقق .

(٤) اللسان : ٥٥/٢٠ .

(٥) الفائق في غريب الحديث : ٩١/٣ .

(٦) النهاية في غريب الحديث : ٢٧٠/٣ .

(٧) التصريح : ٦١/٢ .

(٨) الأشموني : ٢٨٢/٢ .

الكثيرة القوية ، وحسبك أنها عزيت في كتب علوم القرآن لهذيل - كالبحر[1] والمحتسب[2] ، وغيرها من كتب القراءات ، والقـــراء في الضبط والتحري بالمكان الذي لا يجارى لعنايتهم ودقتهم في كل أمر يتعلق بكتاب الله تعالى من قريب أو بعيد ، ثم هناك أمر آخر يرجح أن الظاهرة في هذيل ، إذ أنها كانت تسكن إقليماً جغرافياً شـــاذاً فمن جبال فارعة الطول إلى وديان منبسطة فسيحة ، ومن منابع ضحلة ينبت فيها الكلأ وتكثر المراعي ، إلى صحراء قاحلة جافة ملتهبة ، ولهذا كان مجتمع هذيل شاذاً ، لشذوذ عالم الجغرافيا فيه فشذت لغتهم لذلك ، والشذوذ كما يقولون : يجلب الشذوذ . فهم يتفردون بألفاظ لاتعرفها بقية العرب[3] ، وبصيغ لا نجد لها مثيلاً في القبائل الأخرى . قال المرزوقي في شرح الفصيح « ذكر أهل اللغة أنه ليس في الكلام كلمة أولها ياء مكسورة إلا يِسار لغة في اليَسار لليـــد اليسرى ، وقولهم : يِعاط لفظة يحذر بها هذلية »[4] ، فإذا أضفنا إلى ذلك كثرة هذه الظاهرة في شعرهم وحدهم ، بل في ديوانهم الخاص بهم[5] - كان دليلاً على أنها لهم - وإذا كنا قد وجدنا هـــذه الظاهرة في لهجة رجل قد بني بامرأة من طيء - فليس معنى هذا أن الرواة يؤكدون أنها في طيء ، لأنه دليـــل غير مباشر ، ومن قال بأن من تزوج بامرأة يتكلم لهجتها ! ويسير على سنتها ؟ وأما من ادعى بأنها في قريش ، فقد بحثت كثرة من شعر شعرائهم فلم أعثر على أثر لهذه الظاهرة فيهم .

بقي أن نبحث هذه اللهجة من ناحية تصحيحها وإعلالها أو تطورها ، وأرجح أن لهجـــة هذيل - هي القدمى - بدليل أن هوايّ و قفايّ . فيها انسجام عن « هويّ و قفيّ » والصيغة المنسجمة أحدث من غيرها ، فهذيل قد التزمت مرحلة من مراحل التطور ، ثم توقفت - أما في الفصحى فقد أخذ التطور مجراه الطبيعي حتى وصلت الصيغة إلى ما نعهـــده الآن : عصايّ . قفايّ . ويظهر أن بعض القراءات القرآنية ، قد حافظت على الطور الأول لتلك اللهجة ويمكن أن نتلمسها فيما جاء من القراءات الآتية :

---

(1) البحر المحيط : ٢٦٢/٤ .

(2) ابن جني : ٦٧/١ ، ٤١٧ مخطوط .

(3) انظر : المزهر : ٢٥١/١ .

(4) المزهر : ١٠٣/٢ .

(5) ديوان الهذليين : ٢/١ .

(أ) قرأ أبو الطفيل وعبد الله بن أبي إسحق ، وعاصم ، وعيسى بن عمر : « فمن تبع هداي »[1] – قرئت : هديّ[2] .

(ب) قرأ ابن أبي إسحق وعيسى : قل إن صلاتي ونسكي ومحيايَ[3] « ومَحْيَيّ »[4] .

(جـ) كما قرأ أبو الطفيل والحسن وآخرون « قال يا بشرايَ »[5] بشريّ[6] .

فورود القرآن بلهجتهم يعتبر توثيقاً لها ، وتأييداً .

أما قراءة الجمهور فهي على اللغة المشهورة – وبهذا يكون الكتاب الكريم مرآة تجد فيه كل قبيلة – بيانها ولسانها .

وأكثر المصريين يقلبون ألف التثنية ياء – عند الإضافة للياء مثل : يديّ . قدميّ في يداي وقدماي – ولعلنا نحن المصريين – احتفظنا بالطور الأول – ثم تطورت الصيغة إلى قدمايَ – محققة الطور النهائي – كما في العربية الفصحى .

٣ – وكما حافظت هذيل على الطور الأول من الصيغ فيما تقدم حافظت كذلك على بقايا مرحلة في التطور في بعض الصيغ ، ويظهر ذلك فيما سجلته كتب العربية من أن كل اسم على وزن فَعْلة – مفتوح الفاء وبعده واو ساكنة ، أو ياء كذلك – فإنه في اللغة النموذجية الفصحى يجمع جمع مؤنث سالم على فَعْلات – بإسكان العين بعد الفاء المفتوحة ، مثل قولك في جمع بيضة ، وعورة « بَيْضات وعورات » ، لكن هذيلاً سارت في طريق آخر مخالف للهجات القبائل الأخرى – كما سارت في طريق مخالف أيضاً فيما سبق من الظواهر ، لأنها هنا حركت حرف العلة بالفتح ولم تعله . فتقول « بيَضات » وعَوَرات – بفتح الياء والواو ، ويدل على ذلك .

(أ) ما ذكره الزمخشري من وجوب الإسكان في مثل : بيضات وجوزات وديمات ودولات ،

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٨ .

(٢) المحتسب : ٦٧/١ ، البحر : ١٦٩/١ ، مختصر شواذ القرآن : ٥ .

(٣) سورة الأنعام : آية ١٦٢ .

(٤) البحر المحيط : ٢٦٢/٤ .

(٥) سورة يوسف : آية ١٩ .

(٦) البحر : ٢٩٠/٥ ، مختصر شواذ القرآن : ٦٢ .

إلا في لغة هذيل[١] ، ومثل هذا جاء عن ابن عقيل[٢] . وابن جني[٣] ، والأشموني[٤] . وشواهد الشافية[٥] . وخزانة البغدادي[٦] .

(ب) كما عزيت اللهجة أيضاً إلى هذيل في اللسان[٧] ، ونوادر[٨] أبي زيد ، والمحقق[٩] رضيّ الدين في الشافية ، وابن جني في خصائصه[١٠] ، والفيومي في مصباحه[١١] .

وإذا كان هؤلاء الأئمة الثقات قد أجمعوا على أن هذه الظّاهرة في هذيل فإنه يقف في سبيل هذا ما جاء عن ابن خالويه في شواذ القرآن حيث قال « بنو تميم تقول : رَوَضات ، وجَوَزات ، وعَوَرات ، » أي بفتح العين « وسائر العرب بالإسكان »[١٢] . وجاء في البحر لأبي حيان : « بنو تميم يقولون : رَوَضات ، وجَوَزات وعَورات ، وسائر العرب بالإسكان »[١٣] وذكر المحقق الرضي « ... وجوزات وبيضات » بفتح العين « عند تميم »[١٤] .

ومع كل هذه الأدلة والشواهد فإنني أرجح أن الظاهرة في هذيل لا تميم ، لأنه كثيراً ما يخلط العلماء بين ظواهر اللهجات العربية وعزوها لقبائلها ، وسبقت أمثلة تؤيد هذا ، ولذلك رجحت أن يكون ابن خالويه قد خلط بين هذيل وتميم ، ويظهر أن أبا حيان قد نقل إسناد الظاهرة إلى تميم — عن ابن خالويه[١٥] ، كما أرجح أن رضي الدين في شافيته ناقل عن ابن خالويه أيضاً،لأن

---

(١) المفصل : ١٩١ ، ابن يعيش : ٥/٢٨ - ٣١ .

(٢) ابن عقيل : ٢/٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٣) الخصائص : ٣/١٨٤ .

(٤) الأشموني : ٤/١١٨ .

(٥) الشاهد رقم ٦٦ .

(٦) الشاهد : ٥٩٣ .

(٧) ٦/٣٠٣ .

(٨) ١٣٩ .

(٩) ٢/١١٠ - ١١١ .

(١٠) ٣/١٨٤ .

(١١) ١/١١١ .

(١٢) مختصر شواذ القرآن: ١٠٣ لابن خالويه نشره برجشتراسر بالقاهرة .

(١٣) البحر : ٦/٤٤٩ .

(١٤) شرح الشافية : ٣/١١٠ .

(١٥) البحر المحيط : ٦/٤٤٩ .

النقل متشابه ، فكأنه رجل واحد وهو ابن خالويه – ذلك الذي عزاها إلى تميم ، ورجل واحد مع دليل واحد ، لا يناهض عدداً شهد له بالأمانة العلمية والضبط في الأداء ، والدقة في التحري – حيث عزوها إلى هذيل ، وهناك دليل يناهض ابن خالويه من كلامه نفسه فهو يذكر في قوله تعالى : « ثلاثُ عورات »[١] أن الأعمش قرأ بها[٢] (أي قرأ بها بفتح الواو) ، فإذا بحثنا في كتب الطبقات عن الأعمش – وجدناه أسدياً[٣] – لا تميمياً حتى ينسب إليه ظاهرة لهجية من سمات تميم ثم إن الأعمش من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة . فإذا أضيف إلى هذا أن هـذه الصيغ وردت في شعر هذيل ، حيث يقول شاعرهم : (أخو بيضات[٤] رائح متأوّب) كان دليـلا كافياً على أن اللهجة في هذيل ، ثم هناك دليل فني يقطع بأن هذه الظاهرة لا يمكن أن تكون لتميم ، ذلك أن تميماً تميل إلى حذف الحركات القصيرة المنبورة كما تقدم في دراسة حركية الكلمة فهي تقول : سجدات – بسكون العين بينما الحجاز تفتح مثل هذا – أما في المعتل العين مثل : عورات ، وبيضات – فإن تميماً تسكن عينه ، لأنها كما تقدم تميـل إلى حذف الحركات تخفيفاً ، بل البيئة الحجازية تسكن مثل هذا أيضاً – أي المعتل العين – بدليل قول أبي حيان في هـذا وسائر العرب بالإسكان »[٥] فالظاهرة لا تتسم مع ما عرف عن تميم من حذفها للحركات القصيرة ولذلك فهي أجدر بهذيل – تلك التي تشتهر بالانحرافات اللهجية ، والصيغ الغريبة ، وكان على هذيل أن تعل هذه الصيغة مثل : عورات ، وبيضات – بفتح العين ، لأن الواو واليـاء تحركتا وانفتح ما قبلها فتقلب الواو والياء إلى الألف : مثل : عارات وباضات ، لكن هذيلاً وقف التطور فيها فصححتها ، ولم يأخذ التطور فيها دورته الكاملة حتى تصير : عارات ، وربما منع من الإعلال – عروض الحركة في الجمع ، لأنها في المفرد ساكنة ، « ولأن العين لو أعلت عند هذيل لا لتبس ذلك بما عينه في الواحد ألف منقلبة نحو قارة وقارات »[٦] .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نلتمس فيه ظلاً للهجة هذيل ، ونحتج بـه للهجات العرب ،

---

(١) سورة النور : آية ٥٨ .

(٢) مختصر شواذ القرآن : ١٠٣ .

(٣) طبقات القراء : ٣١٥/١ .

(٤) شرح المفصل : ٢٨/٥ - ٣١ ، المحتسب : ٤٠/١ مخطوط بالتيمورية .

(٥) البحر : ٤٤٩/٦ .

(٦) المحتسب : ٤٠/١ مخطوط .

وجدنا أن الأعمش قرأ قوله تعالى « ثلاث عورات لكم »[١] بفتح الواو[٢] . والجمهور قرأ بتسكين الواو . فكأن لهجة هذيل قريء بها ، بل رويت عن ابن عباس [٣] ، كما جاء ذلك في البحر المحيط عن أبي حيان ، ولهذا أعجب من أبي حيان ذلك الذي يذكر بأن قراءة قرآنية جاءت على لهجة هذيل - يقول نفسه في مكان آخر من تفسيره « والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات »[٤] ، « ولغة هذيل بن مدركة فتح الواو ، ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم »[٥] وإذا عجبت من أبي حيان - فالعجب يكون أشد لابن مجاهد حيث يعقب على لهجة هذيل : بأنها لحن[٦] . ولا أدري كيف ساغ لمثل ابن مجاهد - بأن يقول عن قراءة مروية ، ولها مذهب في العربية - بأنها لحن - وكما وقفت الصيغ السابقة ، جامدة في هذيل - مستقرة على مرحلة لا تفارقها إلى مرحلة أخرى نرى مثل ذلك فيما رواه أبو زيد من قولهم : العفوة[٧] ، (بفتح العين والفاء والواو) ونسب أبو زيد هذه الصيغة لقيس[٨] . وأرجح أن هذه الصيغة لم يتم التطور فيها - فهي صيغة أصلية جاءت على التصحيح - ولو تم التطور فيها لقالوا : « عِفَاة » على الإعلال ، والإعلال كما أفهمه ما هو إلا تهذيب وتشذيب في اللغة ، ولكنها الصيغة في قيس بقيت على أصلها - واستحسنتها ألسنتهم . ومثل هذا قراءة من قرأ « لمثْوبة مِنْ عِند الله خير » بسكون الثاء وفتح الواو . ولاشك أن « مَثْوبة » على تلك القراءة صيغة متخلفة ، وهي الصيغة الأصلية - ولم تأخذ حقها في التطور ، ولو قد أخذت طريقها صعداً في الحياة اللغوية لأعلت فأصبحت « مثابة » ولهذا جاءت قراءة الجمهور عليها في قوله تعالى « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس »[٩] ، ويظهر أن هذه الصيغة قد تطورت في لهجة كلاب إلى « مثابة » حكي ابن منظور قول الكلابيين « لا نعرف المثْوَبة ، ولكن : المثابة »[١٠]

(١) سورة النور : ٥٨ .

(٢) البحر : ٦/٤٤٩ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) سورة الشورى : آية ٢٢ .

(٥) البحر المحيط : ٧/٥١٥ .

(٦) البحر المحيط : ٦/٤٤٩ .

(٧) هي أثناء الحر .

(٨) اللسان : ١٩/٣١١ .

(٩) سورة البقرة : آية ١٢٥ .

(١٠) اللسان : ١/٢٣٨ .

وفي سلم التطور اللغوي نلمح حياة الصيغ صاعدة ، هابطة ، فرحة مستبشرة حيناً ، ومتثاقلة منطوبة على نفسها آناً آخر ، فإذا روى أبو زيد الأنصاري لعياض بن أم درة الطائي قوله :

حمى لا يحـل الدهرَ إلا بإذننا ولا نسأل الأقوام عَهْد المواثق

نرى الفراء يحكي رواية أخرى إذ يقول : « عهد المياثق »[1] والأصل في ذلك « مِوْثاق » قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وكان القياس في الجمع أن ترجع الواو – لزوال موجب قلبها ياء – فتكون « مواثق » – وتلك هي الفصحى ، فـإذا جاءت « مياثق » بالياء لا بالواو – كانت « مواثق ومياثق » تدرج في حياة الصيغ ، ولهـذا كثيراً ما نسمع قدحاً في رواية ، ومدحاً في أخرى ، قال أبو زيـد في رواية « المياثق » وهي شاذة ، والرواية الأولى أجود وأشهر »[2] ومثل هذا التدرج السابق بين الصحة والإعلال نلمح نمطاً منه يمـر سريعاً في كتب العربية فمن ذلك .

(أ) ما جاء عنهم من قولهم « طويل وطوال » والسبب في أن الواو صحت فقالوا « طوال » لأن الواو في المفرد متحركة إذ هي « طويل » ، والمتحركة أقوى ، ولهذا فقـد ثبتت في الجمع . ومع هذا فقد سمع إعلالها في قول الشاعر :

تبيّن لي أن القماءة ذلـّة وأن أعزاء الرجال طيالها[3]

وهذا البيت يحمل بين طياته صيغة عجيبة وهي قوله « طيال » والقياس يقتضي « طوال » لكن الشاعر هنا أعلها ، وهو على حق في ذلك ، لأن الواو قلبت ياء للكسرة التي قبلها ، لكننا لم نسمع في الفصحى إلا « طوال » على التصحيح ، ولهذا فقد جاء البيت السابق برواية أخرى عن القالي « ان أعزاء الرجال طوالها »[4] واختلاف الروايات ليس له معنى عندي إلا أن العربي كان ينشد شعر أخيه العربي من قبيلة أخرى – على لغـة المنشد ، لا على لغة صاحب الشعر الأول ، والشاعر المنشد لاشك ينشد حسب سجيته ، ومن هنا كثرت الخلافات في صيغ

(١) شرح الشافية : ١/٢١٠ .
(٢) نوادر أبي زيد : ٦٤ .
(٣) المفصل : ٣٨١ .
(٤) ابن يعيش : ١٠/٨٩ محقق .

المفردات في الشعر العربي ، وأبو حيان تكفل وحـــده متفرداً من علماء العربية بعزو الصيغة اليائية ، جاء في البحر المحيط « بنوضَبّة « طيال في جمع طويل »[1] .

(ب) كما نجد نوعاً آخر من التدرج اللغوي بـين الصحة والإعلال يظهر في نوع من التوهم ، ومن هذا قول الشاعر :

ولقــد رأيتك بالقوادِم مرّة   وعليَّ من سَدَف العشيّ رياح[2]

فالقياس « رواح » لأنه من راح يروح ، لكنه لما كثر قلب هــذه الواو في تصريف هذه الكلمة – ياء – نحو – ريح ورياح – ومريح ومستريح – وكانت اليـاء أيضاً عليهم أخف تدرجوا من ذلك إلى أن قلبوها في « رَياح » مـع زوال الكسرة التي توجب القلب ، وكأنهم توهموا أن الياء – أصل في ذلك .

ومن هذا ما يحكى عن عمارة بن عقيل من أنه قـال في جمع « ريح » « أرياح » حتى نبه عليه[3] فعاد إلى « أرواح » وكأن عمارة توهم في « أرياح » أصالة الياء . ومثل هـذا التدرج . من « أرواح » إلى « أرياح » نمط من حياة اللغة وتطورها ، ولهذا يقول السهيلي « إن ريحاً وأرياحاً – لغة لبني أسد »[4] ، وقال الخفاجي في شرح بانت سعاد لابن هشام : من العرب من يقول : « أرياح » كراهة الاشتباه بجمع[5] روح « ومثل هذا قولهم في جمع عيـد – أعياد ، والواجب : أعواد ، وإنما قالوا ذلك لتوهم أصالة الياء في عيد ، ودفـع الالتباس بجمع عود – لو قيل : أعواد » ومن هذا الضرب أيضاً قولهم : دِيمـة وديم – وأصلها من الدوام ، وقالوا أيضاً « دوّمت السماء » على الأصل ، « وديّمت » على توهم أصالة اليـاء وأنها ليست منقلبة عن واو ، وقد تجاوزوا هذا فقالوا : دامت السماء تديم[6] . فهذا التدرج اللغوي في الصيغ السابقة مرده إلى التوهم وهو مسئول عن خلق صيغ جديدة في الحقل اللغوي ، وهـذه الصيغ الجديدة

---

(١) البحر : ٣/١٧٠ .

(٢) الخصائص : ١/٣٥٠ .

(٣) الخصائص : ١/٣٥٦ .

(٤) شرح درة الغواص : ٦٦ .

(٥) شرح الدرة : ٦٥ .

(٦) الخصائص : ١/٣٥٥ .

ـسير في سلم الارتقاء صعداً حتى تأخـذ مكانها تحت الشمس ، وبعضها تتجمد كبقايا — مرحلة سالفة ، ولا يصح أن ننظر إلى هذه البقايا على أنها صيغ شاذة — كما يرى علماء العربية بل هي كما نفهمها مرحلة من مراحل حيـــاة الكلمة — لم تتكامل في تطورها ونموها . ولاشك أن كل قبيلة كانت تسير في لغتها على مقدار يكافيء طبيعتها ، فما رفضته القبيـــلة أو قبلته فإنما يخضع لعامل الثقل حيناً والخفـــة أحياناً ، وهاتان الصفتان لا تجمع عليهما جميع القبائل لأن مراتب الثقل والخفة متفاوتة ، ولهذا قد يدعون البناء من الشيء وهم يتكلمون بمثله في لفظ آخر ، كما يتركون صيغاً سهلة لتوهمهم فيها سبباً من أسباب الثقل .

الفصل الثاني

الممدود والمقصور في لهجات القبائل

ينقسم كل من المقصور والممدود باعتبار الاطراد وعدمه الى قسمين قياسي ، وهو ما يبحث عنه رجال الصرف ، وسماعي ، ومرجعه النقل والورود عن العرب ، وقد أفاض الصرفيون في حديثهم عن القياسي في النوعين ، ووضعوا لكل ضوابط تسير عليها – ولن أسير في دراسة تلك الظاهرة سير رجال الصرف ، لأن هدفي هو دراسة المسموع في المقصور والممدود ، لأن المسموع هو المنقول الذي جاءنا عن العرب أنفسهم ، أما هذه الشروط ، وتلك القوانين القياسية فهي من صنع النحاة ورجال الصرف ، وهي قوانين مبنية في أكثر الأحوال على استقراء غير كامل ، ولهذا كثر الجدل بينهم ، لأنهم أدخلوا جميع ما أثر عن القبائل العربية ولهجاتها – ولهجاتها مختلفة ، وكان يجب عليهم أن يفردوا نحواً للّهجات ونحواً للفصحى ، ولهذا شذذوا صيغاً في المقصور والممدود ، وضعفوها وأولوها ، أو بتروها إن لم يجدوا لها تأويلا من عندهم ، وتحويراً ، أو حملوها حملاً على مركب الضرورة ... فقول الأعشى :

والقارحُ العدّا وكلّ طمرّة ما إن تنالُ يد الطويل قذالَها [1]

وقول الأقيشر الأسدي :

وأنت لو باكرت مشمولة صفْرا كلون الفرس الأشقر [2]

فالخلاف يقوم بين البصريين والكوفيين والفراء في قصر الممدود في (العداء) في البيت الأول ، (وصفراء) في البيت الثاني .

كما حدث خلاف أشد منه في مد المقصور في قول الشاعر :

---

(١) الأشموني : ٤/١١٠ .

(٢) التصريح : ٢/٢٩٣ .

سيغنيني الذي أغناكَ عنّي فلا فقرٌ يدوم ولا غناءُ[1]

وفي قول أبي المقدام جساس بن قطيب :

يا لــك من تمرٍ ومن شيشاءِ ينشب في المسعل واللهاءِ[2]

(فغناء) في البيت الأول ليس من غانيته – إذا فاخرته بالغنى ، ولا من الغنـاء بالفتح – بمعنى النفع – كما تأول ذلك بعضهم ، والدليل على ذلك أنه قرنه بالفقر – فدل ذلك على أنه من الغنى : المقصور ، والخلاف يتسع فمنعه جمهور البصريين مطلقاً ، وأجازه جمهور الكوفيين ، أما الفراء فراح يفصل ، بل إنهم لتصحيح قوانينهم المخترعة المستقاة من استقراء ناقص تجرءوا على القراءات القرآنية ، وراحوا يتهمونها بالشذوذ ، فمن ذلك قراءة طلحة بن مصرف[3] : « يكاد سناء برقــه يذهب بالأبصار » والسنا » هو الضوء بالقصر – وجاء ممدوداً في قراءة اختيارية لا ضرورة فيهـا ، ومع هذا لم تعجبهم القراءة القرآنية واتهموها ، لأنها خالفت مذاهبهم . ولا شك عندي أن قراءات القرآن الكريم مرآة صادقة للهجات العرب ، وإذا كانت جرأتهم هكذا على القرآن الكريم – فهم على غيره أجرأ ، ولهذا راحوا يؤولون في ضراوة تلـك الشواهد العربية الأصيلة التي تؤيد مد المقصور ، ثم أحالوها أخيراً الى الضرورة ، ولم يعرفوا أن الضرورات التي قالوا بها إنما تعكس اللهجات العربية في أمانة ، وتصورها فتحسن تصويرها . قال النحاس في شرح المعلقات : قال الأخفش سعيد بن مسعدة : وليس شيء يضطرون إليه وهم يرجعون فيه الى لغة بعضهم[4] ، فكأن هــذه الضرورات التي استعملها النحاة وأضرابهم وأساءوا فهمها ، وأغمدوها في جسم اللغــة كلما تصادمت مع تشريعهم اللغوي ، ليست إلا لغة لبعض العرب ، ولهذا فيجب أن تحترم ، لأنها تمثل بيئة لغوية ، وحقلاً لدراسة اللهجات .

ولننتقل الى دراسة نصية للممدود والمقصور :

(أ) جاء في الأشموني أن « أولى » المد فيه أولى من القصر ، لأنه لغة الحجاز والقصر لغة تميم[5] .

وفي التصريح زاد بأن صيغة القصر لأهل نجد من بني تميم وقيس وربيعة وأسد ، وحكى

---

(١) شرح السيرافي : ٢٥٨/١ مخطوط .

(٢) ابن يعيش : ٤٢/٦ ، شرح السيرافي : ٢٥٩/١ مخطوط .

(٣) التصريح : ٢٩٣/٢ « وهي قراءة طلحة بن مصرّف » والبحر ٤٦٥/٦ .

(٤) المزهر : ٩٣/٢ .

(٥) الأشموني : ١٣٩/١ .

ذلك عن الفراء في لغـــات القرآن [١]، ولم يخصه بتميم وحدها كما خصها غيره، كما ذكر السيوطي ما جاء في هذا الجمع الإشاري من لغات مثلاً بأولاء، وألاك بالتشديد وأوليك، وأولالك بالقصر، وأولاء بالمد في لغة الحجاز، والقصر عند تميم، وتنوينها لغـــة حكاها قطرب: فيقال: أولاء، ... وقد يبنى آخره على الضم، وذلك لغة، وقد تشبع الهمزة في أوله مثل: أولا، وأولئك – حكي ذلك عن قطرب أيضاً.

كما حكى الشلوْبين « هولا – بفتح الهاء وسكون الواو، وحكى أبو علي إبدال أوله هـاء مضمومة[٢]، وزاد السيرافي في مخطوطته « هَوْلاء – في هؤلاء »[٣].

وجاءت روايات أخرى تؤيد ما سبق في ابن عقيل[٤]، والبحر المحيط[٥]، واللسان[٦].

وإذا نظرنا إلى تلك الصيغة وهي « هؤلاء » وجدنا أن الهـاء ليست من جملة اسم الاشارة، وإنما هي حرف جيء به لتنبيه المخاطب على المشار إليه، والدليل على ذلك أننا وجدنا هـــذه الهاء تسقط أحياناً في قولك – ذا، وذاك، وتسقط وجوباً في ذلك:

ويمكن أن نستدل لصيغة تميم، بقول حجر بن عتاب، وهو تميمي[٧]:

لعمـــرك إنا والأحاليف هؤلا   لفي حقبةٍ أظفارها لم تقلَّم[٨]

وبقول خاصم أبي الحويرث السحيمي:

فاسأل أُلى عن أُلى أنْ ما خصومتهم   أم كيف أنت وأصحابُ المعاريض[٩]

وأنشد الفراء للأعشى:

---

(١) التصريح: ١/١٢٧ - ١٢٨.

(٢) الهمع: ١/٧٥، البحر: ١/١٣٨.

(٣) شرح السيرافي على سيبويه: ١/٦٠.

(٤) شرح ابن عقيل: ١/١١٦ ط ٧.

(٥) البحر: ١/١٣٨.

(٦) اللسان: ٢/٣٤١.

(٧) الشعر والشعراء: ١/١٥٨ ت شاكر.

(٨) المرجع السابق.

(٩) البيان والتبيين: ٤/٤٦ ت هارون.

هـؤلا ثم هـؤلا كـلاً أعطيت نعالاً محذّوةً بنمال

وذكر غير الفراء أن القصر لغة بعض قيس وأسد[1] .

وجاءت صيغة القصر في رسالة الشافعي مكتوبة بالياء : قال : فإلى أي شيء ترى ذهب هؤليُ وهؤلى[2] ؟ ولا أدري لم جاء بها الشافعي مقصورة ؟ مع أنه قرشي حجازي ، وهي فيهم بالمد أي « هؤلاء » ولم يكن ذلك في شعـر حتى نقول بالضرورة ويظهر أن النساخ كتبوها في بعض نسخ « الرسالة » هؤلاء – على اللغة الحجازية ولكن يسم المحقق تلك الصيغـة المدودة « بأنها مخالفة لما رسم[3] في الأصل » وكأن الرسم الأصلي للهجة الشافعي كما أملاه هو « هؤلى » ، فهل خالف الشافعي لهجة الحجازيين في تلك الصيغة فقط ، مع أنـه قرشي حجازي – حيث كانوا ينطقونها بالمد ؟ أو أن صيغة القصر في رسالة الشافعي إنما صورت لهجة الكاتب وحده – لا لهجة الشافعي المملي ، حيث ثبت أن الشافعي كان يملي على تلميذه[4] ، قد يجوز هذا ، لا سيما وأن الانسان قد يملي شيئاً فيكتب الكاتب على لهجته لا على لهجة المملي .

وجاء في التصريح أن تميا لا يأتون باللام مطلقـاً، في اسم الإشارة لا في مفرد ولا في مثنى ولا في جمع – حكى ذلك الفراء عنهم ، وبعض القبائل الأخرى : كقيس وأسد وربيعة يأتون بها بعد اسم الاشارة حين يكون للمفرد ، والجمع حال القصر ، ومنه قول شاعرهم :

أولا لك قومي لم يكونوا أشابـة وهل يعظ الضلّيل إلاّ أولا لكا[5]

وقد جاءت قراءات القرآن على اللغة الحجازية ، قال تعالى : أنبئوني بأسماءِ هؤلاء «[6] ، وقوله « هؤلاءِ بناتي »[7] ، وقوله « ها أنتُم أولاء تحبونَهُم »[8] وكلها صيغ ممدودة .

وإذا نظرنا إلى لهجاتنا الحديثة وجدنا صيغاً أخرى غـير صيغة « هؤلاء » في جمع المذكر

---

(١) البحر المحيط : ١/١٣٨ .

(٢) رسالة الإمام المطلبي : ٥٦٣ .

(٣) الرسالة : ٥٦٣ للإمام المطلبي – حاشية .

(٤) من الرسالة للإمام الشافعي : ١٢ .

(٥) التصريح : ١٠/١٢٩ .

(٦) سورة البقرة : ٣١ ، البحر المحيط : ١/١٣٨ .

(٧) سورة هود : ٧٨ .

(٨) سورة آل عمران : آية ١١٩ .

والمؤنث وسكتت عنها المصادر العربية ، ولاشك أنها كانت لهجات قبـــائل عربية ، ولكنها كانت مطمورة مغمورة ، فصمتت عنها المعاجم وآثرت السكوت ، ولكننا نجدها حيـــة في اللهجات العربية الشعبية الآن ، فمن ذلك :

(أ) في لهجة تونس : هاذونَ أو هاذوم للقريب ، وللبعيـــد : هاذوك أو هاذومك . وكلها صيغ للجمع الإشاري[1] .

(ب) وفي لهجـــة فلسطين : نسمع للجمع القريب « هَدْولْ » أو « هَدْولَ » وللبعيد « هَدْلِيك »[2] .

(جـ) وفي صنعاء « هازولا » وفي ناعط « هولا » ، « وهاوليه (hàwelayyah)[3] .

(د) وفي مصر : للجمع « دول » « دولا » .

ويظهر أن العرب القدماء كانت لهـــم صيغتان : إحداهما « هؤلاء » والأخرى : تلك التي رأينا أمثلة منها في لهجاتنا الشعبية وربما كانوا يقصرون استعمال الصيغة الأولى على الأساليب الأدبية ، بينما الصيغ الأخرى التي برن صداها في آذاننا اليوم للهجات الخطاب[4] .

وصيغ الإشارة ، والموصول ، والضمائر – كانت ترتبط بروابط قوية ، « ولهـــذا ترى جذورها الأصلية مشتركة في الغالب ، لا في اللغـــة العربية وحدها ، ولكن في جميع اللغات السامية الأخرى ، ولورود أكثر هذه الجذور في جميع اللغات السامية ، عـــدها علماء اللغات أقدم عهداً من الأفعال والأسماء[5] » فأسماء الإشارة إذن متجمدة غـير متطورة ، ولهذا عبرت التاريخ الطويل حتى وصلتنا كما كانت عليه في باكورة يومها .

(ب) في قوله تعالى « وَكَفَّلَهَا زكريا »[6] – ذكر صاحب الاتحاف أن المد والقصر فيها لغتان

---

(١) محاضرات الدكتور عساكر في معهد اللغات الشرقية سنة ١٩٥٢ .

(٢) محاضرات الدكتور عساكر في معهد اللغات سنة ١٩٥٣ .

(٣) مفردات من تعز وتربة ذبحان : ٥ دكتور خليل نامي .

(٤) في اللهجات العربية : ٢١٨ ط ٢ .

(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام : ٧٦/٧ .

(٦) سورة آل عمران : آية ٣٧ .

فاشيتان عند أهل الحجاز ، وقرأ من غير همـــزة حفص وحمزة والكسائي ، وبالهمز والمد غيرهم[1] . ويلاحظ أن القراء السابقين – والذين قرءوا بالقصر – كوفيون ، وقد يعلل ذلك لتأثرهم بقبائل أسد وتميم وقيس هؤلاء الذين شاعت فيهم الصيغ المقصورة .

(جـ) ورد في المصباح أن « الملطاء » بكسر الميم وبالمد في لغة الحجاز ، وبالألف في لغة غيرهم ، وهي القشرة الرقيقة التي بين عظم الرأس ولحمه[2] ، كما وردت لغـــة أخرى فيها وهي « الملطاة » بالألف مع الهاء[3] .

(د) جاء في اللسان عن اللحياني أن « الزّنى » مقصور بلغة أهـل الحجاز ، وفي الصحاح : المد لأهل نجد[4] ، واستشهد له بقول الفرزدق :

أبا حاضرٍ من يَزْنِ يُعـرف زناؤُه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكّرا

ويقول الجعدي :

كانت فريضة ما تقـــول كما كان الزّناءُ فريضةَ الرّجم[5]

ولكن لا تستطيع أن تتخذ من ذلك قانوناً عاماً فتقول بأن أهـل الحجاز يقصرون ما كان مثل – الزنى – وأن تميا تجعل ما كان مثله ممدوداً ، فمد المقصور أو قصر الممدود مما يحتمل أن يكون ضرورة شعرية لاسيا وأن صاحب الصحاح احتج للغة تمـيم ببيت شعري للفرزدق ، كما أنه احتج ببيت للجعدي وهو ليس تميمياً ، فباب ذلك هو الضرورة ولا يمكن أن نتخذ شاهداً واحداً دليلاً على اثبات صفة لهجية لقوم من العرب – يمكن أن يحمل على الضرورة ، ولقـــد أجاز العلماء في غير الضرورة قصر الممدود ، « أما مد المقصور فالعلماء على منعه[6] إلا الأخفش ومن تبعه » وأجازه سيبويه في الشعر[7] ، ويقول ابن فارس : والشعراء أمراء الكلام يقصرون

---

(١) إتحاف فضلاء البشر : ١٧٣ .

(٢) المصباح : ٨٥٣/٢ .

(٣) المرجع السابق مادة « لطيء » .

(٤) المصباح : ٣٩٣/١ مادة « زنى » .

(٥) اللسان : ٧٩/١٩ .

(٦) السيرافي على سيبويه : ٢٥٨/١ مخطوط بالتيمورية .

(٧) الصبان على الأشموني : ١١١/٤ .

الممدود ، ويمدون المقصور ، ويقدمون ويؤخرون ، ... ويختلسون ويعيرون ويستعيرون[1] ، لهذا أرجح أن الشواهد السابقة لاتنهض حجة على لهجة تميم .

(هـ) جاء عن ابن الأعرابي أن : الشِّراء : ممدود ، ويقصر . فيقال : الشّرى ثم قال « أهل نجد يقصرونه وأهل تهامة يمدونه »[2] .

(و) وعن شمر أن « السَّداء » ممدود – لغة أهل المدينة ، ومعناها : البلح[3] . وقد يقال فيها : السّدى : بالقصر .

(ز) وفي مجمع الأمثال (ماءٌ ولا كصدّاء)[4] ، يقولونها بالهمز ، وعليه قول ضرار ابن عتبة السعدي :

كأني من وجـد بزينب هائمٌ　　　يخالس من أحواض صدّاءَ مشرباً

وسئل رجل في البادية من بني سليم عنها – فلم يهمزها[5] . وقبيلة سليم أكثرها قبائل متحضرة لأن أرضهم كانت تقع في منطقة مهمة تهيمن على طرق التجارة ، ولأن لها صلات قوية بقريش[6] . ومن سمات القبائل المتحضرة ، أنها تؤدي الصوت كاملاً ، فلا يؤثر غيره فيه ولا يطغى عليه ، ولكن تلك السمة اللهجية لا تتفق وما أثر عن سليم ، لأن سليماً أكثر قبائلها حضرية ، ونطقت بصيغة المقصور – التي هي أقل تماماً وكمالاً من صيغة الممدود – ولكن أرى أن الشبهة تزول بالتحري عما جاء في رواية الميداني ومن تقييده بأن هذا السليمي في « البادية » .

ومما سبق يمكن أن نلاحظ بوجه عام أن تميماً وأسداً وقيساً وأهل نجد يميلون إلى السرعة في النطق فلا يعطون الحروف حقها كاملاً في الأداء ، وذلك لاقتصادهم في الجهد العضلي ، ولهذا مالوا إلى نطق صيغ الإشارة للجمع بالقصر ، كما كانوا يقولون : « كلب » بخطف الحركة – مكان

(١) الصاحبي : ٢٣١ .
(٢) اللسان : ١٥٨/١٩ .
(٣) اللسان : ٩٨/١٩ .
(٤) قال المفضل : صدّاء ركيّة لم يكن عندهم ماء أعذبُ منها : أمثال الميداني : ٢٧٧/٢ .
(٥) مجمع الأمثال : ٢٧٨/٢ .
(٦) تاريخ العرب : ١٧٦/٤ جواد علي .

« كلاب » وهي الصيغــة الحجازية ، وكانوا يقولون « ندَهْ » بخطف الحركة – مكان « ناداه » وهي اللهجة الحجازية[1] ، وهذه اللهجات في خطف الحركة وتقصيرها لازالت لها رواسب في الأمثال العامية في لهجة نجد الحالية ، إذ يقولون :

« أصابعك ماهِنْ بْسَوا »[2] و « راح يجيب الماوْجَا عطشان »[3] و « ربيع وْقمْرا »[4] فهذه الأمثلة إن دلت فإنما تشير إلى قصر الممدود ، تلك الصفة التي لمحناها في لهجات البدو منهم، ونلمحها الآن في لهجات نجد الحديثة وفي أشعارهم أيضاً[5] ، وهذا يدل على الارتباط اللغوي بين السالفين والخالفين .

(١) تاريخ الأدب العربي : ١/١٢٥ دكتور شوقي ضيف .

(٢) الأمثال العامية في نجد : رقم ٢٢ : ص ٨ القسم الأول .

(٣) المرجع السابق : رقم ٢٨٤ : ص ١٠٥ .

(٤) المرجع السابق : رقم ٢٩٢ : ص ١٠٧ .

(٥) انظر شعر عبدالله بن سبيّل المتوفي في عالية نجد عام ١٣٥٧ هـ ، وتركي بن عبد حميد ، وعامر السّمين ، حيث ورد في أشعارهم قصر الممدود : الشعر عند البدو ١١٢ - ١١٣ شفيق الكمالي .

الفصل الثالث

« الأفعال في لهجات القبائل العربية »

سيشمل حديثنا دراسة الأفعال التي جاءت في اللهجات العربية باعتبار صورة المضارع مع الماضي ، وهذه الدراسة ستكون في ضوء منطق القبائل العربية ، ومدى تقاربها أو تباعدها من الفصحى وسيكون بحثنا في كل ذلك في ضوء عرض النصوص أولاً ، ثم أفتش في كتاب الله لأرى رأيه في هذه النصوص ومدى تطابق النصوص عليه ، وقد اقتضتني هذه الدراسة قراءة الكتاب الكريم بقراءاته السبعية والشاذة ، وهذا المنهج لم تتفرد به الأفعال وحدها ، ولكنني التزمت هذا المنهج في جميع دراستي لهذه الرسالة ، وما ذلك إلا لأن القرآن هو كتاب العربية الأول ، ولابد أن نرى كل قبيلة فيه لهجتها ، وطبيعتها في الأداء ، ليكون من وراء ذلك هدف سياسي — وهو توحيد العرب على منطق واحد ، ليسهل جمعهم بعد ذلك على غاية واحدة .

مضارع الثلاثي ولغات القبائل :

في دراسة هذا القسم آثرت أن أضع منهجاً جديداً ، لم أتبع فيـــه ما جاء في كتب علماء الصرف والعربية ، لأنهم في دراستهم آثروا نظاماً منطقياً ساروا عليـــه ، فذكروا أن عين المضارع إما مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة ، ولعين الماضي ثلاث حركات أيضاً ، لأنها أما مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة ، فجملة الأبواب تسعة ، أهملوا منها ثلاثة وهي :

(أ) فعل[1] يفعل : بضم العين في الماضي ، وكسرها أو فتحها في المضارع وسر ذلك عندهم أن وزن (فَعُل) يغلب في أفعال السجايا والطبائع ، فرأت العرب لذلك أن توائم بين عيني ماضيه ومضارعه دلالة على نهجها نهجاً واحداً — على الطبيعة والسجية ، فامتنع كسر عين المضارع أو فتحها .

(ب) فعل يفعل — بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع ، ولعل السر في إهمال هذا الوزن هو كراهة الانتقال من الكسر إلى الضم وهو انتقال من ثقيل إلى أثقل . فيكون الباقي من الأبواب ستة[2] .

١ — (فعل يفعل) بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع .

٢ — (فعل يفعل) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع .

٣ — (فعل يفعل) بفتح العين فيهما .

٤ — (فعل يفعل) بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع .

٥ — (فعل يفعل) بضم العين فيهما .

٦ — (فعل يفعل) بكسر العين فيهما .

وإذا نظرنا إلى الأبواب السالفـــة وجدناها مشحونة بالشذوذ ، إذ لا يذكرون وزناً إلا ويردفون به صيغاً خرجت عن المألوف ، وهذا يشير إلى أن الصرفيين حشدوا في هذه التقسيمات صيغ اللهجات العربية جميعها — بدون عزو لهـــذه الخلافات ، كما أنهم لم يراعوا الفصل بين كل

---

(١) شرح ابن عقيل : ٢/٤٧٤ — ٧٦ ط السعادة ، شذا العرف : ١٢ وما بعدها ط السادسة .

(٢) شرح ابن عقيل : ٢/٤٧٤ .

لهجة وأخرى ، كشأنهم في اللهجات ، ولهذا كانت الأبواب السابقة أكبر دليل على خلطهم بين اللهجات « إذ أن الرواة تلقفوا تلك الصيغ من لهجات عربية متباينة خضعت كل منها لقاعدة خاصة في اشتقاق المضارع من الماضي[1]» .

وإذا كانت هذه الصيغ العديدة في اشتقاق المضارع قد خضعت لعدة لهجات كثيرة حشدها الرواة حشداً ، حتى كانت الأمثلة الشاذة تتردد بكثرة كاثرة ، فبدأ الاضطراب عليها ، وغطتها الفوضى ، وكل هذا كان مصدره أن الرواة كان همهم الجمع اللغوي ، فلم يفصلوا بين لهجة وأخرى ، بل كانوا يلتقطون ما يسمعون من الألفاظ ويسجلونه بدون مراعاة لتنظيمه حسب منطق القبائل والعشائر ، وكل ذلك كان مهمل العزو في تواليفهم مقطوع النسب ، ولما جمعوا كل هذا أخرجوه للناس على أنه هو اللغة الفصحى ، ناسين أو متناسين أنهم خلطوا الفصحى بلهجات القبائل الأخرى — فخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

وهناك مشكلة خطيرة تتجلى فيما أهملوه من الصيغ — إذ سبق أن أهملوا باب (فعِل يفعُل) بكسر عين الماضي وضم عين المضارع ، ولكني عثرت على صيغة جاءت على هذا الباب وهي لهجة حجازية ، جاء في الاشتقاق : « وأهل الحجاز يقولون : فضِل الرجل يفضُل »[2] والقياس فضل يفضل ـ بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع فما الداعي لإهمالهم في أوزانهم لهجة عربية ؟ ليس من سبب لهذا الإهمال في نظري إلا أنهم أرغموا أشياء متعددة الجوانب واللهجات على تقسيم جاف ضيق ، ألا ترى معي أن هذه الأبواب التسعة التي أقاموا دراستهم عليها وتحديدها ـ هي أشبه بتحديد المناطقة حيث ألزموا الأشياء أن تدخل في تقسيمات محكمة ثقيلة ، أو أشبه بعالم الطبيعة حيث أرغم الأشياء على أن تكون هواء وماء ، وناراً وتراباً ، وإذا صح هذا في الطبيعة فلا يصح في اللغة أو اللهجة ، لأن اللهجة حرة طليقة تأبى تلك السدود ، ولا تقبل هذه الحدود ، ولهذا جانبت منهج رجال اللغة وعلماء التصريف واتخذت منهجاً يعتمد على روح النص وتقييمه ، ويتجلى فيما يأتي :

(أ) باب نصر وضرب من الصحيح :

جاء من هذين البابين الأمثلة الآتية :

---

(١) من أسرار اللغة : ٣٥ الطبعة الأولى .

(٢) الاشتقاق لابن دريد : ٤٠ وستنفلد .

١ – جاء في نوادر اليزيدي أن أهل الحجاز يقولون : قتريقِتر ، ولغـة فيها أخرى يقتّر وهي أقل اللغات »[1] .

٢ – كما جاء من نوادر يونس أن تميماً تقول : يبطـُش ، وأهـل الحجاز يقولون : يبطش بكسر الطـاء[2] .

٣ – وذكر يونس بن حبيب النحوي أن : يسمِت[3] في الهداية لغة تميم في يسمُت . وأصل هذا الفعل كما جاء في المصباح من باب قتل يقتل[4] .

٤ – وجاء في الجمهرة أن الرحْض – الغسل ، وقالوا أرحضه – لغـة حجازية ، بكسر الحاء واستشهد بقول الشاعر : (إذا الحسناءُ لم ترحض يديها) بكسر الحاء[5] . وهذا الفعل كما في المصباح من باب (نفع ينفع)[6] .

وقـد استشرت القرآن الكريم في أمر هذين البابين ، فوجدت سماتها في قراءاته المختلفة فيما يلي :

١ – قرأ حمزة والكسائي والوراق عن خلف (يعكِفون على أصنامٍ لهم) بكسر الكاف لغة أسد ، كما روى الشطي عن إدريس ضمها[7] .

٢ – وفي قوله تعالى « ولو فتحنا عليهم باباً من السّماء فظلوا فيـه يعرجون »[8] قرأ الأعمش وأبو حيوة – يعرجون بكسر الراء وهي لغـة هذيل في العروج بمعنى الصعود[9] ، وفي

---

(١) المزهر : ٢١٥/١ .

(٢) المزهر : ٢٧٥/٢ .

(٣) ما تفرد به بعض أئمة اللغة : القسم الثاني مما تفرد به أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب : خط بدار الكتب رقم ٤١٨ .

(٤) المصباح : ٤٣٩ .

(٥) الجمهرة : ١٣٧/٢ .

(٦) المصباح : ٣٤١ .

(٧) الإتحاف : ٢٢٩ .

(٨) سورة الحجر : آية ١٤ .

(٩) البحر : ٤٤٨/٥ .

شواذ القرآن أن ابن أبي الزناد والأعمش وعيسى قرءوا بها أيضاً[1] . وفي المصباح أن هذا الفعل من باب قتل يقتل[2] فكأن لهجة هذيل خالفت ما رسمه علماء التصريف .

٣ ـ وقد قرأ ابن عامر وأبو بكر (وما كانوا يعرشون)[3] بضم الراء ، وباقي السبعة والحسن ومجاهد وأبو رجاء بكسر الراء ـ وهي لغة الحجاز[4] .

٤ ـ ورد عن الفراء أن الناس قرءوا قوله تعالى « وإذا قيل لهم انشزوا فانشزوا »[5] بكسر الشين ، وأما أهل الحجاز فيرفعونها »[6] ومما يؤيد هذا أن ابن منظور ذكرها بالكسر والضم .

فقال : ونشز في مجلسه ينشز وينشز : بالكسر والضم » .

تعقيب :

يلاحظ وجود باب فعل يفعُل : بكسر العين وضمها في منطق القبائل العربية وليس لأحد اللهجات نهج خاص في هذا الباب ، وقد يفسر هذا ما جاء عن أبي زيد « طفْتُ في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن باب فعل يفعل ويفعل بالضم والكسر ، لأعرف ما كان منه بالضم أولى ، وما كان منه بالكسر أولى ، فلم أجد لذلك قياساً وإنما يتكلم به كل امرىء منهم على ما يستحسن ويستحق لا على غير ذلك »[7] ، وقد سجل اللغويون عدة قوائم وردت فيها عدة أفعال بالوجهين مسموعة عن العرب[8] ، أما فيما عدا ذلك فلك أن تأتي بالوجهين ولو لم يسمع ذلك من العرب وهذا معنى قول أبي زيد « إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فعل بفتح العين ـ فأنت في المستقبل بالخيار إن شئت قلت يفعـل بضم العين ، وإن شئت قلت

---

(١) شواذ القرآن : ٧٠ .

(٢) المصباح : ٦١٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٣٧ .

(٤) البحر : ٣٧٧/٤ .

(٥) المجادلة : ١١ .

(٦) اللسان : ٢٨٥/٧ .

(٧) المزهر : ٢٠٧/١ - ٢٠٨ .

(٨) المواهب الفتحية : ٧١/١ .

يفعل بكسرها »[1] وأرجح أنهم كانوا في طفولة اللغة يستعملون أحد الوجهين للفرق بين المعاني المختلفة وقد جاء عنهم ما يشير إلى هذا « ينفر بالضم من النفار والاشمئزاز ، وينفر بالكسر من نفر الحجاج من عرفات »[2] لأنني أرجح أن شكل الحروف قديماً كان له تأثير على المعنى .

(ب) ما جاء من لغتين فأكثر من الصحيح من غير باب نصر وضرب :

١ – جاء في كامل المبرد أن القتال الكلابي أنشد :

لا أرضَع الدهر إلا ثدْي واضحة   لواضح الحدّ يحمي حوْزة الجارِ

بفتح الضاد في أرضع ، كما ينشدون بيت عبد الله بن همام السلولي على وجهين وهو : « وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها » – بكسر الضاد وأنشد هـذا البيت مرة أخرى « وهم يرضعونها » بفتح الضاد[3] .

وباستشارة الأصمعي نجـده يعزو (لأهل الحجاز : رضع يرضع – بفتح الضاد في الماضي وكسرها في المضارع ، كما يعزو : رضع يرضع بكسر الضاد في الماضي وفتحها في المضارع – إلى قيس وتميم[4] كما عزا المصباح الصيغة على باب تعب – إلى نجـد ، ومن باب ضرب : لأهل تهامة وأهل مكة[5] .

ورواية الأصمعي ، والمصباح تحدد لنا الصيغة التي جاءت في شعر السلولي بأنها يجب أن تكون « يرضعونها » بفتح الضاد من « رضِع يرضَع » لا العكس كما جـاء في كامل المبرد[6] . والسبب في ذلك أن هذا الشاعر من سلول ، وهم من هوازن وينتهي نسبها إلى قيس عيلان[7] ، وقيس وتميم تقولان « رضع يرضع » بالكسر في الماضي والفتح في المضارع ومما يؤيد ذلك أن القتال الكلابي قالها كما تقولها قيس في بيته السابق ، والقتّال هذا – هو من بني كلاب بن ربيعة بن

---

(١) المواهب الفتحية : ٧١/١ – تأليف حمزة فتح الله . ط أولى ١٣١٢ هجريه .

(٢) المزهر : ٢٠٧/١ – ٢٠٨ .

(٣) الكامل للمبرد : ٣٥/١ .

(٤) كتاب الإبل للأصمعي : ٨٢ ضمن كتاب : القلب والإبدال لابن السكيت ت : هفنر .

(٥) المصباح : ٣٥١ .

(٦) الكامل : ٣٥/١ .

(٧) معجم قبائل العرب : ٥٣٩/٢ .

عامر بن صعصعة التي ينتهي نسبها إلى قيس عيلان أيضاً[١] ، ولهـذا أشك في رواية الجمهرة التي ساقها ابن دريد حيث ساق بيت السلولي السابق هكذا :

وذمّوا لنا الدنيا وهم يَرضِعونها أفاويق حتى ما يدرّ لها ثُعْل

ثم قال ابن دريد « لغته يرضعونها » أي بكسر الضاد . والصحيح أن لغتـه بفتح الضاد لا بكسرها - كما جاء عن الأصمعي وذكره المصباح ، والحقيقة أن مثل هذا الشعر لا يعتبر مصدراً أمينا للاستشهاد به في اللهجات اثما ، ذلك لأن الشعراء من العرب كان بعضهم ينشد شعر بعض ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ، ومن هنا كما يقول ابن هشام في شرح الشواهد « تكاثرت الروايات في بعض الأبيات »[٢] وأكبر شاهد لذلك الروايات التي جاءت في الكامل وفي الجمهرة عن بيت واحد للسلولي .

والعجيب في أمر هذا الفعل أن المصباح يسوق فيه لغة ثالثة وهي : رضع يرضع - بفتحتين[٣] وقد دلت [٤] الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع إذ الغرض في تلك الصيغ - إنما هو إفادة الأزمنة - فجعل لكل زمان مثال مخالف لصاحبه ، فالأصل في باب فعل - بفتح العين أن يأتي على - يفعل أو يفعل - بكسر العين أو ضمها - بنـاء على المخالفة السابقة فإذا وجدنا بعض الصيغ مثل « فعل يفعل بفتح العين في الماضي والمضارع » فلابد أن نلتمس عـلة لذلك ، وهي أن تكون عين الفعل أولا حرفاً من حروف الحلق الستة وهي : الهمزة والهاء والعين ، والحاء والغين والخاء ، وذلك أن حروف الحلق تخرج من أسفل الحلق ، وحروف الحلق ثقيلة شاقة ، والضمة والكسرة مرتفعتان من الطرف الآخر من الفم ، فلما كان بينهما هذا التباعد في المخرج كانت الفتحة أنسب وأحق لحروف الحلق ، لتعدل خفتها ثقـل هذه الحروف ، ولهذا يقول بن سيده « إن الفتحة من الألف والألف من الحلق »[٥] فالقرابة واضحة بينهما ولقد أكدت التجارب الحديثة ارتباطاً وثيقاً بين النطق بحروف الحلق والفتحة [٦] . لذلك لانعجب حين ساق

(١) معجم كحالة : ٣/٩٨٩ .

(٢) الاقتراح للسيوطي : ٣٠ .

(٣) المصباح : ٣٥١ .

(٤) الخصائص : ١/٣٨٠ ط الهلال .

(٥) المخصص : ١٤/٢٠٦ .

(٦) من أسرار اللغة : ٢٧ ط أولى .

لنا المصباح صيغة ثالثة وهي « رضع يرضع » بالفتح فيهما ، فاللام من حروف الحلق التي تؤثر الفتح ، فحرف الحلق هنا قد تغلب على المغايرة التي كان يجب أن تخضع لها تلك الصيغة ، وقد لاحظ سيبويه [1] تلك المغايرة في اشتقاق الأفعال كما لاحظها ابن سيده [2] ، والرضي [3] وابن جني في منصفه [4] ، وخصائصه [5] .

٢ – وفي أدب الكاتب « شحَجَ البغل يشحج ويشحج » من باب فعل يفعَل ويفعِل بفتح العين في المضارع وكسرها[6] وجاء في الجمهرة أن أبا زيد سمع أعراب قيس يقولون : شحج يشحج »[7] من باب فعل يفعل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع .

٣ – جاء في المصباح أن (نكل) من باب قعد ، وهي لهجة الحجاز ، كما جاءت من باب تعب لغة ، ومنعها الأصمعي[8] ، بينما جاء في حماسة المرزوقي والتبريزي ما يخالف هذا حيث عزا المرزوقي نكل ينكل بفتح عين الماضي وضمها في المضارع – إلى تميم ، وبكسر عين الماضي وفتحها في المضارع إلى الحجاز[9] ، وفي مخصص ابن سيده رواية مماثلة لما جاء في المصباح[10] ، مخالفة للمرزوقي والتبريزي في لهجة الحجاز . فتكون هذه المادة قد وردت من بابين : قعد وعلم .

٤ – وذكر يونس في نوادره « أن الحجاز يقولون : قد عرض لفلان شيء تقديره . علم ، وتميم : عرض له شيء تقديره: ضرب »[11] وتفسير رواية يونس أن لهجة الحجاز تراه من باب

---

(١) الكتاب : ٢/٢٥٥ .

(٢) المخصص : ١٤/٢٠٦ .

(٣) شرح الشافية : ١/٤٠ .

(٤) ١/١١٥ ط الحلبي .

(٥) ١/٥٣٥ ط الهلال .

(٦) أدب الكاتب : ٣٧١ .

(٧) الجمهرة : ٢/٥٦ .

(٨) المصباح : ٢/٩٦٦ .

(٩) شرح حماسة المرزوقي : ١/٢٤٩ ، والتبريزي : ١/٢٤٢ .

(١٠) المخصص : ٣/٦٤ .

(١١) المزهر : ٢/٢٧٦ .

فعل يفعل ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع ، ولهجـــة تميم ، تقوله : فعل يفعل ـ بفتح العين في الماضي وكسره في المضارع ، وقد ذكر ابن قتيبة هـــذه المادة ولم يعزها لقبيل من العرب[١] .

٥ ـ وجاء في رسالة الكسائي : عجزت عن الشيء ـ بفتح الجيم ، ومنه قوله تعالى : أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب »[٢] ، ويفهم من قول الكسائي أن الكسر لحن العامة ، لكن حكى الفراء « أن الكسر لغة لبعض قيس »[٣] وذكر الميمني أنه لغة رديئة[٤] .

٦ ـ ورد في اللسان أن : سخُن الشيء والماء ـ بالضم ، وسخَن : بالفتح أيضاً ، إلا أن لهجة بني عامر قد لزمت فيه الكسر[٥] .

٧ ـ وذكر ابن السكيت « وقـــد غِصِصْت باللقمة فأنا أغَصّ بها »[٦] وذكر ابن سيده في مكانين مختلفين من مخصصه أن « غصصت لغة في الرباب »[٧] .

ولما كان اللغويون ينظرون إلى صيغ اللهجات في الأفعال على أنها مخالفة ، بل ورديئة كما زعم بعضهم[٨] ، فقد رأيت أن من أهم ما أهدف إليه ، تقوية أقدام هذه اللهجات في الحقل اللغوي ، حتى تقف على أرض ثابتة ، ولهذا قويتها ووثقتها بجمع بعض القراءات القرآنية التي جاءت من غير باب نصر وضرب من الصحيح وأذكر الآن ما ورد منها :

١ ـ في قوله تعالى « قد شغفها[٩] حبًّا » قرأ الجمهور بفتح الغين المعجمة ، وقرأ ثابت البناني :

---

(١) أدب الكاتب : ٢٦٢ .

(٢) ما تلحن فيه العامة الكسائي : ٢٤ .

(٣) أفعال ابن القطاع : ٢/٣٤٠ .

(٤) ما تلحن فيه العامة للكسائي : ٢٤ حاشية .

(٥) اللسان : ١٧/٦٦ .

(٦) إصلاح المنطق : ١/٢١١ .

(٧) المخصص : ١٠/٥٨ ، ٥/٣١ .

(٨) ما تلحن فيه العامة : ٢٤ حاشية .

(٩) سورة يوسف : آية ٣٠ .

بالكسر[1] ، وكسر الغين لغة[2] تميم ، وأصل الفعل من باب فعـل يفعل بفتح العين في الماضي والمضارع ، ربما لأجل حرف الحلق ، لأنه يقتضي الفتحة .

٢ - كما قرأ الأشهب العقيلي « فاجنُح لها »[3] بضم النون وهي لغــة قيس - والجمهور بفتحها وهي لغة تميم[4] ، ولهجـــة قيس أقيس ، لأن ابن جني ذكر في المحتسب أن جنح غير متعد ، وغير المتعدي الضم أقيس فيه من الكسر ، فقعد يقعد أقيس من جلس يجلس[5] ، كما أن يفعل بكسر العــين أقيس من يفعل بضمها في المتعدي ، فضرب يضرب أقيس من قتل يقتل[6] .

٣ - وقرأ النخعي والحسن قوله تعالى « إن تَحرَص على هداهم »[7] بفتح الراء مضارع حرص بكسرها وهي لغة ، وقرأ الجمهور بالكسر - مضارع حرص - بالفتح وهي لغة الحجاز[8] وقال عنها ابن جني في المحتسب بأنها أعلاهما[9] .

٤ - وأنشد المبرد قول جرير : (فرغت إلى العبد المقيد في الحِجْلِ) .

ثم عقب على ذلك بقوله « تميم تقول : فرَغ يفرَغ فراغاً - (بفتح الراء في المضى والمضارع) وأهل العاليـــة وهم قريش ومن والاها : فرغ يفـــرغ (بفتح الراء في الماضي وضمها في المضارع)[10] .

والذي عزاه المبرد إلى أهل العالية وما والاها عــــزاه أبو حيان إلى لغة الحجاز في تفسيره

---

(١) البحر : ٣٠١/٥ .

(٢) البحر : ٢٩٩/٥ .

(٣) سورة الأنفال : آية ٦١ .

(٤) البحر : ٥١٤/٤ .

(٥) المحتسب : ٣٥٠/١ خط تيمور .

(٦) الخصائص : ٣٧٩/١ .

(٧) سورة النحل : آية ٣٧ .

(٨) البحر المحيط : ٤٩٠/٥ .

(٩) المحتسب : ٣٤/٢ خط تيمور .

(١٠) الكامل : ١٥/١ - ١٦ .

لقوله تعالى « سنفرغ لكم »[1] ولا مناقضة في هذا فقد كانت الأماكن الجغرافية عند العرب غير محددة تحديداً كافياً ، فقد كانوا يطلقون قريشاً ويريدون الحجاز ، أو العالية ويريدون قريشاً ، أو كنانة أحياناً ويريدون الحجاز . كما قرأ قتادة والأعرج بالنون وفتح الراء ـ وهي تميمية ، وقد ذكر أبو حاتم أنها لغة سفلى مضر[2] . وأرى أنه لاخلاف بين تميم وسفلى مضر ، لأن سفلى مضر هي القبائل النجدية ، أما عليا مضر فهي قريش وقيس[3] . ويلاحظ أن لهجة تميم آثرت الفتح لوجود حرف الحلق وهو الغين لأنه كثيراً ما يقتضي الفتحة ، كما يلاحظ أيضاً أن اللهجة التميمية آثرت الانسجام .

٥ ـ ذكر ابن قتيبة بعض أفعال جاءت من باب فعِل يفعَل ويفعِل ـ بكسر العين في الماضي ، وفتحها وكسرها في المضارع ـ منها : حسب يحسب ، ويحسب[4] .

وعن ابن الأنباري أن : حسب يحسب ـ بكسر السين فيهما لغة قريش[5] .

وكذلك عزاها صاحب اللغات في القرآن إلى[6] قريش أيضاً .

أما صاحب الإتحاف[7] ، وصاحب البحر[8] فقد عزياها إلى الحجاز . وقد عزيت في الغريب المصنف[9] ، وفي نوادر[10] أبي زيد ، وفي اللسان[11] ، وأدب الكاتب[12] . إلى عليا مضر . وأرى أنه لاتضارب في هذا العزو فقد كانت قريش ، والحجاز ، وعليا مضر كلها عند جغرافي المسلمين

---

(١) سورة الرحمن : آية ٣١ .

(٢) البحر المحيط : ٨/١٩٤ .

(٣) اللسان : ١٩/٣٢٦ .

(٤) أدب الكاتب : ٣٧٢ .

(٥) أضداد الأنباري : ١٠ .

(٦) كتاب اللغات في القرآن : ٢٩ .

(٧) الإتحاف : ١٦٥ .

(٨) البحر : ٢/٣٢٨ .

(٩) الغريب المصنف : ٣٧٥ مخطوط .

(١٠) النوادر : ٣٢٥ .

(١١) ٨/١٤٧ .

(١٢) أدب الكاتب : ٣٧٢ .

بمعنى واحد ـ يقصد منها جميعاً البيئة الحجازية وبعض قيس[1] ـ أما لهجة تميم فكانت في هذا الفعل : حَسِب يحسَب على فعل يفعل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كما ورد في البحر[2] ، والإتحاف[3] . وقد يقف في سبيلنا عزو يخالف هذا في تلك الصيغة ، إذ جاء في الغريب المصنف[4] . وفي نوادر أبي زيد[5] ، وفي اللسان[6] ، وفي أدب[7] الكاتب أنها لسَفلى مضر. وأرى أن قبائل سفلى مضر كانت تطلق على القبائل التي كانت تسكن نجداً ، فإذا عرفنا أن تميماً كانت تسكن نجداً كذلك ـ فلا إشكال بين الروايات التي أوهمت التضارب . وأرجح أن لهجة تميم ، أو سفلى مضر جاءت على القياس لأنه دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع .

وفي قوله تعالى « يحسبهم الجاهل أغنياء »[8] عزا أبو حيان الفتح إلى تميم ، والكسر للحجاز[9] كما قرأت القراء بهاتين اللهجتين[10] .

(جـ) الأجوف بين لهجات القبائل :

١ ـ ورد في كتاب الاشتقاق أن من قبائل نصر بن زهران ـ مالك بن وهب ابن سعد بن خالد بن كواد ثم ذكر ابن دريد أن « كواد » ـ يمكن أن يكون من كاد يكود في معنى كاد يكيد وهي لغة لهم[11] « وفي مكان آخر من الاشتقاق يذكر أن » من بطون الشُّرْي ـ

---

(١) اللسان : ١٩/٣٢٦ .

(٢) البحر المحيط : ٢/٣٢٨ .

(٣) : ١٦٥ .

(٤) الغريب المصنف : ٢٧٥ خط .

(٥) النوادر : ٢٢٥ .

(٦) اللسان : ٨/١٤٧ .

(٧) : ٣٧٢ .

(٨) سورة البقرة : آية ٢٧٣ .

(٩) البحر المحيط : ٢/٣٢٨ .

(١٠) الاتحاف : ١٦٥ .

(١١) اشتقاق ابن دريد : ٢٩٧ وستنفلد .

غالب بن عثمان ، ومن بني غالب بن عثمان الحدّان إلى أن قال « وفي لغتهم حاد يحود »[١] وذكر الحميري « أن حار يحار لغة بعض حمير في حار يحور إذا رجع وفي بعض مساندهم لِمَنْ مُلْكُ ظفار لحمير يَحَار »[٢] وفي الجمهرة « ويقولون : كاد يكود ويكيد – وحاد يحود ويحيد – لغة يمانية »[٣] .

وفي اللسان أن سيبويه حكى عن بعض العرب « لا أفعل ذلك ولا كَوْداً » بالواو كما حكى أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون : كيد زيد يفعل كذا – ومازيل يفعل كذا ، كما روى في بيت أبي خراش :

وكيد ضباع القُفّ يأكلن جثتي وكيد خراش قبل ذلك ييتم[٤]

وتشير كتب الأنساب أن نصر بن زهران – بطن من شنؤة[٥] ، كما أن الشمري بطن من زهران بن كعب[٦] . ومعنى هذا أن الظاهرة السالفة في قبائل الأزد القحطانية وهي أنهم عندما يقولون : كاد يكود ويكيد ، وحاد يحيد ويحود – كأنهم خلطوا في لهجتهم بين الحركتين (آي ، آو) ويمكن أن نرى أثر ذلك فيما جاء من قولهم : الشارة والشورة ، وهون وهين[٧] بمعنى ، وقيت وقوت[٨] ، وحور وحير ، ويظهر من نص سيبويه السابق أن صوت اللين المركب والذي يتمثل في قولهم « ولا كَوْداً = au » قد مرّ بتطورات عديدة فهو أولاً . كَوْداً = au ثم تطور إلى كُودا = O – بضم الكاف ، ثم تطور إلى كيد أو كاد ، وعلى هذا ورد بيت أبي خراش السابق . ويمكن أن نتلمس هذه التطورات في كثير من اللغات السامية ، فالفعل المبني للمجهول قد مر بنفس هذه التطورات فقد جاء في البحر أن هذيلاً وبني دبير يقولون : قُوْل[٩] بإخلاص ضم فاء الكلمة وسكون العين = au وهذا هو صوت اللين المركب ، ثم نرى

(١) الاشتقاق : ٢٩٩ .

(٢) شمس العلوم للحميري : ٣٠ .

(٣) الجمهرة : ٢/٢٩٨ .

(٤) اللسان : ٤/٣٨٦ وما بعدها .

(٥) معجم كحالة : ٢/٤٨٢ .

(٦) المرجع السابق : ٢/٥٩٠ .

(٧) المزهر : ٢/٢٤٠ .

(٨) المسكة من الرزق .

(٩) البحر المحيط : ١/٦١ .

تطوراً آخر وهو الإشمام إلى الضم إشارة إلى أن الضم أصل ما يستحقه الفعل ، وتكون حركة الفاء في الإشمام بين حركتي الضم والكسر فهي حركة مركبـــة من حركتين كسر وضم ، ثم رأيناه قـــد تطور إلى (O) ويمكن أن نرى شاهد ذلك في قراءة الكسائي وهشام « وقول يا أرضُ أبلعي ، وسُوق الذين اتقوا » « وسُوء بهم »[1] وقول الشاعر :

(وقـُول لا أهل له ولا مال)[2]

وقول الآخر :

(ليت شباباً بـُوع فاشتريتُ)[3]

وعزيت هذه اللغة إلى قيس وعقيل ومن جاورهم ، وعامة بني أسد[4] .

ثم نرى تطوراً أخيراً فيه وهو إخلاص الكسر – وجاء هذا على لهجة قريش ومن جاورهم من بني كنانة[5] .

ويلاحظ أن هذه التطورات لم تتم دفعة واحدة – بل عاشت في أطوار تأخـــذ بعضها بحجز بعض وفاقاً لمتطلبات المجتمع والحياة .

٢ – ورد في طبقات الزبيدي « ما سيّدتـُك العرب » لغة بني عامر[٦] « وقياس هذا الفعل من باب فعل يفعل بفتح العـــين في الماضي ، وضمها في المضارع وعينه واو ، وكأن العرب تقول : ما سودتك – ولكن بني عامر قالته بالياء . وأرجح أن بني عامر كلها لم تنطق هذا الفعل بالياء – بل الذين نطقوه منهم كذلك هم الحضر منهم ، ومما يرجح هذا أن منازل بني عامر بعضها كان في نجد ، والآخر كان في الطائف يتصيفون فيها لطيب هوائها ولاشك أن القاطنين منهم في الطائف كانوا حضراً ، وأن ساكني نجداً كانوا بدواً .

٣ – وفي نوادر أبي زيد « قال الحجاج الكلابي : أنا أجوء بها – أي أجيء بهـا »[٧] . وقياس

---

(١) الإتحاف : ١٢٩ ، البحر : ٦١/١ .

(٢) اللسان : ٩٣/١٤ .

(٣) التصريح : ٢٩٤/١ .

(٤) البحر المحيط : ٦١/١ .

(٥) البحر : ٦٠/١ ، تاريخ الأدب : ١٥ حفني ناصف .

(٦) طبقات اللغويين للزبيدي : ٢٩٥ ط أولى الخانجي .

(٧) نوادر اللغة : ١٠١ .

هذا الفعل أن يكون من باب فعل يفعل ـ بفتح في الماضي وكسرها في المضارع ، ولكن كلاباً أثرت صيغة أخرى ، ومما نستشهد به على لهجتهم ما روى عن ابن الأعرابي :

أبو مالكٍ يعتـادُنا بالظـّهائر   يجوء فيلقي رحله عند عامر[1]

وإذا كانت كلاب قد آثرت الصيغة الواوية في الفعـل على الصيغة اليائية فإننا نلمس بعض القبائل وقد انتهجت نهجاً مخالفاً فآثرت الصيغة اليائية على الواوية . ومن ذلك :

(أ) ماحكى عن أبي عمرو : قد تصيّح البقل ـ وتصوّح ، وقال العنبري : قد تصيّح[2] .

(ب) وقولهم : جاب الفلاة والثوب وكلَّ شيء جوْبا ، وعقيل تقوله « يجيب جَيْبا باليـاء[3] ، وقياس هذا الفعل فعل يفعل ـ بضم العين في المضارع وهو واوي العين .

واتماماً لمنهجنا الذي نسير عليه ، أعرض تصوير القرآن الكريم لهـذا الباب حتى يكون توثيقاً للهجات القبائل : فقد جاء في معاني القرآن في قوله تعالى « فَصُرهن إليك »[4] أن العامة قرءوا بضم الصاد ـ وكان أصحاب عبد الله يكسرون الصاد ، وهما لغتان[5] ، وكأن حجة العامة أنهم أخذوه من صار يصور ، إذا مال وانعطف بينما تخريج قراءة أصحاب عبد الله أنه مأخوذ من صار يصير .

ورجح الفراء الضم بقوله « فأمـا الضم فكثير »[6] والكسر كما في معاني القرآن[7] ، واللسان[8] معزو إلى هذيل وسليم ، لكن ابن الأنباري نقـل عن الفراء أن الكسر في بني سليم[9] . وأرجح أن الظاهرة كانت في هذيل وسليم ، لتقارب مساكنها ، ولأن مصدر اللسان

---

(١) المرجع السابق .

(٢) إصلاح المنطق : ١٣٧ .

(٣) أفعال ابن القوطية : ٥١ ط القاهرة .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٦٠ .

(٥) معاني القرآن : ١٧٤/١ ط دار الكتب . الفراء .

(٦) اللسان : ١٤٨/٦ ، ١٤٩ .

(٧) معاني القرآن للفراء : ١٧٤/١ .

(٨) اللسان : ١٤٨/٦ .

(٩) أضداد ابن الأنباري : ٢٩ .

وابن الأنباري في عزو اللهجة هو الفراء ، ولما رجعت إلى كتاب الفراء وجدت أنه عزا اللهجة إلى هذيل وسليم ، فمن الجائز أن يكون ابن الأنباري قد اختصر في عزو ، على بعض سليم ، لا سيما أن اللهجات العربية لم تكن في المكانة الأولى ولا الثانية من اهتمامهم ، ويمكن أن نلتمس شاهداً للهجة هذيل وبعض سليم فيما أنشده الكسائي عن بعض سليم :

وفرع يصير الجيــدَ وَحْفٍ كأنّه   على اللّيت قنوان الكروم الدّوالح[1]

ويصير معناها[2] يميل . أو يضم الجيد[3] . وإذا كان الشاهد السالف جاء بهــا من يصير ، فاننا نلمس شواهد أخرى على أنها من « يصور » ومنها :

(أ) ما أنشده أبو عبيدة للمعلي بن حمال العبدي :

وجاءت خلعــة دهسٌ صفايا   يصور عنوقها أحوى زنيم[4]

(ب) وقول الآخر :

فما تقبــل الأحياء من حُبِّ خندفٍ   ولكن أطراف العوالي تَصُورها[5]

وأرجح أن هذيلا وسليماً ـ قد آثرتا الصيغة اليائية ، لأن أغلب مجتمعها حضري والحضر غالباً ما يميلون إلى الكسر الذي هو أصل الياء ـ ألا ترى أنه يدل على الرقة ، ولهذا أصبحت الكسرة رمز المؤنث ، كما نجد التصغير بالياء التي هي أخت الكسرة[6] .

(د) الناقص ولهجات القبائل :

ويمكن أن نلمح سير لهجات القبائل على النمط الآتي :

---

(١) معاني القرآن : ١/١٧٤ .

(٢) اللسان : ٦/١٤٨ .

(٣) أضداد ابن الأنباري : ٢٩ .

(٤) المرجع السابق : ٣٠ ، وفي الحجة لابن خالويه البيت هكذا :

يصور عنوقها أحوى زنيم   له طاب كما صخب الغريم

الحجة : ورقة ٢٠ خط .

(٥) أضداد ابن الأنباري : ٣٠ .

(٦) من أسرار اللغة : ٨٠ ط أولى .

١ – ما جاء عن أهــل نجد من أنهم يقولون « لهوت عنه » بينا أهــل العالية يقولون : لـَهيت عنه[١] .

٢ – ورد في نوادر اليزيدي أن الحجاز تقول : قلوت البر وكل شيء يقــلي ، فأنا أقلوه قلواً . وتميم تقول : قليت البرّ فأنا أقليه قلياً ، وكلهم في البغض سواء يقولون : قليت الرجل فأنا أقليه قِلي[٢] .

٣ – وذكر المصباح « رفوت الثوب رفواً من باب قتــل – ورفيته رفياً من باب رمى لغـة بني كعب »[٣] .

٤ – جاء عن أبي الحسن « أن العرب تقول : محا يمحو ويمحا وقد جاء يمحي »[٤] وأرجح أن عقيلاً كانت تقول في هذا الفعل يمحا – بدليل ما أنشده أبو زيد لقحيف العقيلي :

أتعرف أم لا رسم دارٍ معطّلا من العام يمحاهُ ومن عام أولا[٥]

وقياس هذا الفعل أن يكون من باب فـَعل يفعل – بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع لأنه حلقي العين ولامه واو – إلا أنه يلاحظ على لهجة عقيل أنها آثرت فتــح عينه ، لوجود حرف الحلق – وهو الحاء فقالت « يمحاه » في يمحوه ، ويمكن أن نتلمس شواهد لتلك اللهجة في كتب العربية كقولهم « دحا الأرض يدحوها ويدحاها ، وصغا إليه يصغو ويصغي ، وقد جاء قوله تعالى : ولتصغي إليــه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة »[٦] وورد من باب رضي يرضي أيضاً[٧] .

وورد في مسند ابن حنبل عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) : إذا قلت لصاحبك يوم الجمعـة والإمام يخطب : أنصت فقد لغَيْتَ « قال سفيان : قال أبو زناد : هي لغــة أبي هريرة »[٨]

(١) المصباح : ٨٦٢/٢ .
(٢) المزهر للسيوطي : ٢٧٧/٢ .
(٣) المصباح : ٣٥٩/١ .
(٤) نوادر أبي زيد : ٢٠٩ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) سورة الأنعام : آية ١١٣ .
(٧) دروس التصريف : ١٢٨ محمد محي الدين .
(٨) المسند لابن حنبل : ٧٣٢٧/١٣ وانظر النهاية لابن الأثير : ٦١/٤ .

وقياس هذا الفعل أن يكون من لغا يلغو ـ ولكن أبا هريرة نطق بـــه على وزن يفعَل ـ بفتح العين في المضارع ـ ولعـل السبب في إيثاره الفتح هو وجود حرف الحلق . وإذا بحثنا عن أبي هريرة هذا وجدناه دوسياً وهم بطن من شنؤة من الأزد[1] . فكأن دوسا من هـــذه القبائل التي راعت حرْف الحلق فخصتها بحركات خاصة .

هذا ، وقد أخطأ رجل في نطق الفعل الناقص بحضرة أبي عمرو بن العلاء ـ حين أنشد قول المرقش الأصغر :

فمن يلقَ خيراً يحمد الناسُ أمره ومن يغوَ لا يعدم على الغيّ لائمَا

فقال له أبو عمرو : أقوّمُكَ أم أتركك تتسكّع في طمّتِك ؟ فقال : بل قَوّمني . فقال : قل : ومن يغو (بكسر[2] الواو) ألا ترى إلى قوله تعالى « وعصى آدمُ ربّه فغوَى »[3] وإنما أخطأ المنشد ، لأن الفعل من باب : قضى يقضي .

وإذا التفتنا ـ كعادتنا في هذا البحث ـ إلى كتاب الله صور لنا نموذجاً للهجات القبائل في الفعل الناقص :

١ – روى اللغويون أن « عسى » فيها لغتان :

(أ) أن تكون على وزن سعى .

(ب) أن تكون على وزن لقى ـ وأن عسى « إذا اتصل بهـــا ضمير الرفع ـ وهو المتكلم أو المخاطب أو الغائب ـ جاز كسر سينها وفتحها ، وذكر أبو حيان عن أبي بكر الأدفوي وغيره : « أن أهل الحجاز يكسرون السين من عسى مع المضمر خاصة[4] .

فهم يقولون : عِسيت وعسِيتما وعسِين ـ بكسر السين ، وقد قرأ نافع قوله تعالى : « قل هل عسيتم »[5] : بكسر السين ، وقرأ الباقون بفتحها[6] .

---

(١) معجم كحالة : ٣٩٤/١ .

(٢) طبقات اللغويين : ٢٩ الزبيدي .

(٣) سورة طه : ١٢١ .

(٤) البحر : ٢٥٥/٢ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٤٦ .

(٦) إبراز المعاني : ٢٥٥ .

والمحفوظ عند العرب أنه لا تكسر السين إلاَّ مع تاء المتكلم والمخاطب ونون الإناث وذلك على سبيل الجواز لا الوجوب ، ويفتح فيما سوى ذلك على سبيل الوجوب ، وربما كسرت السين في لهجة الحجاز حيث تنسجم مع الياء ، لأن الياء تناسبها الكسرة ، وذكر ابن عقيل بأن الفتح أشهر[1] ، لجريانه على القياس وهو عدم اختلافه مع الظاهر والمضمر بخلاف الكسر[2] .

٢ ــ جاء في البحر المحيط في قوله تعالى « فادْع لنا ربّك »[3] ولغة بني عامر (فادع) بكسر العين [4] . وقياسها دعا يدعو ــ ولكن بني عامر جعلتها من ذوات الياء فأصبحت عندهم « دعا يدعى » .

(هـ) المهموز :

المهموز إما أن يكون مهموز الفاء أو مهموز العين أو مهموز اللام .

(أ) أما مهموز العين كسأل ، فالأمر منه سل أو أسأل بهمزة الوصل ، لكن لهجة عبد القيس قد اتجهت إلى صيغة أخرى في الأمر من هذا الفعل ــ فقد جاء عن ابن خالويه « أنهم يقولون اسل زيداً وقد حكاها عنهم أبو زيد والفراء » [5] والمعروف في الفصحى أن همزة الوصل لا تدخل إلا على الساكن حتى يتوصل بها إليه ، ولكن الذي حدث في لهجة عبد القيس أن همزة الوصل دخلت على ما أوله متحرك ، فالفعل الأمر في الفصحى « أسأل » فنقلوا حركة الهمزة إلى السين وحذفوا الهمزة ثم أبقوا همزة الوصل على حالها ، وبلهجة عبد القيس هذه قرأت فرقة من القراء « البحر ١٢٦/٢ » .

(ب) ويمكن أن نرى نموذجاً لمهموز اللام بين قبائل الحجاز ، تميم ، والعالية فالفعل « برأ » :

١ ــ فد جاء في مقاييس ابن فارس عن اللحياني « يقول أهل الحجاز : برأت من المرض أبرُؤُ بُرؤا ، وأهل العالية : برأت أبرأ بَرْءا » [6] .

---

(١) ابن عقيل : ٢٩٤/١ .

(٢) التصريح : ٢١٠/١ .

(٣) البقرة : آية ٦١ .

(٤) البحر : ٢٣٢/١ .

(٥) ليس في كلام العرب : ١٢ .

(٦) معجم مقاييس اللغة : ٢٣٦/١ .

٢ – وفي اللسان « أهل العالية يقولون : برات أبرأ بَرءاً وبُروءاً ، وأهل الحجاز : برأت من المرض برءا بالفتح [١] ، وغير أهل الحجاز : برئت من المرض برءا بالضم » [٢] .

٣ – وجاء في المزهر عن نوادر اليزيدي : أهـــل الحجاز برأت من المرض ، وتميم برئت [٣] ، ونأخذ من هذه الروايات أن الفعل عند أهل العالية قد آثر الوزن فعَل يفعَل بفتح العين في الماضي والمضارع ، وأرجح أن هذا الوجه أقل الوجوه التي جاء عليها مضارع فعل بفتح العين ، وإنما آثرت العالية هذه الصيغة ، ربما لأجل حرف الحلق – وهو الهمزة في مثالهم . وأما عند الحجاز فقد جاء على فعَل يفعُل بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع كما يرى في مقاييس ابن فارس عن اللحياني .

وأما هذه الصيغة عند تميم ، كما جاء عن اليزيدي في كتاب المزهر ، وكذلك عند غـــير الحجازيين كما تقدم في اللسان ، فالصيغة خالفت عندهم لهجة الحجاز ولهجة العالية ، إذ أنها على وزن فعِل بكسر العين . ويفهم مما تقدم أنهم إذا قالوا « عند غير الحجازيين » يريدون بهـــذا تميماً كما يفهم هذا من مقارنة ما جاء في المزهر [٤] بما جاء في اللسان [٥] ، ونرى من عرض النصوص السابقة اختلاف المصادر بين العالية والحجاز وتميم حيث ترددت بين ُفعول عند الحجاز وفعَل بالفتح وفعول عند العالية ، وُفعل بالضم عند غير الحجازيين ، وربما أن تميماً هي الأخرى كانت تفعل ذلك .

كما أرجح أن لهجتى الحجاز والعالية تشتمل على انسجام الأصوات في تلك الصيغة ، بعكس لهجة تميم فيها .

(و) المثال في لهجات القبائل :

تذكر كتب التصريف أن فاء المثال الواوي في المضارع – تحذف وجوباً بشرطين :

١ – إذا وقعت الواو بعد ياء مفتوحة .

---

(١) اللسان : ٢٢/١ .

(٢) المرجع السابق : ٢٣/١ .

(٣) المزهر للسيوطي : ٢٧٦/٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) اللسان : ٢٣/١ .

٢ ـ وأن تكون عين المضارع مكسورة ـ مثل : وعد يعد ـ فإذا كانت عين المضارع مفتوحة وجب بقاء الواو مثل : وجل : يوجل « ومع هـــذا فقد سار كل قبيل من العرب متبعاً نهجاً خاصاً في تلك الصيغة :

(أ) فقد ذكر صاحب الخزانة أن لغة الحجاز يوجل[١] ، كما عزاها إليهم ابن سيده[٢] ، والسبب في هذا أن أهل الحجاز يقرون الواو على حالها إذا سكنت وانفتح ما قبلها وقال البغدادي عنها بأنها « أجود اللغات »[٣] .

(ب) وأما بنو تميم فقد نقل الشنقيطي عن ابن الأنباري ـ أنهم يقولون : وجع ييجع ووجل[٤] ييجل « وعلتها عند تميم أنهم كسروا اليـــاء لتنقلب الواو ياء ، لأن الواو الساكنة إذا انكسر ما قبلها أبدلت ياء . وقد وصفها البغدادي بأنها « شر اللغات »[٥] .

ونجد شاهداً لهذه اللهجة التميمية فيما رواه الجاحظ عن متمم بن نويرة يرثي أخاه :

قعيـــدكِ ألاّ تُسمعيني مسلامةً ولا تنكئي قرح الفؤاد فَيِيجعَا[٦]

وسبب رداءة اللغة التميمية ، أن الكسرة من الياء ، والياء تقوم مقام كسرتين، وعلل الفراء للغة تميم بقوله : « إنما كسروا ليتفق اللفظ فيهـــا ، واللفظ بأخواتها ، وذلك أن بعض العرب يقول : أنا إيجل وأنت تِيجل ونحن نيجل ، فلو قالوا : هو يوجل ـ كانت اليـــاء قد خالفت أخواتها »[٧] .

(جـ) وجاء عن ابن الأنباري أن بعض قيس يقول فيهـــا : وجل[٨] ياجل « وأصلها يوجل فكرهت قيس اجتماع الواو والياء ، فقلبتها ألفاً لانفتاح ما قبلها ، هذا ويلاحظ أن كثيراً من كتب العربية قد أهملت هذا العزو لاسيما ابن جني[٩] .

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي : ١/٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٢) المخصص : ١٤/٢١٨ .

(٣) الخزانة : ١/٢٣٤ .

(٤) ليس في كلام العرب : ١٥ .

(٥) الخزانة : ١/٢٣٤ .

(٦) البيان للجاحظ : ٢/١٩٣ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

(٧) الخزانة : ١/٢٣٤ .

(٨) ليس في كلام العرب : ١٥ .

(٩) المنصف : ١/٢٠٢ ط الحلبي .

وإذا أردنا أن نوثق هذه اللهجات نظرنا في كتاب الله ـ فنجد أنه قرىء باللهجة الحجازية في قوله تعالى « قولوا لا تَـوجل » كما جاءت قـــراءة آخرى في البحر المحيط « قلوا لا تاجل »[1] وهذه الأخيرة ـ وثقت لهجة قيس .

(د) قلنا في ما تقدم أول الحديث عن المثال بأن فاءه تحذف ـ إذا كانت عين المضارع مكسورة ولكن نرى أن لهجة عقيل لاتلتزم هذا فقد جاءت عندهم أفعال مكسورة العين في المضارع ـ وكان القياس أن تحذف كما في الفصحى ، ولكنها لم تحذف عنـد عقيل والأفعال هي : يَوغِر ، يَوْلِه ، يولِغ ، يوحِل ، يوْهِل ، بكسر العـين فيها ـ وهي في الفصحى إما مفتوحة العين ، أو محذوفة الفاء[2] .

(هـ) المثال الواوي يجيء على خمسة أوجه في الفصحى :

١ ـ مثال : علم يعلم . ٢ ـ مثال : كرم يكرم .

٣ ـ مثال : نفع ينفع . ٤ ـ مثال : حسب يحسب .

٥ ـ مثال : ضرب يضرب .

إلا أن قبيلة بني عامر قد سارت على نهج مخالف لما سبق ، فقد جاء عن ابن خالويه قوله«ليس في كلام العرب فعَل يفعُل (بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع) ممـا فاؤه واو إلا حرفاً واحدا ذكره سيبويه وهو : وجد يجد ـ (بضم العين في المضارع) قال جرير :

لو شِئْت قد نقع الفؤادُ بشربة تدع الصّوادي لا يَجُدن غليلا[3]

ولا نزال في قلق على أمام رواية ابن خالويه عن سيبويه ، إذ لم يعبين لنا مَنْ هي القبيلة التي آثرت هذا المنزع ، بدليل نقل ابن يعيش عن سيبويه حيث يقول (أي سيبويه) :

وقد قال ناس من العرب[4] » ولكن الرضي أزاح هـذا الغموض عندما قال : « وهي لغـة

(١) البحر المحيط : ٥/٤٥٨ .

(٢) ابن عقيل : ٢/٤٩٣ تكلة في تصريف الأفعال .

(٣) ليس في كلام العرب : ٤ .

(٤) ابن يعيش : ١٠/٦٠ .

بني عامر »[١] ، وكذلك عزاها إلى بني عامر كل من الفارابي[٢] والفيومي[٣] . وذكرها صاحب التصريح[٤] ، واللسان[٥] ، والسيوطي[٦] ، بأنها لغــة عامرية . ولكن كيف تكون لهجة بني عامر ، مع أن الشاهد عليها من قول جرير كما رأى ابن خالويه ، وجرير كما ترى كتب الأنساب ينتهي نسبه إلى يربوع بن حنظلة بن زيد بن مناة بن تميم[٧] . وشتان بين تميم وبني عامر في عــالم الأنساب والجغرافيا ، وقد تتبعت أيضاً كتب العربية لا ُتعرف على قائل هذا البيت، فقد نسبه الرضي إلى لبيد بن ربيعة[٨] ، وكذلك عــزاه صاحب التصريح[٩]، واللسان[١٠] . ولبيد من عامر بن صعصعة وبرجوعي إلى ديوان لبيد[١١] لم أجد الشاهد فيــه بل وجدته في ديوان جرير (ص ٤٥٣ ط الصاوي الأولى) ومن هنا أرجح أن الظاهرة ليست لهجة بني عامر والذي جرهم إلى الوهم في عزو الظاهرة لبني عامر أن ابن عامر قرأ بها في قوله تعالى (ولا يجد لهم من دون الله وليا) بضم الجيم : « مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٢٩ » فظنوا أنه من بني عامر ، والواقع أنه يحصبي يمني « طبقات القراء ١٠٦/٢ » بل قد جــاء الفعل (يجد) في ديوان لبيد العامري بكسر الجيم في قوله : (فإن لم تجــد من دون عدنان والدا) الديوان (ص ٢٥٥) (ط الكويت) .

وهل هذا الصنيع – في هذا الفعل وحده أم فيــه وما يشبهه ؟ أن جميع كتب العربية لا تمثل إلا بهذا الفعل وحده دون أخواته ، ولكن وقع في التسهيل ضد هذا ففيه « أن لغة بني عامر ضم العين في مضارع المثال مطلقاً بدون التقيــد بلفظ « وجد » فيقولون : ولد : يلـُد ،

---

(١) الشافية : ١٣٢/١ .

(٢) ديوان الأدب : ورقة ١٣٤ خط .

(٣) المصباح : ١٠٠٤/٢ .

(٤) التصريح : ٣٩٦/٢ .

(٥) ٤٥٨/٤ .

(٦) المزهر : ٢٩/٢ .

(٧) مختصر شرح التبريزي : ٤٦٩/١ .

(٨) الشافية : ١٣٢/١ .

(٩) ٣٩٦/٢ .

(١٠) ٤٥٨/٤ .

(١١) ط الكويت تحقيق د. احسان عباس ١٩٦٢ .

ووعد يَعُد – ونحوها بالضم في الكل[1] « وقوله في التسهيل يخالف آراء رجال اللغة والنحو مثل السيرافي الذي يرى أن بني عامر يقولون ذلك في يجد – وهم في غير يجد كغيرهم »[2] – والذي أرجحه أن هذه اللهجة عامة في كل مافاؤه واو من المثال حيث يحذفون الفاء ويضمون العين من كل مثال واوي على (فعَل) بفتح العين ، ولعل السبب الذي دعا هؤلاء النحاة إلى تخصيصهم هذه اللهجة عامر بكلمة (يجُد) فقط ، أن استقراءهم للظاهرة كان ناقصاً ، وليس معنى هذا أننا ننكر ما جاء مثلها عنهم ، لأننا لم نسمعها منهم ، إذ اللغة كما يقول أبو عمرو فيها: « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم « وشعر كثير »[3] وأريد أن أناقش السيرافي الذي يرى أن هذه اللهجة مقصورة على هذا المثال فقط وهو يجد – لماذا اختصت الجيم بالضمة ؟ ، وهل هناك علاقة ما بين الضمة والجيم ؟ أنا لا أرى علاقة بين الضمة والجيم ، حتى تستأثر الضمة بها دون غيرها .

وهذه اللهجة لهجة عربية على الرغم من الأوصاف التي وصفها بها النحاة كالمحقق الرضي الاستراباذي حيث وصفها بالضعف[4] . وقول الفراء « ولم نسمع لها بنظير »[5] كما وسمها السيوطي بالشذوذ[6] – وما ذلك إلا أنها خالفت قواعدهم إذ أن قياسها عندهم أن تبقى الواو التي هي فاء الكلمة ولا تحذف ، فكان حقهم أن يقولوا : يوجد : بوزن ينصر – غير أنهم حذفوا الواو قبل الضمة كما يحذفها العرب كافة قبل الكسرة : شذوذاً واستثقالاً . « وكأن الواو سقطت في هذه اللهجة لوقوعها في الأصل بين ياء مفتوحة وكسرة ، ثم ضمت الجيم بعد سقوط الواو من غير إعادتها لعدم الاعتداد بالعارض »[7] .

وأرى أنه لا التفات إلى ماوصف به النحاة ورجال اللغة هذه اللهجة – لأنها تمثل في نظري بيئة لغوية يجب احترامها ، ولا التفات إلى رميهم إياها بالشذوذ ، لأن لكل لهجة نظامها الخاص بها ولا ينبغي أن نحكم فيها قواعد لهجة أخرى .

---

(١) ابن يعيش : ١٠/٦٠ – ٦١ حاشية .

(٢) الشافية : ١/١٣٣ حاشية .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٢٣ تحقيق شاكر .

(٤) الشافية : ١/١٣٢ .

(٥) ابن يعيش : ١٠/٦٠ – ٦١ حاشية .

(٦) المزهر : ٢/٣٩ .

(٧) المصباح : ٢/١٠٠٤ .

وقد سبق أن وثقت هذه اللهجة بقراءة قرآنية – وقراءات القرآن يحتج بها على العربية ، لو كانت القراءة شاذة مادامت لم تخالف قياساً معروفاً ، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك لحرف بعينه ، لأن القراءة سنة متبعة أساسها التلقي ، كما أنها موثقة بالرواية الصحيحة ، والسند متصل : قال سيبويه « والقراءة لا تخالف ، لأنها سنة »[1] .

ز) المضاعف في لهجات القبائل :

وجدت بعد إحصائية لباب المضاعف الثلاثي – وهو ما كان عينه ولامه متماثلين – أنه يرد في اللهجات العربية من الأبواب الآتية :

– باب نصر ينصر .
– باب ضرب يضرب .
– باب علم يعلم .

والآن أعرض نصوص الأفعال المضاعفة مما فيها لغتان في لهجات القبائل العربية ، بعد جمعها من المصادر ، ثم أعرض موقف القرآن الكريم لهذا الباب ، لنرى أنه كان صدى للهجات القبائل .

أ) ورد في المصباح « أن لغة بني أسد : « جفّ » الثوب من باب تعب »[2] وهذا الفعل في الفصحى من باب « ضرب » .

ب) جاء عن أبي عبيد في المخصص – أن الكلابيين يقولون : « غَشَ قلبه يغش »[3] بكسر الغين وهذا الفعل في الفصحى من باب فعَل يفعُل – بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع أي غش يغش – بضم الغين .

ومثل هذا ما جاء عن الكلابيين في رواية ابن السكيت « غل صدره يغل غلا »[4] بكسر الغين في المضارع ، وجاء هذا الفعل بضم الغين أيضاً ، وذلك في قول النبي (ﷺ) « ثلاث لا يغُل عليهن قلب مؤمن »[5] فإنه يروى : لايغل ولايغل بكسر الغين وضمها .

---

(١) الكتاب : ٤٨١/١ .
(٢) المصباح : ١٦١/١ .
(٣) المخصص : ١٣٠/١٣ .
(٤) المخصص : ١٣٠/١٣ .
(٥) المرجع السابق .

(جـ) وفي اللسان : قد لبُبْتُ ألبّ ، ولبِبْتَ تَلَبّ : أي صرت ذا لبّ . وأهل الحجـ
يقولون في هـذا الفعل : لب[1] يلِب – بفتح الياء وكسر اللام في المضارع ، وأما الـ
الحجازية فقد جاءت بالصيغة من باب (علم) والدليل على هـذا ما جاء في اللسان حـ
قيل لِصَفيّة بنت عبد المطلب وضربت الزبير ، لم تضربينه ؟ فقالت : ليلب « بفتح ا
وفتح اللام » ويقود الجيش ذا اللجب : أي يصير ذا لب .

وصفية هذه من البيئة الحجازية ، ومما يؤيد أنها لهجة حجازية أن ابن الأثير عزاها لغـ
للحجاز[2] ، فتكون الحجاز آثرت لها وزن علم يعلم ، ونجد نطقتها على وزن فرّ يفر .

(د) وجاء في ديوان الهذليين بيت عزي إلى حبيب الأعلم :

كأن مُلاءتي على هِزَف[3] يعُنّ مع العشية للرّئال[4]

وفي الشاهد العين مضمومة من يعن ، والأصل أن تكون العين مكسورة »[5] فكأن هـ
الفعل قد ورد من بابين ، وهذيل آثرت الضم بدليل أن الشاعر الأعلم – هذلي ، كما أ
السكري شارح الديوان أيد[6] هذا .

ويمكن أن نوثق اللهجات العربية في الفعل المضاعف بما ورد في القرآن الكريم فقـد ذ
ابن سيده « أن يحيى بن وثاب كان يقرأ كل شيء في القـرآن : ضللت ، وضللنا
بكسر[7] اللام » .

كما قرأ الجمهور قوله تعالى « قل إن ضللتُ فإنما أضلّ[8] على نفسي » بفتح اللام وكسر الضـ
من أضل ، وقرأ الحسن وابن وثاب وعبد الرحمن المقرى – بكسر اللام وفتح الضاد وهي لغة (

(١) اللسان : ٢/٢٢٥ – ٢٢٦ .
(٢) اللسان : ٢/٢٢٦ .
(٣) الهزف : من الظلمان : الجافي .
(٤) ديوان الهذليين : ٢/٨٣ ط دار الكتب .
(٥) دروس التصريف : ١٣ محي الدين .
(٦) ديوان الهذليين : ٢/٨٣ حاشية .
(٧) اللسان : ١٣/١٤ .
(٨) سورة سبأ : آية ٥٠ .
(٩) البحر : ٧/٢٩٢ .

تميم » ، وفي البحر لأبي حيان أن الجمهور قرأ قوله تعالى « وقالوا أئذا ضللنا في الأرض »[1] بفتح اللام ، والمضارع يضل بكسر عين الكلمة وهي لغة نجد[2] « وفي المصباح بأن لغة العالية من باب تعب »[3] وكتبت في مصحف ابن مسعود[4] « ضللت » بكسر اللام . وبالرجوع إلى المصادر العربية أمكنني تصنيف هذه المادة كما ترى :

١ – ورد في الهمع أن تميماً تقول : ضللت[5] تضل – (بكسر اللام في الماضي والضاد في المضارع) ، كما ورد مثل هذا العزو عن أبي حيان[6] .

٢ – وجاء عن اللحياني أن « أهل الحجاز يقولون : ضللت أضل (بكسر اللام في الماضي ، وفتح الضاد من المضارع »[7] ، ومما يرجح أنها لهجة الحجاز أنه جاء في شواذ ابن خالويه أن علي بن أبي طالب [8] قرأ بها – وعلي قرشي حجازي .

٣ – وفي إصلاح المنطق أن « أهل العالية تقول : ضللت [9] أضل » (بكسر اللام في الماضي ، وفتح الضاد من المضارع ، ووافقه في هذا صاحب المصباح [10] ، والفارابي في ديوان [11] الأدب ، والمخصص[12] ، وصاحب البحر المحيط[13] ، واللسان[14] .

---

(١) سورة السجدة : آية ١٠ .

(٢) البحر : ٢٠٠/٧ .

(٣) المصباح : ٥٥٤/٢ .

(٤) مصحف ابن مسعود : Materials ... Sura : ٦ .

(٥) الهمع : ١٦٤/٢ .

(٦) البحر : ٢٩٢/٧ .

(٧) اللسان : ٤١٤/١٣ .

(٨) مختصر شواذ القرآن : ١١٨ .

(٩) إصلاح المنطق : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(١٠) المصباح : ٥٥٤/٢ .

(١١) ديوان الأدب : ورقة ٢٧٠ مخطوط في تيمور .

(١٢) المخصص : ٥٧/١٥ .

(١٣) ٢٠٠/٧ .

(١٤) ٤١٤/١٣ .

٤ — وعزي ابن السكيت : ضللت تضل (بفتح اللام في الماضي ، وكسر الضاد في المضارع) إلى نجـــد [١] ، ووافقه صاحب المصباح [٢] . وصاحب المخصص [٣] ، والبحر [٤] ، وصاحب اللسان عن اللحياني [٥] .

وبالنظر إلى هذه الروايات نستخلص :

(أ) أن تميماً آثرت في هذا الفعل المضاعف صيغة فعل يفعل بكسر العين في الماضي والمضارع معاً ، وكأن تميماً سارت في طريق خاص بهـــا ، إذ الثابت أن القياس أن تخالف بين حركتي عين الماضي والمضارع ولهذا لم ينقل ابن القطاع في كتابه إلا هذا الفعل الذي جاء بكسر عين الماضي والمضارع [٦] ، وعزاه لتميم ، ولهذا أرجح خطأ ابن منظور عن كراع حيث عزا لتميم : ضللت أضل — بكسر اللام في الماضي وفتح الضاد في المضارع [٧] .

(ب) أن لهجة العالية اتفقت مع لهجة الحجاز في هذه الصيغة ، وهذا يرجع إلى أن رجال اللغة كانوا لايفرقون بين لهجة الحجاز والعالية ، وقد آثرت الحجاز والعالية صيغة (فعِل يفعَل) بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع فخالفت بينهما في الحركة .

(جـ) أن لهجة نجد آثرت صيغة (فعَل يفعِل) بفتح العـــين في الماضي وكسرها في المضارع . ولابد من ملاحظة أن لهجة نجد هنا اختلفت عن لهجة تميم في الصيغة ، وكثيراً ما يذكر اللغويون كلمة (نجد) ويقصدون بها تميماً ولكنني هنا أرجح أن المراد بنجد في هـــذا المكان — قبائل قيس ، وهي المنطقة الوسطى بين تميم والحجاز ، ولا يصح أن يراد بها هنا تميماً ، لأن تميماً آثرت صيغة خاصة ذكرناها سابقاً ، ومنطقة قيس هـــذه تعتبر منطقة وسطا بين تميم والحجاز من الناحية الجغرافية وهي وسط في تلك الصيغة اللهجية التي معنا أيضاً حيث آثرت (فعَل يفعِل) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع ، بينما آثرت

---

(١) إصلاح المنطق : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) ٥٥٤/٢ .

(٣) ٥٧/١٠ .

(٤) ٢٠٠/٧ .

(٥) اللسان : ٤١٤/١٣ .

(٦) أفعال ابن القطاع : ٩/١ - ١١ .

(٧) اللسان : ٤١٤/١٣ .

اللهجة الحجازية ولهجة العالية . (فعِل يفعَل) بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع أما تميم فقد آثرت (فعِل يفعِل) بكسر العين في الماضي وكسرها في المضارع .

كما أرجح أن الفرق كان ضئيلاً بين القبائل القيسية والفصحى ، بدليل أن رواة اللغة وعلماءها قد وصفوا لهجتهم في الصيغة التي ندرسها الآن وهي (ضل) بقولهم « وهى الفصحى وبها جاء[1] القرآن » كما وصفها ابن سيده « بأنها الفصيحة[2] العالية » ووصفها أبو حيان « بأنها الشهيرة[3] الفصيحة » ووسمها ابن السكيت[4] والجوهري[5] بأنها الفصيحة .

---

(١) المصباح : ٢/٥٥٤ .

(٢) المخصص : ١٥/٥٧ .

(٣) البحر المحيط : ٧/٢٠٠ .

(٤) إصلاح المنطق : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٥) اللسان : ١٣/٤١٤ .

« تداخل اللغات وتركبها »

وتداخل اللغات ، أو « تركّب اللغات » [1] كما سماه ابن جني ، أن يؤخذ الماضي من لغة ، والمضارع من لغة أخرى . وقد ساق ابن جني في المنصف والخصائص أمثلة لهذا التداخل [2] مثل قولهم : « قنَط يقنِط » بفتح العين في الماضي ، وكسرها في المضارع – لغة ، وقولهم : قنط يقنَط – بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع لغة أخرى ، ثم تداخلتا فتركبت لغة ثالثة وهي قولهم : قنَط يقنْنَط – بفتح العين فيها »[3] وإذا نقبنا في كتب العربية عثرنا على أمثلة أخرى منها :

١ – فضل – حيث جـاء من باب نصر وعلم ، وركب منها لغـة ثالثة وهي فضل يفضل بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع ، وقد قال عنها ابن دريد « بأنها شاذة لم يجيء لها نظير إلا حضر يحضر »[4] وعزيت إلى الحجاز[5] .

٢ – عزا أبو حيان الفتح في « يحسبهم » إلى تمـيم ، بينما الحجاز تكسر السين ، وذلك في قوله تعالى « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف »[6] ، كما قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين حيث وقع ، وقرأ باقي السبعة بالكسر[7] ، كما نسب الكسر إلى قريش ، والفتح إلى تميم في قوله تعالى : « ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا »[8] ، ولاشك أن الرواة ما كانوا يفرقون بين قريش والحجاز[9] ، الأمر الذي لا نقبله الآن . لهجة تميم هنا جاءت على القياس ، لأن

---

(١) الخصائص : ١/٣٧٩ ط الهلال .

(٢) المنصف : ١/٢٥٦ وما بعدها ، الخصائص : ١/٣٨٠ وما بعدها .

(٣) الخصائص : ١/٣٨٦ ط الهلال .

(٤) اشتقاق ابن دريد : ٤٠ وستنفلد .

(٥) المرجع السابق .

(٦) سورة البقرة : آية ٢٧٣ .

(٧) البحر المحيط : ٢/٣٢٨ .

(٨) سورة الأنفال :

(٩) اللغات في القرآن : ٢٩ .

صيغة الماضي مغايرة لصيغة المضارع ، بعكس لهجة الحجاز التي جاءت على غير ذلك ، (والتركيب في هـــذا المثال يكون بأن تميماً : تقول حسِب يحسَب – بكسر العين في الماضي وفتحه في المضارع ، وتنطقه قبيلة أخرى : حسَب يحسِب على مثـــال ضرب يضرب ، والحجاز أخذت الماضي من لغـــة ، والمضارع من لغة أخرى فانكسر الماضي والمستقبل فيها .

٣– كذلك جاءت الأفعال الآتية على تداخل اللغات وهي :
نكل ، ودام ، ومات .

(أ) « فنكل » جاءت من بابي « نصر وعلم » وركبت منها لغة ثالثة – بكسر عين الماضي ، وضم عين المضارع ، فقيل « نكِل ينكُل » بكسر العين في الماضي ، وضمها في المضارع . وقد نسب المرزوقي[١] ، وكذلك التبريزي[٢] كل صيغة إلى قبيلتها ، فنكل ينكل بفتح العين في الماضي ، وضمها في المضارع تميمية ، وكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع – حجازية . وأما ابن سيده ، وصاحب المصباح فقد خالفا المرزوقي والتبريزي فنكل – من باب قعد – لغة الحجاز . عند صاحب المصباح[٣] ، ونكِل – بكسر العين – تميمية عن ابن سيده[٤] ، واتفق مع الفيومي في لغه الحجاز .

(ب) وأما (دام) – فجاءت من باب « نصر وعلم » وركبت منها لغة ثالثة بكسر عين الماضي، وضم عين المضارع فقيل « دمت تدوم »[٥] ، وقد نسب أبو حيان » دمت بكسر الدال « تدوم » بضم العين إلى تميم ، كما نسب الفراء « دام يدوم » إلى الحجاز .

وإذا التفتنا إلى كتاب الله نستشف منه هذه اللهجات – رأينا أن عبد الرحمن السلمي ويحيى ابن وثاب ، والأعمش : قرءوا : « إلا مادمت عليه قائماً »[٦] بكسر الدال – وهي لغة تميم[٧] .

---

(٣) حماسة المرزوقي : ٢٤٩/١ .

(٤) حماسة التبريزي : ٢٤٢/١ .

(٥) المصباح : ٩٦٦/٢ .

(٦) المخصص : س ٣ – ٦٤ .

(٧) الخصائص : ٣٨٦/١ ، المنصف : ٢٥٦/١ .

(٦) سورة آل عمران : آية ٧٥ .

(٧) البحر : ٥٠٠/٢ ، مختصر شواذ القرآن : ٢١ .

وفي مصحف ابن مسعود قرىء (دِمت) بالكسر بدل (دمت) بالضم[1] .

(جـ) وأما (مات) فقد جاءت من بابي نصر وعلم – وركبت منها لغة ثالثة بكسر عين الماضي، وضم عين المضارع فقيل « مِت تموت » ويقول ابن جني : بعضهم يقول « مت تمـــات » وبعضهم يقول « مُت تموت » ثم سمع من أهل لغة – الماضي ، وسمع من أهل لغة أخرى المضارع – فتركبت من ذلك لغة أخرى[2] . وفي القرآن : قرأت القرأة – بلغة الحجاز في قوله تعالى « ولئن قُتِلتُم في سبيل الله أو مِتّم »[3] بكسر الميم من (مات يمات)[4] كما قرىء (أو مُتم) بالضم لغـــة تميم[5] ، وهي : سفلى مضر ، كما ذكره صاحب الدر اللقيط[6] ، وعزو الكسر لاهجة الحجاز الحضرية ، والضم للهجة تميم البدوية – مما يؤكد أن القبائل البدوية بوجه عام – مالت إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة ، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ، كذلك مالت اللهجة الحجازية إلى الكسر ، لأنه دليـــل التحضر والرقة ، لأن الكسرة حركة المؤنث في اللغة العربية ، والتأنيث محل الرقة[7] ، بل إن من المحدثين من يرى أن الكسرة تعبر عن صغر الحجم ، والرقة ، وقصر الوقت[8]. ألا ترى أن الياء التي هي فرع عن الكسرة تعد أساساً للتصغير ؟ لهـــذا لم يكن عجباً من أبي حيان حين عزا (مِتم) بالكسر إلى الحجاز[9] ، (ومُتم) بالضم – إلى سفلى مضر – أو تميم[10] كما رأى ذلك صاحب كتاب اللغات في القرآن .

---

(١) مصحف ابن مسعود : تاريخ المصاحف : جفري .

(٢) المنصف : ٢٥٦/١ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٧ .

(٤) البحر : ٩٦/٣ .

(٥) اللغات في القرآن : ٤٢ .

(٦) الدر اللقيط : ٩٥/٣ .

(٧) في اللهجات العربية : ٨١ ط ٢ .

(٨) من أسرار اللغة : ٨٠ ط ١ .

(٩) البحر المحيط : ٩٦/٣ .

(١٠) كتاب اللغات : ٤٢ .

« مذهب أبي الفتح في تركب اللغات »

لأبي الفتح بن جني رأى في تداخل اللغات ، ذكره في خصائصه[١] ، وفي منصفه[٢] ، كما أشار إليه سيبويه[٣] في كتابه ، وابن القطاع في أفعاله[٤] ، وابن يعيش[٥] في شرحه ، وأبو حيان[٦] في تفسيره ، كما جاءت صيغ لتداخل اللغات في إشتقاق ابن دريد[٧] . والإبل للأصمعي[٨] . والاقتراح للسيوطي[٩] ، وكذلك المزهر[١٠] ، وقد ضربت أمثلة له فيما سبق ، ويفسر هؤلاء الأئمة جميعاً التداخل بأن يرد الفعل من بابين تبعاً لتلفظ قبيلتين ، ثم تعرف إحداهما لغة الأخرى فتستعمله استعمالها ، ثم تولد من البابين باباً ثالثاً بأن تأخذ الماضي من إحداهما والمضارع من الأخرى ، ويقول صاحب الاقتراح « تلاقي أصحاب اللغتين فسمع هذا لغة هذا وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد من صاحبه ما ضمه إلى لغته – فتركبت هناك لغة ثالثة »[١١] وكذلك مال ابن درستويه في شرح الفصيح إلى هذا في تفسير التداخل فهو يقول « شملهم الأمر يشملهم – لغات ، فمن العرب قوم يقولون : شمَل – بفتح الميم من الماضي وضمها في المستقبل ، ومنهم من يقول : شمِل بالكسر يشمل بالفتح ، ومنهم من يأخذ الماضي من هذا الباب والمستقبل من الأول فيقول: شمل بالكسر يشمل – بالضم »[١٢] .

---

(١) الخصائص : ٣٧٩/١ ط الهلال .

(٢) المنصف : ٢٥٦/١ ط الحلبي .

(٣) ٢٢٧/٢ ، ٣٦١/٢ .

(٤) ١١/١ .

(٥) ١٥٤/٧ .

(٦) ٩٦/٣ ، ٣٢٨/٢ ، ٢٦٩/٥ .

(٧) ٤٠ ط وستنفلد .

(٨) كتاب القلب والابدال : ٨٢ لابن السكيت .

(٩) الاقتراح : ٢٥ ، ٢٦ .

(١٠) المزهر : ٢٦٥/١ .

(١١) الاقتراح : ٢٦ .

(١٢) المزهر : ٢٦٥/١ .

ولا أرى موافقة هؤلاء الأئمة لهذا التفسير لما يأتي :

(أ) أن تفسير هؤلاء لهذه الظاهرة – يبدو عليه الصنعة والتكلف ، لاسيما وأن ابن جني ألح عليه هذا التفسير ، فمن أخبرنا بأن فضل – بالكسر – يفضل ، بالضم هي لغة ثالثة مركبة من فضل يفضل أي من باب دخل يدخل ، وحذر يحذر كما يقول ابن جني ، وكما يرى ذلك ابن يعيش [1] ؟ ما أرى ذلك إلا نوعاً من الدربة الذهنية ، والرياضة العقلية البحتة ، التي لا تخضع لها تفسير الظواهر اللغوية واللهجية . ويمكن أن نجد مثالاً للصنعة اللغوية والدربة الذهنية في دفاع ابن جني عن مذهب تداخل اللغات . ذلك في قوله تعالى « ويهلك الحرث والنسل » [2] فقد روى هارون عن الحسن وابن أبي إسحق وابن محيصن « ويَهْلَكُ » بفتح الياء واللام ورفع الكاف – الحرثُ والنسلُ – رفع فيهما ، وابن مجاهد يغلط القراءة ، ولكن ابن جني ينبري للدفاع عنها معتمداً على دربته الذهنية وأقيسته الصناعية إذ يقول : لعمري إن ذلك ترك لما عليه اللغة ... ثم ينقل ابن جني عن أبي بكر « أنه كان يذهب في هذا إلى أنها لغات تداخلت » [3] .

وكان يمكن لابن جني أن يدافع عن صحة القراءة السابقة – بأنه لا وجه لتغليطها لأنها جاءت عن طريق الرواية – ثم قرأ بها ابن أبي إسحق . وكان قارئاً ، وله قدم في اللغة ، وكان على اللغويين أن يبحثوا في المعنى أولاً – بمعنى أن الفعل هلك إذا جاء في قبيلة من باب (ضرب) وفي أخرى من باب (علم) هل يكون المعنى واحداً فيهما ، أم يختلف باختلاف الصيغة ؟ وكان عليهم أن يبحثوا أيضاً عن الباب الأصلي لهذه المادة ، والفرعي فيها ، وهل الأصلي يتساوى مع الفرعي في المعنى أو يزيد أو ينقص أو ينحرف معناه قليلا أو كثيراً ؟

(ب) ثم إنه ليس من السهل أن يشكل العربي صيغة يأخذ نصفها – أو ماضيها من لهجة – ونصفها الآخر ، أو مضارعها من لهجة أخرى ، فإننا عهدنا العربي يحرص على أن يقلد قومه في لغتهم ويدفع ما سوى ذلك ، ألا ترى إلى قول رسول الله (ﷺ) وقد قيل له : يا نبيء الله ، فقال – لست بنبيء الله [4] ، ولكنني نبيّ الله . فالنبيّ هنا أنكر الهمز في

---

(١) ابن يعيش : ١٠٤/٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٥ .

(٣) المحتسب لابن جنى : ١٣١/١ مخطوط .

(٤) اللسان : ٤٠/٧ ، اشتقاق ابن دريد : ٢٧٣ وستنفلد .

اسمه لأنه ليس من لغته ! وكذلك عندما سأل أبو زياد الكلابي – أبا عبد الله بن الأعرابي عن قول النابغة (على ظَهْر مِبْنَاة) فقال أبو عبد الله : النَّطع، فقال أبو زياد : لا أعرفه، فقال : النِّطَع، فقال أبو زياد : نعم[1] فالعربي إذن في تلك القصة أنكر غير لغته، وردها ولم تجد لها مكاناً على لسانه، فكيف يصح له أن يلفق بين لهجتين يتخذ منهما لهجة له ؟ !

ولكنها التفسيرات الصناعية التي دأب عليها النحاة، ونظرة واحدة إلى الجزء الثالث من كتاب المنصف ترينا عجباً عجاباً للصناعة التي منيت بها لغتنا، ويظهر أن أئمة اللغة قد فطنوا إلى ضعف منحاهم في تفسير تداخل اللغات فراحوا يحيطونه بالقداسة، فيقيسون أصول اللغة على أصول الفقه ومادام الفقهاء قالوا بإحداث قول ثالث، وأباحوا التلفيق بين المذاهب عند الاختلاف بين قولين أو مذهبين فلعلماء اللغة أن يصوغوا مثل علماء الشريعة «وأصول اللغة محمولة على أصول الشريعة»[2] أو ليست فضِل يفضُل – بالكسر في الماضي، والضم في المضارع – هي لغة ثالثة من فضَل يفضُل – من باب دخل يدخل وحذر يحذر ؟ ثم ألا ترى أن هذه اللغة الثالثة – أشبه ما يكون بإحداث قول ثالث عند الفقهاء عندما يختلفون في قولين ؟

وتفسير اللغة لا يخضع لهذه التوزيعات المنطقية، والتفسيرات الصناعية .

والذي أميل إليه في تفسير تركب اللغات، أنه يرجع إلى بقايا في جسم اللغة لم يتكامل ولم يأخذ تمام دورته بل جمد في مرحلة ما من تطور اللغة، ويمكن أن تسمى هذه البقايا اللهجية، والتي فسرها اللغويون بالتداخل «بالمتحجرات اللغوية التي يبقى عليها لصالح التاريخ»[3] فالصيغة المتداخلة هي نوع من هذه البقايا، ولذلك كان استعمالها أقل من التركيبين الأولين، وهي تشبه إلى حد كبير ما سماه علماء اللغة : «منكراً، ومتروكاً[4]، ومماتاً» فهي بقايا منقرضة على الرغم من أن الاستعمال تركها فأنكرت وفنيت، ومثلها مثل بقاء حيوان من الفصائل المنقرضة لازال ينافس في الحياة ويغالبها، ولهذا كان كثير من اللغويين يسمون صيغ التداخل – بالقدراً، وما هي من ذلك في شيء بل هي آثار كانت لها مفاهيم عند العرب الأقدمين أي أن كل صيغة كان لها مفهوم يخالف الصيغة الأخرى والدليل على ذلك ما ألمحه من

---

(١) الخصائص : ٣٨٩/١ ط الهلال .

(٢) الاقتراح : ٣٨ .

(٣) مقدمة لدرس لغة العرب : ٣٩ عبدالله العلايلي .

(٤) المزهر : ٢١٤/١ .

قول ابن درستويه « وقد يلتزمون أحد الوجهين للفرق بين المعاني ، كقولهم : ينفر – بالضم من النفار والاشمئزاز – وينفر بالكسر من نفر الحجاج من عرفات » [1] ومن الجائز أن تكون هذه الصيغ المتداخلة « من أخطاء القياس والأجيال الناشئة ، وذلك أن الطفل قد يصعب عليه تقليد الكبار في نطقهم لصيغة من الصيغ ، ثم يهمل أمر هـذا الطفل وهذا يحدث لا سيما في البيئات البدائية التي يهمل إصلاح أخطاء الأطفال فيها نظراً لانشغال الآباء والأمهات في السعي على القوت – فينشأ على الخطأ ، وتصبح الصيغة الجديدة التي لاكها الطفل خطأ – صيغة معترفاً بها بين الأجيال المقبلة ، ويمثل هذا الرأي أيضاً يمكن أن نفسر ما سماه الأقدمون ، « بتداخل اللغات » [2] .

ويمكن أن نضيف إلى هذا العامل المسئول إلى حد كبير عن تركب اللغات عاملاً آخر هو احتمال خطأ الرواة في النقل ، مما تسبب عنه وجود مثل هذا النوع من الصيغ المتخالفة – فبعد تدوين اللغة كان المعول على الكتب في نقلها ، ومن هنا يحدث التحريف والتشويه ، فقد يكون الفعل (يسمت بالضم فينقله (يسمت)[3] بالكسر . وقد نقـل السيوطي شيئاً كثيراً من تحريفات اللغة وقع فيها أئمـة اللغة حتى قال الإمام أحمد بن حنبل « ومن يعرّي من الخطأ والتصحيف ! »[4] .

ولهذا نعارض فهم القدماء للتداخل – لأنه عند ابن جني وغيره عمليـة مقصودة منطقية منظمة إذ المتكلم يأخذ الماضي من لهجة والمضارع من أخرى ، ولا أرى هذا لأن اللهجات ظواهر اجتماعية غير فردية ، فهي من نتاج العقل الجمعي ، وبهذا لا تخضع لهـذا التنظيم الذي يدعيه أئمة اللغة .

---

(١) المزهر : ٢٠٨/١ .

(٢) مجلة المجمع : ج ١٣ تعدد الصيغ في اللغة العربية : للدكتور أنيس .

(٣) ما تفرد به بعض أئمة اللغة : القسم الثاني : مخطوط بدار الكتب رقم : ٤١٨ لغة .

(٤) المزهر : ٣٥٣/٢ .

الفصل الرابع

المشتقات في اللهجات العربية »

ويمكن أن نقسم هذه المشتقات إلى الأقسام الآتية :

أولاً : المصادر :

وهذا عرض للظاهرة من خلال النصوص :

(أ) ما رواه اليزيدي في نوادره من أن الحجاز تقول : أنا منك براء ، وسائر العرب يقولون : أنا منك بريء[١] « ولكن اللحياني يدخل تميماً في سائر العرب – أي أنهم يخالفون الحجاز في هذا ، ففي اللسان عن اللحياني » ولغة تميم وغيرهم من العرب – أنا بريء[٢] وعلى لهجة الحجاز ، لا نثني ولا نجمع « براء » ، لأنـــه مصدر في الأصل ، مثل : سمع سماعاً ، وعلى لهجة تميم : أنا بريء منه وخليّ منه ثنيت وجمعت وأنثت[٣] . وإذا استقر أن لهجة الحجاز تقول : براء ، ولهجة تميم : بريء ، فإن هذا قد يتعارض مع ما جاء في البحر عن أبي حيان في تفسير قوله تعالى « إنني براءٌ مما تعبدون »[٤] حيث قرأ بهـــا الجمهور – ثم قال : وهي لغة العالية ، كما ذكر أن الأعمش قرأ في الآية السابقة : بريء – ثم قال وهي لغة[٥] نجد . والذي أراه أنه لا منافاة بين نجـــد وتميم ، لأن تميماً كانت تسكن نجداً ، ولكنني أرى أن لهجة العالية غير لهجة الحجاز ، لأن العالية قد اختلف علماء الجغرافيا من المسلمين في تحديدها ، غير أني أرجح أنها عـــدة قرى شمال المدينة ، ولا شك أن لهجتهم كانت تختلف عن لهجـــة الحجاز ، ولكن كثيراً ما نجد اللغويين

---

(١) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٢) اللسان : ٢٤/١ .

(٣) اللسان : ٢٤/١ .

(٤) الزخرف : آية ٢٦ .

(٥) البحر المحيط : ١١/٨ .

لا يفرقون في كثير من نصوصهم بين أهل العالية والحجاز ، كما أنهم كانوا يحلون أسماء بعض القبائل مكان بعض تساهلا أو خطأ ، وقد سبق الحديث عن شيء من هذا .

وأستشف من قراءة الأعمش (بريء) أن لهجة أسد كانت تسير في ركاب تميم في تلك الظاهرة ، للقرب الجغرافي بين أسد وتميم ، ولأن كتب الطبقات تنسب الأعمش صاحب القراءة إلى بني أسد[1] .

وإذا نظرنا إلى القرآن وجدناه جاء باللغتين الحجازية ، والتميمية ، إلا أنه خص اللهجة التميمية بإحدى عشرة مرة ، وخص لهجة الحجاز بالذكر مرة واحدة .

فمما ورد على لهجة تميم :

١ – قوله تعالى « وإنني بريء مما تشركون »[2] .

٢ – قوله تعالى « إني بريء مما تشركون »[3] .

٣ – قوله تعالى « إني بريء منكم »[4] .

٤ – قوله تعالى « أن الله بريء »[5] .

٥ – قوله تعالى « أنتم بريئون مما أعمل »[6] .

٦ – قوله تعالى « وأنا بريء مما تعملون »[7] .

٧ – قوله تعالى « وأنا بريء مما تجرمون »[8] .

٨ – قوله تعالى « إني بريء مما تعملون »[9] .

---

(١) طبقات القراء : ١/٣١٥ .

(٢) سورة الأنعام : ١٩ .

(٣) سورة الأنعام : ٧٨ .

(٤) سورة الأنفال : ٤٨ .

(٥) سورة التوبة : آية ٣ .

(٦) سورة يونس : ٤١ .

(٧) سورة يونس : ٤١ .

(٨) سورة هود : آية ٣٥ .

(٩) الشعراء : ٢١٦ .

٩- قوله تعالى « إني بريء منك »[١] .

١٠- قوله تعالى « ثم يرم به بريئاً »[٢] .

١١- قوله تعالى « إنا برآء منكم »[٣] ومفردها : بريء - على لهجة تميم .

وورد على لهجة الحجاز آية كريمة واحدة وهي قوله تعالى « إنني براء مما تعبدون »[٤] وهذا يدل على أن لهجة تميم لها مكانتها إبان نزول الوحي ، حتى إن القرآن الكريم سجل لها تلك السمات اللهجية ، وهذا يومىء إلى غاية سياسية قصد إليها ، وهي توحيد العرب ، وجعل الكتاب الكريم صفحة تجد فيه كل قبيلة ظلاً من لغتها ، فتأنس به ، وتستريح إليه .

(ب) من المعروف في كتب الصرف أن مصدر - فعَل - المتعدي المفتوح العين - فعْل - بسكون العين مطلقاً ، سواء أكان الفعل صحيحاً أم معتلاً ، نحو : ضرب ضرباً ، وباع بيعاً ، أما فعَل المفتوح العين - إذا كان لازماً - فقياس مصدره - فـُعول - كقعد قعوداً ، هذا رأي الجمهور عند عدم السماع .

أما الفراء فيرى أن القياس عند عدم السماع - « فعْلا » - عند الحجاز ، و « فعولا » عند النجديين ، بقطع النظر عما إذا كان الفعل متعديًّا أو لازماً . وهذا معنى ما يقوله ابن الحاجب ناقلاً عن الفراء من أنه إذا جاءك - فـَعَل - مما لم يسمع مصدره ، فاجعله فعْلا - للحجاز ، وفعولا - لنجد[٥] « فالفراء لاينظر إلى التعدي ، واللزوم ، وفي النسخة المخطوطة لديوان الأدب ، يقول » قال الفراء : وما ورد عليك من باب فعَل يفعُل أو فعَل يفعِل - (بالضم أو بالكسر) ولم تسمع له بمصدر فاجعل مصدره على - الفعْل أو الفعول - الفـَعْل لأهل الحجاز ، والفعول لأهل نجد »[٦] فهذا النص سكت عن كون الفعل متعدياً أو لازماً وهذا يكاد يتفق مع نص الشافية السابق إلا أن نص ديوان الأدب خصصه بما كان ماضيه مفتوح العين ومضارعه مضمومها أو مكسورها .

---

(١) سورة الحشر : ١٦ .

(٢) سورة النساء : ١١٢ .

(٣) سورة الزخرف : آية ٢٦ .

(٤) سورة الزخرف : آية ٢٦ .

(٥) شرح الشافية : ١/١٥٢ .

(٦) ديوان الأدب للفارابي : ورقة ١٣٣ مخطوط بمكتبة تيمور . رقم ٣٨٣ لغة .

وعلى هذا فإذا طالعتنا المعاجم بمصادر عدة للفعل الواحد – نسبنا ما كان على وزن فعول – لتميم ، ونجد ، وما كان على وزن – فَعْل – للحجاز . فإذا ما قال الفارابي « سكت سكتاً وسكوتاً ، وصمت صمتاً وصموتاً »[1] يجب أن نفرق بين هـذه المصادر – التي جاءت مهملة العزو ، وأن تسترشد بالنصوص السابقة في عزوها ، فالصمت – للحجاز ، والصموت – لتميم ونجد .

(جـ) المعروف الثابت في كتب العربية أن مصدر الفعل المتعدي – إذا كان على وزن فعَل أو فعِل – بفتح العين وكسرها – هو فعْل بسكون العين ، فمصدر : ضرب ضرب ، وزعم : زعم على وزن فعل بسكون العين – ولكن بعض اللهجات العربية لم تلتزم هذا ، فقد جاء في قوله تعالى « فقالوا هذا لله بزعمهم »[2] أن الكسائي قرأ : بزعمهم بضم الزاي – وهي لغة بني أسد ، بينما قرأ باقي السبعة بالفتح ، والفتح لغة الحجاز[3] . وجاء في البحر المحيط في تلك الآية السابقة أن « الكسر لغة لبعض قيس وتميم – ولم يقرأ به »[4] . ولكن هل الصيغة واحدة في تلك القراءات ؟ أرجح أن الصيغة واحـدة ، واختار كل قبيل من العرب ما يناسبه ، وربما أن المفتوحة الزاي استعملت مصدراً ، كما أن المضمومة ربما كانت اسماً ، فكأن اختلاف الحركة تبعه اختلاف في الصيغة ، وربما أن العربية لم تفرق هذا التفريق إلا بعد أن قطعت مرحلة طويلة في سنة التطور ، ومما يؤيد هذا قراءة مجاهد وعكرمة قوله تعالى « حتى إذا بلغ بين السَّدين »[5] بفتح السين ، وباقي السبعة بضمها ، فقد قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحـد ، ورأى الخليل وسيبويه : بالضم – الاسم ، وبالفتح المصدر[6] ، وقد رجح ابن السكيت أن المعنى في مثل هذه الصيغ واحد حيث يقول في باب (الفَعال والفُعال) وهو فُواق الناقة وفَواقها والمعنى واحد »[7] وفي الإتحاف : أن الكسائي قرأ قوله تعالى : مالها من فواق[8] « بالضم على لغـة تميم وأسد

---

(١) ديوان الأدب للفارابي : ورقة ١٣٣ مخطوط في مكتبة تيمور .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٣٦ .

(٣) الإتحاف : ٢١٧ .

(٤) البحر : ٢٢٧/٤ .

(٥) سورة الكهف : آية ٩٣ .

(٦) البحر المحيط : ١٦٣/٦ .

(٧) إصلاح المنطق لابن السكيت : ١٠٧ .

(٨) سورة ص : آية ١٥ .

وقيس ، والباقون بفتحها على لغة الحجاز »[1] ، وعند هذيل نجـد (نصورا) مصدر للفعل (نصر) في قول شاعرهم أبي ذؤيب[2] والقياس (نصر) بسكون العين .

وإذا كان المعهود في العربية أن الفعل الخماسي إذا كان مبدوءاً بتاء زائدة ، فقياس مصدره على وزن ماضيه غير أنه يضم رابعه كما في تباعد تباعداً ، وتقاتل تقاتلاً ، إلا أنه ورد أن بعض القبائل العربية تخالف هذا فابن خالويه يقول : « ليس في كلام العرب مصدر تفاعل إلا على التفاعل ـ بضم العين إلا في حرف واحد جاء مفتوحاً ومكسوراً ومضموماً قالوا : تفاوَت تفاوَتاً وتفاوِتاً وتفاوُتاً (بالضم والفتح والكسر) ثم علق ابن خالويه على هـذا بقول أبي زيد « وهذا غريب مليح »[3] وابن خالويه وإن كان لم يحدّ ومن يفتح ومن يكسر إلاأن ابن قتيبة قد حكى عن أبي زيد أن « الكلابيون يفتحون » وترك حـالة الكسر بلا عزو حيث قال : وقد شذ حرف يقوله بعض العرب بالكسر » [4] إلا أن ابن السكيت ذكر أن العنبري يقول : تفاوِتاً بالكسر » [5] وأرجح أن الضم هو الأصل لورود ذلك في القرآن في قوله تعالى « ماترى في خلق الرحمن من تفاوُت » [6] كما أن الفتح في لهجـة كلاب ، والكسر في لغة بلعنبر فرع عن الضم ، بدليل أن صيغة كلاب حدث فيها انسجام . واللغة في أثناء تطورها في السلّم التاريخي تهدف إلى هـذا الانسجام . وإذا كان الفعل على وزن تفعل ـ بتشديد العين فقياس مصدره تفعُّل ـ بضم العين مثل : تجمل تجملاً ـ إلا أن لهجة الحجاز سارت في طريق آخر ، إذ جعلت هذا المصدر على وزن التفعيل ، جاء في اللسان : تزيل القوم تزيُّلاً ، وتزييلاً ـ تفرقوا ـ الأخيرة حجازية رواها اللحياني [7] .

وكما أن وزن فعّل ـ ينقاس مصدره على التفعيل متى كانت لامـه صحيحة ـ كقوله تعالى « وكلّم الله موسى تكليماً » ، إلا أنه ورد في بعض اللهجات على وزن (فِعّال) بكسر الفاء مع التشديد ، وذلك مثل : كذّبه كِذّابا ـ وكلّمه كِلاّما ـ بالتشديد ، وقد قال عنه الفراء

---

(١) الإتحاف : ٣٧٢ .

(٢) ديوان الهذليين : ١/١٥٨ .

(٣) ليس في كلام العرب لابن خالويه : ٥ .

(٤) أدب الكاتب : ٥١٠ .

(٥) إصلاح المنطق : ١٢٢ .

(٦) سورة الملك : آية ٣ .

(٧) اللسان : ١٣/٣٣٦ - ٣٣٧ .

« هو لغة يمانية فصيحة » [1] ويبدو أن فعل – بالتشديد قد جاء لهـا مصدر غير قياسي غير ما سبق على وزن (فِعَال) بتخفيف العين ، وهي لغة اليمن يجعلون مصدر كذب : كذاباً بالتخفيف » [2] .

ومما يدل على أن هذه المصادر في لغة اليمن ما جاء في البحر المحيط « ومن كلام أحدهم على تلك اللغة (أي لغة اليمن ، لأنّ ذكرها قد تقدم ، وهو يستفتي « الحلْق أحب إليك أم القِصار » [3] وإنما مصدرها القياسي « التقصير » يقصد التقصير في الحج .

ويمكن أن نتلمس لتلك اللهجة اليمنية ما يدل عليها من القرآن وأدب العرب ، فقد جاء في القرآن « وكذبوا بآياتنا كذاباً » [4] وقوله « لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً » [5] فقد قرأ الجمهور على التشديد [6] ، وهي لغة بعض أهل اليمن [7] ، كما قرأتها أهل المدينة بالتشديد كرواية الفراء في اللسان [8] ، وتلك الرواية لها مغزاها ، لأن أهـل المدينة أصلهم من اليمن ، وقـد قرأ بالتخفيف علي بن أبي طالب ، وهي لغة يمنية أيضاً [9] .

وعلى هذا يجب أن يحمل ما جاء عن الزمخشري عندما سمعه بعض العرب يفسر آية – فقال له : لقد فسرتها فِسّاراً ما سمع بمثله » [10].

على أن هذا القائل يمني ، لأنها في الفصحى « تفسيراً » .

ويرى صاحب الشافية أن « فِعّال » وهي المصدر في لهجة اليمن هو القياس وليس التفعيل

---

(١) شمس العلوم للحميري : ٩٠ .

(٢) البحر المحيط : ٤١٤/٨ .

(٣) البحر المحيط : ٤١٤/٨ .

(٤) سورة النبأ : آية ٢٨ .

(٥) سورة النبأ : آية ٣٥ .

(٦) البحر : ٤١٤/٨ .

(٧) شمس العلوم للحميري : ٩٠ .

(٨) اللسان : ٢٠١/٢ .

(٩) البحر : ٤١٤/٨ .

(١٠) المرجع السابق .

كما في الفصحى ، وفي ذلك يقول سيبويه أصل تفعيل ، فِعّال ، جعلوا التاء في أوله عوضاً من الحرف الزائد وجعلوا الياء بمنزلة ألف الإفعال ، فغيروا آخره كما غيروا أوله فإن التغيير مجرىء على التغيير »[١] ومعنى هذا أن : فِعّال هو القياس الذي كان ينبغى أن يأتي عليه مصدر فعّل ، إذ المصدر يكون بكسر أول الفعل وزيادة ألف قبل الآخر ، فعوضوا عن الألف ياء وعن تضعيف العين التاء في أوله .

وكما أن الفعل الثلاثي المتعدي — يكون مصدره القياسي على فَعْل — بفتح الفاء وسكون العين سواء أكان الفعل على فعل — بفتح العين نحو ضرب ضرباً ، أم على فعِل — بالكسر كفهم فهماً — إلا أن لهجة نجد جاءت بالمصدر على فَعَل — بفتح العين مثل : رضِع الصبي رَضَعاً من باب تعب ، ومن باب ضرب — لغة لأهل تهامة ، وأهل مكة يتكلمون بها[٢] .

وإذا كان الفعل على فَعُل بضم العين — ولا يكون إلا لازماً فقياس مصدره على فعولة أو فَعالة : كسهولة وجزالة[٣] ، وكغمُر غَمارة ، للصبي الذي لا عقل له ، « ولكن بني عقيل تخالف هذا إذ تقول في مصدره : غَمَراً ، بفتح الغين والميم »[٤] .

(د) وليس الخلاف قائماً في اللهجات العربية بين مصادر الأفعال الثلاثية أو الرباعية فقط ، ولكنه شمل أيضاً المصدر الميمي ، فالمعروف في الفصحى أن المصدر الميمي من الثلاثي على مفعل بالفتح — إلا إذا كان مثالاً واوياً صحيح اللام قد حذفت فاؤه في المضارع كوعد ، أو كان من باب فعِل يفعَل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كوجل يوجل ووجل يوحل — فانه يكون على وزن مفعِل — بكسر العين — إلا أن طيئاً تأتي بالمصدر الميمي من الثلاثي الواوي الفاء على مفعَل — بالفتح — وقد حكم ابن القوطية على ما جاء على لهجة طيء بالشذوذ ، وابن السكيت حسبها من النوادر حيث يقول : وما كان فاء الفعل منه واواً — فان الفعل منه مكسور اسماً كان أو مصدراً — إلا أحرفاً جاءت نوادر مثل مودَق وموكَل »[٦]

(١) الشافية : ١/١٦٦ .

(٢) المصباح : ١/٣٥١ .

(٣) شرح ابن عقيل : ٢/١٠١ .

(٤) المصباح : ٢/٦٩٥ .

(٥) الأفعال لابن القوطية : ٥ ط القاهرة .

(٦) إصلاح المنطق : ١٢٢ .

بفتح العين فيهما ، وزاد ابن القوطية : موهَب[1] . وقد علل السيوطي تخالف طيء هذا عن باقي العرب بأن « طيئاً تتوسع في اللغات »[2] ويمكن أن نقبل هذا التعليل ، لأن طيئاً كانت في أيامها الأولى علماً شمل العرب جميعهم ، ومع هذا فهي من القبائل الكبرى والتي تتسم بسمات مخالفة لما عرف عن الفصحى ، ولكنني أميل لتعليل لهجــة طيء بأنها عندما فتحت وقالت « موحل » بفتح العين . بدل « موحِل » بكسرها في الفصحى ـ قد حققت انسجاماً أكثر مما عليه الفصحى ، وهذا يجعلنا نعتقد أن اللهجات العربية تتطور أكثر من الفصحى ، ما ذلك إلا لأنها لهجات شعبية غير مقيدة بالتعامل الرسمي لدى الخاصة .

---

(١) الأفعال لابن القوطية : ٥ ط القاهرة .

(٢) المزهر : ٢/٩٨ .

ثانياً : صيغ المبالغة :

طالعتنا كتب العربية بصيغ للمبالغة وهي : فعّال . فعول . مفعال . فعيل (كسميع) . فعِل (كحذر) ، وهـــذه الصيغ لا تستعمل إلا حيث يمكن التكثير إلا أنه من خلال بعض النصوص نرى أن صيغتي فـُعّال ، وفـُعَال ـ بضم الفاء فيهما مع تشديد العين في الأول ، وعدم تشديدها في الثاني ـ قد استعملتا للمبالغة في لهجة اليمن وأزد شنَوْة ، ودليل ذلك :

١ ـ جاء عن ابن دريد حيث يذكر قبائل اليمن « ومنهم عمار ذو كـُبار ، والكبار الكبير بلغتهم وهو الكبّار أيضاً »[١] .

٢ ـ وفي الجمهرة « أن أهل اليمن يسمون الرجل الكبير ـ كبُارا »[٢] .

وإذا اتجهنا لنحتج لهذه اللهجة اليمنية ـ وجدنا صداها في كتاب الله أولاً وفي كتب العربية ثانياً ، فمن ذلك ما جاء عن ابن خالويه أن علي بن أبي طالب والسلمي قرآ قوله تعالى « إن هذا لشيء عجاب »[٣] بالتشديد . وجاء في البحر أن مقاتلاً قال : « عُجّاب ـ لغة أزد شنوْة »[٤] . وفي القرآن الكريم « ومكروا مَكـْراً كباراً »[٥] بالتشديد ، قال عيسى بن عمر هي لغة يمانية وعليها قول الشاعر :

بيضاءُ تـَصْطادُ القلوبَ وَتـَسْتـَبِي   بالحســن قلبَ المســلم القـُمرّاءِ

كما قرأ عمر بن عبد العزيز والباحثون على تلك اللهجة قوله تعالى : وكـَذّبوا بآياتنا كذاباً ، بضم الكاف والتشديد[٧] ، وقد جاء عليها قولهم : رجل كـُرّام ، وطعام طـُيّاب[٨] .

---

(١) اشتقاق ابن دريد : ٢٥٤ ط وستنفلد .

(٢) الجمهرة : ٢٧٤/١ .

(٣) سورة ص : ٥ .

(٤) البحر : ٣٨٥/٧ .

(٥) سورة نوح : آية ٢٢ .

(٦) البحر : ٣٤١/٨ .

(٧) مختصر شواذ القرآن : ١٦٨ .

(٨) البحر : ٣٨٥/٧ .

ومن أمثلة المبالغة السماعية صيغة : فِعِّيل – بكسر الفـــاء وتشديد العين : كشِرِّيب ، وسِكِّيت ، إلا أنه جاء في اللسان عن أبي زيد أنه « سمع رجلاً من قيس يقول : هــذا رجل سِكِّتيت بمعنى سِكِّيت[1] » ، وربما نشأت تلك الصيغة القيسية من خطأ الأطفال ثم أصبحت لهجة فيهم ، وذاعت حتى رواها أبو زيد . وصيغة المبالغة هـــذه في الفصحى بوزن « فِعِّيل » بكسر الفاء ، والقرآن الكريم على هـــذا « وما أدراك ما سجين »[2] و « ترميهم بحجارة من سِجِّيل »[3] أما في لهجاتنا العامية فقد آثرت فتح الفـــاء حيث نسمع : سَمِّيع ، حَرِّيف ، سَكِّير ، ولهذا أرجح أن بعض لهجات القبائل العربية اتخذت الصيغة الأخيرة المفتوحة الفاء ، ثم تطورت في الفصحى بكسر الفاء لعامل المماثلة والتقريب مع العين .

---

(١) اللسان : ٢/٣٤٨ .

(٢) سورة المطففين : آية ٨ .

(٣) سورة الفيل : آية ٤ .

ثالثاً : اسم الالة وما يشبهها :

ورد اسم الآلة على صيغ كثيرة أشهرها ثلاثة وهي : مفعل ، بكسر الميم وفتح العين ، ثم مِفعال ، ومِفْعلة « وليس من هدفنا التعرض لبيـــان شيء من ذلك إلا بقدر ما يفيد في رسم صورة لما عليه بعض اللهجات العربية ، ومما لاشك فيه أن بعضها كان يخالف بعضاً فقد جاء في المصباح « أن تميماً تكسر المِشط »[١] ، لأنه القياس في ذلك لكن ورد أيضاً المشط ـ بالضم كما حدث خلاف بين القبائل في « المغزل ، والمصحف والمطرف ، والمخدع ، والجسد ، فبعضها ينطق بالكسر ، وآخرون ينطقون بالضم ، ولنعرض إلى شيء من الروايات في ذلك :

١ ــ جاء في الجمهرة « والمِصحف ـ بكسر الميم لغة تميمية ، لأنه صحف جمعت فأخرجوه مخرج مفعل ـ مما يتعاطى باليد وأهل نجد يقولون : المصحف بضم الميم ، لغة علوية »[٢] .

وفي نسخة أخرى من الجمهرة أن المِصحف بالكسر لأهـــل الحجاز ، كما يستفاد من تعليق محقق الجمهرة[٣] .

٢ ــ وفي مكان آخر من الجمهرة نفسها : تميم تقول : مطرف ومصحف (بالضم) وأهل الحجاز يقولون : مِطرف ومِصحف[٤] (بالكسر) .

٣ ــ وفي إصلاح المنطق عن أبي زيد قال : تميم تقول : المغزل والمصحف والمطرف بالكسر ، وقيس تقول : المغزل والمصحف والمطرف (بالضم)[٥] .

٤ ــ وجاءت روايتان مختلفتان في المخصص في مكانين مختلفين منه ، أولاهما عن أبي زيد قال : تميم تقول المغزل والمصحف والمطرف (بالكسر) ، وقيس تقول : المغـــزل والمصحف

---

(١) المصباح : ٢/٨٨٦ .
(٢) الجمهرة : ٢/١٦٢ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) نفس المرجع : ٢/٣٦٩ .
(٥) إصلاح المنطق : ١٢٠ .

والمطرف (بالضم)[1] وثانيتهما عن أبي عبيد : والمطرف – تميم تكسر أوله ، وقيس تضمه[2] .

٥ - أما صاحب اللسان فنقل روايتين متشابهتين عن أبي زيد وعن أبي عبيد[3] كما في المخصص .

٦ – وصاحب المصباح عزا الضم إلى تميم في المغزل[4] .

٧ – وحكى الكسائي : مغزل[5] – بفتح الميم والزاى –

ومن هذا العرض يظهر اتفاق أبي زيد وأبي عبيد في نسبة الكسر إلى تميم والضم إلى قيس ، كما أن صاحب الجمهرة ناقض نفسه في مكانين مختلفين منها ، حيث عـــزا الكسر إلى تميم ، ثم في مكان آخر نسب الضم إلى تميم ، ولا يعقل أن تنطق القبيلة الواحدة منطقين مختلفين في وقت واحد ، ثم اضطرب مرة أخرى فعزا الكسر إلى الحجاز ، والضم إلى لهجة العالية في نجـــد ، بينما صاحب المصباح يعزو الضم إلى تميم .

وهذا مثال يبين لنـــا مدى الخلط في كتب العربية بالنسبة إلى اللهجات ، وأيـًّا ما كان فاسم الآلة القياسي في إحدى صوره على وزن مِفعَل – بكسر الميم وفتح العين ، لكن بعض القبائل لم تلتزم هذا النمط في صوغها – لكنني أرجح حسماً للخلاف السابق أن تميماً كانت تقول ذلك بالضم ، لأن الضم من صفات الخشونة التي تناسب قبيلة كتميم ، وهذا يتفق مع ما أثر عن قيس في أنهـــا تقول ذلك بالضم ، لأن أغلب قيس تعيش في المناطق البدوية ، التي تؤثر الضم غالباً ، ومما يؤيدني في هذا ما جاء عن ابن دريد في عزوه الضم إلى نجد ، ونجد كان أغلبها قبائل من البدو كتميم وقيس وأسد . أما البيئات المتحضرة كالحجاز مثلاً فإنها جنحت إلى الكسر ، ومما يؤيدني في هذا ما جاء عن ابن دريد في مكانين من جمهرته[6] ، وما جاء عن الفيومي حيث قال : (المغزل – بكسر الميم ما يغزل به ، وتميم تضم الميم)[7] فهو وإن أهمل عزو الكسر ،

---

(١) المخصص : ٢٠٤/١٤ .

(٢) المخصص : ٨/٤ .

(٣) اللسان : ٨٨/١١ .

(٤) المصباح : ٦٨٥/٢ .

(٥) المخصص : ٢٠٤/١٤ .

(٦) الجمهرة : ١٦٢/٢ ، انظر الهامش ، ٣٦٩/٢ .

(٧) المصباح : ٦٨٥/٢ .

إلا أنني أرجح أنها للحجاز ، لأنهـا في مقابل المضموم والذي عزاه لتميم ، وكثيراً ما تتقابل لهجة الحجاز وتميم في النصوص . ورب قائل يسأل ؟ وماذا نفعل في تلك النصوص التي عزت الكسر لتميم – والجواب أن اللهجات لم تبق على حالة واحدة بل يصيبها التطور عبر التاريخ ، وفي تطورها هـذا مالت الضمة وهي صوت لين خلفي وتحتاج إلى جهد عضلي أكثر – إلى الكسرة وهو صوت لـين أمامي ولا يحتاج إلى ما تحتاجه الضمة من مجهود – واللهجات في تطورها تميل إلى عامل السهولة ، فالراوي الذي سمع الكسر من تميم سمعه بعد أن مرت فترة كافية تطورت الضمة فيها إلى الكسرة ، لا سيا وأن اللغة لم تسجل إلا بعد مرور فترة طويلة من الزمن كافية لإحداث مثل هذا التطور . هـذا أحد الاحتمالات لتفسير مثل هذا الخلط في اللهجات ، والاحتمال الآخر أن هذا نشأ من أخطاء الرواة ، لاسيا في الكتابة ، إذ أن كثيراً منهم كان يعتمد على الضبط في ذلك بالشكل ، والشكل مثـار السهو والغلط كرواية إصلاح المنطق[1] . وكإحدى روايتي صاحب المخصص[2] ، أما ما حكى عن الكسائي في من قـال « مغزل »[3] بفتح الميم والزاى – فأرجح أنهـا الطور الأخير في تلك الصيغة وهو أحدثها ، وذلك لما يبدو فيه من الانسجام الصوتي ، ولذلك نسمعه في لهجاتنا الحديثة في مصر .

ولعل الذين كسروا الميم من مثل المصحف – مع أنه ليس اسم آلة حتى يجيء على هـذا الوزن ، نظروا إلى أنه لما كان صحفاً جمعت فأخرجوه مخرج – مِفعل – مما يتعاطى باليد ، أما من ضم الميم ، من مصحف ومطرف ومغزل ، فلأنها في المعنى مأخوذة من أصحف وأطرف ، والمغزل ، لأنه من أدير وفُتل ، وأصل « مصحف » كلمة دينية دخيـلة على العربية من الحبشية[4] ، يؤكد ذلك أنهم لما اختلفوا في تسمية ما بين الدّفتين من القرآن ، وكرهوا أن يسموه سفراً ، لتسمية اليهود كتبهم به ، قال سالم مولى أبي حذيفة « إني رأيت مثله في الحبشة يسمى المصحف ، فأجمع رأيهم على أن يسموه المصحف ، فسمى به »[5] وإشتقاقه من (صَحَفَ) ومعناها بالحبشية (كَتَبَ)[6] .

---

(١) إصلاح المنطق : ١٢٠ .

(٢) المخصص : ٢٤٠/٤ .

(٣) المخصص : ٢٠٤/١٤ ، ٦٨/٤ .

(٤) اللغة العربية كائن حي : ٣٧ .

(٥) بين الحبشة والعرب : ١٠٢ د. عبد المجيد عابدين .

(٦) الاشتقاق والتعريب : ٢٨ عبد القادر المغربي ط الثانية .

رابعاً : الزمان والمكان :

يصاغان من الثلاثي على مثال المضارع ، فإن كان المضارع على يفعل – بفتح العين – كان الزمان والمكان على مفعَل – بفتح العـــين – مثل : ملجأ ومذهَب ، وإن كان المضارع على يفعِل – بكسر العين – كان الزمان والمكان على مفعِل – بكسر العين نحو محبس ومصرِف ، وإن كان المضارع على يفعل – بضم العـــين كان مقتضى القياس أن يكون الزمان والمكان على مفعل بضم العين – لكن عـــدل عنه إلى الفتح لثقل الضم وخفـــة الفتحة[1] فنقول مخرج ومكتب بالفتح .

كما يلاحظ أن الفعل الناقص – يأتي منه الزمان والمكان على مفعل بفتح العين مطلقاً ، ولو كان مضارعه مكسور العين ، أما المثـــال الواوي الصحيح اللام مكسور العين في المضارع ومفتوحها . فالزمان والمكان منه على مفعِل بكسر العين كموقد وموضع .

وكان من الطبيعي ألا تسلم هذه القاعدة للنحاة – فقـــد فلتت منها أمثلة رموها بالشذوذ حيناً وبالندور حيناً آخر وهي :

١ – « مطلع » فقد وردت بالكسر والفتح ، والقياس الفتح ، وهي لهجة الحجاز ، وجاء في شرح السيرافي أن الكسر لتميم[3] ، وقياس الكسر عند تميم أن يكون المضارع تطلع بكسر اللام وكان الكسائي يقول : هذه لغـــة ماتت في كثير من لغات العرب ، يعني : ذهب من يقول تطلع بكسر اللام ، وبقى مطلع – بكسرها في الزمان والمكان على ذلك القياس[4] ، وصيغة الكسر مع أنها خارجة عن قياسهم ، لكنها لهجة معترف بها في تميم ، بل قد قرأت القرأة بهـــا في قوله تعالى « حتى إذا بلغ مطلع الشمس »[5] فقد قرئت بالكسر[6] . كما قـــرأ أبو رجاء والأعمش وابن وثاب وغيرهم « حتى مطلع الفجر »[7]

---

(١) سيبويه : ٢/٢٤٧ ، شرح السيرافي : ٥/٢٨٠ خط .

(٢) شرح السيرافي : ٥/٢٧٩ خط .

(٣) المرجع السابق .

(٤) البحر : ٦/١٦١ .

(٥) سورة الكهف : آية ٩٠ .

(٦) البحر : ٦/١٦١ .

(٧) سورة القدر : آية ٥ .

بالكسر . وقال الفراء : وأكثر القراء على مطلع بالفتح ثم قـــال : وهو أقوى قياس العربية[1] .

٢ – « مسكن » . وكان القياس : المسكن على مفعل – بفتح العين ، وهي لغة الحجاز كما جاء عن ابن السكيت[2] ، وأبي زيد في المخصص[3] . وبالكسر في لغة نادرة حكاها اللحياني كما في اللسان[4] ، ولكن صاحب الإتحاف عزاها لغة لفصحاء[5] اليمن . ومع أن لغـــة الكسر نادرة – إلا أنها لهجة يمنية ، لم يعترف بها النحاة ، ولكن القرآن سجلها وقرأ بها الكسائي وخلف في قوله تعالى « لقد كانَ لسبأٍ في مسكِنهم آية » بكسر الكاف[6] . وقد فرق بعضهم بين معنى الكلمة بالفتح ومعناها بالكسر – فالكسر يدل على اسم جامد ، والفتح يدل على مكان الفعل بالذات ، فمثـــلا المسجد بالكسر ، المبني ولو لم تسجد فيه ، وبالفتح مكان سجودك من الأرض ولو لم يكن في الجامع[8] .

٣ – « مرفق » : والقياس فيه فتح العين ، لأن مضارعه على يفعـــل – بضم العين ، ولكنه ورد بكسر العين : أي : مرفق ، وقالوا بأن الكسر شاذ ، ولكن هذا الذي اعتبروه شاذاً قد ورد أنه لهجة الحجاز فيما ارتفقت به ، بل قرأ بـــه جعفر وشيبة ونافع ، وابن عامر ، وأبو بكر وأبو عمرو في رواية هارون بفتح الميم وكسر الفـــاء في قوله تعالى « ويُهَيِّيء لكم مِنْ أمركم مرفقاً »[9] . ويكسرون مرفق الإنسان[10] ، بل جاء في البحر المحيط «أن معاذاً أجاز فتح الميم والفاء»[11] وأرى أن هذه الصيغة الأخيرة هي أحدثها في

---

(١) الشافية : ١/١٧١ .

(٢) إصلاح المنطق : ١٢١ .

(٣) المخصص : ٤/٢٠٤ .

(٤) اللسان : ١٧/٧٤ .

(٥) الإتحاف : ٣٥٩ .

(٦) سورة سبأ : آية ١٥ .

(٧) الإتحاف : ٣٥٩ .

(٨) أنظر : سيبويه : ٢/٢٤٨ .

(٩) سورة الكهف : آية ١٦ .

(١٠) البحر : ٦/١٠٧ .

(١١) المرجع السابق .

التطور ، لأن بها انسجاماً صوتياً ، واللغة في أثناء تطورها تهدف إليه ، لأنه يقلل المجهود العضلي ؛ إذ عمل اللسان فيه يكون من وجه واحد ، وقد فرق بعض علماء اللغة في صيغة المرفق ، فإن كان معناه من الارتفاق وهو الانتفاع كان بكسر الميم ، أو كان معناه موصل الذراع والعضد كان بفتحها [1] — على أنهم لم يتفقوا في ذلك .

٤ — « المأوى » : وأصلها « أوي » فهو فعل ناقص وقياسه في الزمان والمكان : مفعل بفتح العين ، وبها جاء القرآن « فإن الجنة هي المَأوَى » و « وبئس مَثْوى المتكبرين » ،لكن جاء في اللسان وقال الفراء « ذكر لي أن بعض العرب يسمي مَأوَى الإبـل — مَأوِي بالكسر في الواو ، ثم قال : واللغة العالية مَأوَى »[2] بل يظهر أن بعض القبائل العربية قد إتخذت صيغة أخرى مخالفة لما سبق إذ « قال الأزهري : سمعت الفصيح من بني كلاب يقول : لمأوىَ الإبل — مأواة — بالهاء »[3] .

تعقيب :

من هذا العرض يظهر لنا كثرة الشذوذ في باب المشتقات وكذلك الندور والقـلة ، ولعل السبب في هذا أن علماء العرب اعتقدوا أن العربية خلقت كاملة ، ولهـذا آمنوا بأن كل تطور ما هو إلا ضعف فيها ، وموت لها ، وهـذا الشذوذ أو الخروج على قواعدهم النحوية ، لا يعتبر كذلك ، بل هي رواسب قديمة في جسم العربية لم تتطور تطوراً كاملاً — بل بقيت متجمدة في إحدى المراحل التي مرت على اللغة ، وهي في نظر الباحث ذات أثر هام ، ولا يمكن إغفالها ، لأنها تمثل بيئة لغوية ، فالحريري مثلاً يخطيء من يقول « فلان أشرّ من فلان » والصواب « شرّ » بغير ألف ، وكذلك يقال « فلان خير من فلان ، بحـذف الهمزة ، ولا يقال « أخير »[4] على وزن « أفعل » .

والحريري أحد هؤلاء النفر الذين لا يؤمنون بالأدوار التطورية التي مرت فيها العربية ، لأن الأساليب التي خطأها واردة في كتاب الله وفي الأدب العربي فقد جاء عن ابن خالويه : أن أبا

---

(١) أنظر البحر : ١٠٧/٦ ، الشافية : ١٨١/١ ، الحجة : لابن خالويه ، ورقة ٨٥ مخطوط .

(٢) اللسان : ٥٤/١٨ .

(٣) شرح الشافية : ١٨٢/١ ، ١٨٣ ، اللسان : ٥٤/١٨ .

(٤) درة الغواص للحريري : ٢٣ .

قلابة قرأ قوله تعالى «سيعلمون غداً من الكذاب الأشَرّ »[1] بفتح الهمزة والشين وتشديد الراء . وقد روى هذه القراءة ابن جني في محتسبه كذلك[2] ـ كما ورد « أخير » في قول رؤبة « بلال خير الناس وابن الأخير »[3] .

فأصل : شر وخير – أشر وأخير – لأنهما أفعل تفضيل ـ وفي قراءة أبي قلابة ، وشعر رؤبة جاءت على أصلها ، لأن اسم التفضيل على « أفعل » – بل لغة بني عامر استعملت هذا الأصل فهم يقولون : هذا أخير من هذا »[4] ، وكأن لهجة بني عامر ثبتت على هذا الطور من سلم الارتقاء ، لكن لما كثر استعمال هاتين الكلمتين ـ حذفوا الهمزة منها تخفيفاً ـ ومن هنا كانا في الفصحى « شر وخير » ، ومن الغريب أن الحريري خطأ القراءة القرآنية بل رماها باللحن ، مع أنها ثبتت لغة لبني عامر ، وقال عنها الجوهري الثقة : إنها لغة ، بل لقد وقعت هذه اللغة في صحيح البخاري ، وقال عنها الكرماني : إنها تدل على أنه فصيح صحيح . وليس أدل على تطور اللهجات العربية من أننا وجدنا مراودة في أساليب تلك اللهجات ، فالصيغة التي تستعملها قبيلة ، لا تستعملها أخرى بل تطورت عندها حتى وجدنا لها نمطاً آخر فمن ذلك :

١ – أن لهجة قد تستعمل صيغة « فِعْل » وأخرى تستعمل بدلها صيغة فعول كما جاء عن اليزيدي من أن الحجاز تقول : هذا ماء شِرْب ، وتميم تقول : هذا ماء شروب »[5] .

٢ – كما حدث تبادل بين اسم الفاعل والمفعول فيما جاء عن الأصمعي من قولهم « عضد ناشلة ومنشولة » وقد عزيت الأخيرة إلى الحجاز[6] .

٣ – وأهل الحجاز كانوا يحولون المفعول فاعلاً إذا كان في محل نعت كقوله تعالى « من ماء دافق »[7] فمعناها مدفوق كقولهم « سرّ كاتم أي مكتوم » وقد عزا الفراء صيغة فاعل إلى الحجاز ، وقال « أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم »[8] وكان الفراء يستهدي روح

---

(١) سورة القمر : آية ٢٦ .

(٢) شواذ القرآن : ١٤٧ .

(٣) شرح الدرة للخفاجي : ٦٤ .

(٤) المصباح : ٢٨٦/١ .

(٥) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(٦) المخصص : ١٦٤/١ .

(٧) سورة الطارق : آية ٦ .

(٨) اللسان : ٣٨٧/١١ .

العربية في تفسيراته اللغوية، إذ يعلل لهجة الحجاز بقوله « وأعان على ذلك أنها وافقت رءوس الآيات التي هي معهن »[1] فهو يحيل التفسير اللغوي إلى النسق الصوتي – أو النغم الموسيقي .

٤ – كما أننا نجد اسم المفعول من الثلاثي على وزن مفعول – إلا أننا وجدناه أحياناً على وزن (فِعْل) بكسر الفاء وسكون العين ، وجاء في القرآن « وفديناه بذبح عظيم » أي مذبوح .

٥ – وإذا كنا نقول في اسم المفعول الثلاثي من ركب وجزر – مركوب ومجزور ، فاننا نجد بجانبها أيضاً « رَكوب » و « جَزور » و « رَسول » – وربما كانت صيغة « فَعُول » هي الأصل في الاستعمال بدليل وجود بقايا لها ، ثم بمرور الزمن ضعف معناها على هذه الصيغة فحاولوا ترميمها بميم زائدة حتى تستعيد قوتها المعبرة فقالوا : مركوب الخ ... وهكذا يجب أن نفهم الزوائد في المشتقات على أنها ترميم لجسم الكلمة بعد هزالها ، وكذلك الميم في اسم الآلة فإنها اتصلت بالاسم في مرحلة متأخرة لتؤكد هذه الصيغة فأصبحت «مِفعل» بكسر الميم مثل « مِبرد » وأصلها « ما يبرد » ثم التصقت بها الميم ، بعد أن أصبحت فارغة من معنى الموصول التي تفيده « ما » الموصولة . فإذن هذه الزوائد التي تتصل بالزمان والمكان واسم الآلة واسم المفعول ما هي إلا بقايا كلمات مستقلة قديمة . فالشذوذ في هذا الباب – ليس كما يرى علماء العربية ، ولكنه « تجدد يتوالى على الأزمان للتعويض عما اندثر – شأن الأجسام الحية النامية »[2] .

(١) المرجع السابق .

(٢) الفلسفة اللغوية : ٩٣ جرجي زيدان ، تحقيق الدكتور مراد كامل .

الباب الخامس

الظواهر العامة في لهجات القبائل

الفصل الأول

فعل وأفعل بين لهجات القبائل :

لم تتفق القبائل العربية على استعمال وزن « أفعل » بالهمزة ، فقد جـــاء في اللسان : أراقه وهراقه ــ على البدل عن اللحياني ، وعزاها إلى اليمن ، ثم فشت في مضر »[1] ويفهم من رواية اللحياني أن صيغة (هفعل) كانت أصلاً في اللغات العربية الجنوبية ، ولكنها ظهرت في مناطق جغرافية أخرى حيث ظهرت في اللحيانية القديمة[2] ، ثم في الكنعانية القـــديمة والمؤابية ، وبعض اللهجات الآرامية[3] .

كما ورد في العربية الفصحى أيضاً وزن (هفعل) بدل (أفعل) فقد جـــاء عن الكسائي « أرحت دابتي ، وهرحتها »[4] ، كما حكى عنهم (هرقت)[5] والأصل : أرقت . وفي شعر امريء القيس « وإن شفائي عبرة مُهَرَاقة »[6] .

كما ظهر قلب الهمزة هاء في طيء في « إن » الشرطية حيث يقولون : هِنْ فعلت[7] . كما كانت طيء تقول أيضاً » هزيد فعل ذلك « في أزيد »[8] وهذا التعاقب بين الهمزة والهاء يعلل لنا التعاقب بين وزني (أفعل وهفعل) لأن الهمزة والهاء حلقيتان وهذا يؤكد أن العربية كغيرها من الساميات استخدمت الهمزة والهاء في هذا الوزن ، ثم فضلت العربية الهمزة بعـــد

---

(١) اللسان : ٤٢٨/١١ .

(٢) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

(٣) انظر : وزن أفعل : دكتور خليل يحيى نامي .

(٤) إبدال أبي الطيب : ٥٧٠/٢ .

(٥) ليس في كلام العرب : ٧٢ ، المفصل : ٣٦٩ ، الأمالي : ٦٨/٢ للقالي .

(٦) شرح المعلقات السبع : ٨ .

(٧) شرح الشافية : ٢٢٣/٣ ، اللسان : ١٧٨/١٦ .

(٨) اللسان : ٣٧٣/٢٠ .

ذلك معرضة عن الهاء لأسباب تتفق وطبيعتها اللغوية[1] ، وكما فعلت العربية ، فعلت اللحيانية حيث أخذت صيغة (أفعل) بالهمزة تظهر فيها بعد أن أعرضت عن وزن (هفعل)[2] والآن نتوجه إلى بحث اختيار القبائل العربية لأحد هذين الوزنين (فعل وأفعل) .

١ – أورد صاحب المصباح أن « جزى » يجزي جزاء – من غير همز – لغة الحجاز كما نسب « أجزأ » بمعناه أيضاً – إلى تميم[3] ، وفي اللسان أن النبي (ﷺ) قال لأبي بردة حين ضحى بالجذعة « تَجزي عنك ، ولا تَجزي عن أحد بعدك » وهو كما قال الأصمعي « مأخوذ من قولك « قد جزى عني هذا الأمرُ يَجزي عني »[4] وهذا يقوي أن الحجاز تقوله مجرداً ، لأن النبي (ﷺ) من تلك البيئة ، ونقل ابن منظور أنهم يقولون « جزت عنك شاة وأجزت – بمعنى »[5] .

٢ – كما ورد أن (سحت) مجرداً لغة الحجاز ، وأسحت – لغة تميم ، وأورد أبو حيان شاهداً للهجة تميم من قول الفرزدق[6] . وإذا التفتنا إلى كتاب الله وجدنا أن حمزة والكسائي وحفصاً والأعمش يقرءون « فيسحتكم بِعَذَاب » بضم الياء وكسر الحاء من أسحت رباعيًّا ، بينما قرأ باقي السبعة ... بفتحها من (سحت) ثلاثيا[7] والقراء السابقون يمثلون البيئة الكوفية ، تلك التي تأثرت بقبائل شرق الجزيرة كتميم . وقد وجه ابن خالويه في مخطوطة الحجة القراءتين – ولم يعزهما[8] .

٣ – ورد في المزهر نقلاً عن يونس في نوادره : أن الحجاز يقولون : لاته[9] عن وجهه – يَليته ،

---

(١) وزن أفعل : دكتور خليل نامي .

(٢) لغات النقوش العربية : ١٢ دكتور مراد كامل .

(٣) المصباح : ١٥٧/١ .

(٤) اللسان : ١٥٩/١٨ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) البحر : ٢٤٤/٦ .

(٧) الإتحاف : ٣٠٤ ، البحر : ٢٥٤/٦ .

(٨) الحجة لابن خالويه : ورقة ٩٦ مخطوطة بدار الكتب .

(٩) لاته : نقصه .

وتميم : ألاته ـ يُليته ، وقد وردت اللغتان في قوله تعالى : (لايالتكم من أعمالكم شيئاً)[1] وقرأ على اللهجتين الحجازية والتميمية كثير من القراء[2] .

٤ ـ كما نقل ابن منظور : مضّني الجرح وأمضني : آلمني وأوجعني ، كما نقل أبو عبيدة الصيغتين عن العرب : مضني وأمضني . وقال : « أمضني كلام تميم »[3] وورد لها شاهد وهو قول سنان بن محرش :

(من الحلو صادق الإمضاض)[4]

٥ ـ كما عزا أبو حيان صيغة (مرج) بمعنى خلط إلى لهجة الحجاز (وأمرج) عزاها إلى[5] نجد ، وذلك بمناسبة تفسيره لقوله تعالى « وهو الذّي مَرَجَ[6] البحرين) .

٦ ـ وعزا أبو حيان : فتن ـ إلى الحجاز ، بينما لغـــة تميم : أفتن[7] . كما قرأ عيسى ابن عمر « ومنهم من يقول ائذنْ لي ولا تفتني » [8] بضم التـــاء الأولى من أفتن وعزاها أبو حاتم إلى تميم [9] . وقد جاء في اللسان أن أعشى همدان جاء باللغتين في قوله :

لئن فتنتني لَـهْـيَ بالأمس أفتنتْ سعيداً فأمسى قد قلا كلّ مسلم

وعلى الرغم من أن الأدلة شاهدة على صحة أفـــتن ـ المزيدة ، والمعزوة إلى تميم بشهادة قول رؤبة :

(يُعرضن إعراضاً لدين المفْتن)

---

(١) المزهر : ٢٧٦/٢ .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٤ .

(٣) الإتحاف : ٣٩٨ .

(٤) اللسان : ١٠١/٩ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) البحر : ٤٧٨/٦ .

(٧) سورة الفرقان : آية ٥٣ .

(٨) البحر : ٣٣٩/٣ ، النهر الماد : ٣٣٨/٣ .

(٩) سورة التوبة : آية ٤٩ .

(١٠) البحر : ٥١/٥ .

وقوله :

(وإني وبعض المفتنين ...) [1]

إلا أن الأصمعي قد أنكرها ، وقال عن بيت الشاهد في شعر الأعشى « أنه مخنث » بينما أبو زيد قد أجازها [2] .

ولعل السبب في إنكار الأصمعي لها أنـــه كان يتشدّد في اللغة وأنه كان يفرق بين الصحيح والأصح ، ويذهب في معظم أمره مذهب الأفصح في كلام العرب ـ أما أبو زيد فقد كان يقبل جميع ما جاء عن العرب ، ويذهب فيه مذهب الصحة والصواب وهما نظرتان مختلفتان . ومهما كان فإن الأصمعي بتضييقه في اللغة قد أنكر قراءة مروية وهي التي قرأ بها عيسى بن عمر في الآية السابقة . ويظهر أن هذا كان من طبع الأصمعي ، ومما يؤيد ذلك أنه كان ينكر ما يأتي به الكميت ، حدث أبو حاتم قال « قلت للأصمعي أتجيز إنك لتُبرق لي وتُرعِد ؟ فقال : لا ، إنما هو تَبرق وتَرعدُ ، فقلت له : فقد قال الكميت :

أبرق وأرعـــد يا يزيـــد فما وعيدك لي بضائر

فقال: هذا جرمقاني(*) من أهل الموصل ، ولا آخذ بلغته ، فسألت عنها أبا زيد الأنصاري ، فأجازها » [3] وهذا إن دل فإنما يدل على مذهب الأصمعي في ولعه بأجود اللغات ، ورده ما ليس كذلك ، وما رده الأصمعي صحيح في اللغـــة ، بدليل أنهم احتكموا إلى أعرابي في ذلك حين سأله أبو زيد « كيف تقول إنك لتبرق لي وترعد ؟ فقال له الأعرابي : أفي الجخيف تعني ؟ أي التهدد . فقال : نعم ، فقال الأعرابي إنك لتُبرق لي وتُرعد » [4] .

٧ ـ كما عـــزا يونس في نوادره إلى الحجاز قولهم « هو الذي ينقُد الدراهم » بينما تميم تقول في مثل ذلك هو الذي ينتقد » [5] أي يستعملونها مزيدة ، بينما الحجاز تستعملها مجردة . كما

(١) اللسان : ١٩٤/١٧ .

(٢) الخصائص : ٣١٥/٣ ، اللسان : ١٩٤/١٧ .

(*) الجرامقة = طائفة من الكلدانيين ، أي السريانيين .

(٣) الخصائص : ٢٩٣/٣ .

(٤) الأخطاء اللغوية الشائعة : ٨/١ الشيخ محمد النجار ، الخصائص : ٢٩٤/٣ .

(٥) المزهر : ٢٧٦/٢ .

نسب إلى الحجازيين « تخذت ووخذت » بينما تميم تقول في مثل هذا « اتخذ » [1] .

٨ ـ كما عزا أبو حيان صيغة (أجنب) إلى تميم ، وهي مزيدة ، بينما غيرهم من الحجازيين يستعمل (جنب) [2] وإذا رجعنا إلى كتاب الله وجدنا أن الجحدري وأبا الهجهاج يقرآن (وأجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام) بهمزة القطع على لهجة تميم كما جاء في المحتسب » [3] ولكن أبا حيان عزاها إلى الجحدري وعيسى الثقفي [4] .

٩ ـ كما جاءت عدة روايات وكلها تعزو المزيد إلى تميم كقولهم « أوقعت بهم » بالألف ، بينما غيرهم يقول « وقعت » [5] مجرداً ، كما عــزا ابن القوطية إلى تميم قولهم « أوقفت الدار والدابة » [6] بينما غيرهم يقول « وقفت » مجرداً ، ولكن الأصمعي أنكر « أوقفت » بالألف وقال : الكلام « وقفت » بغير ألف [7] . وعلى أي حال فعجبنا يشتد للأصمعي لأنه أنكر لهجة كلهجة تميم ـ تلك التي قال عنها ابن حزم « بأنها قاعدة من أكبر قواعد العرب » [8] ، وربما نلتمس العذر للأصمعي في رفضه تلك الصيغة ، بأنها لم تبلغه ـ كما عزى صاحب الكامل إلى تميم صيغة مزيدة وهي « أهبطته » [9] بينما غيرهم يقول « هبطته » .

١٠ ـ كما ذكر ابن منظور « ما فتيئت وما فتأتُ أذكره ـ وما أفتأت » وعقب على هذا بأن الصيغة الأخيرة « تميمية » [10] أي أن تميماً كانت تستعملها مزيدة ، كما عزاها السيوطي إلى تميم أيضاً [11] .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) البحر المحيط : ٤٢٩/٥ .

(٣) المحتسب : ٢١/٢ مخطوط .

(٤) البحر : ٤٢٩/٥ .

(٥) المصباح : ١٠٣٧/٢ .

(٦) الأفعال : ١٥٧ ابن القوطية .

(٧) المصباح : ١٠٣٨/٢ .

(٨) جمهرة أنساب العرب : ١٩٦ .

(٩) الكامل المبرد : ٢٢٠/١ .

(١٠) اللسان : ١١٤/١ .

(١١) الهمع : ١١٢/١ .

فمن الشواهد السابقة نلمح أثراً واضحاً وهو أن تميماً تميل إلى استعمال صيغ الأفعال المزيدة. ولم تكن تميم وحدها في هذا الميل بل شاركتها قبائل أخرى.

١ – كقيس حيث روى اللحياني أنهم يقولون « أخلى فلان على اللبن [1] واللحم » كما عزا صاحب البحر لقيس صيغة (أفتن) [2] في تفسيره قوله تعالى « إنْ خِفْتُم أن يفتنكم الذين كفروا » [3] كما عزى لقيس أيضاً أنهم يقولون « أهديت العروس [4] » وغيرهم « هديت العروس ». والعجب من الكسائي حيث ذكر في رسالته أن « أهديت العروس » لحن [5].

٢ – « ونَجْدٌ » سارت على نهج تميم تقريباً، فقد سمع أبو حاتم من أبي زيد أن أهل نجد يقولون: أكننت الجارية والدّرة، وقال أبو حاتم: يقول أكثر العرب كننت الدرة والجارية وكل شيء » [6]، كما روى صاحب البحر أن نجداً تقول أجنب – وغيرهم جنب [7]، وذكر صاحب الإتحاف أنهم يقولون: أسحت وغيرهم سحت » [8] وورد في البحر ما يؤيد هذا [9].

٣ – كما سارت تقريباً لهجة أسد على هذا أيضاً يؤيده ما رواه الفراء لبعض بني دُبَيْر:

حتى إذا أعصفتْ ريحٌ مزعزعة   فيها قطار ورعدٌ صوتها(١٠) زجِلُ

ودبير هذه بطن من أسد، بل يصرح ابن منظور بأن لهجة أسد (أعصفت) وغيرهم (عصفت)(١١).

---

(١) اللسان: ٢٦١/١٨.

(٢) البحر: ٣٣٩/٣.

(٣) سورة النساء: آية ١٠١.

(٤) المصباح: ٩٨٤.

(٥) ما تلحن فيه العوام: ٥٤ حاشية.

(٦) المخصص: ٢٤٨/١٤.

(٧) البحر: ٤٢٩/٥.

(٨) الاتحاف: ٣٠٤.

(٩) البحر: ٢٤٤/٦.

(١٠) معاني القرآن: ٤٦٠/١ دار الكتب.

(١١) اللسان: ١٥٣/١١.

٤ – كما روى « حدّت المرأة على زوجها ... وأحدت »[١] . وقد حكى الكسائي عن عقيل « أحدّت » وقال الفراء : كان الأولون من النحويين يؤثرون « أحدت فهي محدّ » قال : والآخرى أكثر في كلام العرب[٢] .

ولكن ما الصلة بين هذه القبائل وبين تميم حتى تتفق في الظاهرة معها ؟ أرى أن القبائل التي اتفقت مع تميم في الظاهرة تتفق أيضاً معها في البيئة الاجتماعية ، فتميم بيئتها بدوية ، وقيس وأسد وعقيل ، ومنطقة نجد يغلب عليها طابع البداوة كذلك .

ولهذا رأينا المناطق المتحضرة تجنح غالباً إلى الصيغة المجردة – فالحجاز قد آثرتها كما تشهد بذلك النصوص السابقة ، كما سارت سيرها بعض المناطق المجاورة لها كلهجة العالية : فقد جاء في المصباح أنهم يقولون « ملح الماء ملوحة »[٣] ، كما نجد أن قريشاً وهي حضرية قد آثرت الصيغة المجردة ، يدل لذلك ما جاء في اللسان من قول الجوهري « حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ، وقد قرىء بها »[٤] كما عزيت الصيغة المجردة أيضاً في كل من الخزانة[٥] ، والبحر المحيط[٦] ، والمصباح[٧] إلى قريش . ولكن هل يمكن أن يكون ذلك قانوناً تسير عليه اللهجات العربية ؟ أرى أنني لا أستطيع أن أبلغ به حد الحتم ، لأنني عثرت على شواهد تفيد العكس ، ولكنها مع ذلك شواهد قليلة منها :

١ – ما عزاه اللحياني في اللسان[٨] من أن تميماً تقول « خلا فلان على اللبن وعلى اللحم – إذا لم يأكل منه شيئاً ولا خلطه به ، بينما غيرهم يقول « أخلى » .

---

(١) المصباح : ١/١٩٤ .
(٢) ما تلحن فيه العامة : للكسائي : ٤٧ هامش .
(٣) المصباح : ٨٩٣ .
(٤) اللسان : ١٦/٢٦٦ .
(٥) الخزانة : ١/٥٧٩ .
(٦) البحر : ٦/٣٤٢ .
(٧) المصباح : ١/٢٠٨ .
(٨) اللسان : ١٨/٢٦١ .

٢ – نسب ابن القطاع « جبرت » إلى تميم مجردة ، بينما عامة العرب يقولون : « أجبرته »[١] مزيدة ، وقال الأزهري . « جبرته وأجبرته لغتان جيدتان » ، كما ذكر ابن دريد الصيغتين المزيدة والمجردة . ولم[٢] يعزهما ، وذكر الأزهري في اللسان أن « جبرته على الأمر » لغة معروفة[٣] .

٣ – أن تميماً كانت تستعمل الفعل « هلك » فيقولون « هلكته » ، بينما غيرهم يقول أهلكته »[٤] بالهمزة .

كما وجدت صيغاً أخرى تعزو الأفعال المزيدة إلى الحجاز – ومنها :

١ – عزا الفراء إلى الحجاز (أوفى) ، كما نسب إلى نجد (وفى) بغير ألف[٥] . وقال ابن قتيبة وفيت بالعهد ، وأوفيت به . وساق الزجاج قول الشاعر مستشهداً على اللهجتين :

أمّا ابنُ طوقٍ فقد أوفى بذمّته ... كما وَفَىَ بقلاص النجم حاديها[٦]

وقال ابن جني عن هاتين الصيغتين (أوفى) و (وفى) لغتان قويتان[٧] .

٢ – كما عزا اللسان « أسرى » بالألف إلى الحجاز[٨] . وسرى – لغة غيرهم ، كما جاءت رواية أخرى مماثلة في المصباح[٩] ، وإذا التفتنا إلى كتاب الله نجد أنه قرىء باللهجتين في قوله تعالى « أسرى بعبده »[١٠] وقوله « والليل إذا يسر » ، فهو من سرى – ولو كان من : أسرى – لكان : يُسري .

---

(١) المصباح : ١/١٤١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) اللسان : ٥/١٨٥ .

(٤) المخصص س ٦ : ص ١٢٧ .

(٥) البحر المحيط : ١/١٧٢ .

(٦) الخصائص : ٣/٣١٦ ، البحر المحيط : ١/١٧٢ .

(٧) الخصائص : ٣/٣١٦ .

(٨) اللسان : ١٩/١٠٣ .

(٩) المصباح : ١/٤٢٠ .

(١٠) سورة الإسراء : آية ١ .

وعلى كل فالقوانين التي تخضع لها اللهجات واللغات ، ليست لهـا صفة الحتم كقوانين الطبيعة والرياضة ، بل نكتفي بالحكم على الكثرة الغالبة ، ولا يضيرنا بعض الظواهر التى تبدو شاذة أو غريبة حول القاعدة .

والآن أريد أن أناقش الرواة في فهمهم لصيغتي (فعل وأفعل) مثل : سرى وأسرى ، وسقي ، وأسقى ، وفتن وأفتن ـ فهم على أن معنى الصيغتين واحد ، المجردة والمزيدة ، ويستدل لذلك بما جاء في اللسان من قولهم « سريت ، وأسريت بمعنى ـ إذا سرت ليلا »[١] .

ومثل هذا جاء في الصحاح أيضاً[٢] ، وكما جاء أن « وفى الكيل وأوفيته »[٣] بمعنى : والحق أن كلام اللغويين فيه تسامح ظاهر ، فصيغة (فعل) ـ لابد أن يختلف معناها عن صيغة (أفعل) ، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فلابد أن صيغة « أفعل » تدل على معنى زائد عن صيغة (فعل) فإذا قلت : أقاله أو أسقاه كان أبلغ في الدلالة من « قاله وسقاه » أو أن نقول ان كل صيغة منهما تعيش في بيئة خاصة كما سبق ، فصيغة (فتن) تعيش في بيئة الحجاز ، وصيغة أفتن ـ تعيش في بيئة[٤] تميم . ولا يعقل أن الرجل في البيئة الواحدة كان له من الاختيار والحرية بحيث ينطق الصيغة مرة مجردة ، وأخرى مزيدة ، كما لا يعقـــل أن بعض الأفراد في البيئة الواحدة يؤثرون صيغة فعل ، وبعضهم يؤثر صيغة أفعل ، فإما أن نفرق بـــين الصيغتين فنقول مثلاً في صيغة « وقف » بأن « ما يمسك باليد يقال فيه « أوقفته » بالألف ، وما لا يمسك باليد يقال فيه وقفته ـ بغير ألف »[٥] أو أن يقال « جبرت » لجبر العظم بعد كسره ، وأن يكون (أجبر) مقصوداً به الإكراه[٦] « وهذا معنى قول الخليل » من قال : عقب : لايقول : « أعقب »[٧] ، ومما لاشك فيه أن صيغة « أفعل » تدل على معان عدة : كالتعدية ، والتعريض ، والسلب والإزالة والتمكين[٨] ، تختلف فيها عن فعل .

---

(١) اللسان : ١٠٣/١٩ .

(٢) خزانة الأدب : ٥٥١/١ .

(٣) البحر المحيط : ١٧٢/١ .

(٤) البحر : ٣٣٩/٣ ، النهر الماد : ٣٣٨/٣ .

(٥) المصباح : ١٠٣٨/٢ .

(٦) اللسان : ١٨٥/٥ .

(٧) العين : ٩٥ ط بغداد .

(٨) شذا العرف : ٢١ .

ويظهر أن ابن درستويه قد لحظ هذا فهو يقول في شرح الفصيح « لا يكون فعــل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان ، والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين ، وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعهـــا وما في نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ماجرت به عاداتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون العلة فيه ، والفروق ، فظنوا أنها بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل ، فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب ، فقد أخطئوا عليهم في تأويلهم مالا يجوز في الحكمة ، وليس يجيء شيء من ذلك البــاب إلا على لغتين متباينتين كما بينا ـ أو أن يكون على معنيين مختلفين[١] .

تصوير القرآن الكريم للظاهرة :

ولقد لمحت موقف القرآن الكريم من هذه الظاهرة فيما يأتي :

١ ـ قراءة الجحدري وعيسى الثقفي « وأجنبني وبنيّ أن نعبــد الأصنام »[٢] من « أجنب » وهي لهجة[٣] نجد ، وقرأها الآخرون من (جنب)[٤] .

٢ ـ وقرأ عيسى بن عمر « ولا تفتني »[٥] بضم التاء الأولى من أفتن ـ وهي لهجة[٦] تميم ، وقرأ الآخرون : تفتني ـ بفتح التاء الأولى من فتن .

٣ ـ وقوله تعالى « لا يحزنهم الفزع الأكبر »[٧] قرأ أبو جعفر بضم اليــاء من أحزن وهي في تميم ، وبعضهم من حزن [٨] ، كما أورد ابن خالويه في الحجة عدة قراءات قرآنية جاء الفعل فيها مرة من فعل ، وأخرى من أفعل [٩] .

(١) المزهر : ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٣٥ .

(٣) البحر : ٤٢٩/٥ - ٤٣١ ، مختصر شواذ القرآن : ٦٨ ابن خالويه .

(٤) المحتسب : ٢١/٢ مخطوط .

(٥) سورة التوبة : آية ٤٩ .

(٦) البحر : ٥١/٥ .

(٧) سورة الأنبياء : آية ١٠٣ .

(٨) البحر : ٣٤٢/٦ .

(٩) الحجة لابن خالويه : ورقة ٢٨ ، ٨٥ ، ٢٧ مخطوط بدار الكتب .

وكذلك عثرت على عدة قراءات قرآنية في كتاب شواذ القرآن جاءت كل قراءة على أحد هذين الوزنين [1] . وقد نسمع بعض الأحكام التي تصدر على أحد الوزنين السابقين كقول ابن منظور : اللغة العالية حزنه يحزنه ، وأكثر القراء قرءوا بها [2] ، كما أن الأصمعي كان لا يحب أن يبدي رأياً في فعل وأفعل، لاسيما إذا كانت الكلمة قد وردت في القرآن، فلم يتكلم في عصفت وأعصفت ، لأن في القرآن « ريح عاصفة » ولا في سحته وأسحته لأن في القرآن : فيسحتكم [3] ، وربما ذلك يرجع إلى خوفه من الخوض في القرآن تورعاً ، أو لأن هاتين الصيغتين تدور حول الأفعال التي ترتبط بالجبر والقدر كما تقدم في الأمثلة السابقة من مثل قولهم : جبر وأجبر - وهو لا يريد أن يزج بنفسه في هذا المهيع الخطير ، أو ربما أنه كان لا يجيز إلا أفصح اللغات ويلغي ماسواها ، ويبدو هذا فيما رواه ابن دريد قال : « سألت أبا حاتم عن باع وأباع ، فقال سألت الأصمعي عن هذا فقال لا يقال : أباع ، فقلت : قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمداني :

ورضيتُ آلاءِ الكُمَيت فمن يبعْ   فرساً فليس جوادنا بمباعِ

قال الأصمعي : لعلها لغة لهم يعني أهل اليمن - ثم عقب ابن دريد على إنكار الأصمعي لها بقوله : وقد سمعت جماعة من جرم فصحاء يقولون : أبعت الشيء - فعلمت أنها لغة لهم [4] .

ونستنبط من هذا العرض أن القرآن الكريم قد راوح بين هاتين الصيغتين في قراءاته ، وكأنه بذلك يوثق هذه اللهجات العربية بالقراءة المروية أولاً ، ثم ليجد كل قبيل من العرب سحنته اللغوية في هذا الكتاب ، فيكون القرآن قد قصد بذلك إلى هدف آخر سياسي يجانب الهدف اللغوي - وهو جمع العرب في طريق واحد إلى هدف واحد .

---

(١) شواذ القرآن : ١١٤ ، ٢٦ ، ٦٨ ، ٢٢ ، ٢٦ لابن خالويه .

(٢) اللسان : ٢٦٧/١٦ .

(٣) المزهر : ٣٢٦/٢ .

(٤) الجمهرة : ٤٣٦/٣ .

الفصل الثاني

التذكير والتأنيث في اللهجات العربية :

لا يستطيع الدارس أن يدلي برأي قاطع فيما إذا كانت هذه القبيلة أو تلك تميل إلى التذكير أو التأنيث قبل أن نعرض لدراسة نصية للقبائل العربيـــة في تلك الظاهرة ، ولذلك لابد من نشر نصوص ظاهرة التذكير والتأنيث ، وفي ضوء النصوص تظهر النتائج ، وسأعرض النصوص على المستويات الآتية :

أولاً : ماعزيت فيه كل صيغتين إلى لهجتين مختلفتين .

ثانياً : ما عزيت فيه الصيغة إلى لهجة دون الصيغة الأخرى .

ثالثاً : صيغ أهمل العزو فيها .

أولاً : صيغتان معزوتان إلى قبيلتين مختلفتين :

(أ) جاء في كتاب المذكر والمؤنث للفراء أن « أهـل الحجاز يقولون هي النخل وهي البسر والتمر والشعير ، فأهل الحجاز يؤنثونه ، وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون ذلك ، وربما أنثوا ، والأغلب عليهم [1] التذكير » . وأضاف صاحب المصباح أمثلة أخرى وهي : البر والبقر ــ وعزا التأنيث إلى الحجاز ، والتذكير إلى تميم ونجد [2] . كما ورد نص مشابه في اللسان [3] ، وفي عقد الجوهرة في الأسماء المؤنثة والمذكرة [4] ، وساق صاحب المزهر ما يشبه هذا عن اليزيدي في نوادره [5] .

---

(١) المذكر والمؤنث : للفراء ٣٠ ط حلب .

(٢) المصباح : ٩٢١/٢ .

(٣) ١٧٥/١٤ ، ٦٢/٦ .

(٤) نظم الحسن بن سليمان : ص ١٤ بمكتبة أحمد تيمور رقم ٣٢٧ لغة .

(٥) المزهر : ٢٧٧/٢ .

(ب) نسب اللسان تأنيث (الذهب) إلى الحجاز ، لأن القطعة منه ذهبة ، ثم ذكر بأن القرآن نزل على لهجـــة الحجازيين [١] وشاهد ذلك قوله تعالى « والذين* يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها » فأنث ، كما جاء نص مشابه آخـــر في المصباح [٢] . ويظهر أن الأزهري لم يوافق على أن يكون « الذهب » مؤنثة ، بل قال « والذهب » مذكر عند العرب » [٣] وأول الضمير في الآية السابقة فقال : إن المعنى « يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله ، وقيل جائز أن يكون محمولاً على الأموال ، فيكون ـ ولا ينفقون الأموال . ويجوز أن يكون ـ ولا ينفقون الفضة ـ وحذف الذهب ، كأنه قال : والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه ، والفضة ولا ينفقونها ـ فاختصر الكلام ـ كما قال : والله ورسوله أحق أن يرضوه ، ولم يقل يرضوهما [٤] . وأرى أن الأزهري ركب في تأويل الآية الكريمة مركباً صعباً ، ليؤيد مذهبه .

(جـ) جاء في كتاب المذكر والمؤنث للفراء أن « الطريق ـ يؤنثه أهل الحجاز ، ويذكره أهل نجد [٥] ونقل السيوطي عن الصحاح إضافات أخرى منهـــا : الصراط ، والسبيل والسوق والزقاق والكلأ ـ وهو سوق البصرة ـ فكل ذلك تؤنثه الحجاز ، وتذكره تميم [٦] كما وردت رواية أخرى مشابهـــة في اللسان [٧] ، وفي المصباح [٨] . وإذا التفتنا إلى كتاب الله لنستشف منه آثارا للهجتي الحجاز وتميم رأينا : أن الصراط ـ جاءت مذكرة في قوله تعالى : « الصراط المستقيم » [٩] على لهجة تميم وقوله « هذا صراط مستقيم » . بينما أنث الصراط يحيى بن يعمر في قراءة له « أصحاب الصّراط السُّوىٰ ومن اهتـدى » ويظهر أن

(١) اللسان : ٦٢/٦ .
(*) التوبة ٣٤ .
(٢) ٣٢٣/١ .
(٣) اللسان : ٣٨٠/١ .
(٤) اللسان : ٣٨٠/١ .
(٥) المذكر والمؤنث للفراء : ٢١ .
(٦) المزهر : ٢٢٥/٢ .
(٧) ٩/١٢ .
(٨) ٢٨٨/١ ، ٥٦٧ .
(٩) سورة الفاتحة : آية ٦ .

ابن سيده يشك في تأنيث الصراط [1] ، ولكن يحيى بن يعمر كان قارئاً نحوياً ، وقد صحت هذه القراءة عنه ، فلا مكان لشك ابن سيده .

وكذلك راود القرآن بين لهجتي الحجاز وتميم في كلمة « السبيل » ـ قال تعالى : « وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً » على التذكير ، وعلى التأنيث قوله « قل هذه سبيلي » وجاء في سورة الأنعام « وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين » قرأ العربيان وابن كثير [2] وحفص « ولتستبين ـ بالتاء على التأنيث ، وقرأ الأخوان وأبو بكر : « وليستبين ـ باليـــاء ، وسبيل ـ بالرفع على التذكير ، بينما نجد القرآن قد آثر لهجة تميم في كلمة الطريق ـ وذلك في قوله تعالى « فاضْربْ لهم طريقاً في البحر يَبَساً » وقوله : يهـــدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم » .

(د) وجاء في المخصص أنه يقال : فلان زوج فلانة ، وفلانة زوج فلان وتلك لهجة [3] الحجاز فكأن« زوج » لهجة الحجاز ، وزوجة « لهجة تميم ، وكأن أهل الحجاز يضعونه للمذكر والمؤنث وضعاً واحداً فتقول المرأة » هذا زوجي ، ويقول الرجل « هذه زوجي » وربما قد شاركت لهجة أزد شنوءة لهجة الحجاز في هذا « فقد نقـل اللحياني عن الكسائي عن القاسم بن معن أنه سمع من أزد شنوءة بغير [4] هاء » أما تميم فتقول « هي زوجة [5] وربما شاركها في ذلك كثير من قيس وأهل [6] نجد ، وقـــد بحثت شواهد عربية للهجتين فوجدت ما يأتي :

قال عبدة بن الطبيب :

فبكى َبناتِي شجوهن وزوجتي   والأقربون إليّ ثم تصدّعوا [7]

---

(١) المخصص : سفر ١٧/١٧ .

(٢) البحر : ١٤١/٤ ، النهر الماد : ١٤١/٤ ، وانظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ٣٧ .

(٣) المخصص : سفر ٢٤/١٧ .

(٤) اللسان : ١١٧/٣ .

(٥) كتاب التذكير والتأنيث للسجستاني : ١٨ خط بمكتبة تيمور ٢٦٤ لغة .

(٦) البحر : ١٠٩/١ .

(٧) المخصص س : ٢٤/١٧

وقال آخر :

(مِنْ منزلي قد أخرجَتْنِي زوجتي)

وقال الفرزدق :

(وإن الذي يسعى يُحَرِّش زوجتي)[1]

فكلُّ هذه شواهد للهجة تميم .

لاسيما وأن كتب الطبقات والأنساب تخبرنا أن عبدة هذا هو من بني عبد شمس ابن سعد بن زيد مناة بن تميم[2] .. وأما شواهد لهجة الحجاز فمنها :

قوله تعالى « اسكن أنت وزوجك الجنة » وقوله تعالى « أمسكْ عليك زوجَك » وقوله تعالى « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج » أي امرأة مكان امرأة ، وقوله تعالى : « ما يفرقون به بين المرء وزوجِه » ولكن الأصمعي أنكر (زوجة) وقال : هي (زوج) لا غير ، ولكن يحتج عليه بقول الفرزدق السابق وعبدة بن الطبيب ، وهما تميميان وربما أن الذي دعا الأصمعي إلى إنكارها أنه كان يتشدد في اللغات ، كما أنه كان مولعاً بأجودها ويرد ما لم يكن منها قوياً[3] ، كما أنه لما احتج عليه أبو حاتم بقول ذي الرُّمّة في تأنيث (زوجة) بالتاء – قال له الأصمعي : ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين .

(هـ) جاء عن الفراء أن الصاع وهو (مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد) يؤنثه أهل الحجاز ، وأسد وأهل نجد – يذكرونه ، وربما أنثه بعض أسد[4] . فمن أنث يجمعونها على آصع وأصوع مثل ثلاث أدور ، ومن ذكره جمعه على أصواع مثل أثواب[5] ، وأرى في رواية الفراء – ولاسيما في قوله « وربما أنثه بعض أسد » أن الصاع قد تطور من التأنيث في الحجاز – إلى التذكير في قبائل نجد وأسد لكن يظهر أن التطور لم يكن

---

(١) المذكر والمؤنث : ٢٦ للفراء .

(٢) مختصر شرح التبريزي : ٣٣٣/١ .

(٣) الخصائص : ٢٩٥/٣ .

(٤) المذكر والمؤنث للفراء : ٢٧ .

(٥) الامتاع : ٢٦٩ .

شاملاً في تلك القبائل ، أو لم يأخذ دورته كاملة – فتخلف في بعض أحياء أسد ولعل أحد هذه الأسباب الانعزال الجغرافي .

تعقيب :

من هذا العرض نرى أن لهجة الحجاز تؤنث كل جمع بينه وبين واحده الهاء وهـــذا معنى ما جاء عن أبي حيان من أن « الجنس الذي ميز واحده بتاء يؤنثه الحجازيون ويذكره التميميون وأهل نجد »[1] كما ورد في المخصص[2] ما يؤيد هـــذا ، وعلى هذا إذا ذكر المحقق رضي الدين الاستراباذي أن « الجنس المميز واحده بالتاء يذكره الحجازيون ويؤنثه غيرهم »[3] – كان مجانباً للحقيقة السابقة وللواقع اللغوي الذي أثبت بأن الحجازيين يؤنثون هذا ، وكما أن اللهجات العربية حدث فيها هـــذا الخلاف في التذكير والتأنيث ، فاننا نرى صداه في عبرية المشنا فهي وإن أنثت בֹּסֶר = البسر ، وتذكر كلمة תָּמָר = تمر فإنها تذكر תָּמָר[4] = تمر ، وتذكر כּר ، وتذكر שֶׁבֶר ، وان كانتا مؤنثتين في العبرية القديمة ، كما نراها تترجّح بين التذكير والتأنيث بالنسبة لكلمة דֶּרֶךְ : طريق[5] ، أما اللهجة الحجازية فعاملت كل هذا على التأنيث – وهو الأصل ، أي أن اللهجة الحجازية ظلت ثابتة ، لم يبلغها هذا التطور الذي حدث في لهجة تميم – حيث ذكرت هذه الأشياء . ولهـــذا كله جاءتنا متأرجحة بين التذكير تارة والتأنيث تارة أخرى .

ولقد قمت بإحصائية لبعض الكتب وقفت منها على هذا التأرجح ، بين التذكير والتأنيث وهذه الكتب هي :

١ – كتاب المذكر والمؤنث للفراء[6] : وفيه يذكر أن (القميص) – وإن كان مذكراً ، إلا أنه أنث عند جرير ، وأورد شاهداً لذلك ، وحاول أن يفسر القميص فيه على أنـــه

---

(١) البحر : ١/٨٣ .

(٢) المخصص : سفر ١٦/١٠٠ .

(٣) شرح الكافية للرضى : ٢/١٦٢ استانبول ١٣١٠ .

(٤) البحر .

(٥) من حديث شفهي مع الدكتور القصاص .

(٦) ط أولى بمطبعة حلب .

مذكر[١] ، كما ذكر أن بني أسد تذكر « الإبهام » ولكنه يقفي على ذلك بقوله « والتأنيث أجود وأحب[٢] إلينا . » وذكر أن « الذراع » أنثى ، وقد ذكر الذراع بعض عكل[٣] كما أثبت أن « الخمر » أنثى ، وربما ذكروها وساق شواهد لذلك من شعر الأعشى وغيره[٤] .

٢ – كتاب المذكر والمؤنث لأبي العباس المبرد ، رواية أبي علي الفارسي[٥] ، وقد أهمل فيها المبرد عزو جميع الكلمات التي وردت بالكتاب ، ولم يعز صيغة واحدة منها – وهذا يدل على أن نسبة اللهجات إلى أصحابها عند النحاة – لا قيمة لها ، كما ذكر بها صيغاً تتأرجح بين التذكير والتأنيث مثل : الصاع ، والفردوس .

٣ – كتاب المذكر والمؤنث لابن جني[٦] .

وفي هذا الكتاب تتردد الصيغ بين التذكير والتأنيث فمن ذلك :

الشعير[٧] ، الهدى[٨] ، الإبهام[٩] ، والآل[١٠] : الذي يشبه السراب ، والتمر[١١] ، والسوق[١٢] والعاتق[١٣] . فكل هذه الصيغ تتردد بين التذكير والتأنيث . كما نرى في هذا الكتاب أثرا لتطور الكلمة من المؤنث إلى المذكر أو العكس عن طريق القياس ، فإذا وجد في

(١) المذكر والمؤنث : للفراء : ٢٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥ – ١٦ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٥ .

(٤) المرجع السابق : ١٨ .

(٥) في مكتبة تيمور ٤٠١ لغة خط .

(٦) خط بمكتبة تيمور ٣٨٨ .

(٧) ص ١١ .

(٨) ص ١٧ .

(٩) ص ٥ .

(١٠) ص ٦ .

(١١) ص ٧ .

(١٢) ص ١١ .

(١٣) ص ١٣ .

اللغة كلمة مذكرة وشابهت في صيغتها أو معناها كلمات مؤنثة – مالت تلك الكلمة إلى التأنيث وكذلك العكس ومن ذلك قول ابن جني « الروح » : مذكر ، فإن أنث فإنما يعنى به النفس[1] وابن جني لا يستشهد على ما يقول لا بالقرآن ولا بالشعر ، والكلمات المنسوبة فيه قليلة .

٤ – كتاب التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني[2] ، وكما ترددت الكلمات بين التذكير والتأنيث عند سابقيه تتردد عنده مثل :

الطريق : يذكر ويؤنث[3] ، والطوى : البئر المطوية : مذكر وربما أنثوه[4] ، المنون : مؤنثة وقد تذكر . والسجستاني يستشهد للكلمات بالشعر كقول أبي ذؤيب :

(أمن المنون وريبه تتوجع)

على أن المنون مذكرة ، ويروى (وريبها) على أنها مؤنثة[5] ، فاختلاف الروايات في البيت يشير إلى استعمالات لهجية لأن الشعراء كان بعضهم ينشد شعر بعض ، فتنطبع فيه آثار القبائل اللهجية ، والتي تختلف حتماً عن لهجة منشده الأول ، « ومن ذلك تكاثرت الروايات في بعض الأبيات »[6] كما يكثر من الاستشهاد بالقرآن على اللهجة كقوله : الفردوس : مذكر ، فإن قصدت قصد الجنة أنثت كقوله تعالى : « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »[7] فالتأنيث واقع على الجنة . وعزو اللهجات فيه أكثر من كتاب ابن جني السابق كما أنه أحياناً يعقب على اللهجة ويبدي رأيه كقوله : العنق : يذكر ويؤنث ، والتذكير أغلب . وزعم الأصمعي أنه لايعرف التأنيث[8] فيه » .

٥ – مختصر في المؤنث والمذكر لأبي الحسين أحمد بن فارس[9] والكلمات في هذا المختصر تتردد

---

(١) كتاب المذكر والمؤنث : ص ١٠ .

(٢) بمكتبة تيمور رقم ٢٦٤ لغة خط .

(٣) كتاب التذكير والتأنيث : ٩ .

(٤) المرجع السابق : ١٦ .

(٥) المرجع السابق : ٢٠ .

(٦) اقتراح السيوطي : ٣٠ .

(٧) التذكير والتأنيث للسجستاني : ١٧

(٨) المرجع السابق : ص ٢ .

(٩) بمكتبة أحمد تيمور خط رقم ٢٦٥ لغة .

بين التذكير والتأنيث وكقوله اللسان : يذكر ويؤنث »[1] ، والحرب : مؤنثة وربما ذكرت[2] ، والقليب[3] : مذكر وقد يؤنث وقد يبدي بعض الأحكام كقوله : العاتق : مذكر ، وربما أنثوه – وليس بالفصيح[4] ، كما أنه يستشهد أحياناً بالقرآن الكريم ويهمل عزو الكلمات .

٦– باب ما يذكر وما يؤنث – من كتاب المخصص لابن[5] سيده :

وابن سيده في هذا الباب يجمع كثرة من الألفاظ تتردد بين التذكير والتأنيث كقوله : اللسان : يذكر ويؤنث ، وكذلك : العاتق[6] والسبيل[7] : يذكر ويؤنث ، وكذلك الطريق وكذلك الفردوس[8] . ويلاحظ أن ابن سيده كثيراً ما يصدر بعض الأحكام كقوله : القفا : يذكر ويؤنث ، والتذكير عليه أغلب[9] ، وقوله : الإبهام : يذكر ويؤنث، والتذكير[10] أعلى كما أنه يستشهد بالقرآن ، والشعر بكثرة غامرة[11] ويهمل عزو الألفاظ إلى قبائلها .

٧– خزانة الأدب[12] للبغدادي :

كما ترددت في الخزانة ألفاظ بين التذكير والتأنيث منها :

---

(١) مختصر في المؤنث والمذكر : ٩ لابن فارس .

(٢) المرجع السابق : ١١ .

(٣) المرجع السابق : ١٢ .

(٤) مختصر في المؤنث والمذكر ص ١٠ .

(٥) سفر : ١١/١٧ .

(٦) المخصص لابن سيده : س ١٢/١٧ .

(٧) المرجع السابق : س ١٧/١٧ .

(٨) المرجع السابق : س ٢٣/١٧ .

(٩) المرجع السابق : ١٣/١٧ .

(١٠) المرجع السابق: ١٦/١٧ .

(١١) ١٣/١٧ ، ١٠/١٧ - ٢٠ .

(١٢) ط بولاق .

الأرض – تذكر[1] وتؤنث ، والبطن : يذكر[2] ويؤنث . والسلم : الصلح يذكر[3] ويؤنث . والنار مؤنثة[4] وقد تذكر[5] على قلة . ، كما أننا نرى أولاً لتطور الكلمة من المؤنث إلى المذكر والعكس عن طريق القياس كقوله : البئر : مؤنثة ، وقد ذكرت على معنى[6] القليب ، كما تعرض الخزانة بعض الخلافات مثل : الذنوب : الدلو العظيم ، يذكر ويؤنث وقيل مذكر[7] لا غير .

ثانياً : ما عزيت فيه الصيغة إلى قبيلة دون الصيغة الأخرى :

ولحت في هذا القسم أنه يسير في اتجاهين مختلفين ، فاتجاه يتطور من مرحلة التأنيث إلى التذكير ، واتجاه يسير على عكس هذا : وسندرس هذين الاتجاهين ثم أعقب عليهما بما أراه .

(أ) ما تطور من مرحلة التأنيث إلى التذكير في منطق بعض القبائل – مثل :

١ – ما جاء عن ابن سيده من أن « القدر » أنثى ، وبعض قيس يذكرها ، وقد استشهد للهجة قيس صاحب المخصص بقول الشاعر :

بقدر يأخذ الأعضاء تماً بحلقته ويلتهم الفقارا[8]

فقال يأخذ – بالياء ، لأن القدر عند بعض قيس مذكر ، ولهذا أشك في رواية أخرى للبيت عن الفراء حين قال : أنشدني النميري :

بقدر تأخذ الأعضاء تماً[9] . . . . . .

(١) خزانة الأدب : ٢٢/١ .

(٢) المرجع السابق : ٣٢٢/٢ .

(٣) المرجع السابق : ٤٣٩/١ ، ٥٥٦ ، ٨٢/٢ .

(٤) المرجع السابق : ٣٣٠/٣ .

(٥) المرجع السابق : ٦٦٣/٣ .

(٦) المرجع السابق : ٥١١/٢ .

(٧) المرجع السابق : ٦٤٩/٣ - ٦٥٠ .

(٨) المخصص : ١٦/١٧ .

(٩) المذكر والمؤنث للفراء : ص ١٨ .

فالرواية جاءت عن الفراء – بالتاء في تأخذ – ولا أرى ذلك ، لأن القائل من غير ، وغير في كتب الأنساب بطن من عامر بن صعصعة[1] ، وعامر هذه ينتهي نسبها إلى قيس[2] ، وإذا كان الفراء نفسه يرى أن بعض قبائل قيس تذكر القدر – فيجب أن تكون رواية البيت (يأخذ) بالياء ، لا بالتاء كما رأى الفراء .

٢ – كما روي أن الذراع – أنثى ، وقد ذكر الذراع بعض عكل ، وقال الفراء « والهاء في التصغير أجود وأكثر في الذراع واستشهد على تأنيثها بقول الشاعر :

أرمي عليها وهي فرع أجمعُ وهي ثلاث أذرع والإصبع[3]

ويفهم من قول الفراء السابق أن تأنيث الذراع أكثر ، بدليل أنه لم يستشهد لها إلا مؤنثة حيث قال : ثلاث أذرع ، ولو كانت مذكرة لقال : ثلاثة أذرع ، وإذا كان الفراء يؤيد التأنيث بالشاهد والدليل فذلك يدل على إقراره الضمني بتفاهة اللغة المخالفة للفصحى ، وهي تذكيرها عند عكل ، وقد استشهد المعري للهجة عكل بقول الشاعر :

ومهيج هيجـاء يبلـغ رمحـه صفّ العدى والرمح خمسة أذرع[4]

فقوله « خمسة أذرع » دليل على تذكير الذراع ، ويحكم المعري على تلك الكلمة كما حكم عليها الفراء سابقاً بقوله « والأجود تأنيثها »[5] .

٣ – ما جاء عن الفراء من أن الرياح – كلها إناث وأنشد لبعض بني أسد :

كم من جرابٍ عظيمٍ جئت تحمله ودهنةٍ ريحها يُغطي على التّفلِ[6]

فقول الشاعر (يغطي) بالياء دليل على أن الريح – مذكرة عند بعض أسد . ولكن يبدو

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندي : ٤٣٣ .

(٢) معجم كحالة : ٧٠٨/٢ .

(٣) المذكر والمؤنث : للفراء : ١٥ .

(٤) عبث الوليد : ١٣٤ ط دمشق .

(٥) المرجع السابق .

(٦) المذكر والمؤنث : للفراء : ٢٧ .

أن الفراء لا تعجبه لهجة أسد في تذكيرها الريح حيث يقول في تعليله لهجة أسد « وكأنهم اجترءوا على ذلك (أي على التذكير) إذ كانت الريح ليس فيها هاء » .

٤ – ورد في كتاب المذكر والمؤنث لابن جني – تأنيث الابهام ، كما جاء تذكيره لغة لبعض بني أسد [١] ، وجاء نص يشبهه عن الصغاني [٢] ، وعن الفراء : أن الأصابع إناث كلهن إلا الإبهام فإن العرب على تأنيثها – إلا بني أسد أو بعضهم فانهم يقولون : هذا إبهام » [٣] وعزا أبو حيان التذكير لبعض أسد [٤] وهذه الروايات تختلف فيما بينها – إذ بعضها يعزو التذكير إلى بني أسد ، وبعضها يعزوه إلى بعض أسد ، ولا أدري هل كانت هذه الظاهرة في أسد كلها – أو في بعض بطونها – وربما كانت أدق هذه الروايات هي رواية الفراء ، لأن فيها يبدو جانب الحيطة ، وشأن المتثبت اليقظ . وكثيراً ما يصف العلماء اللغة الفصحى بأنها أجود وأقوى كقول أبي حيان (والتأنيث أجود وعليه العرب) [٥] (أي في الإبهام) ، كما يفهم من قول أبي حيان أيضاً نظرتهم الدنيا إلى لهجات العربية .

٥ – كما جاء في اللسان عن اللحياني : أن العضد مؤنثة [٦] لا غير وذكر الفراء أن العضد أنثى – وقال أبو عبد الله ، قال الفراء في موضع آخر « والعضد يذكر » [٧] وقال أبو زيد « أهل تهامة يقولون : العضد والعجز – يذكرون » [٨] واستشهد لتأنيثها بحديث عن أبي قتادة في الحمار الوحشيّ « فناولته العضد – فأكلها » [٩] .

٦ – ورد عن الفراء أن العنق مؤنثة في قول أهل الحجاز حيث يقولون ثلاث أعناق ،

---

(١) كتاب المذكر والمؤنث لابن جني : ٥ رقم ٣٨٨ لغة .

(٢ ما تفرد به بعض أئمة اللغة للصغاني : مخطوط في دار الكتب : ٤١٨ لغة .

(٣) المذكر والمؤنث للفراء : ١٥ – ١٦ .

(٤) البحر : ٨٤/١ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) اللسان : ٢٨٣/٤ .

(٧) المذكر والمؤنث : للفراء : ١٥ .

(٨) اللسان : ٢٨٣/٤ .

(٩) المرجع السابق .

ويصغرونها عنيقة – وغيرهم يقول : عنق طويل ، واستشهدوا لها بقول أبي النجم : (في كاهل هادٍ وعُنُقٍ عرطلِ)[١] .

وأورد هذا العزو صاحب المصباح[٢] ، وزعم الأصمعي أنه لا يعرف التأنيث فيه[٣] .

(ب) ما تطور من مرحلة التذكير إلى التأنيث في منطق القبائل العربية ، ويدل عليه هذه الروايات .

١ – جاء عن ابن فارس أن « القفا » يذكر ويؤنث[٤] وعن ابن سيده « أن التذكير[٥] عليه أغلب » وفي اللسان « أن التذكير[٦] أعم » وحكى عن عكل « هذه قفا بالتأنيث »[٧] وأنشد ابن سيده شاهداً على التأنيث : (وهل جهلت ياقفيّ التنّفلهْ)[٨] ونظراً لأن التأنيث لهجة مغايرة للفصحى ، لأنها لهجة عُكل ، رأينا الأصمعي يكاد ينكرها واستمع إلى ابن سيده وهو ينقل رأي الأصمعي في التعليق على البيت السابق وهو شاهد التأنيث « وسقط إليّ عن الأصمعي أنه قال : هذا الرجز ليس بعتيق »[٩] – وهذا يشير إلى موقف اللغويين من اللهجات العربية .

٢ – وجاء عن الفراء أن « العلباء والليت مذكران ، وربما أنثا » ، وأورد شاهداً على التأنيث من لهجة بعض بني أسد[١٠] .

٣ – جاء عن السجستاني في كتاب التذكير والتأنيث أن « الهدى وهو ضد الضلال مذكر في

---

(١) المذكر والمؤنث للفراء : ١٣ .

(٢) المصباح : ٢/٦٦٢ .

(٣) كتاب التذكير والتأنيث للسجستاني : ٢ مخطوط في تيمور : ٢٦٤ لغة .

(٤) مختصر المذكر والمؤنث لابن فارس : ١٠ خط بتيمور رقم ٢٦٥ لغة .

(٥) المخصص : ١٧/١٣ .

(٦) اللسان : ٢٠/٥٤ .

(٧) اللسان : ٢٠/٥٤ .

(٨) المخصص : ١٧/١٣ .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) المذكر والمؤنث للفراء : ١٤ .

جميع اللغات ثم قال : وبعض بني أسد يؤنث الهدى »[1] وجاء عن بني أسد « هذه هدى حسنة »[2] .

وجاءت رواية مماثلة في البحر المحيط[3] ، وعزا ابن سيده التأنيث إلى بعض أسد[4] ، وجاءت رواية اللسان عن الكسائي تشبه ما جاء عن ابن سيده[5] ، وأوردت هذه الروايات لأشير لاختلافها في أن الظاهرة هل هي لأسد ؟ أو لبعض أسد ؟ وأرى أن اللغويين ربما لم يستقصوا هذه الظاهرة في بني أسد ، ومن هنا جاء اختلافهم ، أو أن أسداً – وهي قبيلة كبيرة – حدث في بعض قبائلها التطور من التذكير إلى التأنيث – بمعنى أن التطور لم يكن يشمل جميع بطونها ، لانعزالها جغرافياً . وفي اللسان : أنه أضاف إلى تأنيث الهدى في بني أسد السُّرى ، وهو سير عامة الليل ، وأنشد لها ابن بري شاهداً على التأنيث :

(هُمُ رجعوها بعدما طالت السُّرى)[6]

وإذا إتجهنا الى القرآن وجدناه – يذكر كلمة « الهدى » على اللغة المشهورة ، ودليل هذا قوله تعالى : « قل إن هدى الله هو الهدى » ، وقوله « ذلك هدى الله يهدي به مَنْ يشاءُ من عباده » ولم تقع لفظة « السُّرى » في القرآن ، ولهذا نجهل موقفه منها .

٤ – جاء في الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع : أن (السلاح) يذكر ويؤنث ، والتذكير أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة[7] ، ويبدو أن قبيلة دبير – وهي بطن من أسد[8] – تؤنث السلاح ، بدليل ما جاء عن الفراء من قوله « وكان بعض بني دُبَيْر يقول إنما سمي جدّنا دُبيراً ، لأن السلاح[9] أدبرته » .

---

(١) كتاب التذكير والتأنيث للسجستاني : ١٠ بمكتبة أحمد تيمور رقم :

(٢) المذكر والمؤنث للفراء : ٢١ .

(٣) ١/٣٣ .

(٤) المخصص : ١٧/١٧ .

(٥) اللسان : ٢٠/٢٢٩ .

(٦) اللسان : ١٩/١٠٤ .

(٧) الامتاع : ٢٦٧ ضمن كتاب « دراسات في العربية » للخضر حسين – ط دمشق .

(٨) إبدال أبو الطيب : ١/٢٦٠ .

(٩) المذكر والمؤنث للفراء : ٢٩ .

تعقيب :

يلاحظ على ما سبق عرضه من التطور سواء أكان تطوراً من التأنيث الى التذكير أو العكس أنه نسب أحد النطقين الى بيئة معينة ، ولم ينسب النطق الآخر وأرجح أن الصورة المعزوة كانت في محيط ضيق – إذا ما قورنت بالصيغة التي لم تنسب والتي أرجح أنها كانت شائعة في محيط أوسع من الأول ، كما أرى أن الصيغة المعزوة هي الفرع أي أنها متطورة عن الصيغة التي أهمل عزوها .

ثالثاً : صيغ وردت مهملة العزو ، وتدل عليها الروايات الآتية :

١ – قالوا هي الخمر ، وهو الخمر – مؤنث ومذكر لغتان [١] . ويرى ابن جني أن تأنيثها هو المشهور السهل على كل ألسنة الفصحاء [٢] . ويرى ابن سيده أن التأنيث عليها أغلب [٣] . وقد أورد الفراء شاهداً لتذكيرها في قول الشاعر :

وعينان قال اللهُ كونا فكانتا فعولانِ بالألبابِ ما يفعل الخمرُ

وقال هكذا أنشدني بعضهم ، فاستفهمته فرجع الى التأنيث : فقال ما تفعل الخمر (بالتاء) [٤] ويبدو أن قصة الاستفهام التي أثارها الفراء حتى يرجع العربي الى التأنيث، عليها طابع التلفيق إذ أن العربي لا يمكن أن يحيد عن لغته لأنها جزء منه ، والدليل على ذلك (ما جاء عن أبي حاتم قال : قرأ علي أعرابيّ بالحرم « طيبي لهم وحسن مآب » فقلت : طوبى ، فقال طيبى ، فقلت : طوبى قال : طيبي ، فلما طال عليّ قلت : طوطو ، فقال : طي طي » [٥] . فالعربي يستعصم بلغته ولا يحيد عنها .

ومما يؤيد وجهة نظري ما ساقه الفراء من بيت عزاه للأعشى حيث ذكر الخمر ، ولكن الفراء يحاول جاهداً حمل هذا البيت على التأنيث مرة أخرى في كتابه [٦] .

---

(١) البلغة في شذور الذهب : ٩٠ ط بيروت .

(٢) كتاب المذكر والمؤنث : لابن جنى : ٢٣ مكتبة تيمور ٣٨٨ لغة خط .

(٣) المخصص : ١٧/١٩ .

(٤) المذكر والمؤنث للفراء : ١٨ .

(٥) الخصائص : ٣٨٤/١ .

(٦) المذكر والمؤنث للفراء : ١٨ .

٢ ـ كما جاء عن الفراء : أن الحرب مؤنثة ، وقال أبو عبدالله : قال الفراء في موضع آخر [1] : الحرب مذكر وحكى ابن الأعرابي فيها التذكير ، والاعرف تأنيثها ، وإنما حكاية ابن الأعرابي نادرة [2] .

٣ ـ ورد أن القميص ـ مذكر ، وشاهد من قول جرير على تأنيثها : (يدعو هوازن والقميص مفاضة) [3] وقد حمله الفراء على أن القميص درع مفاضة ، فالقميص ـ لم يؤنث إنما التأنيث للدرع .

٤ ـ والمتن ـ مذكر ، وقد يؤنث ، واستشهد له الفراء بشاهد للتذكير وآخر للتأنيث [4] . فهذه الصيغ المهملة العزو ـ لا نستطيع أن نلتمس فيها الأصل من الفرع ، لكن أرجح أن الصيغة التي ورد لها شاهد قديم هي الأصل ، والأخرى الفرع ، فإذا ورد لكل من الصيغتين المذكرة والمؤنثة شواهد ـ أرجح أن الصيغة الأكثر شواهد هي الأصل والأخرى فرع لها .

فإذا ما جاء عنهم أن السكينة تذكر وتؤنث [5] ، واستشهد للتذكير بقول الهذلي : « فذلك سكينٌ على الحلق حاذق » [6] .

رجحت أن التذكير فيها هو الأصل ، لاسيما إذا قال ابن الأعرابي «لم أسمع تأنيث السكين» [7] أو قول ابن سيده « والغالب عليه التذكير » [8] ، فالشاهد الشعري ـ مضافاً إليه إجماع جمهرة من علماء اللغة ـ أكد أن التذكير فيها هو الأصل ، والتأنيث فرع له .

وقد يكون سبب هذا التردد بين التذكير تارة والتأنيث مرة أخرى ـ حمل كلمة مذكرة

---

١) المذكر والمؤنث للفراء : ١٩ .

(٢) الإمتاع : ٢٦٢ .

٣) المذكر للفراء : ٢٥ .

٤) المذكر : للفراء : ١٦ - ١٧ ، ٢٧٥ الإمتاع .

٥) نبذة في المؤنثات السماعية : ١٨ مكتبة تيمور ضمن مجموعة رقم ٣٢٧ .

(٦) المخصص : ١٧/١٧ .

(٧) الامتاع : ٢٦٧ .

(٨) المخصص : ١٧/١٧ .

على أخرى مؤنثة أو العكس في المعنى ، ولا بد أن تكون بينهما علاقة ـ حتى يصح هذا الحمل ، وقد تكون هذه العلاقة علاقـــة مكانية : كتأنيث الرأس في لهجتنا الحديثة ، وانتقل التأنيث إليها لمجاورتها للأعضاء المؤنثة : كالعين والأذن ، وقد تكون العلاقة علاقـــة مجاورة زمنية كما حدث في اللغة الفرنسية ، فالربيع فيهـــا مذكر والصيف مؤنث ، والخريف مذكر ، والشتاء مذكر ، ثم انتقل تأنيث الصيف الى الخريف ، وانتقل فيما بعـــد تأنيث الخريف الى الشتاء ، فأصبحت الفصول جميعها مونثة ما عدا الربيع ، ولكن تذكير الربيع لم يلبث أن انتقل فيما بعد الى الصيف ، وتذكير الصيف رد الى الخريف والشتاء نوعهما المذكر القديم ، فأصبحت جميـــع الفصول مذكرة في الفرنسية الحالية [1] .

وأما ما حكي عن أبي عمرو « أنه سمع رجلاً من اليمن يقول : فلان لغوب ، جاءته كتابي فاحتقرها ! فقلت له : أتقول : جاءته كتابي ! فقال نعم أليس بصحيفة » [2] .

فعلاقة المشابهة واضحة بين الكلمتين ، ومثله ما جـــاء في قوله تعالى « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً » والسعير مذكـّر ثم قال بعدها « إذا رأتهم من مكان بعيد » فأنث لأنه حمله على النار والعلاقة بينهما واضحة ، وكما يكون الحمـــل في المعنى يكون في الصيغة أيضاً : كقولهم : رجل سكران وامرأة سكرى ولكن بني أسد « أنثته على فعلانة ـ فقالوا امرأة سكرانة » [3] فبنوا أسد حملت هذه الصيغة على قولهم : رجل خمصان وامرأة خمصانة . وكما جاء عن بني عامر حيث يقولون : « شرّى » مونث أشر بدلاً من شرّ [4] . وربما ترجع هذه الصيغ المخالفـــة الى القياس الخاطىء عند الأطفال .

الضرورات في التذكير والتأنيث :

ساقت كتب العربية عدة شواهد وألحقتها بالضرورات الشعرية في ظاهرة التذكير والتأنيث وقد تقدم في الأبواب السابقة اهتمامي بالضرورات الشعرية ومكانتها في الحقل اللغوي ـ وقلت

---

(١) علم اللغة : ٢٨٩ دكتور وافى ط ٣ .

(٢) الخصائص : ٤١٦/٢ .

(٣) المزهر : ٢١٧/٢ ، اللسان : ٣٨/٦ ، إصـــلاح المنطق : ٣٥٨ ، الأشموني : ٢٣٤/٣ ، المخصص : ١٨٥/١٦ ، شرح المفصل : ٦٧/١ ، اللسان : ٣٨/٦ .

(٤) اللسان : ٦٨/٦ .

إنها تعتبر ظلاً لاستعمالات لهجية يجب أن يحسب حسابها ، لا كما يراها النحاة على أنها أساليب خاصة بالشعر وحده ، فما عدّه النحاة من الضرورات في باب التذكير والتأنيث :

١ ـ قال الفراء : السكين ـ ذكر ، وربما أنث في الشعر ، واستشهد لذلك :

فعيّث في السّنام غداة قرٍّ بسكين موثقة النصاب[١]

فقول الفراء « وربما أنث في الشعر » يشير الى أن تأنيثها ضرورة ، ولا أوافق الفراء فيما ذهب إليه لأنه جاء عنهم « أنها تذكر وتؤنث »[٢] ، وقول ابن سيده «والغالب عليه التذكير»[٣] يفيد أن التأنيث لغة ولكن أقل من التذكير ، فثبت أن التأنيث ليس بضرورة .

٢ ـ كما يرى الفراء أن « الكف » مؤنثة ، ولما أنشده يونس البصري قول الأعشى :

إلى رجلٍ منهم أسيفٍ كأنما يضم إلى كشحيه كفاً مخضّبا

قال الفراء « إنما ذكره لضرورة الشعر »[٤] ـ ولا أرى رأي الفراء في أنها ضرورة ، لأنه جاء في تاج العروس عن تذكيرها « وقال بعضهم هي لغة قليلة »[٥] ، ولا يصح أن نحمل لهجة عربية ـ ولو كانت قليلة ـ على الضرورة ، لأن حملها عليها ـ إهدار لحقها في الحياة ، وقد ورد تذكيرها في الحديث « رأيت النبي ﷺ مضمض واستنشق من كف واحد »[٦] .

كما أضافت كتب العربية الأبيات الآتية على أنها ضرورة في باب التذكير والتأنيث .

(أ) جاء في ضرائر الألوسي :

وتشرقُ بالقول الذي قد أذعته كما شرقتْ صدر القناةِ من الدّم[٧]

---

(١) المذكر للفراء : ٢٧ .

(٢) الامتاع : ٣٦٧ .

(٣) المخصص : ١٦/١٧ .

(٤) المذكر للفراء : ١٧ .

(٥) الامتاع : ٢٧٥ .

(٦) سنن الترمذي بشرح شاكر : ٤٢/١ .

(٧) ضرائر الألوسي : ١٢٩ .

(ب) وقول جرير :

لما أتى خبر الزبير تواضعتْ   سورُ المدينة والجبالُ الخشع [1]

(جـ) وجاء في مخطوطة السيرافي قول جرير :

إذا بعضُ السّنين تعرقَتْنا   كفى الأيتامَ فقدُ أبي اليتيم [2]

وأرى أنه لا ضرورة في مثل هذا ، لأنه أنث في البيت الأول (شرقت) لأن الصدر وهو مذكر قد أضيف الى القناة – وهي مونثة فاكتسب منها التأنيث ، وفي الثاني اكتسب السور – وهو مذكر ، التأنيث من المدينة ، ولهذا أنث له الفعل ، وفي الثالث – نرى كلمة « بعض » قد اكتسبت التأنيث مما بعدها بالإضافة ولهذا قال (تعرقتنا) فأنث لهذا فلا ضرورة في تأنيث هذا ، بل هو نمط من التعبير إن دل فإنما يدل على حساسية العربية .

وكما حول اللغويون مثل ما سبق الى ساحة الضرورات ، حولوا كذلك نمطاً آخر الى الضرورات يتمثل في حذف علامة التأنيث من المسند الى ضمير المونث المجازي ، وذلك كقول عامر بن جوين [3] الطائي :-

فلا مزنة ودقت ودقها   ولا أرض أبقل إبقالها [4]

وقد قال النحاة بالضرورة حيث ذكر الفعل مع إسناده الى الأرض – وهي مونثة ، وأرى أنه لا ضرورة في مثل هذا أيضاً لأن الشاعر في استطاعته أن يقول : « ولا أرض ابقلتِ ابْقالها » بحذف الهمزتين ، ولا ينكسر البيت ، فدل هذا على أن الصيغة في الشاهد لا ضرورة فيها ، وإنما حذف التاء من الفعل ، لأن تأنيث الأرض ليس بحقيقي ، ولهذا يقول ابن كيسان « ان ذلك جائز في النثر » [5] وإذا جاز في النثر فلا معنى للقول بالضرورة ، والحق أن اللغويين وغيرهم يحولون ما يقف أمام قوانينهم الى باب الضرورة ، ولكنها استعمالات وطرق للكلام لاسيما إذا جاءت في نثر ، فقد سمع منهم « حضر القاضي امرأة » بسقوط علامة التأنيث مع كون

---

(١) الخصائص : ٢/٤١٨ .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه : ١/٣٠٢ خط .

(٣) يصف أرضاً مخصبة .

(٤) ضرائر الألوسي : ١٣١ .

(٥) ابن يعيش : ٥/٩٤ حاشية .

تأنيث الفاعـــل حقيقياً ، كما أنث المذكر في قراءة الحسن (تلتقطه بعضُ السيارة) وقولهم (ذهبت بعض أصابعه) وكان ابن جني بارعاً في تعليله لهذا حيث قال (أنث ذلك لما كان بعض السيارة سيارة في المعنى ، وبعض الأصابع اصبعا) [1] .

خـــاتمة :

من دراستنا لهذه الظاهرة لحنا فيها شيئاً كثيراً من القلق ، فما تذكـِّره قبيلة تؤنثه أخرى كما نجد هذا القلق في اللهجات الثمودية [2] والصفوية [3] والنبطية [4] حيث أن كثيراً من أسماء الرجال فيها كانت منتهية بالتاء ـ فإذا عرضناها على ذوق العربية عدتها من أسماء الإناث . كما يمكن أن تلمح هذه الظاهرة أيضاً في جموع التكسير حيث عوملت بتأنيث فعلها مع أنهـــا جموع لأسماء مذكرة كقوله تعالى « قالتِ الأعرابُ آمنّا » [5] وعلى العكس من ذلك في قوله تعالى « وقـــال نسوةٌ في المدينة » [6] كما نجد جمع المونث السالم قد ذكر له الفعل في قراءة حمزة والكسائي وخلف ومعهم الأعمش حيث قرءوا « قبل أن ينفد كلمات ربي » [7] بالياء المثناة تحت على التذكير [8] . وقد يتحول هذا القلق الى نوع من الانعكاس كما في ظاهرة العدد من ثلاثة الى عشرة ، فإذا كان المعدود مذكراً أنث اسم العدد ، وبالعكس كقوله تعالى : « سخـّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ويرجح أن الساميين القدماء لم يألفوا ظاهرة التفريق بين المذكر والمونث ، لذلك لما أخذوا يفرقون بين المذكر والمونث في عهود أحدث حدث هذا القلق وذلك اللبس ، وكأن هذا القلق في تلك الظاهرة يصور شيئاً من نظامها في عصورها السحيقة .

ولا شك أن مرجع هـــذا القلق يعود الى عوامل كثيرة متشابكة ، والى ظروف اجتماعية مختلفة ـ حتى لقد رأى بعض المحدثين أن اللغات السامية حين خلعت على بعض الأسماء فكرة

---

(١) الخصائص : ٢/٤١٥ .

(٢) تاريخ العرب : ٧/٢١٢ جواد علي .

(٣) المرجع السابق : ٧/٢٥٦ .

(٤) المرجع السابق : ٧/٣٠٣ .

(٥) سورة الحجرات : آية ١٤ .

(٦) سورة يوسف : آية ٣٠ .

(٧) سورة الكهف : آية ١٠٩ .

(٨) الإتحاف : ٢٩٦ .

التأنيث قد تأثرت في هذا بعوامل دينية [1]، وقد يكون من أهم العوامل في هذا الاختلاف انتقال اللغة من السلف الى الخلف ، وهذا المر التاريخي كفيل بأن يحدث تطوراً في الكلمة حيث أنثت في زمن ثم ذكرت في آخر ، كما أن بعض الكلمات قد آثرت الانعزال فبقيت أثرية متخلفة ، وهذا معنى قول الفراء السابق « إن الصاع يونثه أهل الحجاز ، وأسد وأهل نجد يذكرونه وربما أنثه بعض أسد » [2] فالتطور تخلف في بعض قبائل أسد ، حيث لم يصل مد التذكير الى جميع قبائلها . وقد نلمح أثر هذا التطور بين العربية وأخواتها فكلمة شمس [3] التي نعدها مونثة في العربية ، نراها في العبرية والآرامية جائزة الأمرين وأخيراً نراها قد استقرت في الآشورية على التذكير ، ومثل كلمة (كفّ) التي هي مونثة في العبرية والسريانية نراها جائزة الأمرين في العربية ولكنها في الآرامية مذكرة ، ولهذا لا نعجب إذا رأينا كلمة (النخل) تتخذ أوضاعاً مختلفة فقد أنثت في قوله تعالى « كأنهم أعجاز نَخْلٍ خاوية » [4] وقوله تعالى « والنّخل ذات الأكمام » [5] وذكرت في قوله تعالى « نخل منقعر » [6] وكرواية اللسان في قوله « كنخلٍ من الأعراض غير منبّق » [7] ويرجح أنها في حالة التذكير يقصد بها جنس النخل ، وفي حالة التأنيث يراد بها جماعته ، كما أرجح أن إحدى هذه الصور كانت مستعملة في الحياة اليومية كلغة شعبية لقبيلة من القبائل ، والصورة الأخرى كانت مستعملة كلغة أدبية نموذجية ، ولما جاء جامعو اللغة ـ وكان جمعهم خليطاً غير منظم ـ جمعوا هذه الصور على أنها هي اللغة الفصحى ، مع أنهم حشدوا مع الفصحى هذه الاستعمالات الشعبية ـ والتي كان يجب أن تبقى في مكان واضح منعزل من المعجم العربي حتى تعطينا صورة محددة للهجات هذه القبائل ، ولهذا كثيراً ما نجد جمهرة المحققين في قلق من وجود مثل هذه الصور للكلمة الواحدة في مكان واحد ، فالشافعي مثلاً قد استعمل الطريق في مكان واحد مذكراً ومونثاً في رسالته حيث يقول « وإذا أباح له المرّ على ظهر الطريق فالمرُّ عليه ... وقد يُنْهى عنه إذا كانت الطريقُ » [8] ... فالطريق قد استعمل

(١) من أسرار اللغة : ٩٥ ط ١ .
(٢) المذكر والمؤنث للفراء : ٢٧ ط حلب .
(٣) من أسرار اللغة : ٩٣ - ٩٤ ط ١ .
(٤) سورة الحاقة : آية ٧ .
(٥) سورة الرحمن : آية ١١ .
(٦) سورة القمر : آية ٢٠ .
(٧) اللسان : ١٧٥/١٤ .
(٨) الرسالة للشافعي : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

كما ترى في أسلوب الشافعي وفي مكان واحد مذكراً ومونثاً ، ولكن المحقق لم يعجبه هذا وظن أن الشافعي قد خلط ـ فكشط النون والتاء من (كانت) وكتب بدلها حرف النون [1] . وكل هذا ليجعل الطريق مذكراً في أسلوب الشافعي . وكثيراً ما ضيع بعض المحققين السمات اللهجية وإحلالهم الفصحى محلها كما حدث في حديث الرسول أن (الكف) وردت مذكرة فيه ، إلا أن بعضهم تصرّف فيها وأنثها على الفصحى [2] .

---

(١) الرسالة للشافعي : ٣٥٣ حاشية .

(٢) سنن الترمذي بشرح شاكر : ٤٣/١ وانظر المحقق .

الفصل الثالث

القلب :

وهو تقديمُ أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه ، ويقول ابن فارس « من سنن العرب القلب ، وذلك يكون في القصة وفي الكلمة »[١] ، وقال ابن دريد « باب الحروف التي قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات ، وهذا القول خلاف على أهل اللغة »[٢] وقد ساق السيوطي في مُزهِره[٣] ، والشدياق في جاسوسه[٤] ، وابن السكيت[٥] في إبداله ، أمثلة عديدة وأغلبها مهملة العزو ، مما يدل على تفاهة هذه اللهجات العربية وأنها غير جديرة بالدرس والبحث عندهم ، وليس للقلب صورة محددة ، بل تارة يكون بتقديم اللام على العين ، أو بتقديم العين على الفاء ، أو بتأخير الفاء عن اللام وكما كثرت صوره كثر اختلاف العلماء فيه ، فمنهم من أنكره كابن درستويه[٦] ، ومنهم من جعل بعضه مقلوباً عن نظائره ، والبعض الآخر كلمات مستقلة بعضها عن بعض وكل منها أصل مستقل بذاته ، ونظرة واحدة الى الخصائص ترينا هذه الخلافات العديدة « فما تركيباهما أصلان لا قلب فيهما قولهم : جذب وجبذ ، ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه ، وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً نحو : جذب يجذب جذباً ، فهو جاذب ، والمفعول مجذوب ، وجبذ يجبذ جبذاً فهو جابذ والمفعول مجبوذ ... فإن قصر أحدهما عن تصرف صاحبه ولم يساوه فيه كان أوسعهما تصرفاً ـ أصلاً لصاحبه »[٧] ومثل لهذا الأخير بكلمة امْضَحل ، وهو مقلوب عن اضمحل ـ ألا ترى أن المصدر إنما هو على اضمحل وهو ـ الاضمحلال ولا يقولون : امضحلال »[٨] ...

---

(١) المزهر : ١/٤٧٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المزهر : ١/٤٧٦ - ٤٨١ .

(٤) الجاسوس على القاموس : ٤٥ .

(٥) القلب والابدال لابن السكيت : ٤٤ - ٤٥ وغيرها .

(٦) المزهر : ١/٤٨١ .

(٧) الخصائص : ١/٤٦٧ طبع الهلال .

(٨) المرجع السابق : ١/٤٧٠ .

فكأن ابن جني يرى أن القلب يكون إذا لم تتساو الكلمتان تصرفاً واستعمالاً ، لإمكان أن تكون واحدة أصلاً والأخرى فرعاً ، فإذا تساوت الكلمتان تصرفاً واستعمالاً فهو من قبيل اختلاف اللهجات ، وليس من عملنا في هذا المقام أن نثير آراء تلك الفرق المختلفة ، فلذلك أمكنة أخرى ، ولكن المهم متى كانت مثل هذه الصيغ في بيئة واحدة فلا بدّ أن نؤمن بأصالة بعضها ، والمقلوب فرع عن ذلك الأصل على شرط أن يكون معنى الصيغة الأصلية والفرعية واحداً كقولهم « فحمَّت الحيّة ، وحَفَّت » ، إلا أن بعض المتقعرين من رجال اللغة قالوا : الحفيف من جلدها ، والفحيح مِنْ فِيها[1] . وللانسان أن يستعمل أي الصيغ ، ولكن لا يجمع صيغتين في كلام واحد ، ولقد كان عجيباً من الحرث بن خالد المخزومي أن يقول :

مَرّ الحمول فما شأونك نقْرةً ولقد أراك تُشاء بالأظعانِ[2]

وأصل الكلمة : شاءني الأمر وشآني : إذا حزنني ، ولكن الشاعر استعمل الصيغتين .

وقد يزول هذا العجب إذا عرفنا أن الشعراء « أمراء الكلام »[3] حتى إننا كثيراً ما نقرأ في همع السيوطي تلك الكلمة المأثورة « وكأن هذه لغة الشعراء »[4] .

ونعرض الآن بعض الصور اللهجية للقلب :

١ – قال اليزيدي : الحجاز تقول : لعمري ، وتميم تقول : رعملي[5] .

٢ – وعلق المبرد على قول رجل من أصحاب المهلب في سَلَّى[6] وسلّيرى :

ويوم سلّى وسلّيرى أحاط بهم مِنّا صواعقُ ما تبقي ولا تذرُ

فقال : تقول العرب : صاعقة وصواعق ، وهو مذهب أهل الحجاز وبنو تميم يقولون :

---

(١) نشوء اللغة العربية : ١٧ للكرملي .

(٢) المزهر للسيوطي : ٤٧٩/١ .

(٣) الصاحبي لابن فارس : ٢٣١ .

(٤) الضرائر للألوسي : ١٣٤ .

(٥) المزهر للسيوطي : ٢٧٧/٢ .

(٦) سلى وسليرى : موضعان بالأهواز : الكامل : ١٩٦/٢ .

صاقعة وصواقع[1] ، وعن ابن القوطية « أن صقِـع الإنسان بمعنى صعق ـ لغـــة تميم »[2] ، واستشهد ابن منظور للغة تميم بقول ابن أحمر :

ألم تر أنَّ المجرمين أصابَهُمْ صواقعُ لا بلْ هنّ فوق الصواقِعِ[3]

كما عزيت في الإتحاف الى تميم وبعض ربيعة[4] . وفي اللسان عن يعقوب :

يحكون بالمصقولة القواطِـع تشقّقَ البرق عن الصواقِـع[5]

وعزا أبو حيان هذا البيت الى أبي النجم[6] ، وهو من بني عجل من بكر بن وائـــل من ربيعة ، وكأن هذا العزو من أبي حيان يتفق مع عزو صاحب الإتحاف حيث عزاهـــا أيضاً لبعض ربيعة .

وقرأ الحسن (مِنَ الصّواقع حذر الموت)[7] ، وعلّق أبو حيان على ذلك فقال : « وقد تقدم أنها لغة تميم ، وأخبرنا أنها ليست من المقلوب »[8] ولعل أبا حيّان رأى أن صاقعة وصاعقة قد تساوتا في التصرف والاستعمال فهو من قبيل اختلاف اللهجات ، لا من قبيل القلب ، وقد نقل القلب أيضاً في هذا عن جمهور أهل اللغة[9] .

٣ ـ ذكر اللسان عن اللحياني أن : عَثَى ـ لغة أهل الحجاز ، وهي الوجه وعاث : لغة تميم . وفي حديث الدجال : فعاث يميناً وشمالاً[10] ، وقد جاءت القراءات على كلتا اللهجتين .

---

(١) الكامل للمبرد : ٢/١٩٨ .
(٢) الأفعال لابن القوطية : ٢٤٣ ط أولى .
(٣) اللسان : ١٠/٦٨ .
(٤) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٠ .
(٥) اللسان : ١٠/٦٨ .
(٦) البحر المحيط : ١/٨٤ .
(٧) مختصر شواذ القرآن : ٣ .
(٨) البحر : ١/٨٦ .
(٩) البحر : ١/٨٤ .
(١٠) اللسان : ٢/٢٧٦ .

٤ — ذكر الفارابي « ويطيخ — وطبيخ لغة فيه ، وهي لغة أهل الحجاز[١] . وجاءت رواية في اللسان تويد ما سبق[٢] لكن أساس البلاغة نسبها الى أهـــل المدينة (أساس البلاغة — طبخ)[٣] . وفي الحديث : كان النبي ﷺ يعجبه الطبيخ بالرطب . ويعلق ابن درستويه على تلك الكلمة المقلوبة فيقول « وليست عندنا على القلب ، بـــل هي لغة »[٤] ، ويرى اللغويون أنها على القلب ، وهذا يرجع الى الخلاف بينهم ونظرة كلّ .

٥ — حاش لك — لغة الحجاز ، على التمام ، ذكر ذلك الفراء[٥] ، وبعض العرب حشى زيد ، ذكر ذلك أبو حيان في تفسير قوله تعالى « وَقُلْنَ حاش لله[٦] ما هذا بشراً » .

٦ — ذكر السيوطي أن من القلب : عميق ومعيق وأهمل[٧] عزوهما كعادته وعادة المؤلفين من العلماء ، وذكر الليث : يقال : عميق ، ومعيق لتميم ، وأعمقت البئر وأمعقتها ، وقـــد عمقت ، ومعقت عمـــاقة ومماقة ، وهي بعيدة العمق ، والمعق ، والامعاق والأعماق[٨] ، ويظهر أن الصيغة الأصلية تساوي في المعنى الصيغة المقلوبة ، إذ كلاهما يدل على البعد ، لكن الخليل في كتابه العين يفرق بينهما إذ يختار العمق أحيانـــاً للبئر ونحوه إذا كانت ذاهبة في الأرض ، ويختارون المعق أحياناً في الشعاب البعيدة في الأرض[٩] ولكن يظهر أن هذا الفرق لا أساس له بدليل قولهم : « فج عميق » وكان على ما قاله الخليل أن يقولوا : معيق . ويظهر أن الخليل نفسه أحس بهذا إذ يقول « والمعنى كله يرجع الى البعد والقعر ، الذاهب في الأرض[١٠] . وفي مصحف ابن مسعود «من كل فجّ معيق»[١١] في عميق .

---

(١) المزهر للسيوطي: ١٤٥/٢ .

(٢) اللسان : ٧/٤ .

(٣) المزهر : ٤٧٧/١ .

(٤) المزهر : ٤٨١/١ .

(٥) البحر المحيط : ٣٠٠/٥ .

(٦) سورة يوسف : آية ٣١ .

(٧) المزهر للسيوطي : ٤٧٦/١ .

(٨) البحر المحيط : ٣٤٧/٦ .

(٩) كتاب العين للخليل : ١٠٢ ط بغداد .

(١٠) المرجع السابق .

(١١) مصحف ابن مسعود: الحج: آية ٢٧ ... Materials for the History .

٧ – كما وردت صيغة (جذب وجبذ) في كثير من كتب العربية ، وأهمل عزوها السيوطي كمادته [١] . وعزا المصباح الصيغة الثانية الى تميم [٢] ، وفي إبدال ابن السكيت قال الفراء : أنشدني بعض بني تميم :

ثم انتجيت فجبذْت جبذةً   حررْت منها لقفاي أرتمِزْ [٣]

وذكر ابن منظور أن الجبذ – لغة تميم في الجذب، وهو مدّك الشيء [٤] ، ثم يصرح ابن منظور مرة أخرى بأن صيغة جبذه – على القلب [٥] ، كما يرى الجوهري [٦] مثل ذلك ، وبعضهم ينكر أن تكون من القلب – بل لغة صحيحة [٧] ، ويرى ابن جني أن أحدهما ليس مقلوباً عن الآخر ، لذلك أنهما يتصرفان جميعاً تصرفاً واحداً [٨] ، وكأن رأي ابن جني يشير الى أن أوسعهما تصرفاً هو الأصل ، ولكن مثل هذا أمر غير متفق عليه ، « فقد حكى الصغاني في العباب : التأشير والتأريش على القلب » [٩] ، فكلتا الصيغتين جاء منها المصدر ، مع أن المفروض أن يكون المصدر لصيغة واحدة فقط وهي الصيغة الأصلية .

٨ – ما روي عن الفراء من أنه قال : « سمعت أعرابية من غطفان ، وزجرها ابنها ، فقلت لها ردي عليه ، فقالت : أخاف أن يَجُوهَني بأكثر من هذا » [١٠] فالأعرابية تريد : أخاف أن يواجهني والأصل الوجه – بدليل قولنا توجّه ، ووجّه ، وواجهه ، والوجاهة – فكلها من الوجه الذي هو الأصل – والذي حدث في كلام تلك المرأة أنها قدمت العين فيه على الفاء ثم حركت الواو ، لأن الكلمة لما لحقها القلب ضعفت فغيروها بتحريك ما كان

---

(١) المزهر : ٤٧٦/١ .

(٢) المصباح : ١٤٠/١ .

(٣) إبدال ابن السكيت : ٤٥ .

(٤) اللسان : ٢٥١/١ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الجاسوس على القاموس : ٤٤ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) الخصائص : ٤٦٧/١ ط الهلال .

(٩) الجاسوس على القاموس : ٤٥ .

(١٠) الخصائص : ٧٦/٢ ط الدار .

ساكناً . وهذا معنى قول ابن جني « ولما أعلوه بالقلب أعلوه أيضاً بتحريك عينه ونقله من فَعْلٍ إلى فَعَل »[1] ـ ومعنى هذا أن الكلمة في أصلها وجه ثم قلبت ،فأصبحت جَوه ثم حركت الواو التي هي عينه ـ فصار (جَوَه) ، وقد يرجع السبب في أن القبائل التي آثرت تغيير الصيغة بالقلب إلى أنها عاملت الصيغة ككتلة واحدة مترابطة ، ولهـذا احتكت فيها الأصوات فحدث القلب للخفة أو السرعة .

٩ ـ ما جاء في اللسان من قولهم « اضمحل السحاب : تقشع ، واضمحل الشيء ذهب ، وفي لغة الكلابيين ـ امْضحل ـ بتقديم الميم ـ حكاها أبو زيد »[2] . وجاء في البلغة :

كساعٍ إلى ظـلّ الغباءة يبتغي مقيلا فلما أن أتاها اضْمَحلّتِ[3]

ومن لغة الكلابيين : امضحلت .

فالأصل هو اضمحل ـ وهي لغة الجمهور ، بدليل وجود شواهد لها وبدليل وجود المصدر منها حيث يقال « الاضمحلال » ، ولم نسمع « امضحلال » ثم قدمت المـيم على الضاد في لهجة الكلابيين ، وقصور تصاريف « امضحل » دليل على فرعيتها . وأرجح أن « امضحل » في لهجة كلاب ، إنمـا جاءت نتيجة لأخطاء الأطفال حيث لم يجدوا عناية من آبائهم في تصحيح تلك الأخطاء .

فثبت الخطأ جدرانه في المحيط اللغوي ـ حتى أصبح لهجة ومن ثم اعترف به ، ويمكن أن يكون من هذا الخطأ ما جاء في اللسان « واستوأرت الإبلُ ـ تتابعت على نفار ، وقيل : هو نفارها في السهل وكذلك الغنم والوحش »[4] وعن الأصمعي : « استأورت . قال : وهذا كلام بني عقيل »[5] ومثل هذه الرواية جاءت عن أبي عبيد في مخصص ابن سيده[6] . فكأن الجمهور يقول : استوأرت ، ولهجة عقيل : استأورت ، ولهـذا أرى أن رواية الأصمعي التي تقول

---

(١) المرجع السابق .

(٢) اللسان : ٤١٤/١٣ .

(٣) البلغة في شذور اللغة : ١١١ ط بيروت .

(٤) اللسان : ١٣٢/٧ .

(٥) اللسان : ١٨٩/١ .

(٦) ١١٨/٧ .

« استورأت الإبل » – مخالفة لما جاء عن أبي عبيد عن ابن سيده[1] ، ومخالفة كذلك لما جاء عن ابن منظور[2] ، إذ هي عندهم : استوأرت لا « استورأت » ومثل هذا ما جاء عن ابن دريد من قوله « السّذاب بقلة مبربة ، وبلغة أهل اليمن : الخُتْنُف ، والخُنْفُت لغة في الخُتْنُف »[3] .

١ – في قوله تعالى « وإذا أنعمنا على الإنسانِ أعرضَ ونأى بجانبه » قرأ ابن ذكوان (وناء) بتقديم الألف على الهمز[4] ، فتكون مقلوب نأي ، وجاء في كتاب الغاية عن أبي بكر بن مقسم : أن نأى لغة قريش وكثير من العرب ، وناء – لغة هوازن بن سعد بن بكر وبني كنانة ، وهذيل وكثير من الأنصار ، واستدل لذلك بقولَ شاعرهم :

نجـــالدُ عنـــه بأسيافِنَا ... وناءتْ معدٌ بأرضِ الحرم[5]

إلا أن الوزن يختلف ، فعلى لهجة قريش وزنهـــا (رَمىَ) – وعلى لهجة هوازن بن سعد وأضرابها على وزن (راع) فالمقلوبة وزنها فلع .

تعقيب :

رأى أحمد بن فارس أن القلب في حروف الكلمة لا يوجد في القرآن ، ومن الطبيعي أن هذا القول الذي قال به ابن فارس لا يستقيم مع الآيات القرآنية السابقة ، والتي حدث فيها هذا القلب فقد ورد القلب في الآيات السابقة وهي :

١ – « مِنَ الصّواقع حذرَ الموت » – قرأ بها الحسن في « الصّواعق » .

٢ – « من كل فجّ معيق » هكذا وردت في مصحف ابن مسعود في « عميق » .

٣ – « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض وناء بجانبه » قرأ بها ابن ذكوان في « نأى » .

---

(١) المخصص : ١١٨/٧ .
(٢) اللسان : ١٣٢/٧ .
(٣) المخصص : ١٢/٧ ، والجمهرة : ٧/٢ .
(٤) إبراز المعاني : ٣٧٩ .
(٥) إبراز المعاني : ٣٨٠ .

٤ – « وقالوا هذه أنعامٌ وحرث حِرْج » قرأ بهـــا أبيّ وابن عباس وغيرهما في « حِجْر » ومعناهما واحد[١] .

٥ – « بلى قد جأتْك آياتي » قرأ بهـــا الحسن والأعمش من غير مـــدّ وهو مقلوب من « جاءتكَ »[٢] .

لهذه الأدلة السابقة أرى أن ابن فارس جانبه الصواب في قولته « ومن سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة ، ويكون في القصة ... وليس من هـــذا فيما أظن من كتاب الله جل ثناؤه شيء »[٣] .

٦ – كما قرأ أبو بكر في رواية الأعمش « وريئاً » بياء ساكنة وهمزة بعدها (البحر ٦/٢١٠) .

وقد نلتمس العذر لابن فارس في أنه ربما لم يطلع على القراءات القرآنية السابقة والتي حدثَ فيها القلب .

سبب القلب :

يرجع سبب القلب إلى الميل إلى التخفيف اللفظي ، فبعضنا يقول « مفلعص » وبعضنا قد يرى في ذلك صعوبة فينطقها « مفعلاص » ، وبعضنا يقول « جاء » والآخر (أجا) ، وكثير من أهل بيروت لا يميز بين (قعد) بمعنى (جلس) و (عقـــد) بمعنى ربط فيخلطون بينها[٤] . ونسمع كثيراً يقولون : فحر الأرض ، وآخرين يقولون : حفر الأرض ، وغير ذلك كثير ، كما يحدث القلب من أخطاء الأجيال كأن يخطيء الطفل في ترتيب كلمة ولا يجد من يصحح له خطأه فتصبح الكلمة ذات صورة جديدة في لهجته ، ويجد في لغة الجيل الناشيء أموراً لم تكن مألوفة في لغة السلف ، وحل الخطأ الجديد محل الصواب القديم ، وأصبح ما كان يعد خطأ في لغـــة الأجداد أمراً معترفاً به في لغة الأجيال[٥] ، كما قد يكون للقياس الخاطيء النصيب الأكبر في إيجاد أنواع لهذا القلب ، وهذا القياس لعب دوراً هاماً في خصائص اللـّهجات وقد يكون من أسبابه كذلك : التوهم السمعي ، فقد تسمع « حفر » فتتوهم أنك سمعت « فحر » ، أو نضب

(١) البحر المحيط : ٤/٢٣١ .

(٢) البحر المحيط : ٧/٤٣٦ .

(٣) الصاحبي : ١٧٢ ، المزهر للسيوطي : ١/٤٧٦ .

(٤) الفلسفة اللغوية : جرجي زيدان ط دار الهلال : ص ٦٠ .

(٥) من أسرار اللغة : ٣٢ ط الأولى .

الماء ـ وتتوهم أنك سمعتها نبض « ومن التوهم السمعي وضعف الإصغاء جاء البلاء »[1] ويمكن أن نضيف عاملاً آخر في سبب القلب ، وهو احتمال خطأ الرواة في النقل ، ونشير إلى مثل واحد من هذا ، فقد جاء في اللسان عن ابن خالويه « ما بالدار طوئِيٌّ » ، وطؤْوِي أي ما بها أحد ، قال العجاج :

وبلدة ليس بهـــا طوئيٌّ ولا خلا الجنّ بها إنسيٌّ[2]

ولكنني أرجح أن العجاج يجب أن يقول : طؤْوي ـ بتقديم الهمزة على الواو لا ـ طوئي والسبب في هذا ما جاء عن ابن بري : من أن تميماً تقول : طؤوي (الهمزة[3] قبل الواو) أما صيغة : طوئيٌّ ـ بالواو قبل الهمزة فقد عزاها أبو زيد إلى الكلابيين[4] .

ولما كان العجاج ـ تميمياً فلابد أنه يسير في ركاب قومه ـ ومن هنا رجحت خطأ الرواية (طوئي) والتي وردت في بيت العجاج . فلهجة تميم إذا وزنها : طعْوِيّ ، وزنتها عند كلاب : طوعيّ ، على القلب ، وذكر السيوطي في المزهر عن ابن السكيت في باب مالا يتكلم فيه إلا بالجحد « ما بالدار أحد ، وما بها طُؤوِي ، وطوئي »[5] ولكن يظهر أن السيوطي أخطأ في روايته عن ابن السكيت ، ففي اصلاح المنطق لابن السكيت نفسه « يقال : ما بالدار أحـد ، وما بها صافر ، وما بها وابر ... وما بها طوئي وطوري »[6] فلم تأت في كتاب ابن السكيت « طؤوي » التي ذكر السيوطي أنه أخذها عنه .

ونظرة خاطفة في الحقـــل اللغوي ترينا خطـــأ الرواة وتصحيفهم وتحريفهم الكلم عن مواضعه .

وكما وجدنا هذا القلب في لهجات القبائل كما سبق ـ يمكن أن نجد صداه بين العربية وأخواتها فكلمة (ركبة) نراها في الأكدية birke وفي العبرية berek وفي الآرامية burkà وفي الحبشية

---

(١) الإبدال لأبي الطيب : ٣٧/١ مقدمة .

(٢) اللسان : ٢٢٦/١٩ ، وفي ديوان العجاج : ص ٦٨ من مجموع أشعار العرب « وخيفقة ليس بها طُوئيٌّ » .

(٣) اللسان : ٢٢٦/١٩ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المزهر للسيوطي : ١٦٠/٢ .

(٦) إصلاح المنطق : ٣٩١ ابن السكيت .

berk [1] لكن العربية آثرت الصيغة المقلوبة (ركبة) وهي الفـــرع ، وأعرضت عن الأصل (بركا) بدليل قولنا « بَرَكَ الجملُ » .

كما نسمع صداه كل يوم في لهجاتنا العربية الحديثة مثل : الزحالف للزلاحف والمعلقة للملعقة كما ينطق أهل الجزيرة بالسودان : تماينهْ في تمانيهْ ، وبايمهْ في باميةْ[2] .

(١) التطور النحوي : ٢٢ برجشتراسر .

(٢) من لهجات الجزيرة بالسودان : ١٢٩ .

الفصل الرابع

التشديد والتخفيف في اللهجات العربية :

تميل القبائل البدوية إلى الشدة حين الكلام ، وذلك لما في طبعها من جفاء وغلظة ، وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التي تطرق الآذان كأنما هي فرقعات متعددة ، ولكن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى التؤدة والليونة لأن ذلك ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم[1].

وقد يؤيد هذا ما جاء من أن وفداً من تميم قدموا على رسول الله ﷺ لإعلان إسلامهم ، وتسرعوا منادين بصوت أجش ، فـنزل قوله تعالى « إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون »[2] وتميم — هؤلاء من البدو الذين كانت تشيع فيهم مثل هذه الشدة والغلظة في حديثهم ، ولهذا دعا القرآن إلى خفض الصوت في قوله « واغضض من صوتك »[3] وقوله « إن الذين يَغُضُّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحنَ اللهُ قلوبَهُمْ للتقوى »[4] ، ولما كان البدو يعيشون في الصحارى المترامية وهذه الصحارى يفنى فيها الصوت ويذوب في جنباتها فلا تكاد تتضح — لذا حرص هذا البدوي على توضيح أصواته حتى تسمع ، ولجأ إلى هذا بطرق شتى منها الجهر ، والتفخيم ، والشدة . وأما القبائل المتحضرة فقد سارت على عكس هذا في لهجاتها ، ولاشك أن التفخيم والتغليظ والتشديد والتثقيل — وكلها معان تدل على سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلىء الفم بصداه ـ قد اتخذها البدوي ديدناً له بل استمسك بها في نطقه وقد يكون التشديد أو التثقيل مظهراً من مظاهر التطور اللغوي — إذ هو بمثابة عملية ترميم في جسم العربية ، يقوم بها على فترات متقاربة لإصلاح لفظ قد بلي أو إنعاش كلمة قد لحقها المرض فالكلمة المخففة مثل (فَعَل) ربما كانت تدل على التكثير في سابق عهدها — ثم بتطور الزمن

---

(١) في اللهجات العربية : ٨٩ ط ٢ .

(٢) سورة الحجرات : آية ٤ .

(٣) سورة لقمان : آية ١٩ .

(٤) سورة الحجرات : آية ٣٠ .

ضعف هذا المعنى فيها – فتهب اللغة عندئذ لتقوم بترميم هـذا الخلل الذي طرأ – فتضيف التشديد إلى هذا الوزن – حتى تعيد له قوته .

ويمكن أن نقسم ما عثرنا عليه من الظواهر قسمين : أولها : ما ظهر في الأسماء ، وثانيها ما ظهر في الأفعال .

أولاً : الأسماء :

١ – ورد في اللسان أن (الهدي) ما أهدي إلى مكة من النعم ، وقال الليث : ما يهدى إلى مكة من النعم وغيره من مال أو متاع فهو : هدْي[١] وهدِيٌّ ، وفي مجالس ثعلب «يقال فلان هدى بني فلان ، وهدي بني فلان – أي جارهم يحـرم عليهم منه ما يحرم من الهدى[٢] ، وقد جاء عن أبي حيان أن التخفيف والتشديد فيها لغتان[٣] . وفي نوادر اليزيدي « أهل الحجاز يخففون الهدي ، وتميم يشددونه »[٤] ، وورد عن ثعلب مثل[٥] هـذا . وفي اللسان عن ثعلب أن « الهدْي بالتخفيف لغة أهل الحجاز ، والهديّ بالتثقيل على فعيل – لغة بني تميم ، وسفلى قيس »[٦] .

وجاء في البحر أن (الهدي) بسكون الدال – لغة[٧] قريش ، وشاهد التشديد في تميم ما جاء عن الفرزدق :

حلفت برب مكة والمصلّى وأعناق الهديّ مقلدات[٨]

ولا يمكن أن يكون التشديد في قول الفرزدق ضرورة ، لأنـه ورد أن التشديد في تميم ، والفرزدق تميمي . وإذا اتجهنا إلى جانب القرآن الكريم – وجدنا فيه مشهداً لكلتا اللهجتين التشديد والتخفيف فمن ذلك :

---

(١) اللسان : ٢٠/٢٣٤ .
(٢) مجالس ثعلب : ٢/٦٤٦ .
(٣) البحر : ٨/٩٨ .
(٤) المزهر : ٢/٢٧٧ .
(٥) مجالس ثعلب : ٢/٦٤٦ .
(٦) اللسان : ٢٠/٢٣٤ .
(٧) البحر : ٨/٩٨ .
(٨) اللسان : ٢٠/٢٣٤ .

(أ) قوله تعالى : « حتىّ يبلغَ الهديُ محله »[1] .

(ب) قوله تعالى : « والهديَ معكوفاً أنْ يبلغَ محلّه »[2] .

(جـ) قوله تعالى : « فإن أُحْصِرْتم فما استيسرَ مِنَ الهَدْيِ »[3] .

قرأ الجمهور بسكون الدال [4] ، بينما قرأها الحسن وعصمة عن عاصم واللؤلؤي وخارجة عن أبي عمرو – بالتشديد [5] . ومما تجب الإشارة إليه أن التشديد عن أبي عمرو ، وأبو عمروهـذا تميمي . وقد وردت هذه القراءات عن ابن خالويه [6] . ومن هذا العرض ظهر أن التشديد مالت إليه القبائل البدوية – كتميم وسفلى قيس ، بينما لهجة قريش والحجاز قد آثرت التخفيف .

٢ – كذلك مالت القبائل الحضرية إلى التخفيف في الصيغ الآتية :

(أ) اللذانِ . (ب) اللذيْن .

(جـ) هذانِ .

(د) هاتان ، وغيرها من الأسماء المبهمات المبنية ، فحركة النون خفيفة على لهجة قريش ، والحجاز [7] ، بينما بعض القبائل البدوية تميل إلى تشديد هذه النون ، وقد وردت قراءات على الصيغتين التخفيف والتشديد فمنها : قوله تعالى « واللّذان يأتيانها مِنْكم فآذوهما »[8] وقوله تعالى « هـذانِ خصمان »[9] وقوله تعالى « فذانّك برهانان من ربك »[10] وقوله

(١) سورة البقرة : آية ١٩٦ .

(٢) سورة الفتح : آية ٢٥ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٩٦ .

(٤) البحر : ٩٨/٨ .

(٥) البحر المحيط : ٩٨/٨ .

(٦) مختصر شواذ القرآن : ١٤٢ – ١٤٣ ، ٣٥ ، ١٢ .

(٧) ارتشاف الضرب : أبو حيان : ١٣٦/١ مصور بدار الكتب رقم ٦١٥٦ هـ .

(٨) سورة النساء : آية ١٦ .

(٩) سورة الحج : آية ١٩ .

(١٠) سورة القصص : آية ٣٢ .

تعالى : « إحدى ابنتيّ[1] هاتين » وقوله تعالى (ربنا أرِنَا اللـّذين[2] أضلانا) فابن كثير قرأ بتشديد النون[3] فيها كلها ، وقرأ باقي السبعة[4] بتخفيفها .

ولكن ذكر الشجري عكس ما تقدم إذ نسب التشديد[5] لقريش ، والحق أن ابن الشجري واهم في ذلك لما يأتي :

١ – ما ذكره صاحب التصريح من أن التشديد في تلك الصيغ السالفة معزو إلى تميم وقيس[6] .

٢ – في رواية لأبي حيان أن التخفيف في (فذانيك) لغة هذيل ، كما أيد ذلك المهدوي[7] ، وعلى فرض أن التخفيف عزي إلى هذيل ، فهذيل أقرب إلى الحجاز وقريش من تميم . فيكون التخفيف ألصق بهذيل وقريش من تميم .

ومن هذا يتبين أن التشديد في هذه الصيغ قد آثرته تميم وقيس ، وهي من القبائل الضاربة في البداوة ، بينما آثرت التخفيف الحجاز وقريش – وهم من الحضر ، ويمكن أن نعلل كلتا اللهجتين ، فمن شدد كأنه جعل التشديد عوضاً عن الياء المحذوفة في الذي ، إذ كان مقتضى القياس : اللذيان واللتيان كما نقول القاضيان ويمكن أن يكون هذا التشديد تأكيداً للفرق بين تثنية المبني والمعرب وهو مارآه صاحب التصريح[8] . ومن خفف حجته أن العرب قد تحذف طلباً للتخفيف من غير تعويض ، ويظهر أن البصريين لا يجيزون التشديد في حالتي النصب والجر[9] ، ولكن ورود هذا التشديد في القراءات القرآنية حجة عليهم فقد قريء في السبع (ربّنَا أرِنا اللذين)[10] ، (إحدى ابنتي هاتين) بالتشديد .

---

(١) سورة القصص : آية ٢٧ .

(٢) سورة فصلت : آية ٢٩ .

(٣) اتحاف فضلاء البشر : ١٨٧ .

(٤) البحر المحيط : ١١٨/٧ .

(٥) أمالي الشجري : ٣٠٦/٢ حيدر أباد الدكن .

(٦) شرح التصريح على التوضيح : ١٣٢/١ .

(٧) البحر المحيط : ١١٨/٧ .

(٨) التصريح على التوضيح : ١٣٢ جـ ١ .

(٩) البحر المحيط : ٤٩٥/٧ .

(١٠) سورة فصلت : آية ٢٩ .

٣ – ما جاء عن الفراء من أنهم يقولون (اجلس ههنا – أي قريباً ، وتنح ههنا – أي تباعد ، ثم قال : وههنا (بالتشديد) تقوله : قيس[1] وتميم وجاءت رواية مماثلة عن أبي عبيد رواها عنه ابن سيده . وفي رواية عن الأزهري[2] : وسمعت جماعة من قيس يقولون « إذهب هِنا (بالتشديد وفتح الهاء الثانية ، ثم قال الأزهري – ولم أسمعها بالكسر من أحد)[3] .

٤ – جاء في حاشية الأمير قول الشاعر :

وإنّ لساني شهدة يشتفى بها   وهوّ على مَنْ صبّه الله علقمُ

كما جاءت (هي) مشددة في قول الشاعر :

والنفس إن رغبت بالعنف آبية   وهيّ ما أمرت باللّطف تأتمرُ[4]

ثم عقب على هذين البيتين بقوله :

ولغة هَمْدان[5] تشديد واو هو وياء هي[6] .

وعلى الرغم من أنها عزيت لهمدان – فقد رأى المحققون أن تشديدها ضرورة شعرية – حتى عند همدان[7] . وأرى أن هؤلاء المحققين قد غالوا فيما قالوه ، لأنه متى نقل عن الأئمة وثقاة اللغة بأنها لغة لقوم وهم همدان – فكيف يكون ضرورة عندهم . وشتان بين اللغة والضرورة . وأرى أنها إذا وردت في نص لهمدان فهي لهجتهم ، وإذا جاءت عن غيرهم في شعر فقد تكون ضرورة ، أو أن العربي قد يتكلم لغة غيره ، كما قال ابن مطير :

(١) اللسان : ٢٠/٣٧٤ .
(٢) المخصص : ٢/١١٠ .
(٣) اللسان : ٢٠/٣٧٤ .
(٤) حاشية الأمير على المغنى : ٢/٧٥ .
(٥) وهمدان قبيلة من اليمن وهم بطن من كهلان : نهاية الأرب : ٤٣٨ ، الخزانة : ٢/٤٠٠ .
(٦) المرجع السابق من حاشية الأمير ، ٢/٧٥ .
(٧) ضرائر الألوسي : ١٧٩ .

(ذابَ السَّحابُ فهوٌ بحرٌ كلّه) [1]

فقائل هذا هو الحسين بن مطير الأسدي .

وقد حاولت أن أتعرف على قائل البيتين السابقين ، في الجاسوس [2] ، والهمع [3] ، والدرر اللوامع [4] ، والخزانة [5] ، ولكنها جميعاً قد أهملت القائل باستثناء الشنقيطي الذي جد في البحث ، فلم يعثر على من قالها ، ولكني أرجح أن القائل من همدان تلك القبيلة التي أثر عنها هـذا التشديد ، والدليل على ذلك ما جاء في حاشية الأمير ـ بعد أن عزا التشديد الى همدان وأراد أن يستدل على اللهجة ، فقال : قال شاعرهم [6] ، ثم أورد الشاهد . فكأن الشاعر من همدان .

وإذا أردنا أن نحتج للهجة همدان من القرآن الكريم وجدنا صداها في قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » [7] فقد قرأ بتشديد الواو الأخفش عن ابن عامر [8] . وأرى أن ورودها عن ابن عامر له مغزى ، إذ ابن عامر يَحْصبي [9] ، ويحصب قبيلة يمنية .

ووجود لهجتهم في قراءة قرآنية يرد قول من ذهب بأن التشديد ضرورة ، لأنه لا ضرورة في القرآن كما تصور لهجة بلدي « أتميدة » هـذه اللهجة حيث نقول « الوَلَ هوٌ اللّ ج » و « البنت هيّ اللّ جتْ » بتشديد ضمير الغائب والغائبة ، ومثل هذا في لهجـات : العراق ، وسوريا ، والسودان ، ومراكش .

وضمير الغائب أو الغائبة قـد مر بأطوار عديدة إذ كان في الأصل hu'a (هؤ) وشيء (Sia) فأبدلت شين المؤنث هـاء قياساً على هاء المذكر في كل اللغات السامية تقريباً ،

---

(١) الشعر والشعراء : ١/٣٨ شاكر .

(٢) الجاسوس : ٤٧ .

(٣) ١/٦١ .

(٤) ١/٣٨ .

(٥) ٢/٤٠٠ .

(٦) حاشية الأمير على المغنى : ٢/٧٥ .

(٧) سورة البقرة : آية ٢٩ .

(٨) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ٤ .

(٩) طبقات القراء : ٢/١٠٦ .

(١٠) جمهرة أنساب العرب : ٤٠٨ - ٤٠٩ .

ولكن حوفظ على الفرق بين الهاء والسين في اللهجة المهرية في جزيرة العرب الجنوبية إلى الآن ، فإن الكلمتين (هؤ) و (شيء) صارتا (هؤ) و (هيء) ، ([illegible] ، [illegible]) ثم صارتا (هُوَ) و (هِيَ) في الفصحى ، و (هُو) و (هِي) في العبرية وفي السريانية[1] . وقد حكى الكسائي عن بني أسد وتميم وقيس : هُو فعل ذلك ـ بإسكان الواو ، وأنشد :

(وركضك لولا هُوْ لقيتَ الذي لقُوا)[2]

ثم نجد هذا الضمير أخيراً عبارة عن (ه) في مثل قولهم « حتاهِ فعلتْ ذلك » و « حتاهُ فعل[3] ذلك » بإلقاء الياء من (هي) ، والواو من (هو) .

٥ ـ روى السيوطي عن أبي حاتم قوله « فلان اكِبرَّة ولد أبيه « أي أكبرهم »[4] وفي نوادر أبي زيد قال الرياشي : « فلان إكْبِرَّة » ، وذهب أبو الحسن أن « فلان كِبْرة ولد أبيه ـ وإكبِرَّة جميعاً[5] صواب » وأبو زيد سمعها عن أعرابي من تميم »[6] كما جاء عن الأصمعي أن : الحزْاقة ـ العير طائية[7] . وجاء عن ابن المديني أن « العراقيون يثقلون الجعرانة والحديبية ، والحجازيون يخففونها »[8] .

والسمة الغالبة لهذه النصوص أن التشديد فيها لقبائل بدوية ، أو تغلب عليها البداوة ، والتخفيف لقبائل حضرية . وأرجح أن التثقيل جاء للبيئة العراقية ، لأنها كانت تجاور القبائل الشرقية من الجزيرة العربية ، وخير من يمثل هذه القبائل : تميم وأسد .

---

(١) مجلة كلية الآداب : المجلد ١٠ جزء ١/٣٨ ، ٣٩ .
(٢) اللسان : ٢٠/٣٦٦ ، الهمع : ١/٦١ .
(٣) اللسان : ٢٠/٢٥٤ ، ٣٦٦ .
(٤) المزهر : ١/١٧٠ .
(٥) نوادر أبي زيد : ٩٧ .
(٦) المرجع السابق .
(٧) المخصص : ٧/١٣٢ .
(٨) المصباح : ١/١٦٠ .

ثانياً : الأفعال :

١ — ورد في اللسان أن « عَضّضْتُه تميمية » بالتشديد ، بينا ينطقها غيرهم « عِضضْته » بالتخفيف[1] .

٢ — وذكر أبو حيان في تفسير قوله تعالى « ولا تصعّر خدّك للناس »[2] بأن ابن كثير وابن عامر وعاصم وزيد بن علي قد قرءوها بالتشديد وباقي السبعة بألف . ثم عقب على هذا بأن « صعر — مشدد العين لغة تميم » ، واستدل على ذلك بقول شاعرهم :

وكنا إذا الجبار صعّر خدّه   أقمنا له من ميله فيقوم[3]

بينما اعزا صاحب الإتحاف قراءة تخفيف العين إلى لغة الحجاز[4] .

٣ — وجاء في الغريب المصنف أن « أهل العالية يقولون : مجدت الدابة — إذا علفتها ملء بطنها — مخففة »[5] وفي اللسان « أهل نجد يقولون : مجّدها تمجيداً »[6] والمجْد نحوٌ من نصف الشبع .

والمقصود بأهل نجد الذين نطقوا بالتشديد — عدة قبائل بدوية كتميم وأسد وقيس ، كما أن المراد بأهل العالية — وهم المخففون — « أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ودنا[7] منها » ويرى صاحب الكامل : أن العالية هم قريش ومن والاها[8] . ويرى صاحب القاموس أن العالية « ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء[9] مكة » وحددها ابن منظور : بأنها أماكن بأعلى

---

(١) اللسان : ٩/٥٠ .

(٢) سورة لقمان : آية ١٨ .

(٣) البحر : ٧/١٨٢ .

(٤) الإتحاف : ٣٥٠ .

(٥) الغريب المصنف : ٢٧٦ خط دار الكتب رقم ١٢١ .

(٦) اللسان : ٤/٤٠٢ .

(٧) المزهر : ٢/٤٨٣ .

(٨) الكامل المبرد : ١/١٦ ط حجازي .

(٩) القاموس المحيط : ٤/٣٦٥ دار المأمون ١٩٣٨ .

أرض المدينة ، وأدناها من المدينة على أربعة أميال ، وأبعدها من جهة نجد ثمانية[١] . وفي معجم البلدان أن العالية ما جاوز الرمة إلى مكة[٢] . ومهما كان من خلاف بين علماء الجغرافيا من المسلمين في تحديد العالية ، إلا أنني أستشف من هذه التحديدات أن العالية هي شمال الحجاز ، ويظهر أنها كانت عدة قرى تتصل بالمدينة ـ فالعالية إذن منطقة يغلب عليها الحضارة ، لأنها تساوي قريشاً ، ومرة تساوي المدينة ، وأخرى تساوي مكة وما والاها ـ ولهذا نطقت (نجد) بتخفيف الجيم ، بينما نَجْدٌ وهي بدوية غالباً قد آثرت الصيغة المشددة .

٤ ـ جاء في كتاب لغات القرآن : يبشرهم ربهم[٣] . بالتخفيف بلغة كنانة ، وبالتشديد بلغة تميم[٤] . وفي معاني القرآن للفراء : أن بشّرت لغة سمعتها من عكل[٥] . وجاء في البحر في قوله تعالى « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » بالتشديد وهي اللغة العليا ، والتخفيف وهي لغة تهامة ـ وقد قرىء باللغتين في المضارع في مواضع من القرآن[٦] . وفي المصباح أنه عزا إلى تهامة وما والاها ـ صيغة التخفيف بينما التثقيل لغة عامة العرب[٧] .

ومن هذه النصوص يتضح أن البيئات البدوية قد آثرت التشديد في هذا الفعل كتميم ، وعكل . وعكل هذه من طابخة التي منها تميم وضبّة[٨] . بينما البيئات المتحضرة قد آثرت التخفيف مثل كنانة ، والقبائل التي سكنت تهامة وما والاها .

وكثيراً ما ترد كنانة ـ ويقصد بها الحجاز لا سيا في كتب لغات القرآن ، وهذا الخلط كثيراً ما يرد عند اللغويين أيضاً ، كما أنهم كانوا يطلقون لهجة قريش ويقصدون بها الحجاز ، أو العالية ، ويريدون لهجة المدينة .

---

(١) اللسان : ٣٢٠/١٩ .
(٢) معجم ياقوت : ١٠٠/٦ ـ ١٠١ ط السعادة .
(٣) سورة التوبة : آية ٢١ .
(٤) كتاب اللغات في القرآن : ٢٩ .
(٥) معاني القرآن للفراء : ٢١٢/١ .
(٦) البحر : ١٠٩/١ .
(٧) المصباح : ٧٩/١ ـ ٨٠ .
(٨) تاريخ العرب : ٣٣١/٤ جواد علي .

ويبدو أن القرآن الكريم كان يراوح بين لهجة التشديد تارة ، والتخفيف أخرى جاء في الحجة « إن الله يبشرك » تقرأ بضم الياء مع التشديد ، وبفتحها مع التخفيف ـ وهما لغتان فصيحتان[1] « وفي معاني القرآن » أن التخفيف والتشديد صواب ، وفي التخفيف أستشهد له بقول بعض العرب :

بَشَرتُ عيالي إذ رأيت صحيفة　　أتتك من الحجّاج يتلى كتابها[2]

ويظهر أن بعض العلماء كانوا يتجهون إلى التفرقة في المعنى بين التشديد والتخفيف فقد جاء « أن أبا عمرو فرق بين البشارة والنضارة ، فما صحبته الباء شدد فيه من البشرى وما سقطت منه الباء خففه ، لأنه من الحسن والنضرة »[3] وربما هـــذا المعنى يقارب ما جاء عن الفراء في تفسير قوله تعالى « إن الله يبشرك بيحيى »[4] فقال « وكأن المشدد على بشارات البُشَراء ، وكأن التخفيف من وجهة الإفراح والسرور »[5] .

وأياً ما كان فالتشديد ـ الذي هو من صفات البدو دخل الفصحى ، وفرضته على الفصحى تلك القبائل ، ولهذا نجد صفحة القرآن الكريم والتي تنطبع في قراءتها لهجات العرب جاءت على الوجهين في قوله تعالى (من الملائكة منزلين) بالتشديد والتخفيف[6] ، ثم حمل المشدد بعد ذلك معنى زائداً على المخفف إذ دل على تكرير الفعــــل ومداومته تارة ، أو على التكثير تارة أخرى »[7] .

ومما يؤكد أن التشديد من صفات البدو ما جاء عن تميم من أنها كانت تؤثر الوقف بالتشديد في نحو قولهم « هذا خالدّ . وهذا فرجّ »[8] ولا شك أن الوقف بتضعيف الحرف الأخير أقوى

---

(١) الحجة لابن خالويه : ورقة ٢٤ مخطوط بدار الكتب .
(٢) معاني القرآن : ٢١٢/١ دار الكتب .
(٣) الحجة لابن خالويه : ورقة ٢٤ خط بدار الكتب .
(٤) سورة آل عمران: آية ٣٩ .
(٥) معاني القرآن للفراء : ٢١٢/١ دار الكتب .
(٦) الحجة لابن خالويه : ورقة ٢٦ مخطوط دار الكتب .
(٧) سيبويه : ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ .
(٨) ابن يعيش : ٦٧/٩ .

من غيره ـ أي من الوقف بالروم والإشمام والسكون ، كما أن تميماً أيضاً آثرت الوقف[1] بالنقل في نحو « هذا بكُرْ » وأرجح أن الراء من بكر ـ كانت تنطقها تمـــيم مشددة ، لأن الوقف بالنقل يصحبه غالباً التشديد ، ولهذا جاء عن أبي حيان « ولم يؤثر الوقف بالنقل عن أحد من القراء إلا شيئاً روي عن أبي عمرو »[2] وأبو عمرو هذا من تميم التي تؤثر ذلك ، وكل هذا يشير إلى أن التشديد صفة غالبة على بدو الجزيرة العربية ، بينما الحضر منهم كانوا يتجنبون هذا ، فلم يؤثر عن قبائل الحجاز أنها وقفت بالنقل أو بالتشديد .

(١) التصريح : ٣٤٢/٢ .

(٢) الهمع : ٢٠٨/٢ .

الفصل الخامس

مطل الحركات والحروف وانتقاصها في لهجات القبائل :

إن الحذف والفضول من السمات البارزة في اللغة الأدبية الفصحى ، ولهذا عقد علماء البلاغة باباً أسموه « الإيجاز والإطناب » وكثيرا ما يدور الكلام العربي الفصيح حول هذين المحورين ، يرشد إلى ذلك ما أنشده الجاحظ لأبي دؤاد بن حريز :

يرمون بالخطب الطـوال وتارةً وحْيَ الملاحظ خيفةَ الرّقباء[1]

ونقل صاحب سر الفصاحة عن العرب أنهم قالوا : « البلاغة هي الإيجاز والإطناب » .

وقال صاحب الكشاف « كما أنـه يجب على البليـغ في مظان الإجمال أن يجمل ويوجز ، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع »[2] ، وجاء في الخصائص أنه قيل لأبي عمرو « أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم لتبلغ . قيل : أفكانت توجز ؟ قـال : نعم ليحفظ عنها »[3] . .

ومن أمثلة الإيجاز في الكلام الفصيح ما نلمحه في كتاب الله : وهو معلمة كبرى في البلاغة .

١ ـ قوله تعالى « حتى إذا جاءوها وفتحتْ أبوابها » فحذف الجواب ، لأن وصف ما يلقاه أهل الجنة عند ذلك لا يتناهى ، فـترك النفوس تذهب كل مذهب وتقدر ما تشاء ، ومع كل ذلك لا تبلغ ما هنالك ، وشبيه بمثل هذا الحذف قوله تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على النار » والجواب محذوف تقديره : لرأيت أمراً عظيماً فظيعاً لا تكاد تحيط به العبارة .

٢ ـ وقد نجد نوعا آخر من الحذف ، فـيما يسمى بالاكتفاء : كقوله تعالى : « وسرابيل تقيكم الحرّ » مع أن السرابيل تقي من الحر والبرد ، ولكنه خص الحر بالذكر ، لأن الخطاب

---

(١) الإتقان للسيوطي : ٢/٥٣ ، والبيان والتبيين : ١/١٥٥ ، ٤٤ .

(٢) الإتقان : ٢/٥٣ .

(٣) الخصائص لابن جني : ١/٨٣ دار الكتب .

للعرب وبلادهم حارة ، والوقاية عندهم من الحر أهم ، لأن الحر أقسى من البرد »[1] ومثل هذا ما جاء في قوله تعالى « وله ماسكن في الليل والنهار » مع أن الله له ما سكن وما تحرك ، ولكنه حذف الحركة ، لأن السكون أغلب في الجماد والحيوان والإنسان ، ولأن المتحرك ينتهي إلى السكون .

٣ – ومن الحذف نوع آخر يسمى بالاقتطاع كأن تحذف بعض حروف الكلمة ومنه قراءة بعض القراء[2] (ونادَوْا يا مال ليقض علينا) في يا مالك – على الترخيم وهو حذف الآخر. وقد سمع تلك القراءة بعض السلف فقال : ما أغنى أهل النار عن الترخيم ، وقد يعلل لقراءة الحذف بأنهم للهول الذي هم فيه ، عاجزون عن أن يتموا بقية الاسم ، ومثل هذا قراءة علي وعروة قوله تعالى « ونادى نوح ابنهَ »[3] بفتح الهاء أي ابنها فاكتفى بالفتحة عن الألف ، قال ابن عطية وهي لغة وعليها قول الشاعر :

إمّا تقود بهـــا شاة فتأكلها أو أن تبيعهَ في بعض الأراكيب[4]

يريد تبيعها .

٤ – وقد نجد نوعا آخر من الحذف ، وهو أشبه بالاختزال ، وقد يحذف فيه المضاف إليـــه كقوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعد »[5] أي من قبل ذلك ومن بعده ، أو المضاف كقوله تعالى « واسأل القرية »[6] أي أهلها ، أو الموصوف كقوله تعالى « أن اعمل سابغات » أي دروعاً . أو الصفة كقولهم « سير عليه ليل » وهم يريدون : ليل طويل . قال ابن جني في علة حذف الصفة « وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحس في كلام القـــائل من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله : « طويل »[7] ، ومثل هذا الحذف ما رواه ابن جني عن احمد بن يحيى

---

(١) الإتقان : ٦١/٢ .

(٢) الصاحبي : ١٩٤ .

(٣) سورة هود : آية ٤٢ .

(٤) البحر : ٢٢٦/٥ .

(٥) سورة الروم : آية ٤ .

(٦) سورة يوسف : آية ٨٢ .

(٧) الخصائص : ٣٧٠/٢ .

أنهم يقولون : « راكب الناقة طليحان » والتقدير : راكب الناقةِ ، والناقةُ طليحان »[1] فحذف المعطوف .

هذا وقد ساق ابن جني أمثلة لحذف المفعول[2] بــه ، والظرف ، وخبر إن مع النكرة[3] ، وخبر كان ، والمنادى[4] ، كما ساق أمثلة لحذف الفعل ، وكما ساق السيوطي أمثلة أخرى على ذلك من كتاب الله[5] .

وكما وجدنا في العربية الفصحى ـ هذا النمط من الإيجاز أو الحذف ـ فاننا نلمح فيها كذلك نوعاً من الفضول والزيادة قصد إليه لفائدة فمن هذا قوله تعالى « من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله ، وجبريل وميكال » ـ فذكر جبريل وميكال مع دخولها في الملائكة للتنبيه على زيادة فضلها ، ومنه التكرير ، ويظهر هذا في قصيدة مهلهل حين كرر قوله « على أن ليس عدلاً من كليب » في أكثر من عشرين بيتاً ، أو تكرار قول العربي الآخر في قصيدته عـــدة مرات وهو قربا مربط النعامة مني « وفي سورة الرحمن تكررت » فبـــأي آلاء ربكما تكذبان »[6] نيفاً وثلاثين مرة ، وقد جعل الله هذه الآية فاصلة بــين كل نعمة وأخرى ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها »[7] . ومثل هذا التكرير ما جاء في سورة المرسلات من قوله تعالى « ويلٌ يومئذٍ للمكذبين » ، وما جاء في سورة الشعراء من تكرار قوله تعالى « إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » حيث كررها ثماني مرات ، وما جاء في سورة القمر من تكرير قوله « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » والغرض من هذا التكرير أن يجدد الإنسان عند سماع كل نبأ اتعاظاً ، وكأن كل نبأ من هذه الأنباء يستحق وحده مزيد اختصاص به كما أن التكرار عامل من عوامل التربية ، وتكوين الآراء ، وانتشارها ، وخلق تيار تأثيري إقناعي .

ولا شك أن العربي كان يراود بين الايجاز ، أو الحذف ، وبين الإطناب أو الزيادة حسب

---

(١) الخصائص : ٢٨٩/١ .

(٢) الخصائص : ٣٧٢/٢ .

(٣) المرجع السابق : ٣٧٣ .

(٤) المرجع السابق : ٣٧٥ .

(٥) الإتقان : ٦٢/٢ وما بعدها .

(٦) سورة الرحمن .

(٧) ويمكن أن يرد سؤال مؤدّاه : أيّ نعمة في قوله تعالى « كلّ من عليها فانٍ » والجواب : النعمة الانتقال من دار الهموم الى دار السّرور ، كما أن التسوية في الفناء بين الحقير والأمير ، والصغير والكبير ، والظالم والمظلوم ومجازاة كل منهما — نعمة كبرى .

مقتضى الحال ، إلا أن هذا العربي أولاً قد تجرأ فمطل وزاد في بعض الحركات حتى أصبحت حروفاً ، ثم تجرأ ثانياً كذلك فحذف بعض حروف الكلمة حــذفاً يخل ببقيتها ويعرض لها الشبه .

فمثال الحالة الأولى :

١ – ما رواه السيرافي في شرحه على سيبويه من قول الفرزدق :

تنفي يــداها الحصى في كل هاجرة   نَفْيَ الدراهيم تنقادُ الصياريفِ[1]

والوجه الدراهم والصيارف .

٢ – وقول ابن هرمة في رثاء ولده :

فأنت من الغوائل حين تُرمىَ   ومن ذمّ الرجــال بمنتزاح

والوجه بمنتزح . وقول عنترة :

(ينباعُ من ذِفْرى غضوبٍ جَسْرة)[2]   والأصل ينبع .

٣ – وقد جاءت شواهد لهذه الزيادة في النثر من ذلك ماحكاه الفراء عن العرب « أكلت لحما شاة » ، وما حكاه أحمد بن يحيى « خذه من حيث وليسا »[3] والأصل لحم شاة ، وليس ، ولكنه مطل الفتحة فأنشأ عنها ألفاً .

كما روي عن ابن عامر أنه قرأ « أفئيدة من الناس » بياء بعد الهمزة ـ وجاءت هذه القراءة على لغــة المشبعين من العرب ، وقال عنها ابن الجزري : ليست ضرورة بل هي لغــة مستعملة[4] .

وكما مطلت الفتحة والكسرة في الأمثلة السابقة وجدنا عندهم مطلاً للضمة حتى أصبحت واواً فمن ذلك : مطلها في الاسم :

---

(١) شرح السيرافي على سيبويه : ٢٤٨/١ ، وسيبويه : ١٠/١ .
(٢) الخصائص : ١٢١/٣ .
(٣) الخصائص : ١٢٣/٣ .
(٤) النشر : ٢٩٩/٢ - ٣٠٠ ، والإتحاف : ٢٧٣ .

١ – وليـــلة خامـــدة خمـــوداً طخياء تـُغشي الجـَدي والفُرقودا[1]

وقول الآخر :

مكورة جُمّ العظام عُطبول كأن في أنيابها القَرنـُفول[2]

والأصل : الفرقد ، والقرنفل .

ومثال مطلها في الفعل قولهم :

وأنني حوثما يثني الهـــوى بصري من حيث ما نظروا أدنوفأ نظور[3]

وقولهم : « لو أن عمرا همّ أن يرقودا »[4] .

والأصل : أنظر ، يرقد .

والسبب في مطل الكلمات السابقة : الصياريف . منتزاح . القرنفول . أنظور أن النبر وقع فيها على المقطع الأخير ويسمّى نبر العلو ، ونبر هذا المقطع يقتضي إطـــالة الحركة حتى يبرز الصوت ، وأصلها : صيارف . منتزح قرنفل . أنظر .

ومثال الحالة الثانية ، وهي حالة الحذف ما أنشده لبيد :

« درس المنا بمتالع فأبان »[5] يريد « المنازل » .

وقول علقمة :

كأن إبريقهم ظبْي على شرف مفدّم بسبا الكتان ملثوم[6] يريد « سبائب »

وما أنشده السيرافي :

---

(١) الصاحبي : ١٩٣ .

(٢) الخصائص : ١٢٤/٣ .

(٣) الهمع : ١٥٦/٢ ، الدرر اللوامع : ٢٠٧/٢ .

(٤) الصاحبي : ١٩٣ .

(٥) شرح السيرافي : ٢٥٥/١ مخطوط .

(٦) الخصائص : ٨٠/١ .

عُليّـــة ما عليّـــةُ ما   علية أيهـــا الرجـــل
عليّـــة بالمدينة والْمطَا   مُرْ حَـُـولَة ذُلـــل[١]   يريد « المطايا »

وقد يشتطون في الحذف حتى يستغنون بالحرف عن الجملة ، ومثاله قول الوليد ابن عقبة :

« قلت لها قفي : فقالت قاف »[٢] .

فقوله « قاف » استغناء بالحرف عن الجملة ـ لأنها تريد : إني واقفـة ، أو وقفت وعلى مثل هذا الحذف قوله :

نادَوْهمُ أن ألجمـوا ألاتـَا   قالوا جميعا كلهـّم ألا ّفـا[٣]

وكان المعنى : ألا تركبون ـ ألا فاركبوا ، فحذف الجملة واكتفى بحرف فيها . وقـد يكون من هذا الضرب ما جـــاء عن بعض المفسرين لفواتح السور من مثل : (طس) (ألم) و (المص) و (كهيعص) ، وقد ذهب المفسرون . والمستشرقون مذاهب قدداً في تفسير هذه الفواتح ، وليس من عملنا التعرض لها لا في قليل ولا في كثير وإنما لأشير فقط إلى ما جاء عن ابن عباس في (كهيعص) : الكاف من كريم ، والهاء من هاد ، والياء من حكيم ، والعين من عليم ، والصاد من صادق ، وقوله في (آلر) : أنا الله أرى . وفي (آلمص) : أنا الله أفصل[٤]. فكأن الكلمة قد حذفت ، واستغني عنها بحرف منها . وقد وردت قراءات قرآنية اشتملت على حذف لحروف الكلمة[٥] .

ولاشك أن العربي كان يكتفي باللمحة الدالة ، والإشارة الخاطفة ـ حتى سمعناهم يقولون « رب إشارة أبلغ من عبارة » . والناظر إلى النصوص السابقـــة في حالتي النقص أو الزيادة يحملها على الضرورة ـ كما صرحت بذلك المصادر السابقة ولكن مع هذا ومع موافقتهم على أنها ضرورات إلا أنه يحسن التوقف عندها لبحثها لا سيما وأنني حاولت أن أقرن بالشواهد الشعرية

---

(١) شرح السيرافي : ١/٢٥٥ .

(٢) شواهد الشافية : ٤/٢٧١ ، وكان الوليد عاملاً لعثمان على الكوفة فاتهم بشرب الخمر فأمر الخليفة به الى المدينة فخرج في ركب ـ فنزل الوليد بهم وأنشد :

قلت لها قفي فقالت قاف   لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف

(٣) شواهد الشافية : ٤/٢٦٦ .

(٤) في علوم القرآن : ١٩٧ صبحي الصالحي .

(٥) الصاحبي : ١٩٤ .

شواهد نثرية ، لأن النثر لا ضرورة فيه وأيًّا ما كان فالضرورات نفسها تعتبر حقلاً واسعاً يمكن أن يمدنا بأخاديد واتجاهات في استشفاف اللهجات العربية ، إذ الضرورات يمكن أن نعتبرها طرقا للتعبير ، أو على الأقل يمكن أن تعكس لنا نمطاً من اللهجات ، والذي جعلني أميل إلى هذا ما عثرت عليه من عراك عنيف بين القراء واللغويين ، أو بين اللغويين بعضهم وبعض في تحديد مناطق نفوذ الضرورة ، فما يعده بعضهم ضرورة يراه الآخر لغة فمن ذلك :

١ — ما أنشده صاحب عبث الوليد :

فغير عجيبٍ إن رأيتيه أن ترى ... تلهُّبَ ضربٍ في شواك مبين

فان روى « رأيته » على اختلاس الهاء من غير ياء يتبعها ولا ياء قبلها . فهو عند سيبويه ضرورة وعند الفراء لغة[1] .

٢ — جاء عن ابن دريد قوله « وطيء تقول نظرت إليه ـ أنظور[2] في معنى أنظر » وعليها قول الشاعر :

الله يعلمُ أنا في تلفتنا ... يوم الفراق إلى أحبابنا صورُ
وأنني حيثما يدني الهوى بصري ... من حيث ما سلكوا أدنوا فأنظورُ[3]

فكأن « أنظور » لهجة طيء كما جاء عن ابن دريد ، ولكن يسوق ابن سيده قوله « فأما أبو علي فقال : هو على الإشباع لإقامة الوزن »[4] ، ويقول أبو زيد معلقاً على « أنظور » ـ « وإنما جاء في الشعر »[5] فكأن بعضهم يراه لغة ، والآخر يراه ضرورة .

٣ — كما نلمح الخلاف بين البصريين والكوفيين ـ على الضرورة في قول الشاعر :

إن كان لي ذنبٌ فعفو وإن ... لم يك لي ذنب ففيم اطّراح

وقوله :

(١) عبث الوليد : ٢٢٥ ط الترقي .
(٢) الجمهرة : ٣٧٩/٢ .
(٣) الخصائص : ٤٢/١ .
(٤) المخصص : ١١٥/١ .
(٥) المخصص : ١١٤/١ .

إني من صـدّك في لوعـة تغولت لبيّ وهاضتْ جناح

والأصل : اطراحي ، وجناحي ، « وذلك كثير في أشعار العرب ، ومنه قول طرفة :

مَنْ عائدي الليلة أم مَن نصيح بتّ بهمّ ففؤادي قريح[1] يريد « نصيحي »

« فلو استعمل مثل هذا في غير القافية لكان عند الكوفي جائزاً من غير ضرورة ، بل يجعله لغة للعرب ، وأما سيبويه فيعده من الضرورات »[2] ، ومثل هذا قول الشاعر :

إن الغواني غداة البين نُطْنَ لنا ما أمل الدنف المضنى بما خافا

فسكن ياء الغواني ـ وذلك جائز ، ولكنه عند سيبويه ضرورة ، وعند الفراء لغة[3] .

٤ ـ وفي مخطوطة السيرافي « وفي كيف : لغة أخرى ، يقال : كيف ، وكي ـ في معنى : كيف . قال الشاعر :

أو راعيانِ لبعرانٍ لنا شردتْ كيْ لا يحسّان من بعراننا أثراً

فالشاعر أراد : كيف لا يحسان . ولكن العلماء على خلاف في ذلك : فمنهم من يقول : إنه حذف للشعر ، ومنهم من يقول إنها لغة[4] ، واستشهد السيوطي بقول الشاعر :

كي تجنحونَ إلى سلمٍ وما ثئرت[5] قتلاكم ولظى الهيجاء تضطرم[6]

وعقب الشنقيطي فقال : « وكي لغة في كيف »[7] ، والمعنى : كيف تميلون إلى السلام ولا زالت قتلاكم بلا ثأر ! ، ونظيرها في الاختصار « سو أفعل » أي سوف أفعل ، وحكى الكوفيون « سف أقوم »[8] .

---

(١) عبث الوليد : ٧٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) عبث الوليد : ١٤٥ .

(٤) شرح السيرافي على سيبويه : ٥٨/١ .

(٥) همع الهوامع : ٢١٤/١ .

(٦) الأشموني : ٢٧٩/٣ « المصراع الأخير من الأشموني » .

(٧) الدرر اللوامع : ١٨٤/١ .

(٨) حاشية الصبان : ٢٧٩/٣ .

ومما يجعلني أميل إلى أن (كي) لهجة في « كيف » لا ضرورة شعرية ـ أن الصيغة المختصرة لازال يستعملها شعب « ليبيافهم » يقولون « كي أصبحت ، وكي امسيت »[1] ولا أشك في أن اللهجة الليبية لهجة عربية ، لأن أغلب السكان من قبائل سليم الذين هاجروا إلى بلاد المغرب .

وكل هذه الخلافات بين اللغة والضرورة – أثارت تقديري واحترامي لهذه الضرورات ـ على أنها أو بعضها يمكن عده من الاستعمالات اللهجية ، والتي كانت يوماً ما منطوقاً بهـا بين القبائل ، لكنها لمـا خالفت قواعد النحاة التي صنعوها ـ حكموا عليها بالضرورة حيناً أو بالشذوذ حيناً آخر ، وبذلك ضيعوا علينا جزءاً كبيراً من اللهجات ـ ضيعته تلك الأسلحة البتارة التي استعملت في جسم العربية حتى أصبح نحيـلا خافتاً ، والآن آن لهذه الضرورات المؤودة أن تصيح في وجه النحاة لتأخذ حقها وتسألهم : بأيّ ذنبٍ قتلتْ ؟ . وسنتصدى لدراستها حتماً في كل مكان يستوجب الحديث عنها .

والآن نشير إلى الروايات التي عثرت عليها في منطق القبائل العربية حتى نتبين القبائل التي تميل إلى السرعة في حديثها . فتحذف من الكلمة ما شاء لها أن تحذف ـ والقبائل التي تميل إلى تمام الصيغ وكمالها ، وحسن أدائها .

أولاً : الحذف والزيادة في منطق القبائل الحجازية والتميمية :

١ ـ ذهب السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه أن (استحيت) فيه لغتان إحداهما استحييت ، والأخرى استحيت . فأما استحييت بياءين فهي لغـة أهل الحجاز وأما اللغة الأخرى : وهي استحيْت (بياء واحدة) فهي لغة بني تميم[2] .

وقـد جاء في الكتب الآتية نصوص تماثل ما جـاء عن السيرافي في عزوه تلك الظاهرة ، وهي :

١ ـ شرح المفصل لابن يعيش[3] .

(١) دورة المجمع بالقاهرة ٢٥ بعض ملاحظات في اللهجة الليبية سنة ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٣٠٥/٦ مخطوط .

(٣) ١١٨/١٠ .

٢ – شرح الشافية ، لرضي الدين[١] .

٣ – تفسير البحر المحيط[٢] .

٤ – مختصر شواذ القرآن – لابن خالويه[٣] .

٥ – لسان العرب لابن منظور[٤] .

٦ – خزانة الأدب للبغدادي[٥]

٧ – همع الهوامع[٦] .

٨ – الجاسوس على القاموس للشدياق[٧] .

٩ – المصباح[٨] .

وأريد الآن أن أشرح الظاهرة في ضوء المذهبين : الحجازي ، والتميمي . فالأصل : استحييت وهي لغة الحجاز بياءين ، فصححوا الياء الأولى وهي عين الفعل ، وأعلوا الثانية وهي لام الفعل فهي : استحيى يستحيي واستحييت ، وأما استحيت – وهي التميمية ، فوزنها : استفلت ، والعين محذوفة واختلف العلماء في كيفية الحذف فمذهب الخليل[٩] : أنه مبني على حيِيَ معلا إعلال هاب وباع فكأنه قيل : حَايَ ، فكما تقول : في باع : استبعت ، تقول في حاي – استحيت ، فاستحي – على هذا في الأصل : استحايْ – كاستباع ، فحذفت حركة الياء ، فالتقى ساكنان ، فحذفت أولاهما : ثم قلبت الياء الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها كما في

(١) ١١٩/٣ وما بعدها .

(٢) ١٢٠/١ – ١٢١ .

(٣) ٤

(٤) ٢٣٨/١٨ – ٢٣٩ .

(٥) ٢٧٩/٢ – ٢٨٠ .

(٦) ٢١٩/٢ .

(٧) ٣٤٥ .

(٨) ٢٤٩/١ .

(٩) شرح الشافية : ١١٩/٣ .

ياحل وطائي . ومذهب المازني : أن استحيت أصله استحييت ، فاستثقلوا اجتماع يائين ، فألقوا الأولى منهما تخفيفاً ، وألقوا حركتها على الحاء ، وألزموها الحذف تخفيفاً[1] . وعلل الأخفش حذف الياء بكثرة استعمالهم لهذه الكلمة كما قالوا : « لا أدر » في لا أدري[2] . وسيبويه علل حذفها للتخفيف عند اجتماع الياءين[3] .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم رأينا أن الجمهور قـــرأ « إنَّ الله لا يستحيي أن يضربَ مثلاً ما »[4] بياءين والماضي استحيا – وتلك لغـة الحجاز . وقرأ ابن كثير[5] في رواية شبل ، وابن محيصن ويعقوب : يستحي – بياء واحدة وهي لغة بني تميم ، وعليه قول الشاعر :

(ألا تستحي منا ملوك وتتقي)

والماضي : استحى كما عزا : صاحب الخزانة قراءة حذف الياء إلى يعقوب وابن محيصن[6] ، كما نسبها ابن خالويه إلى ابن كثير وابن محيصن[7] .

ومن هذا نرى خطأ ابن منظور حيث يرى أن القرآن لم يـــنزل إلا بلهجة الحجاز (أي بياءين)[8] كما وقع في نفس الخطأ صاحب المصباح حيث يذكر أن القرآن جاء بلغة الحجاز[9] في هذه الكلمة . بل قرأ بلهجة تميم ابن كثير المكي ، وابن محيصن المكي القرشي ، وكلا القارئين قد خالف لهجته و قرأ بلهجة أخرى ، لأنه ربما تلقاها عن شيوخه ، والقراءة أساسها التلقي والرواية .

٢ – لا تلحق تميم اللام في اسم الإشارة المفرد المذكر والمؤنث في حالة البعد ، بل تلحق بـــه

---

(١) ابن يعيش : ١١٨/١٠ ، الشافية ، ١١٩/٣ .
(٢) اللسان : ٢٣٩/١٨ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) سورة البقرة : آية ٢٦ .
(٥) الهمع : ٢١٩/٢ ، البحر : ١٢١/١ ، النهر الماد : ١١٨/١ .
(٦) الخزانة : ٢٨٠/٢ .
(٧) مختصر شواذ القرآن : ٤ .
(٨) اللسان : ٢٣٨/١٨ .
(٩) المصباح : ٢٤٩/١ .

كاف الخطاب ، لكن الحجاز يلحقون به اللام مع الكاف ، فالتميميون يقولون « ذاك وتيك » للبعيد ، والحجازيون يقولون « ذلك وتلك »[1] وما يقال في « ذاك وذلك يقال في هناك وهنالك » فلغة الحجاز بزيادة اللام : هنالك وجاء القرآن بها في قوله تعالى « هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المؤمنون »[2] ولغة تميم بحذف اللام ، ويقول أبو عثمان المازني عن هذه اللام بأن زيادتها في تلك الصيغ « غير متلبثة ولا مستقيمة ولا كثيرة »[3] وربما أن العرب زادت هذه اللام في تلك الصيغ على لغة الحجاز ، تكثيراً واتساعاً في اللغة ، يقول ابن جني « ولما زادوها في الواحد ، زادوها في الجمع . قال الشاعر :

أولالِك قومي لم يكونوا أشابة وهل يَعِظ الضّليل إلاّ أولا لكا[4]

فالشاعر يريد « أولائك » ويظهر أن هذه اللام كثيراً ما تزاد في اللغة فهم يقولون : « عبدل » — في معنى عبد الله — وقالوا « زيدل » في معنى زيد[5] . فإذا ما قرر جمهور النحاة أن المشار إليه ثلاث مراتب : قربى ووسطى ، وبعدى ، فيشار إلى من في القربى بما ليس فيه كاف ولا لأم ، كذا وذي ، وإلى من في الوسطى بما فيه الكاف وحدها ، نحو ذاك ، وإلى من في البعدى بما فيه كاف ولام نحو « ذلك »[6] عرفنا أنهم يخلطون اللغة الفصحى بلهجات القبائل العربية ، لأنه لا يخلو من أنهم وجدوا صيغاً ثلاثاً في لهجات القبائل ، ففرقوا بينها تارة بالبعد وأخرى بالقرب ، وأحياناً لما بين ذلك .

وقد كان النحاة من أول أهدافهم تقنين القواعد وضبطها ، ولهذا طلعوا علينا بقواعد غير مستقاة من معين واحد ، وإنما كانوا يأتون بالمواد المختلفة لأقوام مختلفين لينسجوا منها قاعدة أو قانوناً ، ومن أجل هذا كثر الشذوذ في قواعدهم حينا ، والندور في قوانينهم أحياناً ، ولا شك أن التعقيد والتقنين ظاهرة من ظواهر العقل المنطقي ، واللغة في حياتها لا تخضع لمثل هذا .

ويرى المستشرق — رابين — Rabin أنه يرفض هذا التوزيع اللهجي في اسم الإشارة أي

---

(١) الأشموني : ١٤٢/١ ، حاشية الصبان على الأشموني : ١٤٢/١ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ١١ .

(٣) المصنف لابن جني : ١٦٥/١ ط أولى .

(٤) المنصف : ١٦٦/١ .

(٥) المنصف : ١٦٦/١ .

(٦) ابن عقيل : ١١٨/١ .

أنه يعارض النحاة في أن : « ذلك وهنالك » لهجـة الحجاز ، وأن ذاك وهناك – لتميم ، وحجته : أنه وجد « ذاك وهناك » في كثير من الأدب الحجازي ، وفي شعر شعراء من الغرب من بينهم بجير بن غنمة الطـائيّ حيث يقول :

« ذاكَ خليلي وذو يواصِلني »[1]

والدكتور – رابين – يعترض على التوزيع اللهجي في تلك الظاهرة بالشعر ، وهـذا مما لا يسلم له به ، إذ أن الشعر له أسلوبه الخاص ، وقد تقع الظاهرة في الشعر ، ولا يصح أن تقع نفسها في النثر ، فإذا ما أراد أن يحتج لمذهبه فعليه بالنثر ، وهذا صائح من جانب القبر يعلن التفرقة بين أسلوب الشعر والنثر حيث يقول في الحاق الهـاء على مثل : حائض – وطاهر – وطامث وطالق « وربما أتى بعض هذا بالهـاء في الشعر وليس ذلك بحسن في الكلام »[2] أو قوله « السكين : ذكر ، وربما أنث في الشعر »[3] ، فللشعر لغته الخاصة كما له خضوعه للوزن والقافية ، بل للشاعر أن يتحلل من قيود اللغة ، ولكن الناثر يحرمها على نفسه ، فالشاعر الطائي الذي احتج به « رابين » استعمل (ذاك) ، وهي لهجة تميمية ، ومن ثم قدح رابين في توزيع الظاهرة ، ولكن الشاعر اضطر في نظري اضطراراً لتلك الصيغة ، بدليل أنه لو نطق بها على لهجته لا نكسر الشعر .

٣– نصت الروايات على أن العرب استعملت ألفاظاً ألحقت بالمثنى منها : « اثنان » للمذكرين ، و « اثنتان » للمؤنثتين، وذلك في لهجة الحجاز[4] .

وفي التصريح أن ثنتان – جاءت على لغة تميم[5] . فكأن اللهجة الحجازية تزيد همزة الوصل في تلك الصيغة بينما تميم تحذفها ، وهذا مما يتفق والمظاهر العامة لكلتا اللهجتين ، إذ أن الحجاز، وهي بيئة أغلبها متحضر تميل إلى نطق الأصوات كاملة غير منقوصة ، بينما تميم – وأغلبها يعيش عيشة البدو تميل إلى السهولة والسرعة في النطق لهـذا حذفت همزة الوصل ، فلهجة الحجاز جاءت بهـا كاملة قد أخذت حقها من الوفاء والتمام ، بعكس صيغة تميم التي جاءت محذوفة .

---

(١) Ancient ... Rabin, p. 154 .

(٢) المذكر والمؤنث : للفراء : ص ٣٠ ط الأولى حلب .

(٣) المرجع السابق .

(٤) شذور الذهب : ٧٦/١ - ٧٧ .

(٥) التصريح على التوضيح : ٢٦٩/٢ .

ومما يستأنس به في مثل ذلك ، ما جاء في النهر الماد من البحر المحيط أن الحسن قـــرأ « سأوريكم دار الفاسقين »[١] بواو ساكنة بعـــد الهمزة على ما يقتضيه رسم المصحف ووجه أبو حيان هذه القراءة ـ نقلا عن ابن جني ـ من أنه أشبع الضمة ومطها فنشأ عنها الواو[٢] ، وفي مخطوطة المحتسب أن أصلها سأرئيكم ـ ثم خففت الهمزة بحذفها ، والقاء حركتها على الراء فصارت « سأريكم » فالواو لا وجه لها ، إلا أن له وجها ما : وهو يكون أراد ساريكم ـ ثم أشبع ضمة الهمزة ـ فأنشأ عنها واوا ، فصارت ساوريكم[٣] ـ ويرى أبو حيان احتمال الواو في الآية الكريمة وفي هذا الموضع ، لأنه موضع وعيد وإغلاظ ـ فمكّن الصوت[٤] فيه . وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ الحروف عنه عدد وافر من كلام العرب ـ من ذلك قولهم : بينا زيد قائم جاء عمرو ـ والمراد ، بين أوقات زيد قائم جـــاء فلان ـ فأشبع الفتحة فأنشا عنها ألفا ، وإذا كان أبو حيان قد نسب قراءة الإشباع إلى الحجاز ، بل قال « وهي أيضاً في لغـة أهل الأندلس كانهم تلقفوها من لغة الحجاز ، وبقيت في لسانهم إلى الآن »[٥] فمعنى هذا أن بيئة الحجاز كانت تحافظ على إعطاء كل صوت حقـــه ، بل أزيد ممّاله ، « وذلك لأن البيئة الحضرية ـ ومنها الحجازية تتطلب الدقة في معظم مظاهرها الإجتماعية ومن بينها اللغــــة[٦] ، ولذلك فهم يحسنون أداء الأصوات ووضوحها .

ثانياً : الحذف والزيادة في منطاق القبائل العربية غير الحجازية والتميمية :

١ ـ نقل أبو حيان في تفسيره عن الزمخشري : أن الإجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغـة هذيل ، وأنشد الطبري :

كفـــاكَ كفٌ مـــا يليق درهمـــا   جودا وأخرى (تعط) بالسيف الدما[٧]

---

(١) الأعراف : آية ١٤٥ .

(٢) النهر الماد : ٣٨٨/٤ .

(٣) المحتسب لابن جني : ٣٢٠/١ مخطوط في تيمور .

(٤) البحر المحيط : ٣٨٩/٤ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) في اللهجات العربية : ١٢٥ ط ٢ .

(٧) البحر : ٢٦١/٥ ـ ٢٦٢ ، تفسير الطبري : ٤٧٩/١٥ .

ويرى الألوسي أن حذف الياء في مثل ما تقدم ضرورة [1] ، إذ لم يتقدم عليها جازم حتى يحذفها ، ونحن هنا أمام موقف محير ، موقف القائلين بالضرورة ، وموقف القائلين بانها لهجة عربية لهذيل ، ولكني أرجح أنهـــا لهجة هذيل ، وليست من الضرورة في شيء ، والدليل على ذلك :

(أ) قـــرأ النحويّان ونافع قوله تعالى « يوم يأت لا تكلّم نفسٌ إلاّ بإذنه » [2] ياتي بإثبات الياء وصلاً وحذفها وقفاً . وابن كثير بإثباتها وصلاً ووقفاً ، وهي ثابتة في مصحف أبيّ ، وقرأ باقي السبعة بحذفها وصلاً ووقفاً [3] .

(ب) ما جاء في الإتحاف من أن الياءات المتطرفة كقوله تعالى « الداع والجوار » و ـ يات ، والليل إذا يسر ، دعائي ، أخرتني « أثبتها بعض القراء ، مراعين الرسم كيعقوب ، وهي لغة الحجازيين ، ومنهم من يحذف هذه الياء كخلف وهي لغة هذيل [4] .

(ج) ما جاء عن العرب من قولهم : أقبل يضربه لا يألُ [5] « بحذف الواو ، والاكتفاء بالضمة على اللام ، وقولهم « لا أدرِ »[6] بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة على الراء وقولهم : ما أدرِ ما تقول »[7] ، وقولهم « لا أبالِ » بحذف الياء والاجتزاء بالكسرة عن الياء[8] .

(د) وردت بعض القراءات بحذف اليـــاء والإكتفاء عنها بالكسرة كقوله تعالى « يوم ينَادِي المناد »[9] وقوله « اتمدونن بمال » [10] وأصلها : المنادي ، أتمدونني فإذا كان القرآن

---

(١) الضرائر : ١٧٥ للألوسي .

(٢) سورة هود : آية ١٠٥ .

(٣) البحر المحيط : ٢٦١/٥ - ٢٦٢ .

(٤) الإتحاف : ١١٣ .

(٥) مقدمتان في علوم القرآن : مباني : ١٣٨ .

(٦) اللسان : ١٤/١٨ .

(٧) تفسير الطبري : ٤٧٩/١٥ ، والجاسوس : ٣٤٢ .

(٨) البحر : ٢٦١/٥ .

(٩) سورة ق : آية ٤١ .

(١٠) سورة النمل : آية ٣٦ .

الكريم قد نطق بتلك اللهجة والقرآن ليس شعراً حتى نقول إنــه حذف الياء وأبقى الكسرة دليلاً عليها ـ ضرورة ـ ثم ما تقدم من كلام العرب النثري والذي حدث فيه مثل هذا الحذف ـ والنثر لا يمكن أن يكون محطًّا للضرورات . ومن هنا نرى أن هذا الحذف في هذيل ـ كما عزاه القراء . بينما إثبات هذه الياءات هي لهجة الحجازيين ـ ومعنى ذلك أن الحجاز كانت تنطق بالصيغة كاملة وافية لا حذف فيها ولا حَيْف ـ ولهذا أخالف الأستاذ برجشتراسر حيث يرى « أن الكسرة الممدودة الانتهائية كانت تقصر في لهجــة الحجاز »[1] ، ومما يؤيدني في الرأي قول صاحب الإتحاف في إثبات هذه الياءات والاتيان بالصيغ الكاملة « ويعقوب وغيره يثبتون اليـــاء في الحالين ـ (أي حالة الوصل والوقف) على الأصل وهي لغــة الحجاز »[2] والسبب في أن الحجازيين يأتون بالصيغ الكاملة تامة أنهم أهل حضر غالباً والحضري معنى بتحسين النطق وتخير العبارات حتى ينال ما يشتهي من طموح ومركز اجتماعي ، لهذا يعمد إلى وضوح الكلام وحسن أدائه كما يبدو أن ظاهرة الحذف في هذيل لم تكن مقصورة على الآخر ـ بل وجدت عندها أنماط شتّى للحذف فقد تحذف حيناً عين الكلمة :

١ ـ ومن ذلك ما رواه صاحب المخصص عن أبي زيد « الرائد ـ الذي يرسل في التماس النجعة ، والجمع رُوّاد وفي شعر هذيل : رادٌ ـ أي رائد »[3] ، وقد يفهم من رواية أبي زيد أن ذلك الحذف خاص بالشعر ، ولكن ينفي هذا ما جاء في اللسان « ونحو هذا (أي الحذف) كثير في لغتها »[4] أي في لغة هذيل ، ولعل هــذا الحذف يشبه ما جاء في اللغة من قولهم « لاثٌ ، وشاكٌ سلاحه ـ والأصل لائث وشائك ـ بحذف الهمزة ، وجــاء في العباب « ونبات لائث ولاث »[5] فكذلك « راد » في هذيل : أصلها « رائد » على وزن فاعل ، ولكن هذيلاً آثرت حذف العين منه ، ولهـــذا جاء عن ابن منظور « رجل رادٌ بمعنى رائد »[6] ، والدليل على أن (رادا) تستعمله هذيل في رائد ـ ما جاء في شعر الهذلي أبي ذئيب :

---

(١) التطور النحوي : ٤٤ .

(٢) الإتحاف : ١١٣ .

(٣) المخصص : ١٣/١٥٠ .

(٤) اللسان : ٤/١٦٩ .

(٥) شواهد الشافية : ٤/٣٦٩ .

(٦) اللسان : ٤/١٦٩ .

فبـــات بجمـــع ثم تمّ إلى مـــنىً   فأصبح رادا يبتغي المزْج بالسَّحْل[1]

كما استعملت هذيل « سارها »[2] في « سائرها » . وقد تحذف حيناً فاء الكلمة :

وذلك في قولهم : يَتَقِي — ويَتَخِذ — بفتح التـــاء فيهما ، وأصلها ، يتّقي ، ويتّخذ بالتشديد فيهما — فقد حذفت فاء الفعل من « اتقيت » ، وبقيت تاء افتعلت وكذلك حدث في يتخذ — بفتح التاء قال الزجاج « أصل تخذ اتخذ — حذفت التاء منه »[3] ولعل هذا الحذف في هذيل — إنما جاء تخفيفاً حتى يتمكنوا من الإسراع في نطق الكلمة ، ولقد جاء في ديوان هذيل ما يشير إلى تلك الظاهرة قال ساعدة الهذلي :

يَتَقِي به نَفَيانُ كلّ عشية   فالماء فوق متونه يتصبّب[4]

وجاء عن الشاعر نفسه في مكان آخر في ديوان قبيلته :

ولو أن الذي يُتَقَى عليــه   بضحيان أشمّ به الوعول[5]

كما أورد ابن جني على هذه اللغة — وإن كان قد أهمل عزوها — قول خفاف :

جلاها الصّيقلون فأخلصوها   خفافاً كلهُا يَتَقِي بأثْر[6]

وكانوا يحذفون في الأمر أيضاً كما جاء في كتاب السيرافي :

زيادتنـــا نُعمانُ لا تنسينّهـــا   تَقِ الله فينا والكتاب الذي تتلو[7]

والأصل : اتّق : حذفت التاء الساكنة ، وبقيت التاء المتحركة ، فاستغني عن ألف الوصل

---

(١) المرجع السابق ، كتاب أشعار الهذليين : ٩٥/١ وفي ديوان الهذليين : ٤١/١ « رأدا » بالهمز .

(٢) ديوان الهذليين : ٢٤/١ .

(٣) الشافية : ٢٩٣/٣ .

(٤) ديوان الهذليين : ٦٩/١ .

(٥) ديوان الهذليين : ٢١٨/١ .

(٦) الخصائص : ٢٨٦/٢ .

(٧) شرح السيرافي على سيبويه : ٥٩٩/٦ .

وأسقطت ، واسم الفاعل على لغتهم مُتَقٍ ـ بفتح التاء ، والأصل مُتّقٍ ـ بالتشديد أي بتاءين. كما استشهد صاحب الخصائص للحذف في الماضي بقول أوس :

(تَقَاكَ بكعب واحد وتلَذُّه)[1]

وأصله « اتّقاك » فحذف فاء الفعل ـ وهو التاء الأولى . وهذا الحذف لغة لهذيل[2] وجاء هذا الحذف في صيغة (اتَّخذت) وشاهدها ما جاء في ديوان هذيل من قول أبي جندب :

تخذتُ غَرَازَ إثرهمُ دليلاً وفرُّوا في الحجاز ليعجزوني[3]

وأصلها : اتخذ ـ حذفت منه التاء كما في اتّقى .

وإذا اتجهنا إلى كتاب الله وجدنا في قراءاته شاهداً للهجة هذيل وذلك في قراءة ابن كثير وأبي عمرو لَتَخِذت عليه أجراً[4] . بتخفيف التاء بلا ألف وصل قبلها وكسر الخاء . قال أبو عبيد « وهي لهجة هذيل »[5] . كما قرأ بلهجة هذيل هذه - ابن مسعود والحسن[6] . ولا شك أن ابن مسعود - من قبيلة هذيل فتكون قراءته قد وافقت لهجته . وقد قرأ باقي القراء بتشديد التاء وفتح الخاء[7] ـ أي بلا حذف وعليها قرىء آيات كثيرة منها : اتخذوا أيمانهم جنة » ، « واتخذوا آياتي » ، « ومن الناس من يتخذ » - فكلها قرئت على غير لهجة هذيل . ولقد وجدت عند بعض القبائل العربية حذف الواو والياء ـ والاكتفاء بالضمة في حالة حذف الواو ، وبالكسرة في حالة حذف الياء ، ومما يؤيد ذلك :

أولاً : أن العرب تسقط الواو وهي واو جماعة اكتفاء بالضمة قبلها فقالوا في « ضربوا » قد ضربُ ، وفي قالوا : قد قالُ ، وأنشد للفراء :

إذا (ما شاءُ) ضروا من أرادوا ولا يألو لهم أحد ضرارا

---

(١) الخصائص : ٢/٢٨٦ .

(٢) ديوان الهذليين : ١/١٦٩ حاشية .

(٣) ديوان هذيل : ٣/٩٠ . والنص في السكرى « غران » وهو واد ضخم بالحجاز بين ساية ومكة .

(٤) سورة الكهف : آية ٧٧ .

(٥) إبراز المعاني : ٣٨٥ .

(٦) البحر المحيط : ٦/١٥٢ .

(٧) إبراز المعاني : ٣٨٦ .

كما أنشد الكسائي :

متى (تقولُ) خلتْ من أهلها الدار　　　كأنهم بجناحَيْ طائرٍ طاروا[1]

فحذف الواو من « شاؤا » والواو من « تقولوا » .

وجاء في الخزانة :

ولو أن الأطبا (كانُ) حولي　　　وكان مع الأطباء الأساة[2]

وورد في همع الهوامع :

« هلع إذا ما الناس (جاعُ) وأجدبوا »[3]

كما أن بعض العرب تحذف ياء التأنيث اكتفاء بالكسرة ومنها قول عنترة :

إنّ العدوّ لهم إليك وسيلة　　　إن يأخذوكِ تكحّلي وتخضّبِ[4]

وقد عزا الفراء تلك الظاهرة إلى هوازن وقيس – وهذا يؤيد ما نذهب إليه ، فهوازن من قيس وهي من القبائل الضخمة التي سكنت في مواضع متعدده من نجد – وقيس كانت تتناثر ديارها بين نجد والحجاز – وأكثرها قبائل متبدّية تميل إلى هذا الحذف الذي قررته ، ويظهر أن هذا الحذف كان يشمل مناطق بدوية أكثر مما ذكره الفراء ، فسيبويه يرى أن هذا الحذف كان عند ناس كثير من قيس وأسد[5] ، بل يظهر أن مناطق شاسعة من قيس وأسد كانت تحذف الواو والياء – وهما علامة المضمر لا سيا في القافية ، ودليل ذلك : أن سيبويه سمع منهم من ينشد :

١ – طافت بأعلاقه خَوْدٌ يمانية　　　تدعو العرانين من بكر وما جمعْ

(١) معاني القرآن للفراء : ٩١/١ .

(٢) خزانة الأدب للبغدادي : ٣٨٥/٢ .

(٣) الهمع : ٥٨/١ .

(٤) معاني القرآن للفراء : ٩١/١ ط دار الكتب .

(٥) الكتاب : ٣٠١/٢ – ٣٠٢ .

٢ – وقول عنترة :

(يادار عبلة بالجواء تكلمْ)[١]

وأنشد السيرافي للخزر بن لوذان :

٣ – كذب العتيقُ ومـــاء شنّ بارد   إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهب[٢]

وأصل الكلام في البيت الأول : وما جمعوا ، والبيت الثاني : تكلمي – وهو لعنترة وعنترة من عبس من ذبيان التي ينتهي نسبها إلى قيس – تلك التي يشيع فيها ظاهرة الحذفِ ، على أنه قد سمعت نغمة أخرى ترى أن مثل هذا الحذف الذي عزي إلى قيس وأسد وهوازن – ليس بلهجة وإنمـــا هو ضرورة شعرية[٣] . ولكنني أردت سبر غورهم فوجدت الحق بجانبهم ، لأنني عثرت على شواهد نثرية – لا يمكن أن يقال بأنها جاءت ضرررة ، لأنه لا ضرورة في النثر فمن ذلك :

١ – قـــرأ بعض القراء : « سندع الزّبانية » ، وقوله تعالى « ويدع الإنسان بالشر »[٤] وأصلها : سندعو ، ويدعو – فحذفت الواو ، وأبقيت الضمة دليـلا عليها .

٢ – كما أورد صاحب الكشاف في سورة المؤمنين شاهداً لقراءة من قرأ « قد أفلحُ المؤمنون » بضم الحاء اجتزاء بالضمة عن الواو ، والأصل « أفلحوا المؤمنون »[٥] ، كما نقل ابن هشام في المغني قراءة يحيى بن يعمر قوله تعالى : « على الذي أحسنُ » بالرفع ، وأصله «أحسنوا» كما قرأ ابن محيصن « لِمَنْ أراد أن يتمُّ الرضاعة »[٦] والأصل « يتموا » .

٣ – وحكى السيوطي قائلا « من العرب من يقول « الزيدون قامُ »[٧] .

(١) سيبويه : ٣٠٢/٢ .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٤٧٨/٥ مخطوط .

(٣) خزانة الأدب : ٣٨٥/٢ .

(٤) معاني القرآن للفراء : ٩١/١ ، خزانة الأدب : ٣٨٥/٢ .

(٥) حاشية الصبان على الأشموني : ١١٢/١ .

(٦) خزانة الأدب : ٣٨٥/٢ .

(٧) الهمع : ٥٨/١ .

٤ – ورد أن حذف الواو والاكتفاء عنهـــا بالضمة ظاهرة سامية عامة وجدت في الحبشية والعبرية والآرامية[٤] .

فهذه أدلة قاطعة من قراءات القرآن – الذي هو مرآة صافية للهجات العرب – يليه مثال من النثر ، ولا ضرورة في القرآن ، ولا في النثر .

٥ – كما أنها انتشرت وذاعت في لهجاتنا الحديثة مثـــل « الضيوف كان هنا وخرج » وهذا الانتشار يقطع بأنها لهجة لا ضرورة .

بقي سؤال قد يرد مؤداه: إذا كانت هذيل من القبائل الغربية التي سكنت منطقة الحجاز – فلم لم تسر في ركب الحجازيين من إتمام الصيغ وكمالها وعدم الحيف بها ؟ والجواب : أن هذيلا طالما خالفت الحجاز في لهجتها وقد سبق أنها تقول : عصي ، والحجاز عصاي ، وأنها تقول : بيضات وعورات – بفتح العين بينما الحجاز تسكن العين في مثل هذا – فلا ضير أن نراها هنا مخالفة للمنطقة التي تعيش فيها ، ثم إن مخالفتها في كثير من الظواهر اللهجية للحجاز – وهي منها – دليل قاطع على أن تقسيم اللهجات إلى شرقية وغربية ، وأن ظواهر الشرقية تخالف الغربية – لا يستقر ولا يثبت لأننا نجد قبيلة كهذيل – وهي تعيش في منطقة الحجاز ، تغاير لهجتها لهجة الحجاز .

فهذا إن دل فإنما يدل على أن لهجة هذيل لها مكانة متميزة بين اللهجات العربية – وربما نشأ هذا من مجتمعها القلق ، إذ أن بعضه كان حضرياً يشتغل بالتجارة ، والآخر كان بدوياً يحتمي فيه الصعاليك والقراصنة ، والذين يعيشون على قنن الجبال للقنص ، واشتيار العسل ، والشذوذ الاجتماعي يخلق شذوذاً لغوياً ، لأن اللغة ما هي إلا مظهر من مظاهر المجتمع ، والدليل على أن هذيلا كانت تختصر الكلم زيادة على ما تقدم – ما جاء من أنهم كانوا يقولون : اللذ – في الذي . واستشهد لها بقول الهذلي :

فكنت والأمر الذي قد كيدا   كاللّذ تزبىّ زبية فاصطيدا[٢]

ويمكن تعليل اللّذ – الهذلية بأنها تقصير من الصيغة الطويلة وهي : الذي ، ومن تقصير هذيل

---

(١) Noldeke, die Endungen des perfekts. p. 15. Strassburg. 1909 .

(٢) الخزانة : ٤٩٨/٧ ، اللسان : ٣٤٢/١٠ وانظر أمالي الشجري : ٣٠٥/٢ .

ما ذكره الكسائي حيث قال « سمعت هذيلاً تقول (هم اللاؤ فعلوا كذا)[1] مكان « اللاءُوْن » فصيغة هذيل مختصرة . وذكر ابن الشجري قول الهذلي :

(هم اللاءُوْن فكّوا الغلّ عنيّ)[2]

وصيغتها تامة ، وأرى أنها استعملت في منطقة هذلية غير المنطقة التي تنطق بالاختصار والحذف ، ومن العجيب أن صيغة « اللاؤن في الرفع ، واللائين في النصب والجر ـ قد استعملت كجمع لكلمة ـ الذي في هذيل[3] ـ وهذا يشير إلى أن هذه الاستعمالات من البقايا القديمة التي وقفت وتجمدت ولم تساير بقية التطور اللغوي ، ويشير أيضاً إلى ما ذكرته آنفاً من أن لهجة هذيل لها مكانة متميزة مخالفة لبقية اللهجات العربية . وربما أن بعض العلماء رأوا أن مثل هذا الحذف ضرورة ، ويفهم هذا من قول أبي حيان ورده على من زعم ذلك « ومن ذهب إلى أن ما ذكر أي من الحذف ... خاص بالشعر فمذهبه فاسد ، لأن أئمة العربية نقلوها على أنها لغات جارية في السعة »[4] . كما أن البغدادي عـــزا حذف النون من الذين واللذون واللتان ـ إلى بني الحارث بن كعب ، وبعض بني ربيعة ، واستشهد لها بقول الأخطل :

هما اللتا لو ولدت تميم لقيل فخر لهم صميم[5]

وما قاله الفرزدق :

أبني كليب إن عمَّيَّ اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا[6]

كما حذفت النون من اللذون ـ في قول أمية بن الأسكر الكناني :

قومي اللذو بعكاظ طـــيروا شررا من روس قومك ضرباً بالمصاقيل[7]

---

(١) أمالي الشجري : ٢/٣٠٨ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) أمالي الشجري : ٢/٣٠٨ .
(٤) الهمع : ١/٨٢ - ٨٣ .
(٥) الخزانة : ٢/٥٠٣ ، التصريح : ١/١٣٢ .
(٦) التصريح : ١/١٣٢ ، حاشية عبادة على الشذور : ١/١٥٧ ، ليس في كلام العرب : ٦٤ .
(٧) خزانة الأدب : ٢/٥٠٣ .

كما حذفت النون من الذين ـ واستشهد لها أبو العباس ثعلب بقول الحارث ابن وعلة :

فإن ظفـر القوم الذي أنت فيهم   فآبوا بفضلٍ من سناء ومن غنم[1]

كما استشهد البغدادي بقول الشاعر :

وإن الذي حانت بفلجٍ دماؤهم   هم القوم كلّ القوم يا أمّ خالد[2]

ويظهر أن البصريين كعادتهم قالوا بأن هذا التقصير والحذف ضرورة ـ وهكذا كلما رأى البصريون شيئاً يخالف نظمهم وقواعدهم حكموا عليه بالضرورة ـ والضرورة مركب سهل عندهم وعللوا هذا الحذف « تخفيفاً لاستطالة الموصول بالصلة »[3] أما عند الكوفيين ، فالحذف عندهم لغة ـ طالت الصلة أم لم تطل ـ حكاه عنهم ابن الشجري في أماليه[4] وهذا يدل على نظرة كل من الفريقين إلى اللهجات . والذي أراه أن هذه اللهجة عزيت إلى بني الحارث بن كعب ، وبعض ربيعة ـ فإذا كان الذي تكلم بها من هذه القبائل ـ فهي لهجته فالبيت الأول للأخطل ـ وهو من تغلب وتغلب من ربيعة[5] والبيت الثاني الذي عزي إلى الفرزدق ـ غـير صحيح ، وقائله الأخطل أيضاً[6] ، لأن رواة الأخبار اتفقوا على أن عميه اللذين افتخر بهما ـ هما من بني تغلب[7] ، وتغلب قوم الأخطل لا الفرزدق . فالأخطل عندما يختصر هذه الصيغ ـ فإنما يتكلم على عادة لهجته ـ لأنه تغلبي من ربيعة . وربيعة فيها تلك الظاهرة .

أما إذا تكلم بها أمية بن الأسكر وهو كما قال صاحب الأغاني ـ ابن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سرابيل الموت بن زهرة .... بن كنانة ابن مدركة .... بن إلياس بن مضر[8] . فتكون في شعره ضرورة لأنه لم ينص على أن قبيلته تختصر مثل هـذا . فالظاهرة قد تكون ضرورة وقد تكون لغة ـ ولكن يجب أن يعلل لها وأن يبحث عن اتجاهها . وقد حمل على

---

(١) مجالس ثعلب : ٤١٣/٢ .

(٢) الخزانة : ٥٠٧/٢ .

(٣) الخزانة : ٤٩٩/٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الشعر والشعراء : ١٨٩ تحقيق السقا .

(٦) المفصل للزمخشري : ١٤٣ .

(٧) خزانة البغدادي : ٤٩٩/٢ .

(٨) خزانة البغدادي : ٥٠٣/٢ .

لهجة ربيعة وبلحارث قوله تعالى « مثلهم كمثلِ الذي استوقدَ ناراً فلمّا أضاءتْ ما حوله ذهب الله بنورهم » فقد قيل : إن المعنى « كمثل الذين استوقدوا ناراً – فلذلك قيل : ذهب الله بنورهم . فحمل أول الكلام على لفظ الواحد – وآخره على الجمع »[1]

وأرى أن « الذي » وهو مفرد ، يؤدي معنى الجمع لإبهامه .

أما عزو هذه الصيغ المختصرة لبلحارث بن كعب وبعض ربيعة فهو يتفق وما نذهب إليه ، لأن بلحارث قبيلة يمنية وأكثرهم بدو ، وربيعة بعضها حضري والآخر بدوي وتلك الظاهرة تناسب البدوي من ربيعة . وهذا التخريج يتفق مع قول البغدادي حين عزا هذه اللهجة « لبلحارث وبعض ربيعة »[2] وحين عزاها الأزهري في قوله : « بلحارث بن كعب أجمعون . وبعض ربيعة »[3] ويتفق كذلك مع صاحب ارتشاف الضرب حيث عزا إثبات النون في هذه الصيغ للحجاز[4] . ماذاك إلا لأن الحجاز أغلبها حضر – والحضري يتأنقّ في ألفاظه ، ويؤديها كاملة تامة .

ثانيا :

ومما يدل على أن القبائل البدوية تميل إلى السرعة في حديثها فتسقط بعض أجزاء الكلمة أو تخطفها فتحيف بها وتنقصها من أطرافها ما أثر عن طيء :

(أ) حيث ذكر الخليل أن القطعة في طيء كالعنعنة في تميم وهو أن تقول « يا أبا الحكاْ » وهو يريد « يا أبا الحكم » فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة[5] ونقل ابن منظور في اللسان ما يشبه هذا النص[6] وهل معنى هذا أن طيئاً كانت تقطع الميم وحدها كما في « يا أبا الحكم » ؟ أو أنها كانت تقتطع الحرف الأخير أياً كان . وشبهة أخرى وهي هل كانت هذه القطعة أو هذا الحذف في طيء وحدها أم كانت تشاركها بعض القبائل غيرها ؟ وهل هذا الحذف خاص بالترخيم ؟

---

(١) أمالي الشجري : ٣٠٧/٢ .

(٢) الخزانة : ٥٠٣/٢ .

(٣) التصريح : ١٣٢/١ .

(٤) ارتشاف الضرب : ٦٤/١ مصور بالدار رقم ٦١٥٦ هـ .

(٥) العين للخليل ٦١ ط بغداد .

(٦) اللسان : ١٥٩/١٠ .

والإجابة عن هـــذا أرجح أن الأخطاء السمعية التي تنشأ عن ضعف بعض الأصوات مما يؤدي بالتالي إلى سقوط هذه الأصوات في أثناء انتقالها من السلف إلى الخلف ، والفضل يرجع إلى الأستاذين (روسلو وميّيه) Rousselot و Meillet في اكتشاف هذا العامل[1] وإذا أردنا تطبيق هذا القانون على لهجة طيء وجدنا أنها تحذف آخر الكلمة ، وآخر الكلمة دائماً محط تغيير ، ولهذا يتضاءل جرس الصوت شيئاً فشيئاً حتى يفنى ، وحتى لا يسمعه السامع فيكون عرضة للسقوط ،فطيء كانت تميل إلى الحيف على آخر الكلمة لهذا السبب ، وليس خصوص الميم ، ولعل الراوي صادف سماع هذا النص الذي به الميم فقط – أو لعل الميم كانت أكثر حذفاً من غيرها ، ويمكن أن يعلل لحذفها – بأنها من أكثر الأصوات شيوعاً في اللغة العربية والشيء كلما شاع وتداول – كان عرضة للتبديل والتحوير ، وقد لاحظ الفراء مثل هذا حيث علل حذف الحرف في « بسم الله الرحمن الرحيم » إلى كثرة الاستعمال والشيوع – ألا ترى أنك[2] تقول « بسم الله » عند ابتداء كل فعل تأخذ فيـــه ؟ وإذا كان الأمر كذلك لم يكن الحذف في طيء خاصا بالترخيم كما يرى النحاة بل كان عاماً فيها ، ومن العجيب أننا سمعنا صدى هـــذه القطعة المعزوة إلى طيء في منطق شعراء غير طائيين فمن ذلك قول الشاعر :

١ – خذوا حذركم يا آل عكرمَ واحفظوا   أواصرنا والرّحم بالغيب تـذكر[3]

والأصل عكرمة . وقول الآخر :

٢ – ألا أضحتْ حبالكم رِمامـــا   وأضحتْ منك شاسعةً أماما[4]

وقول الشاعر :

٣ – (درس المنا بمتالعٍ فأبان)[5]   أراد : المنازل . وقول الآخر :

٤ – والقاطنات البيت غـير الريّم   أو الفاً مكة من ورق الحمى[6]

---

(١) نشأة اللغة عند الانسان والطفل ١٥٤ دكتور وافى ط ١ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٢/١ .

(٣) شرح السيرافي على سيبويه : ٢٥٣/١ .

(٤) سيبويه : ٣٤٣/١ .

(٥) الخصائص : ٨٣/١ ط الهلال .

(٦) الضرائر للألوسي : ٦١ .

أراد : الحمام . وقول الشاعر :

٥ — (ليس حيّ على المنون بخال)[١] أراد : خالد . وقول الشاعر :

٦ — كأن إبريقهم ظبيٌ على شرفٍ مُفَدَّم بسبا الكتّان ملثوم[٢]

أراد سباسب .

فالبيت الأول لزهير[٣] والثاني لجرير[٤] والثالث للبيد بن ربيعة[٥] والرابع للعجاج[٦] والخامس لعبيد بن الأبرص[٧] والسادس لعلقمة التميمي[٨] .

فليس شاعر من هؤلاء من طيء — وقد يقول قائل إنهم استعملوا هذا الحذف كضرورة — ولكن الضرورات كما أراها ما هي إلا استعمالات لهجية قديمة ـ تدل على ذكرى قديمة ـ وأثر قديم فيها ـ ومن العجيب أن ديار هؤلاء الشعراء السابقين على قرب من ديار طيء ـ فعبيد بن الأبرص من أسد، وكانت أسد تسكن مكان طيء[٩] ، وزهير من مزينة[١٠] ـ وهم جيران طيء، ولبيد من بني عامر ، وكانوا ينزلون الطائف يتصيفون فيها لطيب هوائها ـ ويتشتون في نجد قرب طيء ، وجرير ، والعجاج كلاهما من تميم ، وكانت بطون تميم تتصل بطيء ، وهؤلاء الشعراء كلهم أو أكثرهم من البدو ـ الذين شاع فيهم سمة حذف الحروف والحركات .

وإن نظرة واحدة في معاجم اللغة لنرى القطعة تتناثر في جنباتها مما يدل على انتشارها في الجزيرة العربية فمن ذلك : احتسب واحتسى ـ بمعنى اختبر ، فالباء قد حذفت ، وهي أشبه

(١) الهمع : ١/١٨١ .
(٢) الخصائص : ١/٨٠ .
(٣) الشنتمري على سيبويه : ١/٣٤٣ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) الدرر اللوامع : ١/١٥٨ .
(٦) المرجع السابق .
(٧) الضرائر للألوسي : ٥٩ .
(٨) شرح السيرافي : ١/٢٥٥ .
(٩) تاريخ العرب : ٣/٤٤٩ جواد علي .
(١٠) الشعر والشعراء : ٤٤ تحقيق السقا .

بالقطعة ، وقولهم : الحصى والحصب ، والشجب والشحى : وهو الحزن ، وكظب وكظا : بمعنى اكتنز لحماً[1] ، وجاء في اللسان : « وقد أقهم عن الطعام وأقهى ـ أي أمسك »[2] .

إذا كانت طيء أصلها من اليمن ـ فأرجح أن مثل هـذا الحذف يوجد في اللهجات اليمنية لا سيما أهل البدو منهم .

فقد سمع الدكتور خليل نامي في تعز وتربة ذبحان أنهم يقولون : يشا ـ يشاء[3] . ويقولون : « موتشا » بضم التاء ـ ما تشاء ـ ماذا تريد[4] . بحذف الهمزة وقريب من هذا اللّخلخانية ، وهي في لغات أعراب الشّحر وعمان ، وهي قولهم : مشا الله كان : يريدون ماشاء الله كان[5] .

وكأن اللّخلخانية هي الإسراع في النطق مما يترتب عليه سقوط بعض حروف الكلمة ، ولعل تلك الصفة قريبة من التحضيح ، جاء في محيط المحيط : حضّح الكلام : قصر فيه ومال به قبل تمامه[6] ، ولكن جاء في الخزانة : « واللخلخانية العجمة في المنطق ، يقال رجل لخلخاني إذا كان لا يفصح »[7] وعن الأصمعي : نظر فلان نظر اللخلخانية ـ أي نظر الأعاجم[8] . كما عزيت هـذه اللخلخانية في الخزانة إلى العراق[9] . وفي الكامل « قوم تباعدوا عن فراتية العراق[10] .... ولذا أرجح أن الفراتية خاصة بأهـل العراق ومعناها العجمة ، واللخلخانية خاصة بأعراب الشحر وعمان ، وهي انتقاض الكلمات من أطرافها كما سبق ـ ولا شك أنها صفة لهجية بدوية يدل لذلك قول الثعالبي المتقدم » وهي في لغات أعراب الشحر وعمان والأعراب هم البدو الذين يتتبعون مساقط المياه ، ومنابت الكلأ ، كما سمع مثل هذه القطعة في مناطق بني

---

(١) سر الليال : ٢٧ للشدياق .

(٢) اللسان : ١٥/٣٩٧ .

(٣) فصلة من مجلة كلية الآداب : ص ١ العدد ١٠ المجلد الأول مايو سنة ١٩٤٨ .

(٤) المرجع السابق : ص ١٠٦ مجلد ١٥ جـ ١ مايو سنة ١٩٥٣ .

(٥) فقه اللغة للثعالبي : ١٧٣ .

(٦) مجلة المشرق : السنة ٦ عدد ١٢ : ١٩٠٣ .

(٧) خزانة البغدادي : ٤/٩٦ .

(٨) شرح درة الغواص : ٢٣٥ .

(٩) الخزانة : ٤/٥٩٦ .

(١٠) المرجع السابق .

سويف والشرقية ورشيد ، والمحـــلة الكبرى . وأبنيّار حيث يقولون « النهار طلا » أي طلع « والنور ظها » يعني ظهر [1] ، كما أن أهل قرية (نيحا الشوف) في جبل لبنان يقولون «أبوحسا» في « أبو حسن » [2] وكثير من الأماكن في رشيد والشرقية يقولون : فين أخوك محمو ، وادّيلُ "خمْسَارو » بدلاً من خمسة قروش . كما تحذف لهجات الجزيرة بالسودان حرف الدال في آخر الكلمات الآتية : عبد ، وعند ، عدد [3] . وإذا كانت القطعة أيضاً في مديرية البحيرة [4] ، فاننا لا نعجب إذا علمنا أن طيئاً لما خرجت من ديارها أخَذَتْ تتنقل شمالاً « حتى هبطت مصر — ونزلت مديرية البحيرة » [5] . فالسمة اللهجية تنتقل مع القبيلة في مسارها ، وفي حلّها وترحالها وقد أخطأ صاحب محيط المحيط حيث رأى أن القطعة التى لطيء ما هي إلا لثغة [6] — والحق أنها لهجة التزمتها القبيلة ، وشتان بين اللغة واللثغة .

(ب) كما أثر عن طيء أنها تحذف الياء المفتوح ما قبلها مع نون التوكيد فيقولون : اخشن ياهند ، وأما اللغة الفصحى فلا تحذف الياء بل تقول : اخشين يا هند . والذي حكى أنها لغة طيء هو الفراء [7] . على أن الفراء جاء عنه في خزانة الأدب نصّ يغاير ما سبق قليلاً — وهو أن طيئاً تحذف الياء الذي هو لام في الواحد المذكر بعد الكسر والفتح في المعرب والمبني » [8] فكأن رواية الخزانة عن الفراء فيها الحذف أشمل وأوسع من الرواية الأولى ، لأن هذه جعلته عاما بعد الكسر والفتح في المعرب والمبني ، واستشهد ثعلب في مجالسه على لهجتهم في الحذف بقول شاعرهم :

إذا قال قَطْني قلتُ آليت حَلْفةً ... تغنن عني ذا إنائك أجمعـــا [9]

---

(١) مميزات لغات العرب : ٢٩ .

(٢) مجلة المقتطف مارس سنة ١٩٣٢ : ص ٣٢٣ .

(٣) من لهجات الجزيرة بالسودان : ١٠٢ خط .

(٤) مميزات لغات العرب : ٢٩ .

(٥) معجم كحالة : ٢/٦٩٠ .

(٦) اللغات : واللثغات للأب أنستاس الكرملي .

(٧) الأشموني : ٣/٢٢٣ .

(٨) الخزانة : ٤/٥٨٠ .

(٩) مجالس ثعلب : ٢/٦٠٦ - ٦٠٧ .

وفي رواية عن الخزانة « لتُغْنِنّ »[1] ، وفي اللغة الفصحى نجد الصيغة كاملة بلا حذف وهي « لتغنيَنّ » . وإذا ما أردنا أن نعرف مَن هذا الشاعر الذي نطق بلهجة طيء أخبرنا البغدادي عن الأصفهاني « أنه حريث بن عنّاب النبهاني – ونبهان من طيء – وهو من شعراء الدولة الأموية وكان بدوياً »[2] ، وقول البغدادي « كان بدوياً » يفسر لنا هذا الحذف – الذي يكثر في البدو دون غيرهم ، ويظهر أن هذا الحذف شمل قبيلة فزارة قال السيوطي : وحذف الياء تلو كسرة (مع نون التوكيد) لغة فزارة . واستشهد لها بقول شاعرهم :

(وابكنّ عيشاً تولىّ بعد جِدّته)

وقوله : (ولا تقاسِنّ بعدي الهمّ والجزعا)[3]

وفي اللغة الفصحى لا حذف في مثل هذا فنقول « ابكيَنّ ، ولا تقاسيَنّ » وقبيلة فزارة وهي قبيلة قيسية ، وكانت منازلها تتردد بين وادي القرى ونجد[4] – فهي إذن عن كثب من طيء – تلك التي تحذف مثل هذا . وفزارة التي نراها تحذف هنا – نرى أنها تحذف أيضاً في بعض الصيغ تخفيفاً فقد عزا إليها الجباني في نوادره أنهم يقولون « لا جر والله لا أفعل ذاك »[5] بينما المعروف في الفصحى « لاجرم » بالصيغة الكاملة التامة وهذا كقولهم : سَوْتَرى : بمعنى سوف ترى – وجاء القرآن الكريم بالصيغة التامة في قوله تعالى : « لاجرم أنهم في الآخرة هم خسرون »[6] فإذا عرفنا أن القطعة قد كثرت في طيء ، بـــل مثلها إلى الحذف على العموم – فلهذا يأخذنا العجب عندما يعزو ابن دريد إلى طيء قول الشاعر :

(حتى كأن الهوى من حيث أنظور)[7]

ويقول : بأن : أنظور – لهجة طيء في أنظر . وسبب عدم أخذي برأي ابن دريد :

---

(١) الخزانة : ٥٨١/٤ .

(٢) الخزانة : ٥٨٨/٤ .

(٣) الهمع : ٧٩/٢ .

(٤) معجم كحالة : ٩١٨/٣ .

(٥) البحر : ٢١٣/٥ ، الدر اللقيط : ٢١٣/٥ .

(٦) سورة هود : آية ٢٢ .

(٧) الجمهرة : ٣٧٩/٢ .

١ – لما تردد من ميل طيء – إلى الحذف في كثرة غامرة تقدم ذكرها .

٢ – أنني لم أعثر على قائل هذا البيت فيما تحت يدي من المصادر الرئيسية كالمخصص[١] واللسان[٢] والخصائص وغيرها[٣] .

٣ – ما جاء عن أبي علي من قوله معلقـاً على « أنظور » التي عزاها ابن دريد لطيء « هو على الإشباع لإقامة الوزن »[٤] وقول أبي زيد « وإنما جاء في الشعر »[٥] والذي أراه أن « أنظور » جاءت لمشاكلة القوافي ، لأن قبل هذا البيت :

الله يعـلم أنـا في تلفتنـا   يومَ الفـراق إلى أحبابنـا صور
وأنني حيثما يدني الهوى بصري   من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور[٦]

٤ – أن هذه الكلمة لم ترد نثراً عن طيء حتى يحكم لها بأنها لهجتهم .

٥ – أن كلمة « أنظور » لو كانت لهجة طيء – لكنا قد سمعنا صداها في لهجات اليمن ، لأن طيئاً من اليمن ، لكن على العكس من ذلك هي في لهجة اليمن بدون مطٍ ومدّ « فهم يقولون في قرية « الترّبة » . حنتر بمعنى : أنظر – وهي من فعل نتر = نطر = نظر »[٧] ولو كانت الصيغة ممدودة مطولة لكانت : حنتور = أنظور ، ولكنها غير ممطولة في لهجة اليمن فدل ذلك على عدم مدها ومطها في طيء وإن جـاء المط فيها كان ضرورة لا لهجة .

وكما رفضت أن تكون « أنظور لهجة لطيء » أخالف أيضاً ما جاء في اللسان من أن « الخاتام » لبني عقيل ، والسبب في ذلك أن بني عقيل بدوية ومن شأنها السرعة وخطف الكلمة ،

---

(١) المخصص : ١/١١٤ .
(٢) ٢٠/٢١٠ وما بعدها .
(٣) الخصائص : ١/٤٢ ، ٣/١٢٤ .
(٤) المخصص : ١/١١٥ .
(٥) المخصص : ١/١١٤ .
(٦) الخصائص : ١/٤٢ وانظر الهامش .
(٧) سمع هذا القول منهم الدكتور خليل نامي : مجلة كلية الآداب جـ ١٥ ص ١٠٦ مايو ١٩٥٣ .

ثم إن الشاهد الذي استدل به الفراء لا يكفي دليلاً على إثبات هذه اللهجة لعقيل وما استشهد به هو :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقاً ... أصمْ في نهـار القيظ للشمس بادياً
وأركبْ حماراً بين سرج وفروة ... وأعرِ من الخاتام صغرى شماليا[1]

فكلمة « الخاتام » يبدو أنها جاءت لضرورة شعرية لا غير ـ لأننا لو قلنا في البيت « الخاتم » بدل « الخاتام » لا نكسر البيت ، ثم إنه لم يرد عن عقيل أنها نطقت بتلك الصيغة في شعر غير هذا ، ولا نثر ، ولهذا هو بالضرورة أشبه ، ولهذا يقول ابن جني « والعرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب كاشباع الفتحة فيتولد من بعدها الألف[2] وربما أن مرد هـــذه الصيغ إلى خطأ الأطفال لا سيما في البيئات البدوية حيث لا يجدون من يصحح أخطاءهم وهكذا تستقر في منطقهم وتأخذ مكانها تحت الشمس . ومثل خطأ الأطفال السابق ما جاء في الاقتضاب من أن الأنملة والأصبع فيها تسع لغات ، ثم زاد في الإصبع لغة عاشرة وهي : الأصبوع[3] . ولعل السبب في مطل الحركة في « الخاتام » و « أصبوع » أن النبر وقع فيهما على المقطع الأخير ، ونبر هذا المقطع يقتضي إطالة الحركة حتى يبرز الصوت ، وأصلها « خاتم وأصبع » ومما يدل على ارتباط وقوع النبر على المقطع الأخير بإطالة الحركة قراءة سعد بن المسيب وعكرمة قوله تعالى « عرّاف بعضه وأعرض عن[4] بعض » مكان « عرّف » وقد عزا ابن خالويه هذه القراءة إلى لهجة اليمن[5] .

(جـ) ومن أمثلة الحذف مارواه ابن منظور لأعرابي من بني نمير أنه قال « ينحِطْنَ بن الجبل »[6] وما عزاه صاحب التصريح من قولهم : ظِلت ومست وأحَسْت وأنه لغة سليم[7] ولتفسير هذا الحذف نرى أن الفعل أصله : ظللت ومسست وأحسست ، ويظهر أن القبائل العربية

(١) اللسان : ١٥/٥٤ .
(٢) سر الصناعة : ١/٢٧ .
(٣) الاقتضاب : ٢١٠ للبطليوسي .
(٤) سورة التحريم : آية ٣ .
(٥) مختصر شواذ القرآن : ١٥٨ .
(٦) اللسان : ٦/٣٩٤ .
(٧) التصريح : ٢/٣٩٧ .

كانت تختلف في نطق مثل هـــذه الأفعال ـ فبعضها كان ينطقها تامة كاملة : مثل الصيغ السابقة ، وبعض كان ينطقها بحذف لامها مع نقل حركة العين إلى الفاء مثل : ظِلت . والبعض الآخر كان يحذف لامها مع ابقاء الفاء على حركتها مثل ظَلت ، وسيبويه كان يرى شذوذ هذه الصيغ المحذوفة[1] ومن ثم فلا يقاس عليها . وكلامه مردود لأنه متى ثبت أنها لهجة عربية ـ فلا بأس أن يقاس عليها . والناطق على قياس لغـــة من لغات العرب مصيب غير مخطىء – قال ابن جني « اللغات على اختلافها كلها حجة »[2] على أن النحاة قيدوا هـــذا الحذف بأن يكون الفعل ثلاثياً مكسور العين[3] وأرى أنه لا يلتفت إلى قولهم ، لأن ظاهر إطلاق الموضح أن هذا الحذف مطرد في كل فعل مضارع أيضاً ، بل حكى ابن الأنباري الحذف في المفتوح ، وسمع من العرب : همت في هممت . وكان صاحب التسهيل على حق حيث لم يشترط للحذف ما شرطه النحاة ، بل جعـــله شاملاً للمفتوح والمكسور والثلاثي ومزيده[4] .

فالذي دعا بني نمير وبني سليم إلى الحذف ، أنهم يتجنبون النطق بالحروف المتقاربة والمتماثلة ، لأن أعذب التأليف ما تباعدت حروفه وتباينت مخارجه فلما اجتمعت الحروف المتماثلة في كلمة واحدة وتعـــذر الإدغام لسكون الثاني منها – حذفوا الحرف الأول فقالوا : ظلت حطت ومست فتخاصت نمـــير وسليم من التكرار في ظللت وحططت ، وليس أدل على كراهيتهم تكرار الحروف من أنهم أبدلوا من أحد المثلين ياء كما في التظني والتقضي والتسري ، وأصلها التَظَنُّن والتَقضّض والتسرُّد .

والعلاقة واضحة بين القبيلتين اللتين آثرتا الحذف . فنمير – بطن من عامر بن صعصعة[5] تلك التي ينتهي نسبها إلى قيس عيلان ، وعامر كان بعض بطونها بدواً ، إذ كانوا ينزلون نجداً ، بل أثر عن بني عامر أنها تقول ظلت وملت[6] وعليها جاء قوله تعالى « فظلتم تفكهون »[7]

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الاقتراح : ٢٤ ، ٧٨ والمزهر : ١٥٧/١ .

(٣) ابن عقيل : ٤٥٧/٢ .

(٤) التصريح : ٣٩٧/٢ .

(٥) معجم كحالة : ١١٩٥/٣ .

(٦) دروس التصريف : ١٦٨ محي الدين عبد الحميد ط الرحمانية .

(٧) سورة الواقعة : آية ٦٥ .

وقوله تعالى « إلهك الذي ظلت عليه عاكفا[١] . وكذلك سليم – وهي قبيلة عظيمة تنتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة وينتهي نسبها إلى قيس وكانت منازلهم في عالية نجد[٢] ، ويظهر أن بعض بطونها كان ينزل مع طيء بدليل ما جاء عن الهمداني من قوله « فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حد الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرة – ديار سليم ، لا يخالطهم إلا صرم من الأنصار سيارة ، وقد يحالوّن طيئاً »[٣] ، وإذا عرفنا أن طيئاً قد آثرت مثل هذا الحذف في مثل تلك الأفعال التي وردت محذوفة في نمير وسليم – لم يكن عجباً ، جاء في الخصائص في باب تحريف الفعل : « من ذلك ما جـــاء من المضاعف مشبها بالمعتل وهو قولهم في ظللت : ظلت قال :

خلا انَّ العِتاقَ من المطـــايا أحَسْنَ به فهنّ إليه شُوس[٤]

والأصل : أحسسن – فحذف ، والبيت لأبي زبيد الطائي[٥] .

كما جاء في مجالس ثعلب :

عوى ثم نادى هـــل أحَسْتم قلائصا وُسِمْنَ على الأفخاذ بالأمس أربعا[٦]

والأصل : أحسستم . وهذا البيت لابن عناب الطائي ، وهو بدوي[٧] ، ومن هنا يبدو أن طيئاً شاركت سليماً ونميراً في تلك السمة ، وقـــد بينت العلاقه التاريخية والجغرافية بين هذه القبائل الثلاث .

وإذا كانت طيء كما يحدثنا التاريخ قد خالطت قبيلة أسد عند هجرتها من الجنوب – حيث أجلت قبيلة أسد عن جبلي (أجأ وسلمى) واستولت عليها[٥] ـ فإننا لا نعجب إذا شاركت

---

(١) سورة طه : آية ٩٧ .

(٢) معجم كحالة : ٥٤٣/٢ .

(٣) صفة جزيرة العرب للهمداني : ١٣١ ط ليدن .

(٤) الخصائص : ٤٣٨/٢ .

(٥) ابن يعيش : ١٥٤/١٠ هامش .

(٦) مجالس ثعلب : ٦٠٥/٢ .

(٧) خزانة الأدب : ٥٨٤/٤ .

(٨) تاريخ العرب : ٤٤٩/٣ جواد علي .

أسد طيئاً في حذف جزء من الكلمة وانتقاصها فقد جاء في اللسان « بأن بعض أسد يقول : يافل أقبل ويافل أقبلا ، ويافلَ أقبلوا ــ بينما غيرهم يقول للرجل : يافلُ أقبل ، وللاثنين يافلان ، ويافلونَ للجميع أقبلوا »[1] .

فإذا رجحنا بأن أصلها ــ فلان ــ فإن أسداً قد حذفت آخرها ، بينما الآخرون جاءوا بها مجموعة ومثناة أي تامة كاملة ، وأسد من القبائل البدوية التي مالت إلى السرعة في النطق ، وترتب على ذلك حذف بعض حروف الكلمة .

وكذلك لما كانت بطون تميم تتصل اتصالاً وثيقاً بأسد وطيء ــ لمحنا عندها الحذف وخطف الكلمة وسرعتها فإذا أرادوا أن يقولوا : ناداه . نطقوها : نده ــ بالخطف والحذف ، كما أنهم كانوا يقولون في نطق : كلاب : كلب . بالحذف والخطف[2] .

ثالثاً : وإذا كانت بلحرث بن كعب قد حذفت نون التثنية ــ من (اللذان واللتان) وغيرهما ــ اختصاراً :

(أ) فإننا نجدها تحذف ، ولكن على صورة أخرى ، تحذف اللام والألف من (على) الجارة إذا وليها ساكن فيقولون « ركبت علْفرس » في « على الفرس » واستشهد لها ابن يعيش بقولهم « علْماء بنون فلان » يريدون (على الماء)[3] .

وأنشد الزمخشري :

غداة طفت علْماءِ بكر بن وائل وعاجتْ صدور الخيل شطر تميم[4]

كما جاء في شرح السيرافي على سيبويه :

وما غلب القيسيُّ من ضعف قوة ولكن طفت علْماء غرلة خالد[5]

---

(١) اللسان : ٢٠٢/١٧ ، ٤٩/١٤ .

(٢) تاريخ الأدب العربي : ١٢٥/١ دكتور شوقي ضيف .

(٣) ابن يعيش : ١٥٥/١٠ .

(٤) المفصل : ٤٠٥ .

(٥) شرح السيرافي : ٦٠٣/٦ خط .

وأصلها (على الماء) فسقطت همزة الوصل للدرج ، كما حذفت ألف (على) ، لالتقائها مع لام المعرفة ، فصارت (علماء) فحذفت لام (على) ، لأنهم يكرهون اجتماع المثلين . ولما كان هذا الحذف هدفه التيسير فقد وجدناهم ينطقون مثل « بني العنبر وبني الحارث وبني الهجين ـ بَلْعنبر ، وبلعجلان ـ وبَلْحارث ـ وبَلْهجين »[1] ، ويظهر أن العربي كان ينطق بكل قبيلة يظهر فيها لام المعرفة ـ على هذا النمط من الحذف ، ومما سهل الحذف أن المشابهة قوية بين اللام والنون ، ويبدو أن مثل هذه القبائل لما كانت عرضة أكثر من غيرها في الذكر ـ أجروا عليها هذا التغيير ، وكذلك كل شائع ، كما ألمح هذه الظاهرة في مصر وفي بلدي (أتميدة) حيث نقول شفتهْ عشَاطِيء ، « تعال نـْعُومْ عَلْميَّهْ » .

(ب) كذلك مالت بعض القبائل البدوية إلى حذف أقرب إلى الحذف الذي أثر فيما سبق عن

بلحارث ـ وهي أنهم يحذفون النون إذا وليها ساكن ، وقد عزاها الأزهري في تصريحه إلى زُبَيْد وخَثْعم[2] ، واستشهدوا لها بقول الشاعر :

لقـــد ظفر الزوّار أقفية العِـدا ... بما جاوز الآمال « مِلأسْر » والقتل[3]

ويظهر أن هـــذه الظاهرة التي عزيت إلى زبيد وخثعم ـ وكلاهما من القبائل اليمنية قد تعاورها شعراء من قبائل أخرى فقد نطق بها المغيرة بن حبناء في قوله :

إني امرؤ حنظليّ حـــين تَنْسبني ... لا « مِلْعتيك » ولا أخوالي العوق[4]

كما نطق بها الحارث بن خالد المخزومي :

عاهد الله إن نجا مِلْمنايا ... لتعودَنْ بعدها حُرْمِيًّا[5]

وجاء في الهمع :

(١) شرح السيرافي : ٦٠٥/٦ خط ، وصحتها بلهجيم : بطن من تميم : نهاية الأرب للقلقشندي : ٧٨ .
(٢) التصريح : ٢٩/٢ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الشعر والشعراء : ١٥١ السقا .
(٥) الكامل للمبرد : ٢١٨/٢ .

كأنهما (مِلآنَ) لم يتغـيرا وقد مرّ للدارين من بعدنا عصْرُ

وقول كثيّر :

إذا وصلتنا خلة كي تزيلها أبيْنَا وقلنـا الحاجبية أولُ
لها مهل لا يستطاع دراكُـه وسابقة (مِلْحب) لا تتحول[2]

وأورد صاحب الخصائص :

نحن ركب (مِلْجن) في زي ناس فوق طـير لها شُخوصُ الجمال[3]

وبالبحث عن قائلي الأبيات السابقة والتي اشتملت على الظاهرة وأنسابهم ، نجد أن المغيرة من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[4] . كما أن شاهد الهمع المهمل العزو – قد عزاه الشنقيطى إلى أبي صخر الهذلي[5] .

كما أن كثيّراً – صاحب الشاهد الآخر من خزاعة – وهي قبيلة أزدية من القحطانية[6] – كما أن بيت الخصائص يكاد يكون مهمل العزو إلا من قول ابن جني قبل إيراد البيت « جاء به شاعرنا[7] » ، وأرى أن قائله هو المتنبي لأن ابن جني كثيراً ما يَسِمُ المتنبي لا سيما في خصائصه بقوله حدثني المتنبي « شاعرنا »[8] أو كما يقول « وامتثله شاعرنا »[9] وقد كان بين ابن جني ، والمتنبي إعجابٌ وصحبةٌ .

وأياً ما كان فهذه الظاهرة اللهجية وهي حذف النون قد عزيت إلى خثعم وزبيد – وهما

---

(١) الهمع : ٢٠٨/١ .
(٢) الشعر والشعراء : ٢٠٢ السقا .
(٣) الخصائص : ٣٠٢/١ .
(٤) الشعر والشعراء : ١٥١ .
(٥) الدرر اللوامع : ١٧٥/١ .
(٦) نهاية الأرب : ٢٤٤ للقلقشندي .
(٧) الخصائص : ٣٠٢/١ .
(٨) المرجع السابق : ٢٣٩/١ .
(٩) الخصائص : ٢٤/١ .

من القبائل القحطانية[1] – ولكنها زحفت حتى اتسعت رقعتها فظهرت في تميم ، وهذيل ، وخزاعة ، حتى لتوشك أن تتخذ صبغة جديدة ونسباً جديداً ، ولهذا رأينا الظاهرة في لهجاتنا العامية حيث نقول « خرج مِلْمدرسة » وهذا يؤكد أن في النازلين الأولين في مصر من العرب قوما من زبيد وخثعم .

وقد ذهب ابن عصفور وغيره على أن هذه الظاهرة من الضرورات ، ونازعها أبو حيان ، فقال « إنه حسن شائع لا قليل ولا ضرورة فلو تتبعنا دواوين العرب لاجتمع من ذلك شيء كثير فكيف يجعل قليلاً أو ضرورة بل هو كثير ، ويجوز في سعة الكلام »[2] .

ومما يجب الإشارة إليه أن البيت السابق والمعزو إلى كثير وفيه الظاهرة « مِلْحب » في « مِنَ الحبّ » قد ورد في رواية أخرى « وسابقة في الحبّ ما تتحول »[3] وعلى هذه الرواية لا شاهد على الظاهرة ، لأنه لا حذف . وأرى أن هذه الرواية قد حرفها المصححون للدواوين ، لأنهم أرادوا أن يحملوها على اللغة الفصحى التي لا حذف فيها – وطالما ضيعّ المصححون والمحققون كثيراً من اللهجات العربية بعد أن ضربوا بأقلامهم عليها وأحالوها بالتصحيح إلى اللغة العربية النموذجية .

وقد وجدت سمة لهجية تشبه ما أثر عن خَثْعم وزبيد من حذف النون وذلك في اللهجة الصفوية حيث يُذْكر في النص « فهلت سلم مشنا »[4] وأصل الكلمة « مَنْ الشانىء » أي المبغض أو العدو ، فحذفت النون من حرف الجر وهو (من) ثم ركبت مع الكلمة بعدها . وكثيراً ما يُرى هذا الحذف إذا لقيت النون لام المعرفة حيث تتردد الكلمات الآتية :

بَلْحرث ، بَلْعنبر ، بلْهجيم[5] . وأصلها (بنو) فحذفت النون .

ومما يلاحظ على هذه القبائل التي مالت إلى الحذف كبلحرث بن كعب تلك التي حذفت اللام والألف من (على) ، أو خثعم وزبيد – الذين مالوا إلى حذف النون جميعهم يغلب عليهم

---

(١) نهاية الأرب : للقلقشندي : ٢٤٣ ، ٢٦٩ .

(٢) همع الهوامع للسيوطي : ٢/٢٠٠ .

(٣) الشعر والشعراء : ٤٨٨/١ .

(٤) تاريخ العرب : ٢٦٢/٧ دكتور جواد علي .

(٥) الكامل للمبرد : ٢١٨/٢ .

الحياة البدوية تلك التي تجنح إلى السرعة في كلامها ، وفي أثناء هـــذه العجلة السريعة تتساقط بعض حروف الكلمات صرعى ، فتخفّ حمولة الكلمة ومئونتها على المتكلم .

وإذا ظهر – أن الحذف كان في منطق القبائل التي يغلب عليها طابع البداوة كما سبق – ظهر أيضاً أن إعطاء الصوت حقه والوفاء بـــه كان في مناطق القبائل التي يغلب عليها سحنة الحضر – وأدلة ذلك :

١ – ما سبق من الأدلة على أن لهجة الحجاز ـ كان فيها المحافظة على إعطاء الصوت حقه كاملاً لا حيف فيه ولا نقص .

٢ – ما جاء عن سيبويه في كتابه « وحدثني الخليل أن ناساً من العرب يقولون : ضَرَبْتِيه ـ فيلحقون الياء ، وهذه لغة قليلة »[١] والذي حدث في هـــذا المثال أن الكسرة أخذت حقها كاملاً في الوفاء بها فأشبعت حتى تولد منها ياء وربما فعلوا هذا لأن الهاء خفية فأرادوا بيانها ، ونلحظ مثل هذا فيما جاء عن السيرافي « من أن ناساً من العرب يلحقون الكاف التي هي علامة الإضمار ـ إذا وقعت بعدها هاء الإضمار ـ ألفـــاً في التذكير وياء في التأنيث »[٢] .

وقد مثل سيبويه لها بقول بعض العرب « في حالة المذكر أعطيتكاه ، وفي حالة المؤنث أعطيتكيه »[٣] ولا شك أن أصل هـــذه الأمثلة في المذكر ـ أعطيتُكَهُ وفي حالة المؤنث : أعطيتُكِه ، فالفصل إذن بين المذكر والمؤنث بالحركة ـ وهي الكسرة والفتحة كما تقول للمذكر : قمت ـ بفتح التاء ، وللمؤنثة قمت ـ بكسرها ، إلا أن هذه القبيلة فرقت بين المذكر والمؤنث ـ بالحركة والحرف إذ أشبعت الفتحة حتى تولد منها ألف وأشبعت الكسرة فتولد عنها ياء .

وقد بحثت عن هؤلاء الذين عـــبر عنهم سيبويه بأنهم « ناس من العرب » فيما تحت يدي من كتب العربية لا سيما شرح السيرافي على سيبويه . فلم أعثر لهؤلاء عن بيان إلا أنه جاء في عبث الوليد :

---

(١) الكتاب : ٢/٢٩٦ .

(٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٥/٤٦٩ مخطوط .

(٣) الكتاب : ٢/٢٩٦ .

فغير عجيبٍ إن رأيتيه أن تري ... تلهب ضربٍ في شواك مبين

ثم قال المعري : إن روى رأيتيه بياء قبل الهاء فهي لغة ـ يقال إنها لعديّ الرّباب يقولون ضربتيه وأكرمتيه وبعضهم ينشد :

رميتيـــهِ فأصبتِ ... فما أخطأت الرمْيَة[1]

وجاء في كتاب الشعر والشعراء ما يشبه هذا :

أمتّيني فهل لك أن تردّي ... حياتي من مقالك بالغرور[2]

فأشبعت الكسرة حتى تولد عنها الياء .

كذلك روي عن النبي ﷺ في مخاطبته امرأة (لو راجعتيه) بإشباع التـــاء حتى يتولد منها ياء[3] .

وإذا أردنا أن نعرف من هم « الرّباب » وذهبنا إلى كتب الطبقات والأنساب نلتمس منها بياناً وجدنا أن الرّباب ما هو إلا حلف تحالفت فيـــه قبائل عديّ وتَيْمَ وعَوْف وثَوْر وأشيب[4] ، وسموا الرّباب لأنهم وضعوا أيديهم في رُبّ ، ومن أجل هذا سموا الرباب إلا أن الجوهري يرى أن الرباب خمس قبائل وهم : ضَبّة . ثور ، عُكْل تَيْم عدىّ[5] ، ويرى ابن دريد أنهم : تَيْم . عَدِيّ . عِجْل ، مُزينة ، ضبّة[6] . ويرى المبرد أن الرباب أربع قبائل[7] ، وأرجح أن نظام الأحلاف كان معروفاً لدى قـــدماء العرب وكثيراً ما تكون هذه القبائل المتحالفة غير متفقة في النسب ولكن نظراً لشدة الروابط بينها كان يحدث فيها تأثير لهجي ، وتوحد أحياناً في لهجاتها ، وإذا كانت عدي الرباب ـ قد نطقت بالظاهرة السالفة فمعنى هذا

(١) عبث الوليد : ٢٢٥ ط الترقي .

(٢) الشعر والشعراء : لابن قتيبة : ٣٣٦ السقا .

(٣) مجلة المجمع اللغوي جـ ١٣ العامية والفصحى لمحمود تيمور .

(٤) تاريخ العرب : ٣٢٩/٤ جواد علي .

(٥) نهاية الأرب : ١٣٣ .

(٦) الاشتقاق : ١١١ .

(٧) نسب عدنان وقحطان : ٦ .

أنها كانت تعطي الأصوات حقها في الأداء ، وأنها تسير في ركب المطولين من العرب ، إلا أننا لا نزال نجهل موقف البقية من قبائل هذا الحلف من تلك الظاهرة ، نظراً لاختلاف العلمـــاء في القبائل التي دخلت هذا الحلف أولاً ، ومن ناحية أخرى اختلافهم في عدد هذه القبائل كما تقدم من أنهم أربعة أو خمسة أو أكثر من ذلك .

ويظهر أن بعض قبائل ربيعة كانت تميـــل الى تلك الزيادة فكانت تشبع الفتحة وكذلك الكسرة – إذ كانوا ينطقون : رأيتك – رأيتكا . كما كانوا يقولون في المؤنث رأيتكي – بإشباع الكسرة حتى يتولد منها ياء[١] . كما أرجح أن الذين كانوا ينطقون بذلك من ربيعـــة هم الحضر لاسيما الذين تحضروا بحضر الحيرة كإياد والنّمر .

ومما سبق في هذا الفصل يتضح أن الحذف قد يكون لهجـــةً قبلية ، أو يكون للصنعة الشعرية حفاظاً على الوزن ، وقد دار الحديث عليها فيما تقدم كما قد يجيء لا لهجة ولا ضرورة ، وإنما يجيء ليحقق نسقاً صوتياً وموسيقى منظمة ومثـــال ذلك : ما جاء عن العرب من قولهم « هَنَأَني وَمَرَأَني »[٢] فحذفوا الهمزة من مرأني وأصلها أمرأني ، وإنما حذفوا لتتسق «مرأني» مع كلمة « هنأني » . والدليل على أنها جاءت لحبك النسق الصوتي أنهم إذا أفردوها قـــالوا « أمرأني » ويشبه هذا ما جاء عنهم من قولهم « حَيّاك الله وبيّاك » وأصـــل بيّاك « بوّأك منزلاً »[٣] ، إلا أنها لما جاءت مع « حَيّاك » حذفت همزتها وحولت واوها ياء ، فكأن « بوأك » حولت الى بيّاك للازدواج ومراعاة النسق والموسيقى مع « حيّاك » .

وقد نقل عن النبي ﷺ قوله في عوذته للحسن والحسين « أعيذكما بكلمات الله التامّة من كل شيطان وهامّة ، ومن كل عين لامّة »[٤] والأصل في لامة : ملمة ، إلا أنـــه لاحظ الانسجام الصوتي بين هامة ، وتامة ولامة ، وكما قالوا « إنه ليأتينا بالغدايا والعشايا »[٥] وإنمـــا كسّرت الغدايا على هذا لينسجم النسق التعبيري مع العشايا ، ولو جاءت بمفردها لقالوا « الغدوات » وكما جاء الحذف عنهم لا ضرورة ولا لهجة – وإنما جاء ليحقق انسجاماً صوتياً – جاء كذلك المد

(١) فقه اللغة : ٤٠ نجا .

(٢) ضرائر الألوسي : ٣٠ .

(٣) الأخطاء اللغوية الشائعة : ١٨/١ للنجار .

(٤) الهمع : ١٥٨/٢ .

(٥) المنصف لابن جنى : ٢٢٦/٢ .

والتطويل عنهم – لا لهجة ولا ضرورة وإنما للغرض الذي جاء من أجله الحذف فيما تقدم لمن ذلك : قولهم فيما أنشده الفراء :

لو أن عمراً همّ أن يرقودا   فانهضْ فشدّ المئزر المعقودا[١]

وما جاء في الخصائص من قوله :

ممكورةٌ جمّ العظام عطبولْ   كأنّ في أنيابها القرنفولْ[٢]

وما جاء في الهمع حين قال النبي ﷺ لنسائه : أيتكن صاحبة الجمل الأدْبَبْ – تنبحها كلاب الحَوْأب[٣] . والقياس الإدغام يعني الأدبّ ، لكنه فكّه فكثرت وزادت حروفه حتى يزدوج في الوزن مع الحَوْأب .

كما أن الشاعر في البيتين السابقين أراد أن يقول « ألا يرقد وقرنفل » ولكنه أراد أن تتناسب : « يرقودا » مع « معقودا » ، « وعطبول مع قرنفول » . فغير الكلمات عن صورها المألوفة ، رغبة في تحقيق أثر الموسيقى .

ومثل هذا النسق الفني وانسجامه ، وتحوير الكلمة من أجله بالحذف والزيادة لا يعتبر نقصاً ولا عيباً ، كما لا يعتبر ضرورة ، لأنه وجد في الشعر والنثر ومن ذلك كلام الرسول ﷺ ولا ضرورة في مثل هذا ، كما لا يعتبر لهجة قوم بأعيانهم لأن الهدف منه مراعاة النسق التعبيري في الأصوات أو الموسيقى في الشعر وما ذلك إلا لأن لغتنا تحرص على هذا الانسجام والمشاكلة ، تلك التي أصبحت قانوناً أضفى على العربية طابعاً لغوياً بارزاً ظهر أثره في الأصول والزوائد ، والأدوات والكلمات .

---

(١) الصاحبي : ١٩٣ .

(٢) الخصائص : ١٢٤/٣ .

(٣) الهمع : ١٥٨/٢ والحوأب منزل بين البصرة ومكة وهو الذي نزلته عائشة لما جاءت الى البصرة في موقعة الجمل .

خاتمة

تلخيص المعالم الكبرى لنتائج البحث
وبيان الجديد فيه ـــ نداء ومقترحات

والآن وقد انتهينا من هذه الدراسة الى حيث أردنا ، وبعد أن وصل البحث الى مداه الذي حدده الموضوع ورسمه المنهج بعد رحلة شاقة مجهدة طوت مني أقوى أيام العمر ، وأحراهـــا بالعمل – فإذا بلهجات القبائل العربية بعد هذا الطواف الطويل ، والشوط العريض تتمثـــل حقيقة تاريخية ثابتة القدم على عاتق التاريخ وكواهل الأزمان – ينبغي أن نلخص ما قدمناه تلخيصاً يبرز أهم معالمه ، ويكشف عما حققناه من مسائل ، ومـــا استخلصته من مقترحات وتوصيات – فقد نضيف الى صرح العربية الشامخ لبنة متواضعة ، أو نضع على الطريق الصوى والمعالم .

وآن لنا أن نلخص المعالم الكبرى لنتائج البحث ، وبيان الجديد فيه والمقترحات .

موضوع البحث : **اللهجات العربية القديمة في التراث** ، واقتضى المنهج أن تكون الدراسة في خمسة أبواب يسبقها تمهيد وتتلوها خاتمة ، مع وجود فهرس ليكون بمثابة تلخيص لمحتويات الرسالة ، وجريدة مفصلة بأسماء المصادر والمراجع .

ففي التمهيد تحدثت عن : جغرافية بلاد العرب ، وتنقلات القبائل العربية ومدى الاعتماد في دراسة اللهجات العربية على أماكن القبائل .

وكان من نتائج التمهيد :

أن القبائل لم يكن بينها حدود قاصمة قاسية ، بل كانت المنافذ بينها عديدة سهلتها طرق القوافـــل والأسواق وأيام العرب والأحلاف والأنساب والمصاهرة ؛ ولهـــذا رأينا منازلها تتداخل وتتعدد ، ومن هنا رأينا أن المجتمع العربي لم يكن صلباً جامداً بـــل كان متحركاً متقلقلاً .

وأما الباب الأول فقد خصصته لجغرافية اللهجات ، ثم بحثت جوانبه في فصلين :

في الفصل الأول : درست رأي المستشرقين وعلماء العربية في تقسيم اللهجات الى الحجازية والتميمية ، وقد أفضى رأيهم الى أن الكتلة الحجازية في جانب ، والتميمية في جانب آخر .

وأهم ما حققه البحث في هذا المجال :

أن أساس الفصل بين الشرق والغرب في اللهجات لا معنى له، وقد برهنت تاريخياً وجغرافياً ولهجياً على أن شقي الجزيرة : الشرقي والغربي واحد ، وأنهما كوجهي الدرهم وحدة غير قابلة للتبعيض ، فهما واجهة لحقيقة واحدة . فالوحدات اللهجية لم تكن ثابتة في أماكنها ، وإنما كانت متنقلة قلقلة مما يزيد صعوبة تطبيق الفصل الجغرافي في دراسة اللهجات بين شرق الجزيرة وغربها، كما أن التقسيم كان مائعاً مبهماً ، والتأثير والتأثر كان قائماً بالفعل بين الشرق والغرب لا في اللغة فقط بل في العادات والتقاليد ، كما أن الخريطة السياسية للجزيرة لم تكن ثابتة ، ولكننا رأينا أن الحدود بين القبائل كانت قابلة للامتداد والانقباض وفقاً لقوة القبيلة وسلطانها ، والتشابه اللهجي بين شقي الجزيرة – والذي ضربنا له أمثلة وافرة يؤكد صعوبة ادعاء أن الكتلة الحجازية في جانب والتميمية في جانب آخر ، وهذا التشابه لم يأت عفواً، ولكنه يشير الى ماض مشترك، والى مراحل تاريخية واجتماعية ولغوية واحدة ، إذ الانسان الذي كان يعيش في شقي الجزيرة كان انساناً عربياً – تاريخه واحد ، ونضاله واحد ، ومصيره واحـــد . كما نبهت على أن حدود الخصائص التي تتميز بها اللهجات لا تقع دائماً مع حدود الجغرافيا .

وفي الفصل الثاني قدمت منهجاً مغايراً لمنهج المستشرقين يتلخص في عرض اقتراحين يمكن أن تقوم دراسة اللهجات على أساسها ، ثم أقمت دراسة نصّية تقارنية في ضوء هذا المنهج .

وقد سجل هذا الفصل عدداً من النتائج نوجز أهمها :

أولاً : أن أساس الفصل في الدراسات اللهجية لا يقوم على أساس كتلة شرقية **وأخرى غربية،** ولكن على أساس اجتماعي طبقي ممثل في لهجة أهل الوبر **وأهل الحضر ؛ لأن اللغة ما** هي إلا إحدى الظواهر في المجتمع ، فهي تخضع لظروفه ولا حياة لها بدونه .

ثانياً : وتبع هذا أنني لم أفصل بين لهجة وأخرى في الدرس ، بل درستها على مستوى **الظواهر** اللهجية والتي تجمع بين القبائل العديدة وهذا منهج يؤمن بالأخذ والعطاء **والتأثير والتأثر**

إذ لهجات القبائل كانت أشبه ما تكون بمسايل المياه والغدران لا تلبث أن تتجمع في مصب واحد يجمعها جميعاً، كما أنها سمحت بالدراسة التقارنية للهجات القبائل، ووضحت بذلك مسالكها تخالفاً وتشابهاً .

ثم كان الباب الثاني بعنوان « مصادر اللهجات » مشتملاً على ثلاثة فصول : تناولت في أولها: القرآن الكريم وقراءاته .

وأهم ما حققه البحث في هذا الفصل : أن قراءات القرآن مصدر حي حفظ لنا لهجات القبائل العربية ، ولم تكن القراءات السبع وحدها ، بل شاركتها القراءات الشاذة كما أمدتنا المصاحف القديمة للصحابة والتابعين بمـــدد لا ينقطع من لهجات القبائل عن طريق اختلافها في الرسم والإملاء ، وكان القرآن معيناً للهجات بفضل عنـــاية القراء وتحريهم في الضبط والتلقي وسلوك المحجة العظمى — حتى أنهم كانوا يسجلون في تلاوتهم نزر الخلاف وقليله — هذا عدا ما اشتمل عليه من نظـــم محبوك فريد ، وصور عجيبة أخاذة ، وموسيقى وتصوير ، واتساق في معانيه ، ووحدة وألفة في كلمه ، وبهذا كله فتح القرآن كثيراً من الأمصار التي عجزت السيوف الإسلامية عن فتحها ، كما سجل الفصل إحصائية بين كتب علوم القرآن والنحو كان ميدانها : كتاب البحر المحيط لأبي حيان ، وكتاب اللغـــات في القرآن — المنسوب لابن عباس ، وكتاب سيبويه ، وشرح السيرافي عليه .

ثم كان الفصل الثاني وهو « كلام العرب » **وقد حقق البحث في هذا الفصل ما يلي :**

١ — أن الروايات التي اشتملت على اللهجات أكثرها مختلط محرف مشوه .

٢ — اشتمال الأمثال القديمة والحديثة على قدر وافر من آثار لهجات القبائل .

٣ — أن عاميتنا في أرجاء الوطن العربي ترتبط برباط وثيق مع لهجات القبائل العربية .

أما الفصل الثالث من فصول هذا الباب فيدور حول « التراث اللهجي » .

وأهم ما حققه البحث في هذا المجال :

١ — خطأ المفهرسين في مكتبة المحقق أحمد تيمور حيث نسبوا الى أبي حيان كتاباً بعنوان لغات القرآن » .

٢ – كما أخطأ المفهرس مرة أخرى في مكتبة المحقق أحمد تيمور حيث نسب الى أبي حيان (رسالة غريب القرآن على لغات القبائل) ، وهي ليست له ، وعلى إدارة دار الكتب أن تضع تلك الرسالة في قسم اللغة ، لأنها فيها في فهرس الحديث .

٣ – أثبت البحث تناقضاً في المادة الواردة في كتاب « لغات القبائل في القرآن » .

٤ – حاولت العثور على نصوص من كتب لغات القرآن المفقودة بينت منهجها في اللهجات .

٥ – ثم قمت بمحاولة أخرى للعثور على نقول من (كتب اللغات ، وكتب النوادر ، وكتب دواوين القبائل وأشعارها) المفقودة موضحاً منهجها ، موثقاً نصوصها بالطريقة المنهجية بأن بحثت على نصوص خارجية أخذت من الكتاب نفسه في عدة مصادر ، ثم قارنت نصوص كل مصدر بالآخر ، وتبينت أن بعض هذه المصادر كانت تحرف أو تختصر من المصدر الأصلي .

٦ – شدة الصلة ووحدة المنهج بين كتب النوادر في اللغة ، وبين كتب لغات القبائل .

٧ – ثم قمت برسم لوحات إحصائية شملت القطاعات المختلفة للتراث العربي تمثلت فيها كتب النحو ، واللغة ، والقراءات الشاذة والسبعية ، وكتب الأدب العامة ، وكتب شروح الأشعار **أحصيت فيها عدد ورود لهجات القبائل** – مقارناً ومستنتجاً ، **ثم اتجهت بالإحصائيات في طريق آخر فسجلت فيها عدد** الرواة الذين كانوا مصدراً لرواية لهجات القبائل المعزوة وكان ميدان هذه الإحصائية في كتابي « المخصص لابن سيده ، وهمع الهوامع للسيوطي » ، وقد قادتنا هذه اللوحات الإحصائية – والتي حاولت أن أجعل الأرقام فيها تتكلم – **الى نتائج ذات أثر كبير** .

ثم بحثت بعد ذلك موقف علماء العربية ونظرتهم الى لهجات القبائل من خلال التراث شمل موقف البصريين والكوفيين ، نحويين وقراء ، ثم البغداديين والأندلسيين، ثم الجماعين المتأخرين .

وقد سجل البحث عدداً وافراً من النتائج نوجز أهمها :

١ – **تجهم البصريين للهجات القبائل** .

٢ – **طعنهم في القراءات القرآنية والتي تمثل لهجات عربية** .

٣ — أحكامهم القاسية على اللهجات .

٤ — توسع المدرسة الكوفية في الأخذ عن القبائل التي لم يأخذ عنها البصريون ، وأن الخلاف بين المدرستين في اللهجات يعود الى اختلاف المقياس الذي أخذ به كل منهم .

٥ — تجهم علماء بغداد للهجات القبائل ظهر في صور عديدة .

كما توجه البحث الى الغرب الإسلامي ، وقد تناولت عالمين في دوائر الأندلس ، أولهما : جمال الدين الطائي الجياني ، وثانيهما : أثير الدين أبو حيان الغرناطي .

وقد سجل هذا الجانب النتائج التالية :

١ — توسع ابن مالك في الأخذ عن القبائل حتى أخذ عن القبائل التي استنكف البصريون أن يأخذوا عنها : كلخم وجذام وغسان ، كما استشهد بالحديث في توثيق بعض اللهجات العربية .

٢ — عقدت موازنة بين كتاب البحر المحيط لأبي حيان ، والكشاف للزمخشري ، والبيان عن تأويل القرآن : للطبري في لهجات القبائل ، تكشف عنها كثرة اللهجات المعزوة عند أبي حيان ، وقلتها عند صاحبيه ، وأن منهج كل كتاب هو الذي قاد الى ما سبق .

٣ — عقد موازنة إحصائية بين كتب المغاربة : كالمخصص ، ولسان العرب ، والبحر لأبي حيان، والمشارقة : كجمهرة ابن دريد ، وغيرها ، أسفرت عن ظهور اللهجات ظهوراً غامراً في الغرب الإسلامي عنها في الشرق ، معللاً لذلك .

كما قام البحث بجولة في كتب النحاة واللغويين الجامعين المتأخرين متناولاً ظهور اللهجات في مؤلفاتهم وعدها بلغة الإحصاء ، كما بينت مناهج مؤلفاتهم ، وطريقة تناولها للهجات ، ونقدها ، وشملت هذه الجولة : كتاب التصريح : للأزهري ، ثم كتاب المزهر في اللغة ، والهمع لجلال الدين السيوطي ، ثم قارن البحث إحصائياً ما ورد في كتب المتأخرين من اللهجات بما ورد في أول معلمة نحوية وهي كتاب سيبويه ، أثبتت تفوق هذه الكتب المتأخرة في التعرض للهجات القبائل وإيرادها .

وبعد الباب الثاني جاء الباب الثالث بعنوان : المستوى الصوتي **سجل أولها** وعنوانه :

« دراسة حركية الكلمة » هذه النتائج :

١ – أن إسكان حركة البنية لم يكن خاصاً بتميم – كما هو شائع معروف – بل أثبت أنه شمل مناطق جغرافية واسعة ، كالمنطقة التي سكنتها قبائل ربيعة ، كما شملت أكثر قبائل قيس المتبدية ، وأكثر قبائل أسد كذلك .

٢ – احتفظت مناطق الحجاز وتهامة وهذيل بالصيغ دون حذف أو تغيير .

٣ – أثبت البحث أن مناطق تميم وبكر وأسد وقيس وعقيل – لم تكن على درجة واحدة من الميل الى تسكين وسط الصيغ – بل كان بعضها يتردد في حذف الحركات – وقد علل البحث لهذا ، وكشف النقاب عنه .

٤ – وقوع أبي حيان في خطأ علمي حين قرر أن تسكين العين من (رسل) لغة لأهل الحجاز والتحريك لتميم كما وقع فيما وقع فيه أبو حيان : الأستاذ المرحوم عبد الوهاب حمودة ، وغيره من العلماء المحدثين

٥ – ميل اللهجات البدوية كتميم وأسد وبكر بن وائل ، وقيس عيلان الى إيثار الضم في فاء الكلمة ، بينما غيرها آثرت الكسر : كالحجاز وقريش وكلب ، والكلابيين ، وكنانة وسليم معللاً بأن الذين آثروا الكسر من الحضر أو متأثرين به .

٦ – أن مناطق تميم وقيس وأسد وطيء وبني عامر وعقيل وبني يربوع ، وطهية ، وبني مالك – وكلهم بدو – كانوا يراعون الانسجام والمماثلة ، بعكس الحضر أو المتأثرين به : كالحجاز وبعض هوازن ، فإنهم كانوا لا يراعون ذلك .

٧ – كما ربط البحث بين بعض اللهجات الحديثة وبين لهجات القبائل الحجازية في عدم المماثلة والانسجام .

كما سجل الجانب الأول من الفصل الثاني وهو الذي يدور البحث فيه حول ظاهرة الإمالة – **عدداً وافراً من النتائج نوجز أهمها :**

١ – أضفت الى قائمة المميلين قبائل لم ترد في قوائم علماء العربية في ضوء الدراسة النصية منها : قضاعة ، وخزاعة ، وسعد بن بكر ، وهوازن ، وبكر بن وائل .

٢ ـ أثبت ما يخالف الشائع المعروف من أن البيئة الحجازية تفتح ولا تميل . **واستخلصت أن** البيئة الحجازية كانت على شيء من الإمالة ، كما نبهت على أن القبائل الميلة كانت على شيء من الفتح أيضاً ، **وهذا يؤكد ما نذهب إليه دائماً من أنه ليس بين الشرق والغرب حواجز فاصلة .**

٣ ـ ربط البحث في ظاهرة الإمالة ـ بين القبائل العربية الميلة في الجزيرة العربية وبين سلالاتهم في هجراتهم الى الشام وشمال إفريقيا والأندلس ، وطرابلس وبرقة ومصر ، مؤكداً دلالة اللهجات على توارث الأنساب ، وبأن القبائل الميلة في البلاد العربية الحديثة كانوا من أصل واحد ، قضى الزمان عليـــه بالفرقة والهجرة ، كما كانوا على سبب من القبائل الملية في الجزيرة ـ إما بالنسب أو الولاء أو المخالطة . **كما سجل الجانب الأخير من الفصل الثاني** وهو الذي يدور حول ظاهرة الإدغام والإظهار **النتائج التالية :**

١ ـ نبه البحث على أن الإدغام شمل مناطق أوسع مما جاء في كتب النحاة فشمل : عقيلاً وسعد مناة ، والعنبر ، وبكر بن وائل ، وعجلا ، وعامراً .

٢ ـ أثبت البحث ما يخالف الشائع من أن الإدغام كان في شرق الجزيرة وحدها ، واستخلصت أن الغرب كان يدغم أيضاً، **وهذا يؤكد ما نذهب إليه دائماً من أن الظاهرة الواحدة نسمع صداها في الشرق كما نسمعه في الغرب** وأن الفروق بين الكتلتين لم تطرد في الكلام ، ولا على جميع الألسنة .

٣ ـ جانب ابن جني الصواب حيث رأى أن لهجة الحجاز آثرت قلب الواو أو اليـــاء تاء إذا كانت فاء الافتعال واواً أو ياء ، والصحيح أنها لهجة تميم وبكر بن وائل، وأن لهجة الحجاز تبدل الواو والياء من جنس حركة مـــا قبلها ، كما جانب الصواب المرزوقي والتبريزي في شرحيهما لديوان الحماسة حيث عزوا الإظهار في صيغة (لم يحلل) الى تميم .

٤ ـ كما رأيت أن القرآن الكريم كان يراود في قراءاته بين الإظهار ، والإدغام ، وعلل البحث لذلك .

وكان الفصل الثالث وعنوانه « ظاهرة الهمز والتسهيل بين لهجات القبائل » **وأهم ما حققه البحث في هذا المجال :**

١ – **أن البحث وسع دائرة المحققين فشملت مناطق جغرافية جديدة زيادة على ما جاء في الروايات التقليدية وهي :**

أولاً : المنطقة التي سكنتها خزاعة .

ثانياً : ومنطقة المدينة .

ثالثاً : ومناطق غاضرة ، كما أن غاضرة وردت عامة في الشواهد فحاولت تخصيصها .

٢ – كما أضاف البحث مناطق جديدة حققت الهمز – ولم ترد في الروايات التقليدية اعتماداً على وطائد كثر منها التحقيق والتعمق ، والأصالة والإحاطة ، وهي :

أولا : منطقة تيم الرباب .

ثانياً : غني .

ثالثاً : عكل ، وبنو سلامة من أسد .

رابعاً : منطقة عقيل .

خامساً : ديار أسد .

٣ – أثار البحث الشك فيما هو شائع معروف من التزام القبائل الشرقية تحقيق الهمز ، كما التزمت القبائل الغربية تسهيلها مؤيداً ذلك بأدلة قوية هي أقوى من أن ترد ، وأمتن من أن تنقض ، **استخلصت منها أن القسم الغربي المسهل ، قد حقق ، وأن الشرقي المحقق ، قد سهل ،** كما أن قراء الحجاز حققوا بعض الصيغ **وهذا يؤكد ما نذهب إليه دائماً من أنه ليس بين الشرق والغرب حواجز فاصلة ، وأنه من الصعب أن نسير مع المستشرقين في تقسيم الجزيرة تقسيماً لهجياً يتفق مع التقسيم الجغرافي .**

٤ – كما نبه البحث على خطأ تردى فيه سيبويه ، وخالف فيه الواقع اللغوي ، وعلى أخطاء أخرى لبعض علماء العربية المحدثين كالأستاذ حفني ناصف ، وصاحب كتاب الألفاظ العامية ، والعلامة شكيب أرسلان ، وغيرهم .

وكان الفصل الرابع وعنوانه « اتساع مدرج العربية ولهجاتها في إبدال الحروف » وقد

سجل الجانب الأول من هذا الفصل ، وهو الذي يدور حول الظواهر المنسوبة الملقبة نتائج نشير الى بعضها :

١ – إشارة البحث الى الخلافات العديدة المتناقضة في عزو اللهجات ، ومحاولته التوفيق بين الروايات .

٢ – كان البحث يوسع أبعاد الظاهرة ، وأماكنها الجغرافية معتمداً على وفرة من النصوص بعد تحليلها وتحريرها وتحقيقها وتمحيصها ، ويظهر هذا حيث تلمست ظاهرة العنعنة في كلاب ، وبعض هذيل ، كما رن صداها في مدن اليمن وتهامة والسودان والحبشة وصعيد مصر .

وكما حدث هذا في العنعنة حدث في العجعجة ، فقد عزتها الروايات التقليدية الى قضاعة ، ولكن البحث وسع قاعدتها الجغرافية حتى شملت : قبائل طيء ، ودبير ، وحنظلة وفقيم ، وناس من تميم ، وسعد ، وبعض أهل اليمن ، كما حاولت إقامة علاقات نسبية وجغرافية وتاريخية بين القبائل التي تشترك في ظاهرة واحدة .

كما كشف البحث عن بعض القضايا نقتطف بعضها :

(أ) كان البحث يجدّ في استكناه بعض اللهجات الى قبائلها ، محاولاً كشف الغموض عن الآثار والشواهد ، فقد عزيت مثلاً ظاهرة الاستنطاء الى هذيل والأزد وقيس والأنصار وأهل اليمن ، والعرب العاربة ، لكنني لم أجدها عند قيس ولا في ديوان هذيل ، ورجحت أن قيساً هي القحطانية لا قيس عيلان التي تنصرف إليها كلمة قيس – وأكدت ذلك بشاهد عثرت عليه لرجل تتبعت نسبه حيث وصل به الى قيس التي هي بطن من همدان وهي قحطانية ، كما رجحت أن هذيلاً التي بها الظاهرة هي هذيل اليمنية لا هذيل المشهورة ، وبهذا تكون الظاهرة قد خلصت لليمن .

(ب) وهْم ابن عطية حين رأى أن كسر حرف المضارعة من خصائص قريش .

(جـ) خطأ السيوطي حيث فسر الفحفحة بأنها جعل الهاء عيناً .

(د) كشفت عن وهم لشارح القاموس ، إذ عرف الوتم بما ينطبق على الشنشنة .

(هـ) فسح البحث المجال لدراسة لهجية تقارنية حين ربط ظواهر الابدال في لهجات القبائل العربية بأخواتها في الساميات ، وفي البلاد التي هاجر إليها العرب أيام الفتح .

كما سجل الجانب الثاني من هذا الفصل ، وهو الذي يدور حول الظواهر المنسوبة غير الملقبة في الإبدال – نتائج ، نوجز أهمها :

١ – حصل البحث على تحريف الشواهد وزيفها ، كما كشف عن زيغ النساخ الذين كانوا يحملون النصوص على المهيع الفصيح ، وقد حاولت ردّها ، لتكشف عن أوجه اللهجات المختلفة .

٢ – كما كانت الروايات التقليدية تعزو الظاهرة لمنطقة جغرافية شاسعة ، ولكن كثيراً ما ضيق البحث هذه الحدود الجغرافية ، ولنأخذ مثالاً واحداً مما ورد في البحث : فقد عزيت ظواهر لهجية لشعب كبير كمضر ، لكني حاولت حملها على تميم – اعتماداً على أن تميماً في عرف علماء الأنساب هي الممثلة لمجموعة مضر .

٣ – أن دراستنا لظاهرة الإبدال في لهجات القبائل لم تقتصر على دراسة الأصوات في سكونها وركودها ، بل شملتها في مواقعها وسياقها ، حتى أكدت لنا تلك الدراسة اشتمال لهجات العرب على رصيد وافر من التمدن اللغوي .

٤ – كما اهتم البحث بالتتبع التاريخي للصيغة منذ أن تكلمت بها القبيلة ، فينطلق وراءها معقباً ودارساً – في أبعادها الزمنية ، وأماكنها الأرضية كما في تتبع صيغة (شيرة) .

ثم كان الفصل الخامس ويتناول ظاهرة الوقف في اللهجات العربية . وأهم ما حققه البحث ما يلي :

١ – توهم المستشرق الدكتور ليتمان – وذلك حين استشهد بشاهد للأعشى ، وفيه وقف بالسكون على المنون المنصوب ، وذكر بأن الظاهرة في تميم ، وغاب عنه أن الشاعر من بكر بن وائل والتي ينتهي نسبها إلى ربيعة ، كما وقع في الوهم نفسه محقق شرح المفصل حيث استشهد بما استشهد به ليتمان – ونسب الوقف بالسكون فيه إلى طيء وكلاهما يجانب الحقيقة ؛ إذ تضافرت الشواهد على أنها في ربيعة .

٢ – وكان البحث يحدد أبعاد الظاهرة ، ويخلصها من الغموض والشيوع ، فقد عزت الروايات ظاهرة الوقف بالتضعيف لقبيلة سعد ، وسعد في العرب كثيرة تربو على الخمسين ، لكن البحث خصصها بسعد التميمية استناداً على أدلة تاريخية وجغرافية .

٣ – كما كان البحث إيجابياً حيث فصّل بين الحدود التي كانت محك عراك بين الضرورات واللهجات في الوقف .

ثم كان الباب الرابع وعنوانه « المستوى الصرفي » فانتظم أربعة فصول : الأول منها يتناول ظاهرة التصحيح والإعلال ، **وقد سجل البحث عدداً كبيراً من النتائج نوجز أهمها :**

أولاً : أن الروايات التقليدية تشير إلى أن طيئاً تفتح قياساً ما قبل الياء إذا تحركت الياء بفتحة غير إعرابية فتقلب تلك الياء ألفاً – لكن **البحث** وسع أبعادها الجغرافية لأول مرة حتى جعلها تشمل بقاعاً جديدة شملت تميماً ، وأسداً[١]، وغنياً ، والحارث بن كعب ، وبولان ، وبني القين بن جسر من قضاعة ، ومزينة . واستنبط البحث أن **الظاهرة** في القسمين الشرقي والغربي من الجزيرة العربية على السواء ، **وهذا يؤكد نظرتنا مرة أخرى من أن الفصل بين الشرق والغرب في الجزيرة غير سديد ، بل لابد أن ننظر الى أن الجزيرة كتلة واحدة** بدليل أن الظاهرة نسمع صداها في الشرق وفي الغرب معاً ، وأثبت البحث عقد علاقة جغرافية ونسبية بين القبائل التي سارت مع طيء في الظاهرة ، كما سرت مع الظاهرة حتى ربطتها بلهجاتنا في العالم العربي .

ثانياً : كما خلّص البحث ظاهرتين اشتجرت فيهما عدة قبائل :

(أ) أن قلب الألف ياء ثم إدغامها إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم قد عزيت إلى هذيل ، وإلى طيء وإلى قريش ، وقد رجحت أنها في هذيل لأسباب ذكرتها في البحث . وخلصت إلى أن هذيلاً قد حافظت على الطور الأول من الصيغة .

(ب) أنهم يجمعون كل اسم على وزن فعلة مفتوح الفاء وبعده واو ساكنة أو ياء كذلك على فعلات بفتح الياء والواو – وقد عزيت الظاهرة إلى هذيل ، إلا أن ابن خالويه عزاها إلى تميم وتبعه المحقق الرضي – وقد رجحت أنها في هذيل لأسباب فنية ونقدية **ذكرتها في الرسالة** .

ثم كان الفصل الثاني من فصول هذا الباب تناولت فيه المقصور والممدود بين القبائل العربية، **وكان من أهم نتائجه ما ذهبت اليه** من أن البادين من تميم وأسد وقيس ورقعة جغرافية من نجد كانت تسرع في النطق فلا تعطي الحروف حقها كاملاً في الأداء، وذلك لاقتصادهم في الجهدالعضلي؛ ولهذا يجنحون إلى قصر الممدود وهي أقل تماماً وكالاً من صيغة الممدود ، كما أقام البحث عدة

دلة على أن لهجات نجد الحديثة تشير إلى هـــذا مما يؤكد الارتباط بين لهجات السالفين والخالفين .

وتحدثنا في الفصل الثالث عن الأفعال في لهجات القبائل العربية ، **وانتهينا من هذا الفصل الى ما يلي :**

١ — كان البحث أميناً في عرض الروايات المتخالفة ، كما كان إيجابياً حين ضعف بعض الروايات التي أثار حولها الشبهة والانتقاص ، كما قوى بعضها الآخر اعتماداً على الأخذ بآراء الثقات ، وتقديم الشك بين يدي اليقين للتحقيق من صدق الرواية ، كما في الفصل (رضع يرضع) في « ما جاء من لغتين فأكثر من الصحيح من غير باب نصر وضرب » .

٢ — كما أثبت البحث أن النحاة وعلماء العربية كثيراً ما وسموا صيغاً في الأفعال بالضعف تارة ، والشذوذ تارة أخرى ، كصيغة : يجد ـ بضم الجيم المعزوة لبني عامر فقد رماها الرضي بالضعف ، والسيوطي بالشذوذ ، كما وسمها الفراء بما يشبه هذا ، لأنها خالفت قواعدهم ، ورأيت أنه لا التفات لما قالوا ، لأن اللهجة تمثل بيئة لغوية يجب احترامها ، ولها نظامها الخاص بها ، ولا ينبغي أن نحكم فيها قواعد لهجة أخرى ، كما أن البحث قوّى اللهجة بقراءة قرآنية موثقة بالرواية الصحيحة . وقد أثار البحث شكاً حول عزو هذه الصيغة إلى بني عامر مؤيدا ذلك بالبراهين والأدلة .

٣ — أن المادة اللهجية في هذا الفصل عزيزة المنال تحتاج إلى الاستقصاء والملاحظة كما كانت مبعثرة في المصادر متناثرة حيناً ، متناقضة متخالفة حيناً آخـــر ، فحاولت إحاطتها ولمت نثارها في جو من الوحدة والتنظيم .

وسرت بعد ذلك إلى الفصل الرابع والأخير من الباب الرابع ، **وقد سجل هذا الفصل عدداً كبيراً من النتائج نوجز أهمها :**

أولاً : أثبت البحث أن صيغتي فـُعّال وفـُعَال ـ بضم الفاء فيهما مع تشديد العين في الأول وعدم تشديدها في الثاني قد استعملتا للمبالغة في لهجة اليمن وأزد شنوءة .

ثانياً : كما رجح البحث أن صيغة للمبالغة قد نشأت عن خطأ الأطفال في لهجة قيسية وهي صيغة « سكتيت » في سكيت » .

ثالثا : وجرى البحث طويلاً في (اسم الآلة وما يشبهها) في تحقيق رواية واحدة في معاجم اللغة المختلفة وردت عنها مضطربة مشوهة فحققها البحث تحقيقاً علمياً يستمد أصوله وأبعاده من الدرس اللغوي الحديث .

رابعاً : أن النحاة وعلماء العربية لم يعترفوا بكثير من المشتقات لا سيا في أسماء الزمان والمكان والتي تمثل لهجات عربية ، لكن القرآن سجل هذه اللهجات واعترف بها في قراءاته – وكأن القرآن بهذا كان بمثابة الجهاز الهضمي ، حيث تقبل لهجات القبائل وحولها فيه إلى عصارة نافعة ، غذّت العربية وأمدتها بروافد غنيّة على مستويات الدلالة والأصوات والتراكيب .

ثم كان الباب الخامس بعنوان : الظواهر العامة في لهجات القبائل ، وقد انتظم خمسة فصول – أشار الفصل الأول إلى ظاهرة (فعل وأفعل) .

وقد سجل الفصل نتيجتين :

أولاهما : ميل تميم إلى صيغة (أفعل) وأن بعض القبائل شاركتها في هذا الاتجاه كقيس ، ومنطقة نجد ، وبعض بطون أسد : كدبير كما شاركتها عقيل أيضاً وقد وصل البحث إلى نتيجة هامة حيث عقد صلة قوية بين هذه القبائل التي اتفقت في الظاهرة وهي أن هذه القبائل تميل بمجتمعاتها إلى البداوة .

ثانيتهما : وأن الحجاز وبعض قرى العالية وقريشاً يميلون إلى صيغة (فعل) وأن هذه القبائل التي جنحت إلى تلك الصيغة المجردة يغلب عليها سحنة الحضارة .

ثم كان الفصل الثاني بعنوان « التذكير والتأنيث في اللهجات العربية » .

وأهم ما حققه البحث في هذا المجال :

(أ) استشفاف بعض القضايا الهامة من خلال الشواهد بعد تحريرها وتحليلها ودراستها ومن ذلك قضية الانعزال الجغرافي وأثرها في ظاهرة التذكير والتأنيث .

(ب) ونبهت إلى مجانبة رضي الدين الاستراباذي للواقع اللغوي حيث قرر أن الجنس المميز واحده بالتاء يذكره الحجازيون ويؤنثه غيرهم – وأثبت أن الصحيح العكس ، وأن الذي يذكره هم التميميون وأهل نجد .

(جـ) كما أقام البحث دراسات واسعة في المخطوطات والمصادر الآتية :

١ – كتاب المذكر والمؤنث للفراء .

٢ – كتاب المذكر والمؤنث للمبرد .

٣ – كتاب المذكر والمؤنث لابن جني .

٤ – كتاب التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني .

٥ – مختصر في المؤنث والمذكر لأبي الحسين أحمد بن فارس .

٦ – ما يذكر وما يؤنث من كتاب المخصص لابن سيده .

٧ – ما يذكر وما يؤنث من خزانة الأدب للبغدادي .

وقد درست الظاهرة في هذه الكتب وبينت أبعادها ومنحت فضل بيان لمنهجها والأحكام التي صدرت منها ، ونسبة عزو اللهجات فيها ، ونظرة أصحابها الى اللهجات وموقفهم منها ، وتردد الصيغ فيها بين التذكير مرة والتأنيث أخرى ، وأثر تطور الكلمة من المؤنث إلى المذكر والعكس عن طريق القياس .

(د) ورجح البحث أن الصيغة المعزوة كانت في محيط جغرافي ضيق ـ اذا ما قورنت بالصيغة التي لم تنسب ، كما لحظت أن الصيغة المعزوة هي الفرع ، والصيغة التي لم تنسب كانت شائعة في محيط أوسع .

(هـ) وعرضت للضرورات في التذكير والتأنيث وأنها تصور ظلا لاستعمالات لهجية قبلية . ثم انتقلت الى الفصل الثالث وعنوانه (القلب) .

وأهم ما حققه البحث في هذا المجال :

(أ) أن القبائل التي آثرت تغيير الصيغة بالقلب عاملت الصيغة ككتلة واحدة مترابطة ولهذا احتكت فيها الأصوات فحدث القلب فيها للخفة أو السرعة .

(ب) أن كثيراً من صور القلب كانت نتيجة للقياس الخاطيء أو التوهم السمعي أو احتمال خطأ الرواة في النقل ، أو نتيجة لأخطاء الأطفال .

(ج) ونبهت الى ما تردى فيه أحمد بن فارس حيث لا يرى أن القلب في حروف الكلمة موجود في القرآن ـ وأثبت أنه جانب الصواب فيما رآه بأدلة من قراءات القرآن الكريم .

ثم كان الفصل الرابع بعنوان « التشديد والتخفيف في اللهجات العربية » .

وقد سجلت الدراسة في هذا الفصل النتائج والمظاهر الاتية :

أولا : ما تردى فيه الشجري من عزوه التشديد في (اللذان واللذين ، وهذان وهاتان) وغيرهما من الأسماء المبهمات الى قريش ، والصحيح أن التشديد معزو الى تميم وقيس والتخفيف للحجاز وقريش .

ثانيا : كما ناقشت بعض العلماء في حملهم بعض الصيغ اللهجية في التشديد ـ على الضرورة وقومت آراءهم ، ونبهت الى أنهم مغالون فيما قالوه بدليل أن اللهجة صورتها قراءة قرآنية ، كما أيدتها اللهجات الحديثة في العراق وسوريا والسودان ومصر ومراكش ؛ فلذلك هي أبعد من أن تحمل على الضرورة .

ثالثا : كما تتبع البحث موقف القرآن من الظاهرة ، ووجدت أنه كثيراً ما يأتي بالوجهين في قراءاته « التشديد والتخفيف » والقرآن بهذا الصنيع يحفظ للهجات القبائل اعتبارها، مؤكداً أحقيتها في الحياة .

رابعاً : واستخلص البحث أن التشديد أو التغليظ من سمات القبائل البدوية أو التي يغلب عليها البداوة ؛ بينما الحضر منهم كانوا يتجنبون ذلك .

ثم ختمنا هذا الباب بحديث مفصل عن (مطل الحركات والحروف وانتقاصها في لهجات القبائل .

وقد هدتنا الدراسة الى نتائج وملاحظات نكتفي بذكر بعضها :

أولا : أن البحث علل لطـــول بعض الصيغ في لهجات القبائل بوقوع النبر فيها على مقطعها الأخير ، واقتضى ذلك اطالة الحركة حتى يبرز الصوت .

ثانياً : وكثيراً ما كان البحث يحتكم الى اللهجات الحديثة وقراءات القرآن حتى يفصل لنـــا بين المجالات التي تشتجر فيها الضروورات مع اللهجات ، كما بسطت القول في كثير من الصيغ التي كانت محل عراك بين القراء واللغويين والنحاة حين رآها بعضهم ضرورة ، ورآها الآخرون لهجة ، وقد كان البحث إيجابياً فحمل بعض الظواهر على الضرورة وبعضها على اللهجة ، وبذلك أفردت ما ألجأت إليه الضرورة الشعرية حتى لا يعيث بين الشواهد والأحكام بلبلة واضطرابا .

ثالثاً : ونبهت على خطأ تردى فيه صاحب اللسان والمصباح حيث رأيا أن القرآن لم ينزل إلا بلغة الحجاز في صيغة (استحييت) بياءين ، وأثبت أن ابن محيصن وابن كثير قرءا بها على لهجة تميم في القرآن .

رابعاً : وخالفت الأستاذ المستشرق برجشتراسر حين رأى أن الكسرة الممدودة الانتهائية تقصر في لهجـــة الحجاز ، وأقمت أدلة تخالف ذلك ، وأن الحجاز تأتي بالصيغ كاملة وافية لا حذف فيها ولا حيف ، وأن الحذف السابق كان في لهجة هذيل . وأرجح أن الذي دفعه إلى ذلك أنه رأى أن هذيلا تقع في منطقة جغرافية هي نفسها منطقة الحجاز ، ولهذا رتب على تماثل العامل الجغرافي تماثلا لهجياً ، ونحن نرفض ذلك ، ونرى أن اللهجات لا تخضع في سيرها وأحجامها وتقسيمها للتقسيم الجغرافي دائماً .

خامساً : كما كان البحث يعلل لاختلاف اللهجـــة التي وردت على نمطين متضاربين كصيغة التام والحذف في (اللاؤن واللاؤ) المعزوتين إلى هذيل . وكما علل البحث أيضاً لوجود القطعة المنسوبة لطيء على لســـان شعراء من أسد ومزينة وبني عامر وتميم ـ بالقرب الجغرافي تارة والقرابة النسبية تارة أخرى بين هذه القبائل وبين طيء ، ومثل ذلك تعليلنا لبعض الصيغ المحذوفة في سليم ونمير وبني عامر وطيء حيث ربط البحث بينها تاريخياً وجغرافياً .

سادساً : كما رجح البحث أن القبائل التي آثرت انتقاص الصيغ كان يغلب عليها طابع البداوة

حيث جنحت إلى السرعة في كلامها ، كما ظهر أن إعطاء الصوت حقه والوفاء به كان في منطق القبائل التي يغلب عليها سَحْنة الحضر ، لميلهم إلى تحسين النطق وتخير العبارات وجنوحهم إلى الدقة في معظم مظاهرهم الاجتماعية ، ومن بينها اللغة .

سابعاً : وقد حاول البحث ربط ظواهر اللهجات القبلية بشواهد من الساميات ، وبآثار من قراءات القرآن ومن لهجاتنا الحديثة ، ومثل هذا الربط يقويّ المنافذ ، ويعبّد الطرق لدراسة العلاقات اللهجية الديناميكية عبر التاريخ الطويل .

نداء ومقترحات :

(أ) النداء إلى علمائنا المشتغلين بالدراسات اللهجية أن يكفل أحدهم لهجات القبائل العربية من ناحية الدلالة ، كما كفلتها من ناحية الأصوات والصرف والنحو ، وأن يقيم حولها دراسة تجريبية مفصلة .

(ب) أن تقوم دار الكتب بتصحيح فهارسها فيما ثبت أنهـــا أخطأت فيه ، لا سيما ما ورد في الفصل الثالث من الباب الثاني من الرسالة .

(جـ) كما أقترح أن يتاح لي أو لغيري أن يكمل هـــذا الجهد العلمي باستخلاص كتب « لغات القبائل » المسندة إلى يونس بن حبيب ، وأبي عمرو الشيباني ، ويحيى ابن زياد الفراء ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وابن دريد ـ وكلها مفقودة ـ باستخلاصها من غضون تراث العربية الزاخر ، لا سيما أن هذه الكتب المفقودة تعـــد أماً في أصالتها وتفردها وتوثيقها للهجات القبائل العربية . وعندما نستخرج هذه الذخائر المنشودة يمكن أن تقوم دراسة تاريخية تقارنية هادفة في هذا الفن .

وقد قمت في تلك الرسالة بمحاولة للعثور على نصوص من هـــذه الكتب المفقودة ، أثارت حولها الطريق ، وبينت إلى حدّ ما منهجها وتناولها للهجات .

(د) أن تدرس لهجات القبائل في ظلال القراءات القرآنية ، حيث كانت هذه القراءات دائماً صدى للهجات العرب ، وارتباطها بدراسة الأصوات ، وتذوقها ، ومراقبة استعمالاتها وطرق تطورها ـ ممـا يجعلها حقلاً غنياً ، ومعلمة زاهرة في الدراسات الصوتية اللهجية ، عـــدا ما فيها من الأسانيد الموثقة ، والضبط والإتقان في الرواية ، والأمانة في التلقي والتلقين .

ولهذا أقترح على جامعاتنا أن تهتم بدراسات القراءات القرآنية ، وأن تخصص لها فرعاً خاصاً فيها .

(هـ) التوسع في دراسة لهجاتنا الحديثة في البلاد العربية على أساس وصفي تجريبي علمي ــ لما لها من صلة وثيقة بلهجات القبائل العربية .

(و) البحث عن اللهجات في كل زمان ومكان ، في النقوش التي ابتلعها باطن الجزيرة العربية ، وذلك لا يتسنى إلا بتضافر الجهود ، وإنشاء هيئة بجمعية تساندها الحكومة بالمـــال ، والرحالة ، والمنقبين ، وتنفق عليها بسخاء .

كما أقترح الاهتمام بتصوير المخطوطات العربية ، واستخراجها من جميع مكتبات العالم ، فقد نعثر على ضالتنا من « كتب لغات القبائل » المفقودة ؛ إذ أن محصولنا قليـــل من المخطوطات العربية إذا ما قيس بالمخطوطات خارج حدودنا[١] .

وبهذا يظهر الجمع اللهجي وهو أقرب ما يكون إلى الواقع اللغوي ؛ إذ جمع اللهجات كما يقول المستشرق فوللرز « ليس أقل ضخامة من تفسيرها »[٢] .

(ز) ألا يعتمد الباحثون في اللهجات على الإحصائيات التي يذكرها المحققون في آخر تئاليفهم بل لابد لجمع اللهجات أو إحصائها من قراءة الكتاب وجرده ، ونفضه نفضا ــ فعلى الرغم من تحقيق جمهرة اللغة ــ لابن دريد تحقيقاً علمياً ، فقد وقع محققها في إهمال إحصاء كثير من لهجات القبائل ، من ذلك مثلا أنـــه أهمل لهجتين لتميم لم يشر إليهما في إحصائيات اللغات[٣] ، كما أهمل إحصاء لهجة حجازية[٤] ولهجة طائية[٥] ، ولهجة قيسية[٦] ، كما أهمل

---

(١) يؤيد ذلك ما جاء في جريدة الأهرام في ١٩٦٥/٢/٢٤ ص ٥ : من أنه في الوقت الذي لا يزيد كل مـــا تملكه القاهرة من كتب المخطوطات القديمة عن ٨٠ ألف مخطوط في دار الكتب، فإن أقل تقدير لما تضمنته مكتبات استانبول من الكتب المخطوطة $\frac{١}{٤}$ مليون كتاب عربي ، وفي شمـــال إفريقيا ٢٠٠ ألف مخطوط عربي ، وفي موريتانيا يتجمع ١٠٠ ألف مخطوط تركها العرب هناك ، وفي ألمانيا ٢٠ ألف مخطوط عربي ، أما الهند وإيران وباكستان والقدس واليمن وغيرها فإنه من غير الممكن حصر ما تضمه من المخطوطات العربية .

(٢) K. Vollers Volkssprache uud Schrif tspracheim Alten Arabien, S.8 .

(٣) الجمهرة : ٢٤/٢ ، ٤٧٤/٣ .

(٤) الجمهرة : ١٤/٢ .

(٥) الجمهرة : ٣٧٩/٢ .

(٦) الجمهرة : ٥٦/٢ .

(٧) الجمهرة : ٤٩/١ ، ٢١٦ ، ١٤/٢ .

لغـــة نجد والعالية ، ولغة هذيل[1] وعبد القيس . كما أهمل المحقق أو نسي لهجات عربية أخرى لم يحصها في الفهرست كلهجة ضَبّة ، بينما وردت في الجمهرة[2] ، وكذلك لهجـــة جَرْم ، بينما وردت هذه اللهجة في أماكن متعددة من الجمهرة[3] .

ولا شك أن هـــذا الإهمال في الإحصاء يشوّش الحقائق العلمية ، ويرينا الأمور على غير وجهها الحقيقي ، ولغة الإحصاء الأمينة ـ هي المنهج العلمي الحديث الذي يعتمد عليه في إظهار الحقائق وتقويمها .

ثم أما بعد ! فلست أدعي الكمال في هذا البحث ، أو أنني أتيت بشيء لا يقبل المناقشة ، بل أودّ أن يثير هـــذا البحث الفكر والنظر ، ومن أهم خصائص الحقيقة العلمية أنها وليدة الجدل والنقد ـ والكمال لله وحده وحسبي أنني بهذا العمل حققت أمنية عزيزة طال احتباسها في طويّة كل وامق للعرب والعربية ، والحمد لله على ما هدى إليه ، وأعان عليه .

أحمد علم الدين الجندي

---

(١) الجمهرة : ٣١/١ ، ٦٦ .

(٢) الجمهرة : ١٢٣/٣ .

(٣) الجمهرة : ٣٣٩/٣ ، ٤٣٦ .

المصادر والمراجع

أولاً ـ المطبوعات :

(الألف)

١ ـ إبراز المعاني من حرز الأماني ـ لأبي شامة متوفى (٦٦٥هـ) مصطفى الحلبي (١٣٤٩هـ) .

٢ ـ الابانة عن معـــاني القراءات : مكي بن أبي طالب حموش القيسي . نشره وحققه ، وعلق عليه وقدم له : الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ط النهضة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .

٣ ـ اتحاف فضلاء البشر . في القراءات الأربع عشر : للشيخ أحمد الدمياطي ـ الشهير بالبناء متوفى (١١١٧ هـ) ـ طبع عبد الحميد حنفي .

٤ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي . مطبعة حجازي .

٥ ـ إحياء النحو : ابراهيم مصطفى . لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٩٥١ .

٦ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : المقدسي ـ أبو عبيد الله محمد أحمد المقدسي (٣٧٥ هـ ـ ٩٥٥ م) طبع ليدن مطبعة بريل ١٩٠٦ . ط الثانية نشره : دي غويه .

٧ ـ أخبار النحويين البصريين : السيرافي تحقيق طه الزيني وزميله ط أولى ١٩٥٥ الحلبي .

٨ ـ الأخطاء اللغوية الشائعة : الشيخ محمد النجار ـ معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩ ـ الجزء الأول .

٩ ـ أدب الكاتب : لابن قتيبة ط الثانية . مطبعة السعادة . تحقيق محي الدين عبد الحميد .

١٠ ـ ارشاد المريد إلى مقصود القصيد : علي بن محمد الضباع . ط مصطفى الحلبي ١٣٤٩ .

١١ ـ أسباب حدوث الحروف : تصنيف الرئيس أبي علي الحسين بن سينا ـ نسخه محب الدين الخطيب : ط السلفية ١٣٥٢ هـ ـ القـــاهرة . منقولة بالفطوغراف عن نسخة المتحف البريطاني رقم ١٦٦٥٩ ومعارض بنسخة الخزانة التيمورية .

١٢ ـ أسرار العربيـــة : عبد الرحمن الأنباري ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ١٣٧٧ ـ ١٩٥٧ .

١٣- أسرار العربية : أحمد (باشا) تيمور لجنة لنشر المؤلفات التيمورية . دار الكتاب العربي ، القاهرة ط أولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .

١٤- الأسرة والمجتمع : الدكتور علي عبد الواحد وافي ط الثانية دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

١٥- أساس البلاغة : الزمخشري ط أولى بطريقة (الفوتواوفست) ١٩٥٣ م .

١٦- اصلاح المنطق لابن السكيت : (١٨٦ - ٢٤٤ هـ) دار المعارف . تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .

١٧- الاصمعيات : اختيار عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (١٢٢ - ٢١٦ هـ) تحقيق أحمد شاكر - عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

١٨- الأصوات اللغوية : الدكتور ابراهيم أنيس . الطبعة الثانية - ١٩٥٠ مطبعة لجنة البيان العربي .

١٩- الأضداد : لابن الأنباري - المطبعة الحسينية المصرية .

٢٠- الاضاءة في بيان أصول القراءة : علي الضباع - ط : عبد الحميد حنفي ١٩٣٨ القاهرة .

٢١- الأعلاق النفيسة : أبو علي أحمد بن عمر بن رستة - مجلد ٧ من المكتبة الجغرافية ليدن : ١٨٩٢ .

٢٢- الاقتضاب لابن السيد البطليوسي . بيروت ١٩٠١ .

٢٣- الاقتراح : في علم أصول النحو . لجلال الدين السيوطي متوفى (٩٣١ هـ) . ط الثانية حيدر أباد الدكن . دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٩ هـ .

٢٤- الاكليل : جـ ٨ يتضمن محافد اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها ومراثي حمير والقبوريات . تأليف أبي محمد الحسن بن أحمد - المشهور بالهمداني المتوفى (٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م) ط بغداد مطبعة السريان الكاثوليكية ١٩٣١ . تحقيق الأب أنستاس ماري الكرملي البغدادي .

٢٥- الأمالي الشجرية : لأبي السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري . ط أولى - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ١٣٤٩ هـ جزءان .

٢٦- الأمالي : لأبي علي القالي . الطبعة الثانية مطبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م وكذلك الطبعة الأولى . ط بولاق ١٣٢٤ .

٢٧- الامالة في القراءات واللهجات العربيـــة - دكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ط أولى . ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م . نهضة مصر .

٢٨- الأمثال العامية في نجد - القسم الأول - دار إحياء الكتب العربية . ط أولى ١٣٧٩ - ١٩٥٩ م . بقلم محمد العبودي - مدير المعهد العلمي في بريدة .

٢٩- املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن - لمحب الدين أبي البقاء العكبري ط . الميمنية .

٣٠- الانصاف للامام أحمد بن المنير الاسكندري . طبعـــة الاستقامة : الثانية : ١٣٧٣ - ١٩٥٣ م .

٣١- الانصاف في مسائل الخـــلاف - ابن الأنباري - ١٩٤٥ م مطبعة حجازي . تحقيق محي الدين عبد الحميد .

٣٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبـــد الله الشيرازي البيضاوي . دار الكتب العربية الكبرى - مصر (بدون تاريخ) .

٣٣- الأيام والليـــالي والشهور - لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفي (٢٠٧ هـ) المطبعة الأميرية : ١٩٥٦ تحقيق ابراهيم الأبياري .

٣٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - ابن هشام - المكتبة التجارية ط الثالثة .

(البـــاء)

٣٥- البحر المحيط : أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي الجياني المتوفي : (٧٤٥ هـ) مطبعة السعادة . الطبعة الأولى - ١٣٢٨ هـ .

٣٦- البلغة في شذور اللغة - مجموعة بها (١٠) كتب ط - بيروت - الكاثوليكية ١٩٠٨ نشرها - أوغست هفنر والأب لويس اليسوعي .

٣٧- البهجة المرضية ، شرح الدرة المضيـــة ، في القراءات الثلاثة المتممة للعشر - على هامش أبراز المعاني لأبي شامة ط مصطفى الحلبي ١٣٤٩ .

٣٨- بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي ـ محمد الخضر . مطبعة الشباب .

٣٩- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب : المقريزي ـ عالم الكتب ط أولى ١٩٦١ تحقيق دكتور عبد المجيد عابدين .

٤٠- البيان والتبيين : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام هارون ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ٤ أجزاء : ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م .

(التـــاء)

٤١- تاج العروس من جواهر القاموس ط أولى ١٣٠٦ هـ ـ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .

٤٢- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ـ للأعلم الشنتمري على هامش كتاب سيبويه .

٤٣- تاريخ آداب العرب . مصطفى صـــادق الرافعي مطبعة الاستقامة ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠ م الجزء الأول والثاني والثالث .

٤٤- تاريخ آداب اللغـــة العربية : جرجي زيدان دار الهلال ١٩٥٧ م تحقيق الدكتور شوقي ضيف .

٤٥- الأدب العربي : الدكتور شوقي ضيف دار المعارف الطبعة الأولى جـ ١ .

٤٦- تاريخ الأدب : حفني ناصف ط الثانية ١٩٥٨ مطبعة جامعة القاهرة .

٤٧- تاريخ العرب : مبروك نافع ط وادي النيل ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨ .

٤٨- تاريخ العرب قبل الاسلام ـ دكتور جواد علي . مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

٤٩- تاريخ الاسلام السياسي والثقـــافي والاجتماعي والديني ـ الدكتور حسن ابراهيم ط ٢ ـ ١٩٤٨ ـ دار النيل .

٥٠- تاريخ القرآن : للزنجاني ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٣٥٤ هـ .

٥١- تاريخ اللغات السامية : الدكتور اسرائيل ولفنسون ط أولى . لجنـــة التأليف والترجمة والنشر : ١٩١٤ م .

٥٢- تاريخ نجد : محمود شكري الألوسي ط الثانية ـ القاهرة ـ السلفية ١٣٤٧ م .

٥٣– التطور النحوي : برجشتراسر – مطبعة السماح – ١٩٢٩ م .

٥٤– تفسير غرائب القرآن ، ورغائب الفرقان – لنظام الدين النيسابوري الطبعة الأولى بولاق ١٣٢٣ هـ .

٥٥– تفسير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) تحقيق محمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر وكذلك المطبعة الأميرية .

٥٦– تفسير القرطبي : دار الكتب ١٩٣٩ م .

٥٧– تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة – لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (٤٦٦ – ٥٣٩ هـ) مطبوعات المجمع العلمي العربي . تحقيق عز الدين التنوخي .

٥٨– التلويح في شرح الفصيح : لأبي سهل الهروي – ضمن مجموعة باسم : فصيح ثعلب نشره محمد خفاجي ط أولى – ١٣٦٨ – ١٩٤٩ المطبعة النموذجية .

٥٩– التنبيه والاشراف : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي السعودي (– ٣٤٥ هـ) من المكتبة الجغرافية نشره (دي غويه ليدن ١٨٩٣ م) .

٦٠– التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه – للبكري الطبعة الأولى – دار الكتب ١٩٢٦ .

٦١– التيسير في علوم التفسير : عبد العزيز بن أحمد الدميري الشهير بالدريني . مطبعة التقدم العلمية بمصر – ١٣١٠ هـ .

(الثاء)

٦٢– ثلاثة كتب في الأضداد : للأصمعي ، وللسجستاني ، وابن السكيت ، ويليها ذيل في الأضداد ، للصاغاني نشرها الدكتور أوغست هفنر . المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت : ١٩١٣ .

(الجيم)

٦٣– الجاسوس على القاموس . أحمد فارس الشدياق ط الجوائب ١٢٩٩ .

٦٤– جغرافيه شبه جزيرة العرب – عمر رضا كحالة – المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٤٤ .

٦٥- جمهرة أنساب العـــرب - لابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦) تحقيق ا . ليفي بروفنسال دار المعارف بمصر .

٦٦- جمهرة رسائل العرب : أحمد زكي صفوت ط أولى ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ الحلبي بمصر .

٦٧- الجمهرة لابن دريد : جـ ١ - ٤ ط أولى دائرة المعـــارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ١٣٥١ هـ .

٦٨ - الجمل للزجاجي : بعناية ابن أبي شنب ١٩٢٦ بمطبعة جول كربونل بالجزائر .

(الحـــاء)

٦٩- حروف الاطباق : للدكتور خليل يحيى نامي .

٧٠- حروف الحلق : للدكتور خليل يحيى نامي .

٧١- حاشية الشيخ الأمـــير علي مغني اللبيب : لابن هشام الأنصاري - التجارية جزءان ١٣٥٦ هـ .

٧٢- حاشية الشيخ يس بن زين الدين - على هامش التصريح على التوضيح للأزهري دار إحياء الكتب العربية . جزءان .

٧٣- حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي - على تفسير الكشاف طبعة الاستقامة - ط الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .

٧٤- حاشية الصبان على شرح الأشموني - ٤ أجزاء دار إحياء الكتب العربية ط أولى .

٧٥- الحيوان : للجاحظ طبعة أولى تحقيق عبد السلام هارون ١٩٤٤ في سبعة أجزاء .

٧٦- حياة محمد : محمد حسين هيكل : القاهرة مطبعة دار الكتب ١٣٥٤ هـ .

(الخـــاء)

٧٧- خزانة الأدب : للبغدادي ط بولاق ٤ أجزاء .

٧٨- الخصائص : ابن جني مطبعة الهلال الجزء الأول ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م وطبعة دار الكتب - تحقيق الشيخ محمد النجار في ٣ أجزاء : ١٣٧١ هـ - ١٣٧٤ هـ ١٣٧٦ هـ .

٧٩- الخليل الفراهيدي : الدكتور مهدي المخزومي بغداد ١٩٦٠ م .

(الدال)

٨٠ ـ الدر اللقيط من البحر المحيط ـ للأمام تاج الدين بن مكتوم القيسي متوفى (٧٤٩) .

٨١ ـ الدررالوامع على همـــع الهوامع ـ شرح جمع الجوامع ـ الشنقيطي ط أولى ١٣٢٨ هـ جزءان .

٨٢ ـ درة الغواص في أوهام الخواص ـ أبو محمد القاسم بن علي الحريري . ط أولى .

٨٣ ـ دلائل الاعجاز في علم المعاني ـ عبد القاهر الجرجاني . ط الرابعة المنار ١٣٦٧ هـ .

٨٤ ـ دلالة الألفاظ : الدكتور ابراهيم أنيس ط أولى ١٩٥٨ الانجلو المصرية .

٨٥ ـ دلالة الألفاظ العربية وتطورها : الدكتور مراد كامل ١٩٦٣ ـ معهد الدراسات العربية العالية .

٨٦ ـ ديوان امريء القيس : تحقيق محمد أبي الفضل ـ دار المعارف .

٨٧ ـ ديوان جرير : ط بيروت ـ ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .

٨٨ ـ ديوان زهير : ط أولى ـ المطبعة الحميدية ـ ١٣٢٣ هـ .

٨٩ ـ ديوان سحيم عبد بني الحسحاس . مطبعة دار الكتب ـ القـــاهرة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م بتحقيق عبد العزيز الميمني .

٩٠ ـ ديوان طفيل بن عوف الغنوي مع ديوان الطرماح رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي تحقيق كرنكوي : لندن : ١٩٢٧ م .

٩١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة : بيروت ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م .

٩٢ ـ ديوان الفرزدق . تحقيق الصاوي .

٩٣ ـ ديوان كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ـ نشره الشيخ بيرس ط جول كربونل الجزائر .

٩٤ ـ ديوان كعب بن زهـــير ـ صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري : ط ـ دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م .

٩٥ ـ ديوان الهذليين في ٣ أجزاء ـ مطبعة دار الكتب . الجـــزء الأول ١٩٤٥ م . والثاني ١٩٤٨ م والثالث في ١٩٥٠ م .

(الذال)

٩٦- ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ط الثانية دار الكتب ١٩٢٦ .

(الراء)

٩٧- الرسالة : للامام المطلبي الطبعة الأولى ١٣٥٨ – ١٩٤٠ شركة مصطفى الحلبي . تحقيق الشيخ أحمد شاكر .

٩٨- رسالة فيما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل – لأبي عبيد القاسم بن سلام على هامش كتاب التيسير في علوم التفسير للدميري – مطبعة التقدم العلمية بمصر .

٩٩- روح المعاني : السيد محمود شكري الألوسي – إدارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٤٥ .

(السين)

١٠٠- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب – السويدي التجارية (بدون تاريخ) .

١٠١- سر صناعة الأعراب صنعة الشيخ أبي الفتح عثمان بن جني النحوي – مصطفى الحلبي الطبعة الأولى – ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٤ م . بتحقيق لجنة من الأساتذة . جزءان – لم يظهر إلا الجزء الأول .

١٠٢- سراج القارىء المبتدي وتذكار المقرىء المنتهي – ابن القاصح . ط الأولى ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٤ م مطبعة حجازي .

١٠٣- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة ، بشرح أحمد شاكر . مطبعة الحلبي ط أولى ١٣٥٦ – ١٩٣٧ .

(الشين)

١٠٤- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – ٤ أجزاء – دار إحياء الكتب العربية ط أولى .

١٠٥- شرح درة الغواص : لأحمد شهاب الدين الخفاجي – الطبعة الأولى .

١٠٦- شرح ديوان الحماسة : لأبي زكريا التبريزي متوفى (٥٠٢ هـ) تحقيق محيى الدين عبد الحميد مطبعة حجازي ٤ أجزاء .

١٠٧ ـ شرح ديوان الحماسة : للمرزوقي ـ تحقيق عبد السلام هارون ٤ أجزاء ط أولى ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٣٥ م لجنة التأليف والترجمة .

١٠٨ ـ شرح شذور الذهب : مطبعة دار إحياء الكتب العربية .

١٠٩ ـ شرح شافية ابن الحاجب : ٤ أجزاء : تحقيق محمد الزفزاف مطبعة حجازي .

١١٠ ـ شرح ابن عقيل ـ مطبعة السعادة : ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م الطبعة السابعة جزءان .

١١١ ـ شرح المفصل لابن يعيش : الطباعة المنيرية ١٠ أجزاء .

١١٢ ـ شذا العرف في فن الصرف : الطبعة السادسة مطبعة الاعتماد بمصر أحمد الحملاوي .

١١٣ ـ الشعر والشعراء : لابن قتيبة ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ جزءان ـ ١٣٦٤ دار إحياء الكتب العربية ، وتحقيق مصطفى السقا : ١٣٥٥ ـ ١٩٣٢ .

١١٤ ـ الشهاب الراصد : محمد لطفي جمعة ـ الطبعة الأولى ١٣٤٤ ـ ١٩٢٦ . مطبعة المقتطف .

١١٥ ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ـ جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . مطبعة لجنة البيان العربي .

١١٦ ـ شواهد الشافية للبغدادي . تحقيق محمد الزفزاف مطبعة حجازي .

١١٧ ـ شواهد العيني على شرح الأشموني ٤ أجزاء ـ دار إحياء الكتب العربية ط أولى .

(الصاد)

١١٨ ـ صبح الأعشى : القلقشندي دار الكتب ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢٢ م .

١١٩ ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : لأبي الحسن أحمد بن فارس . مطبعة المؤيد ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م ـ نشر السلفية .

١٢٠ ـ صفة جزيرة العرب : الهمداني : ط ليدن ، وط القاهرة تحقيق : محمد بليهد النجدي .

(الضاد)

١٢١ ـ الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر : السيد محمود شكري الألوسي : ط السلفية ـ تحقيق محمد بهجة الأثري : ١٣٤١ القاهرة .

١٢٢ ـ ضحى الاسلام : أحمد أمين ط أولى .

(الطـــاء)

١٢٣ ـ طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ ـ ٢٣١ هـ) تحقيق محمود محمد شاكر : ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م ـ القاهرة . دار المعارف .

١٢٤ ـ طبقـــات النحويين واللغويين ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ط أولى : ١٩٥٤ م تحقيق محمد أبو الفضل .

١٢٥ ـ طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب : السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف ابن رسول حققه ك . و . سترستين ١٣٦٩ هـ ـ مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٩ م .

(العـــين)

١٢٦ ـ عبث الوليد : لأبي عبادة البحتري ـ إملاء أبي العلاء المعري ـ مطبعة الترقي بدمشق : ١٩٣٦ م تعليق محمد عبد الله المدني .

١٢٧ ـ العققة والبررة : لأبي عبيدة معمر بن المثنى : نوادر المخطوطات رقم ٧ ط أولى تحقيق عبد السلام هارون .

١٢٨ ـ العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي متوفى (٣٢٨ هـ) مطبعة الاستقامة ط أولى : ١٣٥٩ ـ ١٩٤٠ في ٨ أجزاء ـ تحقيق محمد سعيد العريان .

١٢٩ ـ أبو علي الفارسي : حياته ومكانته بين أئمة العربية ، وآثاره في القراءات والنحو ط نهضة مصر : للدكتور عبد الفتاح شلبي .

١٣٠ ـ العمدة لابن رشيق القيرواني : جزءان . مطبعة حجازي بالقـــاهرة . الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م .

(الغـــين)

١٣١ ـ الغفران : لأبي العلاء المعري : تحقيق بنت الشاطيء . دار المعارف بمصر ١٩٥٤ م .

١٣٢ ـ غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري : تحقيق برجشتراسر ط أولى ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م .

(الفاء)

١٣٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٩ الحافظ ابن حجر العسقلاني المطبعة البهية المصرية ١٣٤٨ هـ .

١٣٤- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن : علمي زاده - المطبعة الأهلية ببيروت ١٣٢٣ .

١٣٥- فجر الاسلام : أحمد أمين - الطبعة الثالثة لجنة التأليف والترجمة : ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م .

١٣٦- فصيح ثعلب : أبو العباس ثعلب ط الأولى ١٣٦٨ - ١٩٣٩ نشره محمد عبد المنعم خفاجى المطبعة النموذجية .

١٣٧- الفائق في غريب الحديث : لجار الله محمود الزمخشري : تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم - ط أولى ١٣٦٤ - ١٩٤٥ القاهرة دار إحياء الكتب العربية .

١٣٨- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي . مطبعة مصطفى محمد ١٣٥٢ - ١٩٣٣ .

١٣٩- فقه اللغة : الدكتور علي عبد الواحد وافى ط الثالثة لجنة البيان العربي : ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٣ م .

١٤٠- الفهرست : لابن النديم مطبعة الاستقامة .

١٤١- في الأدب الجاهلي : طه حسين ط الثالثة - لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٩١٤ م .

١٤٢- في أصول النحو : سعيد الأفغاني - مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٦ - ١٩٥٧ . ط : الثانية .

١٤٣- في الدراسات القرآنية واللغوية : أنظر : الامالة في القراءات .

١٤٤- في اللهجات العربية : الدكتور ابراهيم أنيس ط الثانية : ١٩٥٢ مطبعة لجنة البيان العربي .

(القاف)

١٤٥- ابن قتيبة : العالم الناقد الأديب : الدكتور عبد الحميد سند الجندي : المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٣ م .

١٤٦- القراءات الشاذة : تأليف عبد الفتاح القاضي - دار إحياء الكتب العربية .

١٤٧– القراءات واللهجات : عبد الوهاب حمودة – النهضة المصرية ط أولى .

١٤٨– القرطين : لابن مطرف الكناني : الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ مطبعة الخانجي جزءان . مع كتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة .

١٤٩– قطر الندى وبل الصدى – جمال الدين بن هشام ، مطبعة السعادة ط الرابعة ١٩٤٨ – ١٣٦٧ هـ .

١٥٠– قلب جزيرة العرب . فؤاد حمزة : السلفية القاهرة ١٣٥٢ – ١٩٣٣ .

(الكاف)

١٥١– الكافي الشاف : في تخريج أحاديث الكشاف – للحافظ ابن حجر العسقلاني مطبعة الاستقامة ط الثانية : ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م .

١٥٢– الكافي لمحمد بن شريح الرعيني الأندلسي (المتوفى : ٤٧٦ هـ) على هامش المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتكرر .

١٥٣– الكامل للمبرد ، التجارية ١٣٦٥ جزءان .

١٥٤– كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه : عَرّام بن الأصبغ السلمى : تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف القاهرة ط أولى ١٣٧٥ – ١٩٥٦ م .

١٥٥– كتاب الإبدال : لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي الجزء الأول والثاني – مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق تحقيق عز الدين التنوخي ١٩٦٠ : ١٩٦١ .

١٥٦– كتاب الاشتقاق : ابن دريد : جوتنجن ، وكذلك تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . الخانجي ١٩٥٨ م .

١٥٧– كتاب الأفعال : لابن القوطية (متوفى ٣٦٧ هـ) الطبعة الأولى مصر : ١٩٥٢ م .

١٥٨– كتاب الأفعال : لأبي القاسم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع الصقلي ط الأولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية . بحيدر أباد الدكن ١٣٦٠ هـ ٣ أجزاء .

١٥٩– كتاب التبيان – لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن . ط المنار . الشيخ طاهر الجزائري ١٣٣٤ .

١٦٠- كتاب التصحيف والتحريف : العسكري ج ١ مطبعة القاهرة ١٣٢٦ - ١٩٠٨ .
١٦١- كتاب تهذيب الألفاظ العامية : الشيخ محمد علي الدسوقي ط ٢ (١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م) .
١٦٢- كتاب خلاصة الكلام على تاريخ الجاهلية والاسلام : محمد غنيم جزء ١ ط أولى الشرقية : ١٣١٦ هـ .
١٦٣- كتاب ذيل فصيح ثعلب : لموفق الدين محمد البغدادي النحوي (٥٥٥ - ٦٢٩ هـ) نشر محمد عبد المنعم خفاجى ط الأولى ١٩٤٩ م .
١٦٤- كتاب سيبويه : الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ .
١٦٥- كتاب العين للخليل - طبعة بغداد .
١٦٦- كتاب غيث النفع في القراءات السبع . للصفاقسي بذيل كتاب (سراج القارىء) ط أولى ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م مطبعة حجازي .
١٦٧- كتاب الفصيح : لأبي العباس ثعلب (م ٢٩١ هـ) وشرح التلويح في شرح الفصيح لأبي سهل الهروي - الطبعة الأولى - ١٩٤٩ م .
١٦٨- كتاب فعلت وأفعل : لأبي إسحاق الزجاج (متوفى ٣١١ هـ) نشره : محمد عبد المنعم خفاجى ط الأولى ١٩٤٩ م .
١٦٩- كتاب اللغات في القرآن : أخبر به إسماعيل بن عمرو المقري - تحقيق صلاح الدين المنجد مطبعة الرسالة : ط أولى القاهرة ١٣٦٥ - ١٩٤٦ م .
١٧٠- كتاب مسائيه : لأبي زيد الأنصاري - بيروت الطبعة الأولى ١٨٩٤ .
١٧١- كتاب المصاحف : لأبي بكر عبـــد الله بن أبي داود السجستاني (متوفى ٣١٦ هـ) صححه الدكتور أرثر جفري ط أولى ١٩٣٦ م - ١٣٥٥ هـ المطبعة الرحمانية .
١٧٢- كتاب النعم : ليبسك ١٩٠٨ م .
١٧٣- كتاب النقط - أبو عمرو الداني ط الترقي بدمشق تحقيق محمد دهمان : ١٣٥٩ - ١٩٤٠ .
١٧٤- كتاب الوحوش : للأصمعي نشرة فينا ١٨٨٨ م .
١٧٥- الكشاف : للامام محمود بن عمر الزمخشري (متوفى ٥٢٨ هـ) طبعـــة الاستقامة ط الثانية : ١٣٧٣ - ١٩٥٣ .
١٧٦- كفاية المتحفظ : الأجدابي ط أولى - حلب - ١٣٤٥ شرح الزرقا .

١٧٧- الكلمات الحسان ، في الحروف السبعة وجمع القرآن : للشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي ط أولى بالمطبعة الخيرية ١٣٢٣ هـ .

١٧٨- كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ : التبريزي .

١٧٩- الكنز اللغوي في اللسن العربي . نشره أوغست هفنر - طبعة الكاثوليكية بيروت : ١٩٠٣ م ويشمل الكتب الآتية :

(أ) القلب والإبدال لابن السكيت .

(ب) كتاب الإبل : لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي .

(ج) كتاب خلق الانسان للأصمعي .

١٨٠- الكواكب الدرية : ط مصطفى الحلبي ١٣٤٤ - الحداد بن علي بن الحسيني .

(اللام)

١٨١- لسان العرب : جمـــال الدين المعروف بابن منظور ط أولى بالمطبعة الأميرية : في ٢٠ جزءا - بولاق .

١٨٢- اللغة بين المعيارية والوصفية : الدكتور تمام حسان - الانجلو المصرية ١٩٥٨ ط أولى .

١٨٣- اللغة الشاعرة : عباس العقاد - مطبعة مخيمر ١٩٦٠ م .

١٨٤- اللغة والمجتمع : الدكتور محمود السعران - المطبعة الأهلية بنغازي ١٩٥٨ م .

١٨٥- اللغة العربية كائن حي : تأليف جرجي زيدان - مراجعة وتحقيق الدكتور : مراد كامل - دار الهلال .

١٨٦- اللغة والنحو : الدكتور حسن عون ط أولى ١٩٥٢ م مطبعة رويال بالاسكندرية .

١٨٧- ليس في كلام العرب : ابن خالويه (متوفى ٣٧٠ هـ) ط أولى ١٣٢٧ السعادة .

(الميم)

١٨٨- ما تلحن فيه العامة - للكسائي ، ضمن مجموعة « ثلاث رسائل » اعتنى بنسخها والتعليق عليهـــا : عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي : بالجامعة الاسلامية في عليكره : ط السلفية : ١٣٤٤ هـ .

١٨٩- مباحث في علوم القرآن . دكتور صبحي الصالح : مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م .

١٩٠- مجمع الأمثال للميداني : جزءان : تحقيق محمد محي الدين ١٣٧٤ - ١٩٥٥ مطبعة السنة المحمدية .

١٩١- مجموعة البحوث التي قدمت لمؤتمر برنستون بواشنطون في المـــدة بين ٨ ، ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ م ببلدة برنستون وفي المدة بين ١٧ ، ١٩ سبتمبر ١٩٥٣ م . بمكتبة الكونجرس . مطبعة النهضة المصرية - جمع محمد خلف الله .

١٩٢- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة جمعها - دكتور محمد حميد الله الحيدر أبادي ط ٢ - لجنة التأليف والترجمة . القاهرة .

١٩٣- مجالس ثعلب : لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب جزءان دار المعارف بمصر : تحقيق عبد السلام هارون .

١٩٤- مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي . طبعـــة أولى تحقيق الدكتور محمد فؤاد ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م - مطبعة السعادة بمصر .

١٩٥- محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية : محمد الخضري . الطبعـــة الخامسة ١٣٦٦ م الاستقامة .

١٩٦- محاضرات الدكتور خليل عساكر ، في معهد اللغات الشرقية : ١٩٥٣ م .

١٩٧- محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها : الدكتور أنيس فريحة ، مطبعـــة الرسالة : ١٩٥٥ م .

١٩٨- محاضرات في اللهجات الجنوبية القديمة - الدكتور خليل يحيى نامي ، ألقـــاها في معهد اللغات الشرقية ١٩٥٣ م .

١٩٩- مختارات المرحوم أحمد تيمور ، طرائف من روائع الأدب العربي ط أولى دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٦ م .

٢٠٠- مختصر شواذ القرآن من كتـــاب البديع لابن خالويه : عني بنشره : ج . برجشتراسر لجمعية المستشرقين الألمانية ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤ م .

٢٠١- مختصر الوجوه في اللغة : الخوارزمي ، ط حلب شرح الزرقا ١٣٤٤ هـ

٢٠٢– المخصص : لأبي الحسن المعروف بابن سيده (متوفى ٤٥٨ هـ) ط الأولى بولاق :١٣١٦هـ – ١٣٢١ هـ في ١٧ جزءاً .

٢٠٣– مدارك التنزيل وحقائق التـــأويل : عبد الله بن أحمد النسفي : الحسينية ١٣٢٦ هـ – ١٩٠٨ م .

٢٠٤– المدخل إلى دراسة النحو العربي – عبد المجيد عابدين ط الأولى ١٩٥١ م .

٢٠٥– المذكر والمؤنث : للفراء ط الأولى المطبعة العلمية بحلب : ١٣٤٥ هـ بتحقيق مصطفى الزرقا .

٢٠٦– مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوي – نهضة مصر – بتحقيق أبي الفضل ابراهيم .

٢٠٧– المزهر في علوم اللغة : عبد الرحمن السيوطي . دار إحياء الكتب العربية جزءان .

٢٠٨– المسئولية والجزاء : الدكتور علي عبد الواحد وافى ط الثانية : ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩ م دار إحياء الكتب العربية .

٢٠٩– مستقبل اللغة العربية المشتركة : الدكتور ابراهيم أنيس : ١٩٥٩ م .

٢١٠– المسند : أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ) شرح أحمد شاكر . دار المعارف ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

٢١١– مشكلات حياتنا اللغوية : أمين الخولي معهد الدراسات العربية العالية : ١٩٥٨ م .

٢١٢ – مشكل القرآن وغريبه : ابن قتيبة ط أولى : ١٣٥٥ هـ – جزءان .

٢١٣ – مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف : للشيخ محمد عليان المرزوقي : طبعة الاستقامة الثانية : ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م .

٢١٤ – معجم الأدباء : ياقوت الحموي : ط دار المأمون من جزء ١ : ٢٠ .

٢١٥ – معجم البلدان : ياقوت الحموي (متوفى ٦٢٦ هـ) ط أولى من جـ ١ : ٨ مطبعة السعادة: ١٣٢٤ هـ – ١٩٠٦ م .

٢١٦ – المعجم العربي نشـــأته وتطوره : دكتور حسين نصار : ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م . دار الكتاب العربي جزءان .

٢١٧ – المعجم في بقية الأشياء : أبو هلال العسكري . طبعـــة أولى ، دار الكتب ١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م .

٢١٨- معجم فيشر ، مقدمة ونموذج منه . مطبعة الرسالة : ١٩٥٠ م .

٢١٩- معجم قبائل العرب : عمر رضا كحالة ٣ أجزاء المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

٢٢٠- معجم ما استعجم للبكري (متوفى ٤٨٧ هـ) ٤ أجزاء . مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م .

٢٢١- معجم مقاييس اللغة : لابن فارس - تحقيق عبد السلام هارون ، ط أولى دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة من ج ١ : ٦ .

٢٢٢- معاني القرآن : أبو زكريا الفراء (متوفى ٢٠٧ هـ) ط دار الكتب : ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م . بتحقيق أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار .

٢٢٣- المعارف لابن قتيبة الدينوري (المتوفى ٢٧٦ هـ) ط أولى ١٣٥٣ - ١٩٣٥ م المطبعة الرحمانية : حققه محمد الصاوي .

٢٢٤- المعرب : لأبي منصور الجواليقي . دار الكتب ١٣٦١ تحقيق المرحوم أحمد شاكر .

٢٢٥- مغني اللبيب : جمال الدين بن هشام الأنصاري : التجارية ، ١٣٥٦ جزءان .

٢٢٦- مفردات من تعز وتربة ذبحان : دكتور خليل يحيى نامي .

٢٢٧- المفضل في شرح أبيات المفصل ، للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي ط أولى مطبعة التقدم .

٢٢٨- مقدمة تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري ط أولى ١٣٧٦ ، ١٩٥٦ . دار مصر للطباعة : بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

٢٢٩- مقدمة الحضارات الأولى : غوستاف لوبون ، السلفية بالقاهرة ١٣٤١ هـ .

٢٣٠- مقدمة ابن خلدون (بدون تاريخ) طبعها مصطفى محمد صاحب البهية المصرية

٢٣١- مقدمة كتاب المصاحف للسجستاني : أرثر جفري ط أولى ١٩٣٦ م المطبعة الرحمانية .

٢٣٢- مقدمة لدرس لغة العرب : عبد الله العلايلي ، المطبعة العصرية .

٢٣٣- مقدمتان في علوم القرآن ، كتاب المباني في نظم المعاني ، ومقدمة ابن عطية نشرهما ارثر جفري ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤ م .

٢٣٤- المقتضب من كلام العرب : لأبي الفتح عثمان بن جني ، المطبعة العربية ، بمصر ١٣٤٣ ، ١٩٢٤ م .

٢٣٥- المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهـــل الأمصار مع كتاب النقط : أبو عمرو الداني (متوفى ٤٤٤ هـ) مطبعـــة الترقي بدمشق ١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م . تحقيق محمد أحمد دهمان .

٢٣٦- المكرر فيما تواتر من القراءات السبع : عمر بن قاسم الأنصاري المشهور بالنشار من علماء القرن التاسع الهجرى .

٢٣٧- الملاحن : أبو بكر بن دريد الأزدي ط السلفيـــة ١٣٤٧ هـ تعليق أبو إسحق طفيش الجزائري .

٢٣٨- من أسرار اللغة : الدكتور ابراهيم أنيس مكتبة الأنجلو ط الأولى والثانية .

٢٣٩- مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني : الطبعة الثانية : ١٣٧٣ ، ١٩٥٤ .

٢٤٠- منتخبات من أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري ، نشرها عظيم الدين أحمد ، بريل ١٩١٦ م

٢٤١- المنصف لابن جني الحلبي ط الأولى ٣ أجـــزاء ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٤ م تحقيق ابراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين .

٢٤٢- المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود ، شرح السبكي طبعة أولى ١٣٥٢ هـ مطبعة الاستقامة .

٢٤٣- الميسر والقداح : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : تحقيق محب الدين الخطيب : السلفية ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

٢٤٤- مهـــد العرب : الدكتور عبد الوهاب عزام : من سلسلة « اقـــرأ » رقم ٤٠ دار المعارف بمصر .

٢٤٥- الموشح في مآخذ العلمـــاء على الشعراء : أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (متوفى ٣٨٤ هـ) السلفية ١٣٤٣ هـ .

٢٤٦- الموفي في النحو الكوفي : للسيد صـــدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

(النون)

٢٤٧- نحو عربية ميسرة : الدكتور أنيس فريحة ، بيروت دار الثقافة .

٢٤٨- نسب عدنان وقحطان : لأبي العباس المبرد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : ١٣٥٤ ، ١٩٤٦ م تحقيق عبد العزيز الميمني الهندي .

٢٤٩- نشأة النحو : الشيخ محمد الطنطاوي ، الطبعة الثانية : ١٩٤٣م .

٢٥٠- النشر في القراءات العشر : لابن الجزري جزءان المكتبة التجارية .

١٥١- النشريات الاسلامية ٧ أنظر : مختصر شواذ القرآن .

٢٥٢- نشوء اللغة العربية ، ونموها واكتهالها ، أنستاس ماري الكرملي : المطبعة العصرية ١٩٢٨ .

٢٥٣- النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية : المرحوم محمد محمود جمعة ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٩ م .

٢٥٤- نظرة في النحو : طه الراوي ، مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد ١٤ جزء ٩ ، ١٠ ١٣٥٥ ، ١٩٣٦ .

٢٥٥- نقض كتاب في الشعر الجاهلي : محمد الخضر حسين ، القاهرة : ١٣٤٥ ﻫ السلفية .

٢٥٦- نوادر المخطوطات رقم ٧ ، طبعة أولى لجنة التأليف والترجمة : ١٣٧٤ ﻫ ١٩٥٥ م . تحقيق عبد السلام هارون .

٢٥٧- نوادر اللغة : لأبي زيد الأنصاري ، بيروت ١٨٩٤ م .

٢٥٨- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : القلقشندي ، تحقيق الأبياري طبعة أولى القاهرة ١٩٥٩ م .

٢٥٩- نهاية الأرب في فنون الأدب : أحمد بن عبد الوهاب النويري ، السفر الثاني : مطبعة دار الكتب : ١٣٤٢ ﻫ و ١٩٢٤ م .

٢٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر : لمجد الدين أبي السعادات بن الجزري المعروف بابن الأثير ، المطبعة العثمانية القاهرة ١٣١١ في ٤ أجزاء .

٢٦١- نهاية القول المفيد في عـــلم التجويد : تأليف محمد مكيّ نصر ، مطبعة مصطفى
١٣٤٩ هـ .

٢٦٢- النهر المـــاد من البحر المحيط : لأبي حيان على هامش البحر : مطبعة السعادة
الأولى ١٣٢٨ هـ .

(الواو)

٢٦٣- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه : الشيخ أحمد السكندري ط السابعة : ١٩٢٨

٢٦٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس أحمد بن محمد المشهور بابن خل
(٦٠٨ ، ٦٨١) . الطبعة الأولى ١٣٦٧ ، ١٩٤٨ م . مطبعة السعادة في ٦ أجزاء

٢٦٥- وزن أفعل من الفعل المزيد : الدكتور خليل يحيى نامي .

(الهـــاء)

٢٦٦- همع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي : جزءان ، مطبعة السعـ
الأولى : ١٣٢٧ هـ .

ثانياً : المخطوطات :

(أ)

٢٦٧- ارتشاف الضرب من لسان العرب : لأبي حيان مصور بدار الكتب رقم ٦١٥٦ هـ ، رقم ١١٠٦ مخطوطة بدار الكتب .

٢٦٨- الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء : عبد الصبور شاهين مخطوط بمكتبة دار العلوم .

(ت)

٢٦٩- التذييل والتكميل : لأبي حيان : مصور بجامعة القاهرة رقم ٢٦٠٥٨ .

(ح)

٢٧٠- الحجة : لابن خالويه ١٩٥٢٣ قراءات مخطوط بدار الكتب .

٢٧١- الحجة : لأبي علي الفارسي رقم ١٩٥٥٣ ب خط قراءات جـ ١ .

(د)

٢٧٢- دراسة لغوية في لهجات البدو في مصر ، عبد العزيز مطر ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم .

٢٧٣- ديوان الأدب للفارابي : خط ٣٨٣ لغة بمكتبة تيمور .

(ر)

٢٧٤- رسالة في غريب القرآن على لغات القبائل ١٤٠ حديث خط بمكتبة تيمور .

(ش)

٢٧٥- شرح السيرافي على كتاب سيبويه : مخطوط ٦ أجزاء بدار الكتب ، مكتبة تيمور ٥٢٨ نحو .

٢٧٦- الشوارد في اللغة للحسن الصاغاني ٤١٨ لغة دار الكتب وهو باسم (ما تفرد به بعض أئمة اللغة) .

(ع)

٢٧٧- عقد الجوهرة في الأسماء المؤنثة والمذكرة : عبد الرحمن بن الحسن خط ٣٢٧ لغة تيمور . في مجموعة .

(غ)

٢٧٨- الغريب المصنف : لابي عبيد القاسم بن سلام ١٢١ لغة خط بدار الكتب .

(ك)

٢٧٩- كتاب التذكير والتأنيث : لمحمد شمس الدين أبي حـــاتم السجستاني ٢٦٤ خط لغة تيمور .

٢٨٠- كتاب المذكر والمؤنث : للامام ابن جني ، لغة تيمور ٣٨٨ خط .

٢٨١- كتاب المذكر والمؤنث : لابي العباس محمد بن يزيد المـــبرد ، رواية أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي عن أبي بكر محمد بن السري السراج عن المبرد : لغـــة تيمور رقم ٤٠١ خط .

٢٨٢- كتاب الكافية الشافيـــة : تصنيف جمال الدين بن مالك الطائي ٢٣٩ نحو خط بدار الكتب .

(ل)

٢٨٣- لغات القرآن : مختصر من مفردات الراغب : لم يعلم مؤلفها ٣٧٧ لغة تيمور خط .

٢٨٤- لغات القرآن : لابي حيان ٧٤ لغة تيمور خط .

٢٨٥- لغات مختصر ابن الحاجب الفرعي : تأليف شمس الدين محمد عبد السلام رقم ٤٧ لغـة مخطوط بدار الكتب .

(م)

٢٨٦- المحتسب : لابن جني ، مخطوط بمكتبة تيمور ، تفسير (٣٧٩) جزءان .

٢٨٧- مختصر في المؤنث والمذكر : لابن فارس ٢٦٥ لغة تيمور خط .

٢٨٨- المقتضب : للمبرد مصور بالدار رقم ١٥٢٥ نحو .

٢٨٩- من لهجات الجزيرة وأدبها بالسودان : الدكتور عبد الحميد طلب مخطوطة بمكتبة كلية الآداب بجامعة القاهرة (رسالة دكتوراه) .

(ن)

٢٩٠- نبذة في المؤلفات السماعية : ضمن مجموعة ٣٢٧ لغة تيمور .

ثالثاً : الكتب المترجمة :

٢٩١- تاريخ الادب العربي : الدكتور كارل بروكلمان نقله إلى العربيـــة الدكتور : عبد الحليم النجار ، دار المعارف .

٢٩٢- تاريخ الادب العربي : الدكتور بلا شير تعريب الدكتور : ابراهيم الكيلاني طبـــع الجامعة السورية .

٢٩٣- علاقة التاريخ باللهجات العربية ، محاضرة بالفرنسية للأمير شكيب ارسلان ألقاها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في ليدن ١٩٣١ م .

٢٩٤- شادة ، أرتور : علم الاصوات عنـــد سيبويه وعندنا (محاضرة ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية ، ونشرت في صحيفة الجامعة المصرية ١٩٣١) .

٢٩٥- العربية : دراسات في اللغة واللهجات والاساليب - يوهان فك ، نقله إلى العربية وحققه وفهرس له . الدكتور : عبد الحليم النجار - دار الكتاب العربي ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .

٢٩٦- اللغة : فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي والدكتور : القصاص . لجنة البيان العربي ١٩٥٠ م .

رابعاً : الجرائد والمجلات والمسجلات :

٢٩٧– جريدة الاهرام في ١٩٦١/١١/٢٤ من مقال لبنت الشاطىء .

٢٩٨– حرف الضاد و كثرة مخارجه في اللغة العربية : الدكتور خليل يحيى نامي فصلة من مجلة كلية الآداب المجلد ٢١ العدد الاول مايو ١٩٥٩ م .

٢٩٩– ضمير المتكلم المرفوع : للدكتور خليل يحيى نامي : فصلة من مجلة كلية الآداب مجلد ١٩ ج ١ مايو ١٩٥٧ م .

٣٠٠– فصلة من مجلة كلية الآداب : ص : ٣٩٧ إلى ٤٠٧ من مقال للدكتور : السيد يعقوب بكر عن الضمير – أنا – في اللغات السامية .

٣٠١– في قراءات القرآن : دكتور عبد الحليم النجار – مجلة كلية الآداب مجلد ١٠ مايو ١٩٤٨ م .

٣٠٢– في اللهجات العربية وأصول اختلافها : دكتور عبد الحليم النجار – فصلة من مجلة كلية الآداب : مجلد ١٥ ج ١ مايو ١٩٧٣ .

٣٠٣– القبائل والقراءات : عبد الستار فراج عـــدد ٨٠٧ ، ٢٠ ديسمبر ١٩٤٨ م من مجلة الرسالة .

٣٠٤– لغات النقوش العربية الشمالية وصلتها باللغة العربية – الدكتور مراد كامل في جلسة مؤتمر المجمع ، الجلسة السادسة : ١٤ شوال ١٣٨١ – ٢٠ مارس ١٩٦٢ م .

٣٠٥– مجلة الازهر ج ١٠ : ١٩٥٢ منطق أرسطو والنحو العربي دكتور مدكور .

٣٠٦– مجلة الازهر المجلد الثالث والعشرون ١٩٥٢ م .

٣٠٧– مجلة كلية الآداب : العدد : ٨ ج ١ مايو ١٩٤٦ ، مجلد ١٠ ج ٢ والمجلد ١٠ ج ١ مايو ١٩٤٨ .

٣٠٨– مجلة مجمع اللغة العربية : دور الانعقاد الاول : ١٤ شوال ١٣٥٢ هـ ، ٣٠ يناير ١٩٣٤ ، ج ١ ١٩٣٥ ، ج ٣ ١٩٣٦ ، ج ٤ ، ٧ ، ١٣ .

٣٠٩– مجلة المشرق : مجلد ٦ ج ١٢ ، ١٣ .

٣١٠– مجلة المقتطف : يناير ١٩٣٢ .

٣١١– مجلة الهلال ٢٦ أكتوبر ١٩١٧ م .

خامساً : المراجع الأجنبية :

312 - Arthur Jeffery.
Materials, For The History of The Text of The Qur'an. Leiden. Brill, 1937.

313 - Chaim Rabin.
Aneient West Arsbian, London : 1951.

314 - K. Vollers.
Volkssprache und Schriftsprache im Alten Arabien, « Strassburg, 1906 »

315 - Th. Noldeke.
Das Klassische Arabisch und Die Arabische Dialekte : « Strassburg. 1904 »

316 - W. Freytag.
Einleitung in Das Studi Der Arabischen Sprache. Bonn 1861.

أولا : الفهرس العلمي للرسالة

اللهجات ـ احصائية للهجات القبائل العربية في كتاب « نــوادر اللغة » لأبي زيد الأنصاري نتيجة هذه الاحصائية .
٤ ـ المؤلفات تحت اسم (دواوين القبائل وأشعارها) .
٥ ـ لغة الاحصاء وتشتمل : ـ
أولاً : دراسات احصائية تسجل عدد ورود لهجات القبائــل في المصنفات الآتية : ١٦٠ ـ ١٧٩

أ ـ كتب النحو : : ١ ـ شرح المفصل : لابن يعيش .
٢ ـ خزانة الأدب : للبغدادي
ب ـ كتب اللغة : ١ ـ اصلاح المنطق : لابن السكيت
٢ ـ لسان العرب : لابن منظور .
ج ـ كتب القراءات وتشمل :
أولاً : القراءات الشاذة ، ويمثلها :
١ ـ كتاب شواذ القرآن : لابــن خالويه .
٢ ـ كتاب المحتسب في شــواذ القراءات : لابن جــنى ـ مقارنات بين الكتابين فــي لهجات القبائل .
ثانياً : القراءات السبعية : ويمثلها : كتاب ابراز المعاني من حرز الأماني : لأبي شامة .
د ـ كتب الأدب العامة : ممثلة في (الأمالي لأبي علي القالي)
هـ ـ كتب شروح الأشعار : ممثلة في (شرح ديــوان الحماسة للمرزوقي) .
ثانياً : دراسة احصائية تسجل أسماء الرواة الذين كانوا مصــدراً لرواية اللهجات العربية المعزوة في :
١ ـ المخصص : لابن سيده .
٢ ـ همع الهوامع بشرح جمع الجوامع : للسيوطي .
نتيجة الاحصائية في هذين المصدرين .

ملاحظات ونقد على اللوحات الاحصائية السابقة في كتب النحـــو واللغة والقراءات وكتب الأدب العامة ، وكتب شروح الأشعار .

ثانياً : نظرة علماء العربية الى اللهجات من خلال مؤلفاتهم ورواياتهم :

أولاً : اللهجات بين البصريين والكوفيين : ١٨٠ — ١٨٦

البصريون يعتمدون على القبائل المشهورة وحدها— استقراؤهم محصور في نطاق ضيق — رفضهم أخذ اللغة عن لهجات القبائل المغمورة — القرآن وثق لهجات القبائل التي لم يأخذ عنهـــا البصريون — رجحت أن مقياس الفصاحة لا يتصل بالبداوة أو الحضارة بل هو الوثوق من سلامة لغة المحتج به بدوياً كان أم حضرياً — القبائل الفصيحة والتي أخذ البصريون عنها ولم تكن محل اتفاق بين الرواة — قائمة الفارابي لبيان القبائل الفصيحة تحمل في ثناياها تعصباً للقبائل المشهورة — علماء البصرة كانت عندهم حساسية لغير قائمة الفارابي — الكوفيون أشد احتراماً لما ورد عن لهجات القبائل ؛ لأن كل لهجة عندهم تمثل حقلاً لغوياً لا يصح اهداره أو الحيف عليه — أيّ لهجة قبلية أمدت الفصحى بروافد غنية على المستويات المختلفة .

موقف البصريين من اللهجات يظهر في :

١ — طعنهم في القراءات القرآنية والتي تمثل لهجات عربية ١٨٧ — ١٩١

٢ — انكارهم روايات تمثل لهجات عربية : ١٩٢ — ١٩٨

٣ — تصنيف للأحكام التي أصدروها على اللهجات .

النحاة أصحاب معايير حاولوا اخضاع اللهجات لها مع اختلاف منازعها — اضطراب مقياس الخطأ والصواب في أيدي النحاة ..

ثانياً : مدى ظهور لهجات القبائل في مؤلفات البغداديين وتشمل١٩٩ — ٢٠٢

الباب الخامس

عبدالله ، وزيد ــ شاعر من طيء يستعمل اللهجة التميمية في الشعر .

٣ ــ اثنان واثنتان : في لهجة الحجاز ــ وثنتان في لهجة تميم .

٤ ــ سأوريكم : لغة الحجاز في سأريكم .

ثانياً : الحذف والزيادة في منطق القبائل غير الحجازية والتميمية : ٦٨٢ ــ ٦٩٢

١ ــ الاجتزاء بالكسرة في آخر الكلمة عن الياء كثير في لغة هذيل ــ بعضهم يرى أنها ضرورة لا لغة ورجحت أنها لهجة وشواهد من القرآن والنثر ــ اثبات الياء في آخر الكلمة لهجة الحجاز ــ مخالفتي لبرجشتراسر .

٢ ــ هذيل تحذف عين الكلمة في (راد) أي : رائد .

٣ ــ هذيل تحذف فاء الكلمة في مثل : يتقى ويتخذ ــ القرآن الكريم يصور الظاهرة الهذلية .

٤ ــ حذف الواو والياء والاكتفاء بالضمة في حالة حذف الواو ، وبالكسرة في حالة حذف الياء في : هوازن وقيس وأسد ــ بعض علماء العربية يرى أن الحذف ضرورة لا لهجة فيما سبق ــ وهم مجانبون للصواب فيما رأوا ــ شواهد للظاهرة من القرآن ، والساميات ، ولهجاتنا الحديثة ، والنثر ، ولا ضرورة في النثر ولا في القرآن .

٥ ــ من تقصير هذيل قولهم : اللذ في : الذي ، واللاؤ في اللاؤن ــ استعمال « اللاؤن » في الرفع (واللائين) في النصب والجر كجمع لكلمة (الذي) في لهجة هذيل .

٦ ــ حذف النون من الذين واللذون واللتان في : بني الحارث ابن كعب وبعض ربيعة ــ بين البصريين والكوفيين في هذا الحذف ــ والرأي الذي رجحته ــ ميل القبائل البدوية الى الحذف ، والحضرية الى الصيغ الكاملة بدليل أن الصيغ السابقة بالنون في لهجة الحجاز .

أن الظاهرة من الضرورات والرد عليه ـ المصححون يضيعون سمات اللهجات ـ في اللهجات الصفوية ما يشبه لهجة خثعم وزبيد عدى الرباب يشبعون الكسرة حتى تتولد منها ياء ـ بعض قبائل ربيعة يشبعون الكسرة حتى تتولد منها ياء ، كما يشبعون الفتحة حتى تتولد منها ألف .

يجيء الحذف فيكون : لهجة عربية ، أو ضرورة شعرية ، أو يحقق نسقاً صوتياً ـ التطويل يأتي لمثل هذه الأغراض ـ أمثلة وشواهد : ٧٠٣ ـ ٧١٠

ثانياً : (الفهرس الاحصائي للرسالة)

لوحة احصائية رقم (ز) ص ١٧١ : لبيان أسماء القبائل التي عزيت لها لهجات في شواذ القراءات : لابن جنى) .

لوحة احصائية رقم (ح) ص ١٧٢ : لبيان أسماء القبائل التي عزيت لها لهجات في كتاب (ابراز المعاني من حرز الأماني : لأبي شامة) .

لوحة احصائية رقم (ط) ص ١٧٣ : لبياء أسماء القبائل التي عزيت لها لهجات في كتاب (الأمالي : لأبي علي القالي) .

لوحة احصائية رقم (ي) ص ١٧٤ : لبيان أسماء القبائل التي عزيت لها لهجات في (شرح ديوان الحماسة : للمرزوقي) .

لوحة احصائية رقم (ك) ص ١٧٥ : لبيان أسماء الرواة الذين كانوا مصدراً لرواية اللهجات المعزوة في كتاب (المخصص : لابن سيده) .

لوحة احصائية رقم (ل) ص ١٧٦ : لبيــان أسماء الرواة الذين كانوا مصدراً لرواية اللهجات المعزوة في كتاب (الهمع : للسيوطي) .

بيان عدد القبائل التي عزيت لها لهجات في مخطوطة (الكافية الشافية) لابن مالك . ص ١٨٢ – ١٨٣ .

مقارنة احصائية لهجية ثلاثية بين كتاب : البحر المحيط لأبي حيان ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : للزمخشري ، وجامع البيان عن تأويل القرآن : لابن جرير الطبري في سورة الفاتحة ، وسورة البقرة الى قوله : « تلك الرسل ...... »
ص: ٢٠٧ – ٢١٥

لوحة احصائية : لبيان أسماء القبائل التي عزيت لها لهجات في كتاب (المخصص لابن سيدة
ص : ٢٢٠

بيان عدد القبائل التي عزيت لها لهجات في معجم (جمهرة اللغة : لابن دريد)
ص : ٢٢٠

بيان عدد القبائل التي عزيت لها لهجات في كتاب (شرح التصريح على التوضيح : لخالد الأزهري)
ص : ٢٢١ – ٢٢٢

ثالثاً — لهجات القبائل العربية وبطونها وأصائلها وأفرادها ، ولغات الأمم الأخرى

رابعا – فهرس الآيات القرآنية * .

* يلاحظ أن الآيات الكريمة في هذا الفهرس قد وردت في الكتاب على مستويات وقراءات مختلفة : سبعية وعشرية وشاذة .

٣٤٧	النّساء	١٢٨	فلاجناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا .
٤٤٩	النّساء	٨٧	ومن أصدق من الله حديثا .
٥٨٣	النّساء	١٢٣	ولا يجد له من دون الله وليّا .
٥٩٥	النّساء	١١٢	ثم يرم به بريئا .
٦١٨	النّساء	١٠١	إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا .
٦٥٩	النّساء	١٦	واللذان يأتيانها منكم فآذوهما .
			• • •
٩٨	المائدة	١	بهيمة الأنعام .
٢٤٤	المائدة	٦٤	ولعنوا بما قالوا .
٢٧٣	المائدة	٢	وإذا حللتم فاصطادوا .
٢٩٤	المائدة	١٠٢	قد سألها قوم من قبلكم .
٢٩٧	المائدة	٥٤	من يرتد منكم عن دينه .
٣٠١	المائدة	٥٩	قل يأهل الكتاب هل تنقمون منّا إلاّ ان آمنّا بالله .
٣٣٢	المائدة	٥٢	فترى الذين في قلوبهم مرض .
٤٠٨	المائدة	٩٧	جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما .
			• • •
٢٤٦	الأنعام	١٠٩	يشعركم .
٢٥٥	الأنعام	١١١	وحشرنا عليهم كل شيء قبلا .
٢٦١	الأنعام	٩٩	انظروا إلى ثمره .
٢٦٤	الأنعام	١٤٣	من الضّأن اثنين .
٢٧٣	الأنعام	٣٣	فإنهم لا يكذبونك .
٢٨٣	الأنعام	٥٢	بالغدوة .
٥٤٢	الأنعام	١٦٢	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي .
٥٧٣	الأنعام	١١٣	ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة
٥٩٤	الأنعام	٧٨	إني بريء مما تشركون .
٥٩٤	الأنعام	١٩	وإنني بريء مما تشركون .
٥٩٦	الأنعام	١٣٦	فقالوا هذا الله بزعمهم .

٦٥	الأعراف	٥٩، ٦٥	ما لكم من إله غيره .
٧٠	الأعراف	١١١	قالوا ارجه وأخاه وارسل في المدائن حاشرين
١٦١ – ٢٥٦	الأعراف	١٨٧	يسألونك عن الساعة أيان مرساها .
٢٤٧	الأعراف	١٦٠	وقطعناهم أثنتي عشرة أسباطاً أمما .
٢٩٣	الأعراف	١٧٦	فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا :
٥١٥	الأعراف	١١١	أرجه وأخاه .
٥٦١	الأعراف	١٣٧	وما كانوا يعرشون .
٦٨٢	الأعراف	١٤٥	سأوريكم دار الفاسقين .

* * *

٧١	الأنفال	٦١	وإن جنحوا للسّلم فاجنح لها .
١٤٠	الأنفال	٥٩	ولا يحسبنّ الذين كفروا سبقوا .
٢٦٢	الأنفال	٦٦	الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا .
٢٩٧	الأنفال	١٣	ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب .
٣٣٩	الأنفال	٦٤، ٦٥	النبيّ .
٥٦٦	الأنفال	٦١	فاجنح لها .
٥٩٤	الأنفال	٤٨	إني بريء منكم .

* * *

٧٠	التّوبة	١٠٦	وآخرون مرجون لأمر الله .
١٤١	التّوبة	٣٩	الا تنفروا .
٢٤٠	التّوبة	١١٨	حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.
٢٦١	التّوبة	١٢٣	وليجدُوا فيكم غلظة .
٣١٩	التّوبة	١٠٦	مرجوْن .
٣٣٤	التّوبة	١٢	فقاتلوا أئمة الكفر .
٣٨٠	التّوبة	٩٧	الأعراب أشد كفراً ونفاقاً .
٥٩٤	التّوبة	٣	أن الله بريء .
٦١٥	التّوبة	٤٩	ومنهم من يقول أئذن لي ولا تفتنّي .

١٦١	طه	١٢٤	ونحشره يوم القيامة أعمى .
٢٦٣	طه	١٣١	زهرة الحياة الدنيا .
٢١٧	طه	١٢٤	ونحشره يوم القيامة .
٥٠٣	طه	١٢	إني إنا ربّك .
٥١٤	طه	١٢٤	ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى .
٥٧٤	طه	١٢١	وعصى آدم ربه فغوى .
٧٠١	طه	٩٧	إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً .

* * *

٣٢٥	الأنبياء	٤٢	قل من يكلؤكم بالليل والنهار .
٣٣٤	الأنبياء	٧٣	أئمة يهدون بأمرنا .
٤١٧	الأنبياء	٩٦	من كل حدب ينسلون .
٤٣١	الأنبياء	٩٨	حصب جهنم .
٦٢٢	الأنبياء	١٠٣	لا يحزنهم الفزع الأكبر .

* * *

٣٩٣	الحج	٥	ونقرّ في الأرحام .
٦٥٩	الحج	١٩	هذان خصمان .

* * *

٣٧٢	المؤمنون	٢٥	فتربصوا به حتى حين .

* * *

١٢١	النور	٣١	أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
٢٧٠	النور	٣١	وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون .
٢٨٣	النور	٣٥	كمشكوة .
٢٩٦	النور	٣٣	وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً .
٥٤٥	النور	٥٨	ثلاث عورات لكم .
٣٤٥	النور	٣٥	يوقد من شجرة .

* * *

٦١٥	الفرقان	٥٣	وهو الذي مرج البحرين .

• • •

٥٩٤	الشعراء	٢١٦	إني بريء مما تعملون .

• • •

٥٠٤	النمل	٣٩	أناء آتيك به
٦٣٨	النمل	٣٦	أتمدونن بمال .

• • •

٣٣٤	القصص	٥	ونجعلهم أئمة .
٤٥٠	القصص	٢٣	يصدر الرعاء .
٦٥٩	القصص	٣٢	فذانك برهانان من ربّك .
٦٦٠	القصص	٢٧	إحدى ابنتيّ هاتين .

• • •

٢٤٢	العنكبوت	٦٤	وإن الدار الآخرة لهي الحيوان .

• • •

٦٤	الروم	٣٦	يقنطون .
٥ ــ ٢١٦	الروم	٢٢	واختلاف ألسنتكم .
٦٧٠	الروم	٤	لله الأمر من قبل ومن بعد .

• • •

٦٥٧ ــ ٣٨٠	لقمان	١٩	واغضض من صوتك .
٢٩٦	لقمان	١٩	إن أنكر الأصوات لصوت الحمير .
٦٦٤	لقمان	١٨	ولا تصعّر خدك للناس .

• • •

٥٨٣	السجدة	١٠	وقالوا اذا أضللنا في الأرض .

• • •

٧٠	الأحزاب	٥١	ترجى من تشاء .
٧٠ ــ ٣١٩	الأحزاب	٥١	ترجى .
٣٢٧	الأحزاب	٥٣	فسألوهن من وراء حجاب .

٤٤٥	قٓ	١٠	والنخل باسقات .
٦٨٣	قٓ	٤١	يوم يناد المناد .
			* * *
٢٨٣	النجم	٢٠	ومنوة .
٢٤٤	القمر	١٤	جزاء لمن كان كفر .
٤٨٧	القمر	٥٣	وكل صغير وكبير مستطر .
٦٠٩	القمر	٢٦	سيعلمون غدا من الكذاب الأشر .
٦٤٤	القمر	٢٠	نخل منقعر .
			* * *
٥٦٧	الرحمن	٣١	سنفرغ لكم .
٦٤٤	الرحمن	١١	والنخل ذات الأكمام .
٦٧١	الرحمن	١١	فبأي آلاء ربكما تكذبان .
			* * *
٤٧٤ ـ ٧٠٠	الواقعة	٦٥	فظلتم تفكهون .
			* * *
٣٣٩	الحديد	٢٦	النبوّة .
			* * *
٥٦١	المجادلة	١١	وإذا قيل انشزوا فانشزوا ..
			* * *
٢٩٧	الحشر	٤	ومن يشاق الله .
٥٩٥	الحشر	١٦	إني بريء منك .
			* * *
٥٩٥	الممتحنة	٤	إنا براء منكم .
			* * *
٣٢٤	الطلاق	٤	واللائي يئسن من المحيض .
			* * *
٦٩٩	التحريم	٣	عرف بعضه وأعرض عن بعض .
			* * *

خامسا — فهرس الأحاديث النبوية والآثار : *

* رتبنا الأحاديث الشريفة تر تيباً أبجدياً حسب أوائلها .

سادساً ـ فهرس الحكم والأمثال

سابعا – فهرس الأشعار والأراجيز *

* يتلو كل قافية اسم الشاعر وما اشتهر به من نسب أو كنية أو لقب ، أو يذكر اسم الراوي مقيداً بقوسين .

القافية	القائل	الصفحة	القافية	القائل	الصفحة
يصول	ابو جعفر	٤٦٠	هملّ	(الجاحظ)	٣٦٥
مكفول		٤٦٣	الطولّ	رجل من فقعس	٣٦٥
صلّ	تأبط شرا	٤٩٧	المعتل	(الجاحظ)	٣٦٥
عاجل	ابو حزام العكلي	٥١٣	معتلى	طفيل الغنوي	٣٦٧
ثعل	عبدالله بن همام	٥٦٣	الإجّل	أبو النجم العجلي	٣٧٧
	السلولي		يذبل	مزاحم العقيلي	٤١٤
زجل	(الفراء)	٦١٨	بأوصال	(عن أبي عليّ)	٤٠٢
الرجل	(السيرافي)	٤٩١	البسْلِ	زهير بن ذؤيب	٤٥٧
ذلل	(السيرافي)	٦٧٤		العدوي	
الوعول	ساعدة الهذلي	٦٨٥	حلال	حري بن عامر الطائي	٥٣٤
تتلو	(السيرافي)	٦٨٥	بنعال	الأعشى	٥٥٢
خطلهو	—	٥٢١	للرئال	حبيب الأعلم	٥٨٢
طيالها	—	٥٤٦	التفل	(الفراء)	٦٣٤
هالا	رجل من جَرْم	٣٩١	بالمصاقيل	أمية بن الأسكر	٦٩١
غليلا	جرير	٥٧٨		الكناني	
الأغلالا	الفرزدق	٦٩١	الجمال	(المتنبي)	٧٠٣
قتلَهْ	العفيف عبدي	١٣٣	بالسّحل	أبو ذؤيب	٦٩٥
أفعلهْ	عامر بن جوين	٥٠٨	يحللِ	أبو كبير الهذلي	٢٩٨
قذالها	الأعشى	٥٤٩	بالرجل	—	٤٩١
أبقالها	عامر بن جوين	٦٤٢	القرنفل	—	٦٧٣
	الطائي				٦٧٣
				« م »	
والقتلِ	(صاحب التصريح)		مسجومُ	ذو الرمة	٩٤–٣٦٨
		٦٣ — ٩٢	فيظلم	زهير	٣٤٨
		٧٠٣	صروم	أعرابية من بني كلاب	٣٦٦
العقال	(أبو عمر بن العلاء)	٢٦١	الأقاوم	أبو صخر الهذلي	٤٠٧
كالحيال	الأعلم	٣٤٣	والطعيّم		٤٤٠

ثامناً ــ فهرس أنصاف الأبيات :

تاسعاً – فهرس الأعلام (*)

* لم نذكر الأعلام التي وردت في هامش الكتاب اختصاراً .

« ح »

هذه الدراسة دراسة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة . كلية الآداب — قسم اللغات الشرقية فرع اللغات السامية الحيّة واللهجات — عام ١٩٦٥ م .

ونوقشت في يوم الخميس الموافق (١٧ من صفر ١٣٨٥ هـ — ١٧ من يونيو ١٩٦٥ م) .

وكانت لجنة الحكم على الرسالة مؤلفة من السادة :

الأستاذ الدكتور خليل يحيى نامي

أستاذ فقه اللغة بكلية الآداب — جامعة القاهرة (رئيساً ومشرفاً)

الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس

أستاذ ورئيس قسم فقه اللغة والدراسات الساميةوالشرقية
بكلية دار العلوم عضو مجمع اللغة العربية (عضواً)

الأستاذ الدكتور مراد كامل

أستاذ ورئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب وعضو
مجمع اللغة العربية . (عضواً)

عـدد النـاشـر : 83 – 47′ – 400

HERITAGE
OF
ARABIC DIALECTS

DR. AHMAD ALAM-EL-DEEN EL-GINDI

The subject of this thesis is « Heritage of Arabic Dialects » as they are represented in grammatical and lexical works « The importance of dialectal study cannot be overstressed:

It is a step which should precede other linguistic steps, since the historical study of any language could not be completed before carrying out a full survey of its dialects; behind which, too, lies a good segment of our linguistic data. Further, dialectal study is closely related to the various branches of Qur'anic studies and alternative Qur'anic readings. Finally, study of our classical dialects is an imperative basis to any sound study of our modern dialects.

While carrying out this research, we were burdened with various difficulties such as:

1) Collecting dialectal data is a task which should be fulfilled not by an individual but by a scholarly committee.

2) The dialectal data which reached us are mostly no more than isolated undefinable and even unintelligible words, cut from their context.

3) It was impossible to collect any living samples to represent the actual dialectal situation; hence we had to rely mainly on what has been related to us in our written sources. It is well-known that the Arabic writing system does not care to represent short vowels, stress or intonation. This writing system has also allowed various misreadings of the text to take place.

4) This disorganized dialectal data which has reached us are found usually incomplete, corrupted, or even for one reason or another purposefully fabricated.

These difficulties, however, have not discouraged us; but, rather, motivated us to double our efforts and proceed in the work, relying on God's help, and on the inexhaustable kindness of our supervisor. Professor Khalil Y. Nami who has always been more than ready to provide generous guidance and encouragement, whenever needed.

The most important results of this work are:

First: Early arab scholars as well as modern orientalists divide Arabic dialects into two opposing blocks: East and West. But we have found that this geographical division is difficult to follow. For several reasons, we have established — on historical, geographical and dialectal evidence — that these two parts of Arabia are an indivisible unit. We are also aware of the fact that the dialectal

units in Arabia were not permanently settled in their places, but were always changing places and moving between East and West, thus blurring any hard and fast geographical division. Mutual influence between East and West was not even confined to linguistic phenomena but included also the traditional habits and social way of life. The political map of Arabia was always changing and tribal borders were ever moving according to the current strength of one tribe and weakness of its neighbour. The amount of dialectal similarities between dialects of the two major parts of Arabia is so great that it would be difficult to impose any geographical division. This similarity is, as we have proved, the result of historical, social and linguistic factors; it mut go back to very ancient times. Finally, most of dialectal variations upon which the geographical division into East and West is based were not confined to these two divisions, but are also to be found within each of them. The variations within the Eastern division itself were sometimes greater than those existing between East and West. This is also true of the Western division.

If we have to chose a basis for dialectal division, it should not be geographical, but ought to be a social one, distinguishing between the nomadic, semi-nomadic or urban groups.

As a result of our new look, we did not present the dialectal data on the basis of this unsound geographical division, but treated the dialectal phenomena itself, according to which we base divided our thesis into its various chapters.

Secondly: We have managed to draw a number of statistical tables representing dialectal data in our sources, whether grammatical, lexical, literary or Qur'anic readings. Utilizing this statistical tables has enabled us to make many important conclusions.

Thirdly: This research has unconvered the attitude of different scholars of Arabic, be they modern or ancient, from Basra, Kufa, Baghdad or Andalus towards dialects. Here, for instance, we have discovered that later scholars were more attentive to dialects than earlier ones, and that Arabic dialects were richer in the Muslim West than in the East.

Fourthly: Verifying texts and analysing them has led us to:

a) correcting corrupted texts according to a scientific analysis which is based on a modern linguistic approach (cf. pp. 487-489).

b) uncovering that many dialects were proved by instances that would not rise to prove them (cf. The Introduction and also P. 666).

c) making possible to enlarge the geographical area. at times and norrow it at other times, examples of this are scattered all through the thesis.

Fiftly: This work succeeded in:

a) making a decisive distinction between practical licences and dialectal variations, resorting to comparison with relevant modern dialects and Qur'anic data. Thus the terrible over-lapping between these two has been finally cleared;

b) discovering texts that belong to lost works on the « languages of the Qur'an or » the languages of the tribes and utilizing these heretoforth unutilized texts;

c) drawing attention to the strong connection between what is called Khata', lahn and Shudhudh on one hand and dialects on the other. These and other similar contributions that have come out of our textual analysis such as our explanation of gender, vowel-lengthening in final stressed syllables, structure and case ending, observing the pause in the context etc. — are to be found in their proper places in this thesis.

Sixthly: We have applied a new approach which has enabled us to:

a) contrast tribal dialects on any level with the available Qur'anic readings whether accepted or otherwise, thus establishing many dialects that have been rejected by scholars;

b) collect in one work a very large amount of tribal dialects, never put together before;

c) compare tribal dialects with the relevant data in other Semitic languages and traditions in Qur'anic readings;

d) trace the dialectal variations in the tribes and their subdivisions wherever their settlement or migration may be;

e) correct many mistakes into which many scholars — both ancient and modern, Arabs and Orientalists — have fallen, as well as many errors committed by copyists and librarians.

HERITAGE OF ARABIC DIALECTS

DR. AHMAD ALAM-EL-DEEN EL-GINDI

الدار العربية للكتاب